

مجلة العلوم الشرعية

مجلة علمية فصلية محكمة

العدد الثالث والستون
ربيع الآخر ١٤٤٣ هـ

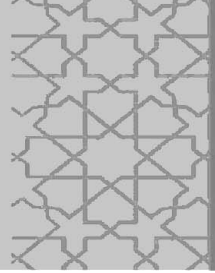
الجزء الثاني



www.imamu.edu.sa
E.mail: islamicjournal@imamu.edu.sa

رقم الإيداع: ١٤٢٩ / ٣٥٦٤ بتاريخ ١٩ / ٦ / ١٤٢٩ هـ
الرقم الدولي المعياري (ردمد) ٤٢٠١ - ١٦٥٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





المشرف العام
الأستاذ الدكتور / أحمد بن سالم العامري
معالي رئيس الجامعة

نائب المشرف العام
الأستاذ الدكتور / عبدالله بن عبدالعزيز التميم
وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

رئيس التحرير
الأستاذ الدكتور / حمد بن عبد المحسن التويجري
الأستاذ في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة – كلية أصول الدين

مدير التحرير
الدكتور / علي بن عبد الله القرني
وكيل عمادة البحث العلمي لكراسي البحث



أعضاء هيئة التحرير

- أ. د. مسلم بن محمد الدوسري
الأستاذ في قسم أصول الفقه – كلية الشريعة – جامعة المجمعة
- أ. د. عبد الله بن محمد العمراني
الأستاذ في قسم الفقه – كلية الشريعة
- أ. د. علي بن عبد العزيز المطرودي
الأستاذ في قسم أصول الفقه – كلية الشريعة
- أ. د. منصور بن عبد الرحمن الحيدري
الأستاذ في قسم السياسة الشرعية – المعهد العالي للقضاء
- أ. د. أسماء بنت عبد العزيز الداود
الأستاذة في قسم الدعوة – المعهد العالي للدعوة والاحتساب
- أ. د. عادل مبارك المطيريات
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الكويت
- د. إبراهيم مصطفى آدي
الأستاذ المشارك في الدراسات الإسلامية – جامعة عثمان بن فودي
بنيجيريا

قواعد النشر

مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (العلوم الشرعية) دورية علمية محكمة، تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة. وتُعنى بنشر البحوث العلمية وفق الضوابط الآتية :
أولاً : يشترط في البحث ليقبل للنشر في المجلة :

- ١- أن يتسم بالأصالة والابتكار، والجدة العلمية والمنهجية، وسلامة الاتجاه .
- ٢- أن يلتزم بالمناهج والأدوات والوسائل العلمية المعتمدة في مجاله .
- ٣- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج .
- ٤- أن يتسم بالسلامة اللغوية .
- ٥- ألا يكون قد سبق نشره .
- ٦- ألا يكون مستأً من بحث أو رسالة أو كتاب، سواء أكان ذلك للباحث نفسه، أو لغيره .

ثانياً : يشترط عند تقديم البحث :

- ١- أن يقدم الباحث طلباً بنشره، مشفوعاً بسيرته الذاتية(مختصرة) وإقراراً يتضمن امتلاك الباحث لحقوق الملكية الفكرية للبحث كاملاً، والتزاماً بعدم نشر البحث إلا بعد موافقة خطية من هيئة التحرير .
- ٢- ألا تزيد صفحات البحث عن (٦٠) صفحة مقاس (A٤) .
- ٣- أن يكون بنط المتن (١٧) Traditional Arabic، والهوامش بنط (١٣) وأن يكون تباعد المسافات بين الأسطر (مفرد) .
- ٤- يقدم الباحث ثلاث نسخ مطبوعة من البحث، مع ملخص باللغتين العربية والإنجليزية، لا تزيد كلماته عن مائتي كلمة أو صفحة واحدة ..

ثالثاً: التوثيق :

- ١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة .
 - ٢- تثبت المصادر والمراجع في فهرس يلحق بآخر البحث .
 - ٣- توضع نماذج من صور الكتاب المخطوط المحقق في مكانها المناسب .
 - ٤- ترفق جميع الصور والرسومات المتعلقة بالبحث، على أن تكون واضحة جلية .
- رابعاً : عند ورود أسماء الأعلام في متن البحث أو الدراسة تذكر سنة الوفاة بالتاريخ الهجري إذا كان العَلَم متوفى .
- خامساً : عند ورود الأعلام الأجنبية في متن البحث أو الدراسة فإنها تكتب بحروف عربية وتوضع بين قوسين بحروف لاتينية، مع الاكتفاء بذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة .
- سادساً : تُحَكَّم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين من المحكمين على الأقل.
- سابعاً : تُعاد البحوث معدلة، على أسطوانة مدمجة CD أو ترسل على البريد الإلكتروني للمجلة .
- ثامناً : لا تعاد البحوث إلى أصحابها، عند عدم قبولها للنشر .
- تاسعاً : يُعطى الباحث نسختين من المجلة، وعشر مستلآت من بحثه .
- عنوان المجلة :**

جميع المراسلات باسم رئيس تحرير مجلة العلوم الشرعية

الرياض ١١٤٣٢ - ص ب ٥٧٠١


هاتف : ٢٥٨٢٠٥١ - فاكس (٢٥٩٠٢٦١)

www. imamu.edu.sa

E.mail: islamicjournal@imamu.edu.sa

المحتويات

١٣	الدخيل في مخطوطات المصاحف "عرض ونقد" د. عاصم بن عبد الله بن محمد آل حمد
٦٥	الإشكالات الواردة في فقد زيد بن ثابت <small>رضي الله عنه</small> الآية من سورة الأحزاب {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} "عرضاً ودراسة" أ.د. يحيى بن صالح الطويان
١١٣	تحقيق القول في شهادة الأعضاء على الإنسان يوم القيامة (دراسة تحليلية في القرآن الكريم) د. صالح بن سعود سليمان السعود
١٩١	فصل «تجريد الأسماء» من كتاب «لسان الميزان» دراسة تحليلية منهجية د. بكر بن محمد فضل الله البخاري
٢٦١	التخلق بأخلاق الله "دراسة عقديّة" د. محمد بن ناصر السحيباني
٣٥٩	حكم صلاة العيدين في البيوت وتنزيلها على حال حظر التجول زمن وباء كورونا د. عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن المحيسن
٤٥٧	الرقابة على الأولاد في ضوء الكتاب والسنة د. أماني بنت محمد بن سيف العتيبي



**الدخيل في مخطوطات المصاحف
عرض ونقد**

د. عاصم بن عبد الله بن محمد آل حمد
قسم القرآن وعلومه – كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية





الدخيل في مخطوطات المصاحف "عرض ونقد"

د. عاصم بن عبد الله بن محمد آل حمد
قسم القرآن وعلومه - كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ١٤٤١ / ٦ / ٣ هـ تاريخ قبول البحث: ١٤٤١ / ٩ / ٧ هـ

ملخص الدراسة:

يدور بحث المخطوطات القرآنية والتي أصبح الحفاظ عليها أمرًا حتميًا يقوم به النخب من هذه الأمة: على الدراسة والدراية، وإن من المهمات مراعاة طريقة السلف في كتابة المصاحف، وجعله منهجًا يؤخذ عنهم الخلف؛ لأن السلف هم أقرب الناس إلى وقت التنزيل، فكانوا أولى بنهج سيرهم، ولا يخرج عنهم إلا لمصالح تجمع عليها الأمة من بعدهم: كالنقط، والتشكيل وغيره، فوضع النقاط- وإن خالفت المصاحف الأول- لا بأس به، لإطباق المسلمين في سائر الآفاق بعد الصحابة والتابعين على جواز ذلك، وأن الداعي إلى ذلك هو فشو اللحن في القراءة، وفي المقابل استحدث الناس بعد الجيل الأول أمورًا دخيلة على الرعييل الأول، فعلى سبيل المثال: ذهب جمهور السلف وجمهور علماء الخلف، إلى المنع من كتابة المصاحف بالذهب وعللوا ذلك: بأن المصحف الإمام، ومصاحف الصحابة كانت خالية من الزخرفة، مع ما فيه من إضاعة المال.

ومما هو دخيل كذلك التبرك بمخطوط المصحف، وهو منقسم إلى قسمين: تبرك شرعي: وهو التبرك بقراءة القرآن، رجاء نوال ثواب القراءة، والاستشفاء به، وهذا النوع لا فرق فيه بين ما كتب قديمًا أو حديثًا، وتبرك محرم: وهو التبرك بذات المصحف وقُداسية قديم أوراقه. ومما وجد في مخطوط المصاحف مما هو دخيل عليها تصغير كتابتها لحد عدم قراءتها، وقد اتفق العلماء على منع تصغير حجم المصاحف، لما في ذلك من معنى الاحتقار، وعدم التعظيم، وكذلك كتابته بخط صغير لا يكاد يقرأ، كما هو معروف في الخط الغباري، أو الخط المجهرى، المنتشر إبان الدولة العثمانية.

إلى غير ذلك من المسائل التي تناولها البحث، والذي يقرر أن ليس كل ما أضافه النُسخ من المخطوطات القديمة أمرٌ حتمي لا يقبل النقاش والنقد، أو التصحيح وعدم التسليم، وذلك فيما يتعلق بالأمور الاعتقادية، أو الفنية أو الشكلية.

الكلمات المفتاحية: الدخيل - المخطوطات - زخرفة المصاحف - حواشي المصحف.

Intruder in the Qur'an manuscripts

Dr. Asim bin Abdullah bin Mohammed Al Hamad

Department of the Qur'an and its Sciences - College of Fundamentals of Religion
Imam Muhammad Bin Saud Islamic University

Abstract:

In the name of Allah the Merciful. The research revolves around the Qur'anic manuscripts, whose preservation has become an imperative that the elites of this nation do. They study and know-how. Therefore, observing the method of the predecessors in the writing of the Qur'an was a method taken by them from the back because the predecessors are the closest people to the time of the download. So, they were the first to approach their walk. They do not depart from them except for the interests of the ummah. They agreed upon by them such as points, diacritics, etc. People after the first generation are foreign matters to the first generation to the majority of the predecessors. The majority of the scholars of the caliph went to the prohibition of writing the Qur'an with gold, and they explained this: that the Imam's Qur'an and the Qur'an companions were devoid of decoration, with the waste of money in it.

What is invasive also blessed with the Qur'an's manuscript. It is divided into two parts: legal blessing. It is blessed by reading the Qur'an, please obtain the reward of reading, and hospitalization and this type has no difference between what was written earlier or recently, and blessed is forbidden: it is blessed with the same Qur'an and old holiness His papers.

What found in the Qur'an's threads? It is an intruder for her to reduce her writing to the point of not reading it. The scholars have agreed to prevent reducing the size of the Qur'an; because of the meaning of contempt and lack of glorification, as well as writing it in a small font that is almost not read, as is known in the dust line, or Microscopic line, spread during the Ottoman Empire.

key words: The intruder - manuscripts - decoration of the Qur'an - footnotes of the Qur'an

المقدمة

الحمد لله صاحب الآلاء والبركات، أخرج عبیده من الظلمات إلى نور الهدايات، فأرسل الرسل، وأنزل الكتب، ونوع البراهين والمحجّات، فأشهد ألا إله إلا الله، ربُّ الأرضين والسموات، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، النبيِّ الكريمِ الأميِّ خيرُ البريات، الذي ما كتب بالقلم، وأوتي جوامع الفصاحة وحسنَ الكَلِم، بلغ الرسالة وأدى الأمانة بروائع البيان، وتركنا على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ضيع القرآن، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم نحشر فيه إلى الديان، أما بعد:

فقد تكفل الله بحفظ القرآن، فوكل حفظه إلى نفسه الكريمة فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (سورة الحجر: ٩)، فهو سليم من التحريف والتبديل، ولما أوكل -جل في علاه- للناس حفظ التوراة كما قال تعالى: ﴿يَمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ (سورة المائدة: ٤٤) أضعوها وحرفوها^(١).

(١) ومن العجائب ما حدث به يحيى بن أكثم قال: كان للمأمون - وهو أمير إذ ذاك - مجلسٌ نظَّر، فدخل في جملة الناس رجلٌ يهودي حسن الثوب حسن الوجه طيب الرائحة، فتكلم فأحسن الكلام والعبارة.

فلما أن تقوَّض المجلس دعاه المأمون فقال له: إسرائيلي؟
قال نعم.

قال له: أسلم حتى أفعل بك وأصنع، ووعدته.

فقال: ديني ودين آبائي! وانصرف.

فلما كان بعد سنة جاءنا مسلمًا، فتكلم على الفقه فأحسن الكلام، فلما تقوَّض المجلس دعاه المأمون وقال: ألسنت صاحبنا بالأمس؟

ومن أنواع حفظ القرآن - بعد تواتره نقلاً - كتابته، والعناية بضبطه، وقد كثر كتاب الوحي في عهده صلى الله عليه وسلم حتى أوصلهم ابن كثير إلى ثلاثة وعشرين كاتباً^(١)، فخلد لنا التاريخ عبر العصور وتداول القرون نسجاً من الكتاب العظيم، ولا شك أن لهذه المخطوطات أهمية قصوى في تاريخ كتابة المصاحف، والحفاظ على هذا الموروث متعين متحقق على الأمة، كما أن المطبوعات الحديثة للمصاحف لا تغني عن ذلك الموروث العظيم، إذ المخطوط شاهد من شهود العدل، ومورد من موارد الصدق، وتنوع المخطوطات في شتى

قال له: بلى.

قال: فما كان سبب إسلامك؟

قال: انصرفت من حضرتك فأحببت أن أمتحن هذه الأديان، وأنت مع ما تراني حسن الخط، فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها الكنيسة فاشتريت مني، وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها البيعة فاشتريت مني، وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ وزدت فيها ونقصت، وأدخلتها الوراقين فتصفحوها، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بما فلم يشتروها، فعلمت أن هذا كتاب محفوظ، فكان هذا سبب إسلامي.

قال يحيى بن أكرم: فحججت تلك السنة فلقيت سفيان بن عيينة فذكرت له الخبر فقال لي: مصداق هذا في كتاب الله عز وجل.

قال قلت: في أي موضع؟

قال: في قول الله تبارك وتعالى في التوراة والإنجيل: ﴿بِمَا أَسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ (سورة المائدة: ٤٤)، فجعل حفظه إليهم فضاع، وقال عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (سورة الحجر: ٩) فحفظه الله عز وجل علينا فلم يضع. انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (٦/١٠).

(١) انظر: البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (٣٦١/٥)

البقاع له ثمارٌ جلييلة لا تحفى على ذي عينين، من بيان القراءات^(١)، وإبراز تنوع الرسم، ولو لم يأت منها إلا معرفة حفظ الله لكتابه مع تعدد نسخه، واختلاف أزمانها وأمكنتها، مقارنة بالتحريفات الهائلة الجاثمة على التوراة أو الإنجيل، من هنا كانت العناية بدراسة هذه المخطوطات من الأهمية بمكان، ولا زالت الدراسات في هذ الموضوع تحتاج إلى ضحٍّ هائل من الدارسين لسير أغوارها، وقد اخترت أن تكون الدراسة في هذه الطيات المتلاحقة عن المدخولات التي دخلت على المصاحف، والتطورات الفنية والكتابية عليها، فاستخرت الله - جل جلاله - واخترت : "الدخيل في مخطوطات المصاحف"

(١) ومن أوهام المستشرقين في هذا الباب أنهم جعلوا تعدد القراءات بسبب ترك نقط المصاحف، لا على أنها وحي يوحى، وقرآن يتلى، كما صرح بذلك جولد تسهير في كتابه المذاهب الإسلامية (ص: ٨)، وهذا خطأ مبين، وضلال واضح، فإن الروايات والقراءات سُنَّه متبعة، رويت قبل تدوين المصاحف، وكان القرآن محفوظاً قبل جمعه، وكان الاتكاء في زمن النبي صلى الله عليه وسلم على الجمع في الصدور لا مجرد الكتابة، وقد نصح العلماء روايات أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم تنقيحاً شديداً فكيف بالقرآن؟!.

=انظر: زيادةٌ في دحض شبه المستشرقين: رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين، للدكتور: عبدالفتاح إسماعيل شلبي.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

- ١- ارتباط هذا الموضوع بأشرف معلوم، وإنما شرف العلم بشرف من تكلم به.
- ٢- افتقار المكتبة القرآنية إلى مزيدٍ عنايةٍ بالمخطوطات القرآنية-دراسةً واستقرأً ومبحثاً.
- ٣- ظنُّ البعض أن كلَّ ما كتبه النُّسَّاح من المخطوطات القديمة أمرٌ حتمي لا يقبل النقاش والنقد، أو التصحيح وعدم التسليم، وذلك فيما يتعلق بالأموال الاعتقادية، أو الفنية أو الشكلية.

أهداف البحث

- ١- دراسةٌ وصفيةٌ موجزةٌ لطريقة الكتابة زمن النبي صلى الله عليه وسلم.
- ٢- دراسةٌ وصفيةٌ موجزةٌ لطريقة الكتابة ما نسب لعثمان-رضي الله عنه- من المصاحف.
- ٣- إثبات، أو نقد وتصحيح لأبرز وأشهر ما في المخطوطات المكتشفة في العصر الحديث فيما له تعلق بالأموال الاعتقادية، أو الفنية، أو الشكلية الطارئة على أصل كتابة المصاحف.

الدراسات السابقة

معظم الدراسات التي تحدثت عن المخطوطات القرآنية تناولت الجانب الوصفي، سواء فيما يتعلق بالوصف التاريخي، أو الفني والتشكيلي، ولم تخل بعض الدراسات من تناول الجانب الوصفي لرسم المخطوط، وما نبا عنه من تعدد في القراءات، بتعدد نسخ الأمصار، ولم يرَ الباحث فيما اطلع عليه من مصادر من تناول الجانب النقدي لطريقة الكتابة الفنية والتشكيلية.

خطة البحث: وتتكون من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة
المقدمة: وتتضمن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث،
والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه.

خطة البحث

تمهيد وفيه: أهمية المخطوطات القرآنية التاريخية.

المبحث الأول: لمحة وصفية عن طريقة كتابة الصحابة للقرآن زمن النبي صلى
الله عليه وسلم.

المبحث الثاني: لمحة وصفية عن طريقة كتابة أقدم المصاحف بعد النبي صلى
الله عليه وسلم.

المبحث الثالث: الدخيل على مخطوطات المصاحف.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: نقط المخطوط.

المطلب الثاني: كتابة المخطوط بالذهب.

المطلب الثالث: التبرك بالمخطوط.

المطلب الرابع: كتابة أدعية في نهاية المخطوط.

المطلب الخامس: كتابة المصحف بما يعرف بأسلوب الخط الغباري.

المطلب السادس: تعرق بعض الحروف والمبالغة في مطها.

الخاتمة: وفيها بيان لأهم النتائج التي يتوصل إليها البحث.

منهج البحث

سلكت في البحث المنهج الوصفي النقدي، وفق المنهج الآتي:

١. ضبط الكلمات بالشكل عند الحاجة إلى ذلك.
٢. شرح الكلمات الغريبة عند الحاجة إلى ذلك.
٣. التعريف بالأماكن عند الحاجة إلى ذلك.
٤. التعريف بالأعلام الذين يتطلب البحث التعريف بهم، تعريفًا موجزًا.
٥. التعريف بالقبائل والفرق والمذاهب.
٦. استخدام علامات التقييم حسب الوسع والطاقة.
٧. توثيق النقل في الهامش.
٨. تخريج الأحاديث والآثار الواردة في البحث من مصادرها الأصلية.
٩. أكتفي بتخريج الحديث من الصحيحين أو أحدهما إذا وجد، وإذا لم يكن في أحد منهما فأخرجه من أمهات الكتب الستة، مع ذكر ما قاله أئمة الحديث والجرح والتعديل فيه من القبول والرد.
١٠. توثيق القراءات وعزوها إلى قرائها.
١١. توثيق الأبيات الشعرية وعزوها إلى قائلها من دواوينهم أو كتب اللغة والأدب.
١٢. عند النقل باختصار وتصرف، أو عند الرجوع إلى أكثر من مصدر، يحال إليه بقول: انظر.
١٣. كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني على رواية حفص عن عاصم مع ترقيم الآيات وعزوها.
١٤. وضع خاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات.
١٥. وضع فهرس تخدم الباحث والمطلع، مشتملة على:
 - قائمة المصادر، وفهرس الموضوعات.

تمهيد وفيه: أهمية المخطوطات القرآنية التاريخية.

منذ أن بزغ نور الإسلام، ومنذ نزل إشراق القرآن وكتّاب الوحي يكتبون بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم القرآن، ويسطرونه على ما كان متاحًا يومئذ...، وأقبلت الأمة من بعد ذلك على سنة كتابة القرآن ونسخه إقبالًا منقطع النظير، ومنذ العصور الإسلامية الأولى، وقد كانت تركة المخطوطات من أسباب حفظ القرآن بحفظ الله، وإن كان نقله يجمع الصدور أبلغ، ومن دلائل صدق القرآن أن الله حفظه بقوله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩٦﴾﴾ (سورة الحجر: ٩٦)، ومن علامات حفظه تلك المخطوطات الجوّدة الموجودة في المتاحف الغربية والعربية تجاوز عمرها الألف سنة.

قال صلى الله عليه وسلم: " وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء" (١).

قال ابن الجوزي وهو من رائع من شرح: " أي لا ينمحي لدوام ظُهُوره وشهرته، فَهُوَ لِكَوْنِهِ مَبْتُوثًا فِي الصُّحُفِ وَالصُّدُورِ لَوْ حُمِيَ مِنْ صَحِيفَةٍ وَجَدَ فِي أُخْرَى، أَوْ قَامَ بِهِ الْحِفَافُ" (٢).

والمخطوطات بشكل عام تمثل إرث الأمة العظيم، فعلم الأمة مدون فيها، من الوحي، وتفسيره، والحديث وشروحه، وفقه العلماء واستنباطاتهم، وتاريخ الأمة وحضاراتها، ويمكن أن يقال: إن أمة من غير مخطوط، كأمة من غير تاريخ.

(١) رواه مسلم، في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، في باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل

الجنة وأهل النار، ورقم (٢٨٦٥).

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي (٢٤٣/٤).

ولا يُستبعد أن يقال إن الحفاظ على هذه المخطوطات القرآنية أصبح أمرًا حتميًا يقوم به النخب من هذه الأمة: دراسة ودراية، خصوصًا مع الضياع الذي أصاب كثيرًا من إرث الأمة، حيث إن مخطوطات كبيرة كانت خزائن المكتبات الإسلامية تحتضنها وتكتنفها قد تلفت أو فقدت أو ضاعت، بسبب عدم العناية والاهتمام بهذا الموروث العظيم، ولا ينسى التاريخ ما تعرضت له الأمة في سابق عصرها من حروب وفتن وغزوات، جعل ما أصاب مخزونها العلمي في حالة من الترويع، ما كان منها من الشرق أو الغرب.

والاهتمام بدراسة المخطوطات القرآنية كان مثار اهتمام المستشرقين، والذي تولد من الاستعمار الغربي لبلاد المسلمين، حيث عنى أولئك بتركة المسلمين، وصانوا ما بقي من المتلوف منه، وأودعوه خزائن، لا يسمح للاطلاع إلا على صور منها، كما هو مشاهد من واقع الجامعات الغربية.

ويكفي أن المخطوط من دلائل الصدق وبراهين الإثبات على ما يحتوي من العلوم، والتي يتداولها الناس، ويتداولونها.

ومن أهم ما يقال في مخطوطات المصاحف:

١- أنها برهان صدق ودليل نبوة، فمخطوط القرآن يصدق أولّ الزمان، ويوثق حقيقة الرسالة، وكلما قدم المخطوط كلما كان أحرى بالشهادة، يقول البروفسور **David Thomas** أستاذ اللاهوت في جامعة برمنغهام: "إنني منصدم ومندهش جدًا أن نجد جزءًا من مخطوطة للقرآن تتألف من صفحتين، كتبت قبل أكثر من ١٣٧٠ سنة ميلادية على الأقل (وهذا يعادل ١٤١١ سنة هجرية)، إن هذه المخطوطة تؤكد أن القرآن كتب في زمن النبي وليس كما كنا نعتقد أنه تم تجميعه والإضافة عليه بعد وفاة النبي

الكريم"^(١)، وكلما تباعد زمان المخطوط كلما كان أثبت لقلوب أهل ذلك الزمان، وهذا ما توضحه الأهمية الثانية.

٢- أن هذه المخطوطات داعم من دواعم الإيمان، ورافد من روافد أهل الإسلام، فكم فرح أهل الحق بوجود مخطوط قرآني قديم تاريخه، واستبان حرفه، فظهر بهاؤه، ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (يونس: ٥٨)، فرؤية أهل الحق له تزيدهم إيماناً لما يرو من مشاهدات التأييد على صدق ما معهم من النور، وهكذا حين ينزل القرآن في تبشير القلوب الصادقة: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمُ إِيمَانُنَا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٤).

٣- أن المخطوطات القرآنية ركن يركن إليها في وجه المشككين الطاعنين في القرآن وتواتره، فعندما تظفر الأمة بمخطوط قديم الذكر وهو يوافق ما عند مسلمي العصر الحالي يزداد بذلك اغتباطهم، ويتصاغر لأجله كل مرجفٍ طعان، يتبع نظرية المشككين بالقرآن من الذين يزعمون أن القرآن لم يكن موجوداً زمن النبوة، بل تمت كتابته فيما بعد لتبرير الفتوحات الإسلامية ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَيْنَا أَن نُبْرِئَهُمْ وَأَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة: ٣٢).

٤- لا يخفى دور المخطوطات في تثبيت القراءات، وتصديق ما صح منها، وقد يتوصل من خلال المخطوطات القرآنية إلى معرفة تاريخ القراءة الزماني

(١) شاهد الفيلم القصير الذي انتجته جامعة برمينغهام عن المخطوطات:

<https://www.radiosawa.com/a/oldest-manuscript-of-quran/270672.html>

أو المكاني، فإن عثمان-رضي الله عنه- لما أرسل النسخ العثمانية كان بينها اختلافٌ في بعض رسمها، حيث احتملت في رسمها الأحرف السبعة، وهي متضمنة لما ثبت من القراءات المتواترة في العرصة الأخيرة^(١).

٥- حفظت لنا المخطوطات القرآنية تاريخ النقط والشكل تطبيقاً عملياً كما وصفتها لنا كتب العلماء الذين تكلموا عن تاريخ كتابة الرسم، مما يجعل المرء في ضمانه علمية مما كتبه المتقدمون، وأنهم أصابوا كبد الحقيقة، ولم يقدموا أو يأخروا، مما يجعل هذه الضمانة سائرة على كتب الأمة فيكون وقعها عظيمًا على النفس.

٦- أصبحت المخطوطات القرآنية رافدًا أصيلاً من روافد حفظ تاريخ الخط العربي، والذي نقل للأمة جماليات العرب في رسمهم الحرف، والذي أدهش الغرب والشرق في ظل غياب الجماليات القديمة لديهم، حتى غدت بعض المخطوطات القرآنية أصلاً من أصول تتبع تاريخ الكتابة العربية، وكيف هي تطورات الخط العربي.

(١) قال أبو علي الفارسي: "أما كون المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة، فإن هذه مسألة كبيرة اختلف العلماء فيها: فذهب جماعات من الفقهاء والقراء والمتكلمين إلى أن المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة" الحجة للقراء السبعة (٨/١)، وذهب ابن الجزري إلى قول أخص منه وهو: أن الأحرف السبعة بقي منها ما يحتمله رسم المصحف. وانظر: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لأبي الخير ابن الجزري (ص: ٢٣).

المبحث الأول: لمحة موجزة وصفية عن طريقة كتابة الصحابة للقرآن زمن النبي صلى الله عليه وسلم

قبل أن يأخذ البحث طريقه في الحديث عن أبرز الدخيل على مخطوطات المصاحف، كان حرياً به أن يعرض واصفاً الطريقة التي درج عليها السلف في كتابة المصاحف عرضاً موجزاً، ثم المصحف الذي يُنسب في هذا العصر لعثمان بن عفان-رضي الله عنه-، عرضاً وصفياً.

ولأن السلف هم أقرب الناس إلى وقت التنزيل، كانوا أولى بنهج سيرهم، كيف وقد دخلوا في الخيرية التي نص عليها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم إذ قال: "خير أمتي القرن الذين يلوني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم" (١).

ولذا كان لهذا الدين طريقاً رسمه النبي صلى الله عليه وسلم، وسار بعده من سار على نهجه، فغدا الطريق واضحاً جلياً، والخروج عن طريقهم خطورة في الدين، وتقمح للصعاب، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝١١٥﴾ (سورة النساء: ١١٥).

وقد كان لكتابة المصحف في القرون الأولى أطواراً ومراحل تغير معها ما اعتاده الناس في الكتابة، فمن هذه الأطوار المتغيرة ما كان في الطريقة الهجائية

(١) رواه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، في باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ورقم (٢٥٣٣).

المتبعة في ذلك العصر، وكان ذلك التغيير لمصلحة ظاهرة، فاتفقت الأمة بعد تلك العصور المتقدمة على ذلك التغيير للمصالح المرسله المترتبة عليه. وبطبيعة الحال فإن ذلك التغيير لم يمسّ الوحي بنطق الحرف، أو زيادة الكلمة، أو ترتيب الآي، وإلا سُمي تحريفًا-وحاشاهم- وإنما كان في طريقة الكتابة من حيث الزيادات في النقط والشكل. ومن تلك الأطوار المتغيرة ما كانت محل اجتهاد الناسخ والكاتب، بإضافة أمور فنية شكلية: إما في المبالغة في تجويد الخط، أو في إضافة جمل ليست من القرآن على حواشي المصحف، أو بزخرفته وهندسته... إلى غير ذلك مما هو محل الدراسة والبحث.

وبيت القصيد في هذا **المطلب** هو طريقة كتابة ما كُتب زمن النبي صلى الله عليه وسلم، فمن أهم ما يقال في ذلك: -أن ما كتب زمن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن منقوط الأحرف. لم تكن الحروف منقوطة في أصل الوضع الكتابي للحرف، ذلك أن اللغة العربية أخذت شيئاً من صفات حروفها من الخط النبطي الذي ليس فيه نقاط^(١).

(١) وقع خلاف كبير عن تاريخ الحروف العربية وعن نشأتها، وهل هي توقيفية؟ أم من اليمن؟ أم من غير ذلك... والسبب في ذلك: قلة النقوش العربية الجاهلية، وغموض تاريخ الخط العربي عن مؤرخي العرب القدماء. والأنباط: قبائل عربية نزحت من الجزيرة العربية وسكنوا في المناطق الآرامية في فلسطين وجنوب بلاد الشام والأردن، وينظر لمزيد في نقل الخلاف: الفهرست، لابن النديم (١٤/١)، وصبح الأعشى للقلقشندي (١٢/٣)، وتاريخ التمدن الإسلامي، الجرجي زيدان (٧٠/٣)، ورسم المصحف-دراسة لغوية تاريخية-، لغانم قدوري الحمد(ص:٥٠-٥١).

ومع توسع الفتوحات ودخول أبناء العجم في الإسلام، وضعف الناس في العربية فحش الخطأ، وتشابهت على الأعين الحروف: كالباء، والتاء، والثاء، والحاء، والهاء، والحاء... من هنا جاءت فكرة الإعجام.

قال ابن خلكان: "الناس غبروا يقرؤون في مصحف عثمان بن عفان - رضي الله عنه - نيماً وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان، ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق، ففزع الحجاج بن يوسف الثقفي إلى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات،... فغير الناس بذلك زماناً لا يكتبون إلا منقوطة، فكان مع استعمال النقط أيضاً يقع التصحيف، فأحدثوا الإعجام، فكانوا يتبعون النقط الإعجام" (١).

وفي هذا النص كان النقط غير الإعجام في مصطلح المتقدمين ابتداءً. **فالنقط:** كان علامة يعرف بها كيف ينطق الحرف: مرفوعاً، أم منصوباً، أم مجروراً...، وهي ما تعرف بعد ذلك بالحركات (٢).

والإعجام: هو فك المتشابه من الحروف، والتمييز بينها بعلامات توضيحها.

(١) وفيات الأعيان وإنشاء أبناء الزمان، لأحمد بن محمد ابن خلكان (٣٢/٢)، وفي صبح الأعشى (٤٧٨/١) ذكر القلقشندي أن أبا الأسود الدؤلي هو أول من نقط المصاحف النقط الأول، وهو نقط الإعراب.

(٢) وبعضهم يقسم النقط إلى قسمين: نقط الإعجام: وهو نقط الحروف في ذواتها للتفريق بين المشتبه منها في الرسم: كالباء، والتاء، والثاء. ونقط الإعراب: وهو نقط الحروف للتفريق بين الحركات المختلفة.

انظر: قصة النقط والشكل، د. عبدالحى حسين الفرماوي (ص: ١٨).

وعرف العرب الإعجام من أواسط القرن الأول، ولم يكونوا يُعجمون في كتاباتهم إلا إذا خافوا من الخطأ، ومن هنا أعجموا المصاحف خشية الوقوع في الخطأ، وتعظيمًا لكلام الله، لكنهم كرهوا الإعجام فيما إذا كان المرسل إليه خليفة، أو عالمًا؛ لأن مثليهما لا يحتاج لمثل ذلك بقوة عربيته؛ ولذا كان بعض الأدباء يجعل من آداب الكاتب ترك النقط والشكل، يقول ابن عبدربه:

"وإياك والنقط والشكل في كتابك، إلا أن تمرّ بالحرف المعضل الذي تعلم أن المكتوب إليه يعجز عن استخراجِه... لأن يشكل الحرف على القارئ أحب إليّ من أن يعاب الكتاب بالشكل، وكان المأمون يقول: "إياكم والشونيز في كتبكم" يعني النقط والإعجام"^(١).

وإنما أخلى الصدرُ من عصر الصحابة والتابعين المصاحفَ من النقط والشكل؛ لأنهم أرادوا الدلالة على بقاء السعة في اللغات، والفسحة في القراءات التي أذن الله تعالى لعباده في الأخذ بها^(٢).

— خلو ما كتب من التعشير والتحزيب ...

كانت المصاحف زمن النبي صلى الله عليه وسلم خالية من النقط، والشكل، والتعشير، والتخميس، والتحزيب، وكتابة عدّ الآي في خواتم السور، وكتابة أسماء السور.

(١) العقد الفريد، لأحمد بن محمد بن محمد ابن عبدربه (٢٥٥/٤).

(٢) انظر: نقط المصاحف، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ص: ١١).

والشُّكْلُ: يعود معناه في الصدر الأول إلى التنقيط. فالفتحة: نقطة على أول الحرف. والضمّة: على آخره. والكسرة: تحت أوله. والذي اشتهر الآن الضبط بالحركات المأخوذة من الحروف وهو الذي أخرج الخليل.

والتعشير: من الرقم عشرة، وهو أن يجعل علامة عند انتهاء كل عشر آيات.

والتخميس: من الرقم خمسة، وهو أن يجعل علامة عند انتهاء كل خمس.

والتحزيب: أن يجعل علامة عند مبتدأ كل حزب^(١).

— كان المصحف غير مجموع في رق واحد.

كان كتاب الوحي زمن النبي صلى الله عليه وسلم يكتبون القرآن على الرقاع وغيرها، ولم يكن المصحف مجموعاً عند أحد منهم، قال زيد بن ثابت: "كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع"^(٢).

قال البيهقي: " وإنما أراد - والله تعالى أعلم - تأليف ما نزل من الآيات المتفرقة، في سورتها وجمعها فيها بإشارة من النبي صلى الله عليه وسلم، ثم كانت مثبتة في الصدور مكتوبة في الرقاع واللخاف، والعسب، فجمعت منها في صحف بإشارة أبي بكر، وعمر وغيرهما من المهاجرين والأنصار، ثم نسخ ما

(١) انظر: العناية شرح الهداية، لمحمد بن محمد البابرتي (٢٩٠/١٤)، والإنتقان، لعبد الرحمن لسيوطي (١٨٤/٤)، ومناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد الزرقاني (٣٣٤/١)، والموسوعة الفقهية الكويتية (١٥/٣٨).

(٢) رواه مسلم، في كتاب: فضائل الصحابة، في باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ورقم (٢٥٣٣).

جمع في الصحف في مصاحف بإشارة عثمان بن عفان على ما رسم المصطفى صلى الله عليه وسلم" (١).

فجميع القرآن كتب في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وكتب مفرقاً، وأوثق ما كتبه الصحابة ما كان مكتوباً بين يديه صلى الله عليه وسلم، إذ إن بعضهم كان يكتب بعض الآيات لنفسه، لأنه صلى الله عليه وسلم أباح كتابة القرآن فقال: " لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه" (٢).

- كان ما كتب مُرتب الآيات، أما السور فوقع فيه الخلاف.

ومن نقل الإجماع على أن ترتيب الآيات توقيفي جملة من العلماء.

(١) شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٤٢/١).

(٢) رواه مسلم، في كتاب: الزهد والرفائق، في باب الثبوت في الحديث وحكم كتابة العلم، ورقم (٣٠٠٤).

وقد كتبت السنة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وجاءت شواهد تدل على الإذن بذلك، ومن هنا اجتهد العلماء في التوفيق بين الأحاديث، قال ابن القيم في حاشية عون المعبود (١٨٩/٩): " قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم النهي عن الكتابة والإذن فيها، والإذن متأخر، فيكون ناسخاً لحديث النهي، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال في غزاة الفتح: "اكتبوا لأبي شاه" يعني خطبته التي سأل أبو شاه كتابتها، وأذن لعبد الله بن عمرو في الكتابة، وحديثه متأخر عن النهي، لأنه لم يزل يكتب، ومات وعنده كتابته، وهي الصحيفة التي كان يسميها "الصادقة"، ولو كان النهي عن الكتابة متأخراً لمحاها عبد الله، لأمر النبي عليه الصلاة والسلام بمحو ما كتب عنه غير القرآن، فلما لم يمحوها وأثبتها، دل على أن الإذن في الكتابة متأخر عن النهي عنها، وهذا واضح. والحمد لله"

قال السيوطي: "الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك، وأما الإجماع فنقله غير واحد منهم الزركشي في البرهان^(١)، وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته^(٢) وعبارته: ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه صلى الله عليه وسلم وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين"^(٣).

عن ابن عباس قال: "قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المثين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتوهما في السبع الطوال؟ فقال عثمان: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزل عليه السورة ذات العدد، فكان إذا أنزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتها في السبع الطوال"^(٤).

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله محمد الزركشي (٢٥٦/١)

(٢) انظر: البرهان في تناسب سور القرآن، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ص: ١٨٢)

(٣) الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن السيوطي (٢١٢/١).

(٤) رواه أحمد في مسند الصحابة بعد العشرة، ورقم (٤٩٩)، والحاكم في المستدرک في کتاب التفسیر، ورقم (٢٨٧٥)، وقال الذهبي: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه".

أما ترتيب سوره فوقه فيه الخلاف، ونسب السيوطي إلى جمهور العلماء على أن ترتيبه اجتهادي من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم^(١).
ومنهم من ذهب إلى أنه توقيفي من النبي صلى الله عليه وسلم^(٢).
ولعل الصواب أن يقال: إن بعضًا من القرآن كان توقيفًا - وهو الأكثر - وبعضًا منه كان اجتهاديًا، وهو ظاهر كلام ابن عطية، وقول ثالث في المسألة^(٣)، ولدلالة الآثار على ذلك، فقد رتب النبي صلى الله عليه وسلم بعض السور، ونقل إلينا ذلكم الترتيب، كما كان يقرأ سورتي الجمعة والمنافقون - أحيانًا -، وبالأعلى والغاشية في أحيان أخرى من ركعتي صلاة الجمعة^(٤)، وكثير من السور لم يرد النقل بترتيبه فعلم أن الأمر كان من عند أصحابه صلى الله عليه وسلم.

-
- (١) انظر: الإتيان (٢١٦/١)، ومن ذهب لهذا القول: القاضي الباقلاني في الانتصار (٦٠/١)، وقال: "هذا القول الثاني أقرب وأشبهه أن يكون حقًا"، وابن فارس في كتابه المسائل الخمس، وهو كتاب مفقود، ونقل قوله الزركشي في البرهان (٢٣٧/١).
(٢) ومن ذهب لهذا القول: الطيبي في فنوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (٦١٦/١)، وابن حجر في الفتح (٤٢/٩)، والسيوطي في الإتيان (٢١٩/١).
(٣) انظر: كتابه المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥٠/١): "وظاهر الآثار أن السبع الطول والحواميم والمفصل كان مرتبًا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وكان في السور ما لم يرتب، فذلك هو الذي رتب وقت الكُتُب".
(٤) رواه مسلم، في كتاب: الجمعة، وفي باب: ما يقرأ في صلاة الجمعة، ورقم (٨٧٧) و(٨٧٨).

المبحث الثاني: لحة وصفية عن طريقة كتابة أقدم المصاحف بعد النبي صلى الله عليه وسلم.

من الصعب جدًا إثبات كون مخطوط من المخطوطات القديمة هو مصحف عثمان، وكل ما قيل عنه إنه مصحف عثمان فهو المصحف المنقول عنه المرسل إلى الأمصار، إلا من نصَّ من المتقدمين على رؤيته ذاته، ويرى بعضهم أن هذه المصاحف المنقولة عن مصحف عثمان احترقت جميعها^(١)، أما مصحف عثمان نفسه الذي كان يُقرأ منه فقد سُئل عنه مالك فقال: "ذهب"^(٢)، وأكثر الظن فقدان هذا المصحف^(٣).

(١) يقول محمد كرد في كتابه خطط الشام (١٨٤/٦): "ومن أهم الكتب القديمة في الشام مصحف سيدنا عثمان ... والغالب أنه نقلت عنه عدة مصاحف عدت من الأمهات منها ما جعل في طبرية، ومنها ما وضع في قنشرين. وكثرت النسخ بعد ذلك، لكن هذه المصاحف ذهبت في الحريق الذي أصيبت به الجوامع في عصور مختلفة"

(٢) كتاب المصاحف، لأبي بكر بن أبي داود (ص: ١٣٥).

(٣) ومن رأى المصحف من المتقدمين وَصَفَهُ بوجود دم كثير على سورة النجم، ولم يقل أحد من المعاصرين فيما أعلم بوجود مصحف من هذا النوع، قال أبو عمرو الداني في المقنع (ص: ٤٣): "وقال الحلواني أحمد بن يزيد، عن خالد بن خدّاش قال: "وأكون" بالواو، وقال: رأيت المصحف ممتلئًا دما وأكثره في (والنجم)"، ويقصد بقوله: "وأكون" قوله تعالى من سورة المنافقون: ﴿وَإِذْ كُنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ .

وقال ابن بطوطة في رحلته (١٢/٢): "وفيه المصحف الكريم الذي كان عثمان -رضي الله عنه- يقرأ فيه لما قتل، وأثر تغرير الدم في الورقة التي فيها قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة: ١٣٧)، ويقول الصفاقسي في غيث النفع (ص: ٥٠٠): "ورأيت فيه أثر الدم وهو بالمدرسة الفاضلية بالقاهرة".

وما وجد في مصر اليوم في خزانة الآثار من أقدم ما كتب من خلال التحليلات والدراسات لهذه النسخة^(١).

وسيكون الوصف هاهنا عامًا، من خلال: كلام الواصفين المتقدمين الرئين لمصحف عثمان، أو من خلال المصاحف الأقدم والتي وجدت متأخرًا، ومنها مصحف مصر، فمن مجموع صفاتها:

- كتبت هذه المصاحف على رقّ ضخّم، ذلك أن الرقّ هي مادة الكتابة المنتشرة عندهم، أو لأن الرقّ أكثر بقاء^(٢)، أما عن مصحف القاهرة فكتب بمقاس: ٦٨×٥٣سم، في كل صفحة ١٢ سطرًا^(٣).

- كتبت بالخط المربع، المسمى بالخط(الحجازي) وهو التسمية الصحيحة بدلاً عن الخط الكوفي^(٤).

(١) انظر: رسم المصحف-دراسة لغوية تاريخية- (ص: ١٩٢)

(٢) قال ابن كثير في فضائل القرآن (ص: ٨٩): "وقد رأيتُه كتابا عزيزًا جليلًا عظيمًا ضخّمًا بخطّ حسن مبین قوي بحبر محکم، في رقّ أظنه من جلود الإبل، والله أعلم". ويقول القلقشندي في صبح الأعشى: "أجمع رأي الصحابة -رضي الله عنهم- على كتابة القرآن في الرقّ؛ لطول بقائه، أو لأنه الموجود عندهم حينئذ، إلى أن ولي الرشيد الخلافة وقد كثرت الورق وفشا عمله بين الناس أمر ألا يكتب الناس إلا في الكاغد، لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والإعادة فتقبل التزوير، بخلاف الورق فإنه متى محي منه فسد، وإن كشط ظهر كسطه. وانتشرت الكتابة في الورق إلى سائر الأقطار، وتعاطاها من قرب وبعد، واستمرّ الناس على ذلك إلى الآن" (٥١٥/٢-٥١٦)

(٣) انظر: مصحف عثمان بدار الكتب المصرية: الأصول والتاريخ، لأحمد وسام شاکر (٦-٧).

(٤) بقي الخط الكوفي هو السائد في القرون الأولى، إلى أن نُقل إلى خطوط أخرى نهاية العصر الأموي، وبداية العصر العباسي، وأول من سماه بالكوفي هو ابن النديم في كتابه الفهرست (ص: ١٦)، ولا تصح نسبته إلى الكوفة؛ لأنها لم تعرف إلا بعد وجود الخط في الحجاز، قال القلقشندي في صبح

- خلوها من كتابة الإعجام، فلا نقط في حروفه، ولا حركات.
- خلوها من الزخارف والنقوش^(١).
- خلوها من علامات للفصل بين السور والآيات.
- خلوها من أسماء السور، وعدّ الآي.

وحاصل القول:

أن مصحف عثمان-رضي الله عنه- سواء الذي كان يقرأ منه، أو ما أرسله إلى الأمصار كان قد كتب بطريقة سهلة بسيطة، خالية من التكلف والتزويق، كالزخرفة والتذهيب، أو الزيادات: كالإعجام، والنقط، والحركات، والأسماء للسور... فمن زعم أنه رأى مصحف عثمان ووصفه بالزخرفة... وغيره مما لم يُذكر في وصفه فقوله مُستبعد، وليس هو بمصحف عثمان-رضي الله عنه-.
وهناك أمور أخرى تدل على استبعاد بعض ما زعم أنه مصحف عثمان ككبر حجم النسخة وثقلها المفرط، كالتي في استنبول، فإنه من العسير حملها وقراءتها، فكيف بعثمان وهو في الثمانين أن يحملها^(٢).

الأعشى: " الخطّ الكوفيّ فيه عدّة أقلام مرجعها إلى أصلين: وهما التقوير والبسط، فالقوّر: هو المعبرّ عنه الآن باللّين، وهو الذي تكون عرقاته وما في معناها منخسفة منحطة إلى أسفل كالثلث والرقاع ونحوهما، والمبسوط: هو المعبرّ عنه الآن باليابس، وهو ما لا انخساف والمخطاط فيه كالحقّق، وعلى ترتيب هذين الأصلين الأقلام الموجودة الآن".

- (١) فأبي مصحف يُزعم أنه لمصحف عثمان وفيه زخارف أو نقوش، أو كتابات تبين مفاصل سور القرآن وأعراسها فليس هو مصحف عثمان، لأنه يخالف الوصف الذي حكاه المتقدمون.
(٢) انظر: الرحلة العجيبة لنسخة من مصحف عثمان في أرجاء المغرب والأندلس، لمحمود بوعبيد (ص: ٥٤).

المبحث الثالث: الدخيل على مخطوطات المصاحف.

كما هي عادة البشرية في شؤونها المتنوعة والتي يعترضها التغير، ولا يبقى السميت على ما كان عليه كل زمن، إن تقصيراً وتفريطاً، وإن زيادة وإفراطاً، وهكذا الإسلام بعد ما أنزل الله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (سورة المائدة: ٣) ولما نزلت هذه الآية وذلك يوم الحج الأكبر، بكى عمر، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "ما يبكيك؟" قال: أبكاني أننا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذ كمل، فإنه لم يكمل شيء إلا نقص! فقال: "صدقت"^(١).

وقد تسابق المسلمون لنسخ المصاحف وكتابتها، ولربما طرأ على الكتابة أمورٌ أوجبها زمان المرحلة، ولربما لم يوجبها إلا رأي أو فكر الناسخ أو الكاتب، وفي هذا المبحث سوف تُدرس بعض التغيرات التي طرأت على مخطوط القرآن وما مدى قربها وبعدها عن السنة، وكلام أهل العلم في ذلك قدر المستطاع، ومن الله التوفيق والسداد.

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير (٥١٩/٩)، وابن وضاح في البدع (١٣٣/٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨٨/٧)، وقال ابن كثير في تفسيره (٢٦/٣) بعد هذا الحديث: "ويشهد لهذا المعنى الحديث الثابت: "إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً فطوبى للغرباء". رواه مسلم في كتاب: الإيمان، وباب: بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، ورقم (٢٣٢).

المطلب الأول: نقط المخطوط.

تكلم البحث في المبحث الأول عن تاريخ النقط، وكيف كُتبت المصحف بدونها، وعن العلل التي أدت إلى إثبات النقط، مع خلوها في مصاحف عثمان - رضي الله عنه -، والذي يظهر أن وضع النقاط - وإن خالفت المصاحف الأولى - لا بأس بها، لإطباق المسلمين في سائر الآفاق بعد الصحابة والتابعين على جواز ذلك، وأن الداعي إلى ذلك هو فشو اللحن في القراءة، وخروج أعناق الجهل في التلاوة، مما أوجب على المسلمين الشروع في الأسباب التي تقي القرآن عن التحريف، وتجعله في دائرة الضبط^(١)، وأن العلة هي: المبالغة في المحافظة على رسم المصحف، والخوف مما قد يسببه عدم تجريده من التغيير فيه، كما قال أبو عبيد القاسم بن سلام عن رأي إبراهيم النخعي القائل بالكراهة: "وإنما نرى أن إبراهيم كره هذا مخافة أن ينشأ نُشوء يدركون المصاحف منقوطة فيرى أن النقط من القرآن"^(٢)، وقال ابن نجيم الحنفي: "وما روي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - من قوله جردوا القرآن فذلك في زمانهم؛ لأنهم كانوا ينقلونه عن النبي صلى الله عليه وسلم كما أنزل"^(٣).

(١) انظر: التعليل الأول والثاني من المحكم في نقط المصاحف (ص: ١١).

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (٤٧/٤).

(٣) البحر الرائق، لزين الدين الحنفي (٢٣١/٨).

المطلب الثاني: كتابة المخطوط بالذهب.

من أبرز المخطوطات التي كتبت بالذهب مخطوط ما يعرف بـ(الرق الأزرق)^(١)، كما عرف ذلك في بعض المخطوطات المغربية والأندلسية^(٢)، وقد اختلف العلماء في حكم كتابة المصحف بالذهب، فذهب إلى الجواز جمهور الحنفية^(٣). واستدلوا بدليل عقلي: بأن في تزيين الآيات تعظيمًا وإكرامًا^(٤). وقد يناقش: بأن الأمر لو كان فيه خير لجاز الشرع بمثله، والله يقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَوْحَىٰ إِلَيْكَ آيَاتِهِ لِيُخْرِجَنَّكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ إِنَّكَ كَانَتْ مِنَ الْغَافِقِينَ﴾ (سورة المائدة - آية: ٣).

(١) كتب في القرن الرابع الهجري، ويقع هذا المخطوط ذو الحجم الكبير في سبعة مجلدات، كتبت حروفه بالذهب، وكان نوع خطه الخط المربع أو ما يعرف بالكوفي، على رق أزرق، وكان لون الفضة للصور وعد الآيات والأحزاب، وجد هذا المخطوط في القيروان وحفظ في تونس، إلا أجزاء منه وزعت على متاحف عالمية خارج البلاد.

انظر: مقالة بعنوان (وريقة من القرآن الأزرق) في موقع قنطرة: <https://www.qantara->

[med.org/public/show](https://www.med.org/public/show)، والموقع الرسمي لمتحف بباردو والذي تشرف عليه وكالة

التونسية:

التراث

إحياء

<http://www.bardomuseum.tn/index.php?option=com>

(٢) انظر: عناية أهل الأندلس بالمصحف الشريف، لمحمد شباح (ص: ٩١).

(٣) انظر: تبين الحقائق، لعثمان الزيلعي (٣٠/٦)، والبحر الرائق، لزين الدين الحنفي (٢٣١/٨).

(٤) انظر: تبين الحقائق، لعثمان الزيلعي (٣٠/٦)، والبحر الرائق، لزين الدين الحنفي (٢٣١/٨).

وذهب إلى المنع جمهور السلف^(١)، ومذهب جمهور علماء الخلف^(٢)، فعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: "إذا زخرفتكم مصاحفكم، وزوقتكم مساجدكم فالدُّبار عليكم"^(٣)، **وعللوا ذلك**: بأن المصحف الإمام، ومصاحف الصحابة كانت خالية من الزخرفة، مع ما فيه من إضاعة المال^(٤).

قال المناوي: "فزخرفة المساجد وتحلية المصاحف منهي عنها؛ لأن ذلك يشغل القلب ويلهي عن الخشوع والتدبر والحضور مع الله تعالى"^(٥) قال أبو رزين^(٦):

(١) ومن نقل عنه المنع: أبي بن كعب، وأبو الدرداء، وأبو هريرة، وابن عباس، وبرد بن سنان، كما في كتاب المصاحف، لابن أبي داود من الأرقام: (٤٦٠-٤٧٢).

(٢) انظر: حاشية ابن عابدين (٣٨٦/٦)، والذخيرة، لأحمد بن إدريس القرافي (٣٥٣/١٣)، والمجموع (٣٨٦/٤)، والمغني، لابن قدامة (٣٢٦/٢).

(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٣١٩/٢)، في باب: تزيين المصاحف وحليتها بالذهب والفضة، وله شاهد من حديث أبي بن كعب أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٧٤/١)، ورقم (٣١٤٨)، وأخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف، في تحلية المصاحف بالذهب، ورقم (٤٦٠)، قال ابن الملقن في البدر المنير (٥٧٧/٥): "رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف بسند لا بأس به".

وزوقتكم: من الزاؤوقُ: الزئبق في لغة أهل المدينة، قيل لكل مُنقَّشٍ: مُزَوَّقٌ، وإن لم يكن فيه الزئبقُ . انظر: لسان العرب (١٠ / ١٥٠). والدُّبَّار: الهلاك. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٩٨/٢).

(٤) انظر: الآداب الشرعية، لابن مفلح (٣٣٣/٢).

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف المناوي (٣٦٦/١).

(٦) رزين بن حبيب الجهني الرُّمَّاني التَّمار، يباع الرمان، ويقال الفزاز، ويقال التمار، وثقه أحمد وابن معين، وأخرج له الترمذي، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر: التاريخ الكبير، للبخاري (٣٢٤/٣)، وتهذيب التهذيب، لابن حجر (٢٣٨/٣).

"لا تزيدوا فيه - أي القرآن - شيئاً من أمور الدنيا"^(١)، وهنا مسألة على هذا

القول: هل تجوز القراءة من المخطوط الذي كتب بالذهب؟

يقال -والعلم عند الله-: إن الخلاف واقع في كتابته بالذهب لا في القراءة

منه.

فإن قيل: هل يجب إزالته وحكه؟

يقال -والعلم عند الله-: إن إزالته مزيلة لأصل الكتابة كلها، وفي هذا ذهاب

لانتفاع بقراءة المصحف، وحينئذ فضرر إزالته أشد من نفعها، وقد همَّ عمر

بن عبد العزيز أن يحو الذهب الذي في المسجد، فقيل له: إنه إذا جرد لم يكن

له ثمن. فتركه^(٢)، فكذلك الحال في المخطوط المذهب.

كما أن المسألة ليست محل وفاق بين العلماء، فقد رخص بعض الشافعية

المصحف المذهب للنساء دون الرجال^(٣)، ومرَّ أول المسألة بإباحة الحنفية للرجال

والنساء.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة، في كتاب: الصلاة، باب: من كره أن يكتب القرآن في الشيء الصغير، ورقم

(٨٥٤).

(٢) انظر: تاريخ دمشق، لابن عساكر (٢/ ٢٧٦-٢٧٧).

(٣) قال البجيرمي في التجريد لنفع العبيد (٣٤/٢): "وحاصل ذلك كله أن تحلية المصحف بالفضة

جائزة مطلقاً للمرأة وغيرها، وبالذهب جائزة للمرأة دون غيرها".

المطلب الثالث: التبرك بالمخطوط.

ذكر بعض الرحالة أنهم تنقلوا في الأمصار، ورأوا ما أسموه أو ظنوه أنه مصحف عثمان-رضي الله عنه- الذي أرسله إلى بعض الأمصار، يقول عبد الغني النابلسي^(١) في كتابه: الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز: "في يوم الجمعة التاسع من المحرم، في هذا السفر المبارك ذهبنا إلى القلعة لأجل زيارة مصحف الإمام عثمان بن عفان -رضي الله عنه- فصعدنا إليها في طريق مرتفع متهدم الجوانب... ثم طلبنا زيارة المصحف العثماني، فقام رجل من أهل البلاد وفتح لنا خزانة في قبلي الجامع المذكور بالقرب من المحراب، وأخرج لنا صندوقاً ففتحه، وإذا فيه مصحف الإمام عثمان -رضي الله عنه- وعليه أثر الدم في بعض الآيات فقَبَلناه وتبرَّكنا به"^(٢).

ويفهم من النص التالي أن أهل حمص إذا احتاجوا إلى المطر يُخرجون مصحف عثمان ويستسقون به ويدعون الله على ما يذكر محمد مكِّي بن السيد، في كتابه: تاريخ حمص، حيث يقول:

(١) عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني، الحنفي، النقشبندي، القادري، المعروف بالنابلسي، عالم صوفي، رحل إلى بغداد، وعاد إلى سورية، من تصانيفه ديوان الالهيات، وديوان المدايح والمراسلات (ت: ١١٤٣).

انظر: معجم المؤلفين، لعمر كحالة (٢٧١/٥)

(٢) للمزيد يقرأ من الصفحات: (ص: ١١١-١١٤)، نقلاً عن حوادث حمص اليومية، لمحمد المكِّي بن السيد (ص: ٣٤٣)

"وفيه صار الطلب السقيا من الله، وخروج الناس من القلعة وتنزيل المصحف العثماني من محله إلى المحراب نسأل من الله الرحمة بجاه الأمة وسراج الظلمة آمين" (١).

وفي هذه المنقولات يقف البحث عدة وقفات:

أولاً: قوله: "وتبركنا به".

وهذه العبارة مجملة تحتاج إلى تفصيل:

- فإن كان المقصود التبرك بقراءة القرآن، رجاء نوال ثواب القراءة، والاستشفاء بالقرآن الذي قال الله عنه: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الإسراء: ٨٢)، فهذا تبرك بأمر شرعي معلوم، وهو مما شرعه الإسلام، وهو نظير قول عمر-رضي الله عنه: "أما والله، لقد علمت أنك حجر، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك" (٢). فهو يخبر الناس-رضي الله عنه- بأن التقبيل ليس لذات الحجر، فإنه لا ينفع ولا يضر، وإنما التقبيل لأمر عائد عن خارج، وهو اتباع سنة النبي عليه الصلاة والسلام، والتماس البركة بهذا الاتباع.

قال النووي في كلام نفيس يُنقل ولا يُهمَل:

"وإنما قال: وإنك لا تضر ولا تنفع. لئلا يغتر بعض قربي العهد بالإسلام، الذين كانوا ألفوا عبادة الأحجار وتعظيمها ورجاء نفعها وخوف الضرر بالتقصير

(١) المرجع السابق.

(٢) رواه مسلم، في كتاب: الحج، وفي باب: استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف، ورقم (١٢٧٠).

في تعظيمها، وكان العهد قريبًا بذلك، فخاف عمر -رضي الله عنه- أن يراه بعضهم يقبله ويعتني به فيشتبه عليه، فبين أنه لا يضر ولا ينفع بذاته، وإن كان امتثال ما شرع فيه ينفع بالجزاء والثواب، فمعناه: أنه لا قدرة له على نفع ولا ضرر، وأنه حجر مخلوق كباقي المخلوقات التي لا تضر ولا تنفع، وأشاع عمر هذا في الموسم ليشهد في البلدان ويحفظه عنه أهل الموسم المختلفو الأوطان^(١).

-**وإن كان المقصود التبرك بذات المخطوط**، كونه قرأ منه رجل صالح، كعثمان -رضي الله عنه- وأن مجرد لمسه يجلب البركة، أو اعتقاد أن القراءة منه له مزية وأجر عن غيره من المصاحف، فهذا مما لم يأت به الإسلام، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"^(٢)، وأوراق المخطوط ذاتها لا تقرب إلى شيء، "وكل من تمسك بسبب لم يجعله الله سببًا، لا حسًا ولا شرعًا، فإنه قد أتى نوعًا من الشرك"^(٣).

ثانيًا: أما ما نقل عن أهل حمص أنهم إذا احتاجوا إلى المطر يُخرجون مصحف عثمان ويستسقون به ويدعون الله، فله حالتان كذلك:

- **فإن كان المقصود التبرك بقراءة القرآن** فحكمه حكم تعليق التمام، وحكمها المنع، لأنه فيه سدٌّ لذريعة الشرك، والقضاء على وسائله وإن كانت من القرآن، ولا شك أن إبراز المصحف بهذه الطريقة مدعاة إلى اتخاذها حروزًا

(١) شرح صحيح مسلم، للنووي (١٦٩-١٧).

(٢) رواه مسلم، في كتاب: الأفضية، وفي باب: نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، ورقم (١٧١٨).

(٣) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (١/١٠٨).

للأماكن أو الهيئات التي عُلقَت فيها، من اللصوص، أو الحريق، أو غير ذلك من نوائب الدهر، كما دلَّ على ذلك واقع الناس المرير!، وقد قال عليه الصلاة والسلام: "من تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِّلَ إِلَيْهِ"^(١)، وكان السلف يكرهون التمايم كَلَّهَا من القرآن وغيره، كما قاله إبراهيم النخعي، وقد سئل - أيضًا - : أُعَلِّقُ فِي عَضْدِي هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (سورة الأنبياء - آية: ٦٩) من حُمِّيَ كانت بي؟ فكره ذلك^(٢).

(١) رواه أحمد في مسند الكوفيين، من حديث عبد الله بن عكيم برقم (١٨٨٠٣)، ورواه الترمذي في كتاب: الطب: باب: ما جاء في كراهة التعليق، ورقم (٢٠٧٢)، والحاكم في مستدركه برقم (٧٥٠٣) - (٢٤١/٤)، وصححه الألباني في تعليقه على الترمذي، وحسنه شعيب الأرنؤوط في المسند، وقال: حسن لغيره.

(٢) فضائل القرآن، لأبي عبيد القاسم بن سلام (٢٧٢/٢).

المطلب الرابع: كتابة أدعية في نهاية المخطوط.

قد وجد من المصاحف المخطوطة ما ختم بجمل من الأدعية، مثل مخطوط ابن البواب^(١)، وكتابة هذه الأدعية لم تكن معروفة في الزمن الأول، فكتابتها من الدخيل الذي نهي عنه السلف، فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فَلْيَمِحْهُ"^(٢)، وعلة النهي: مخافة اختلاط القرآن بغيره^(٣)، وعن عبدالله ابن مسعود أنه كان يحك التعشير من المصحف، قال البيهقي: "لأنه رضي الله عنه وأبا بكر، وعمر، وعثمان - رضي الله عنهما- لم يفعلوا شيئاً من ذلك"^(٤).

وسئلت اللجنة الدائمة عن مسألة مقارنة لمسألتنا، وبالإمكان التخريج عليها: أن جماعة من طلبة العلم يودّون دراسة أحكام الترتيل، لكن دراستهم تحتاج إلى تقييم الأحكام على هامش المصحف لكي يستحضروها حال القراءة...

(١) هو: أبو الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب الكاتب المشهور، قال عنه ابن خلكان: "لم يوجد في المتقدمين ولا المتأخرين من كتب مثله ولا قاربه" وقد أثنى على ابن البواب غير واحد من دينه وأمانته، توفي سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ببغداد، ودفن جوار الإمام أحمد بن حنبل. انظر: البداية والنهاية، لإسماعيل بن عمر بن كثير (١٨/١٢)، ووفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، لأحمد بن محمد ابن خلكان (٣/٣٤٢).

(٢) رواه مسلم، في كتاب: الزهد، باب: التثبت في الحديث، وحكم كتابة العلم، ورقم (٧٥١٠).

(٣) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٨/١٣٠).

(٤) الفتاوى الحديثية، لأحمد شهاب الدين ابن حجر الهيتمي (ص: ١٦٤).

فأجابت اللجنة: "الأصل الذي جرى عليه عمل الأمة هو تجريد كتاب الله تعالى من أي إضافة إليه، ويبقى تداول المصحف برسمه المتداول بين المسلمين دون إضافة أو نقص؛ لهذا ننصحك بترك ما ذكر من التحشية على المصحف، وبوسعك أن تكتب ما تحتاج إليه في أوراق خاصة تشير إلى اسم السورة ورقم الآية، فتجمع بين المحافظة على كتاب الله تعالى، وبين تقييد ما يفيدك ويعينك على فهمه".

فدار استدلالهم على أنّ الأصل الذي جرى عليه عمل الأمة هو تجريد كتاب الله تعالى من أي إضافة إليه، ويبقى تداول المصحف برسمه المتداول بين المسلمين دون إضافة أو نقص.

المطلب الخامس: كتابة المصحف بما يعرف بأسلوب الخط الغباري.

وهو من أساليب كتابة الخطاطين الذين عاشوا في الدولة العثمانية، وسمي بالخط الغباري: لأنه صورة مصغرة من خط النسخ، ولأنه في غاية الدقة والصغر، ويسمى أحياناً بالخط المجهرى، فالخط صغير جداً كأنه الغبار، حتى إن بعض الخطاطين كتبوا القرآن كله على حبة من الأرز! أو بيضة الدجاج! ووجدت مخطوطات صغيرة جداً على نمط هذا السياق، وضعت في علب صغيرة من الذهب أو الفضة^(١)، كما وجد نسخة من المخطوط كتب في مقاس (٣ ، ٧ × ٣ ، ٩) سم^(٢).

وقد اتفق العلماء على منع تصغير حجم المصاحف، لما في ذلك من معنى الاحتقار، وعدم التعظيم^(٣)، فكان عمر رضي الله عنه إذا رأى مصحفاً قد كتب بخط دقيق، ضرب كاتبه، وقال: "عظّموا كتاب الله"^(٤)، وعن علي رضي الله عنه أنه كان يكره أن يكتب المصحف في الشيء الصغير^(٥).

(١) انظر: جواهر الخطاطين، لحسن قاسم حبش (ص: ٩٦).

(٢) انظر: دار الكتب المصري، د. أيمن فؤاد سيد (ص: ١٢).

(٣) انظر: مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، لشيخ زاده (٢٢٤/٤)، وحواشي الشرواني على تحفة المحتاج بشرح المنهاج، لعبد الحميد بن حسين الشرواني (١٤٦/١)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٩/١).

(٤) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن (٣٢٣/٢)، وفي سننه ابن لهيعة، وكان يحيى بن سعيد لا يراه شيئاً، وقال أحمد: "ما حديث ابن لهيعة بحجة"، وأمره مضطرب لاحتراق كتبه.

(٥) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه برقم (٧٩٤٥) - (٣٢٣/٤)، والبيهقي في شعب الإيمان، فصل في تفخيم قدر المصحف وتفريغ خطه (٥٤٥/٢).

وإذا كان النهي عن تصغير اللفظ شديداً عند بعضهم، حتى أطلق التكفير على قائله مستهزئاً^(١)، فكيف بتصغير المصحف حقيقة بدرجة لا يكون معها غايته التي أنزل لأجلها؟! وما شأن هذه المصاحف التي لا تقرأ إلا بالمجاهر أو لا تكاد إلا نوعاً من عدم التعظيم، المنافي لما جاء في كتاب الله من قوله - تعالى -: ﴿وَمَنْ يُعْظِمِ شَعْبَكَ اللَّهُ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (سورة الحج - آية: ٣٢)، وهو في حقيقة الأمر عبث ولعب ولولم تقع نية مصاحبة لذلك، وقد وصف الله كتابه بالعظمة والمجد إشارة إلى وجوب تعظيمه وتمجيده، قال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (سورة الحجر - آية: ٨٧)، وقال - جل وعلا -: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ (سورة البروج - آية: ٢١)^(٢).

(١) ومن ذلك ما قاله العدوي في الخرشبي (٦٢/٨): "وتصغير المصحف كفر إن قصد استهزاء، وإلا فلا".

(٢) انظر: نوازل القرآن، للدكتور عاصم بن عبد الله آل حمد (ص: ٣٠٠).

المطلب السادس: تعرق بعض الحروف والمبالغة في مطها.

يلجأ بعض نساخ المصاحف إلى المبالغة في تجويد الخط وتحسينه إلى قدر التكلف في إثبات الحرف، وذلك من خلال مط الحرف وتعريقه، خصوصاً إذا كان من كلمة في آخر آية، كما عرف ذلك في بعض المخطوطات المغربية والأندلسية^(١)، وقد جاء نهي السلف عن المبالغة في كتابة المصحف، فروي أنّ كاتباً لعمر بن العاص رضي الله عنه كتب إلى عمر رضي الله عنه، فكتب بسم الله ولم يكتب لها سنّاً، فضربه عمر فقبل له: فيم ضربك أمير المؤمنين؟ قال: ضربني في سين^(٢)، وجاء عن ابن سيرين أنّه كره أن يكتب المصحف مَشَقّاً. قيل: لم؟ قال: لأن فيه نقصاً. ألا ترى الألف كيف يغرقها^(٣). والمشق: مدّ الحرف في الكتابة^(٤)، وعلل ابن سيرين أن في ذلك إغراقاً في زيادة الحروف، وقال: "ينبغي أن ترد". أي: إلى الاعتدال في كتابة الحرف.

-
- (١) انظر: عناية أهل الأندلس بالمصحف الشريف، لمحمد شباح (ص: ٧٤).
(٢) عزاه في الإتقان (١٨٣/٤) إلى ابن أشتة، وكتابه مفقود، لكن أخرج أبو عبيد في فضائل القرآن عن عمران ابن عون: أن عمر بن عبد العزيز ضرب كاتباً كتب الميم قبل السين (٣٦٠/١).
(٣) أخرجه ابن سلام في فضائل القرآن (ص: ٣٩٩) عن مخلد بن حسين عن واصل، عن ابن سيرين، وأخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف، برقم (٣٨٢) - (ص: ٥٤٠)، وفيه واصل بن عبد الرحمن البصري، وهو صدوق، وبقيّة رجاله ثقات. انظر: تهذيب التهذيب (١٠٥/١).
(٤) انظر: جهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، مادة: شقم (٨٧٥/٢)، وتهذيب اللغة، مادة: مشق (٢٦٥/٨).

الخاتمة

وبعد هذا التطواف المختصر يحسن بخاتمة المطاف أن يُذكّر البحث بعصارة المستفيد، التي انطوت عليها ورقات البحث، فمن أهم نتائجه:

١- الحفاظ على المخطوطات القرآنية أصبح أمرًا حتميًا يقوم به النخب من هذه الأمة: دراسة ودراية.

٢- ينبغي مراعاة طريقة السلف في كتابة المصاحف، لأن السلف هم أقرب الناس إلى وقت التنزيل، فكانوا أولى بنهج سيرهم، ولا يخرج عنهم إلا المصالح تجمع عليها الأمة من بعدهم: كالنقط، والتشكيل وغيره.

٣- وضع النقاط- وإن خالفت المصاحف الأول- لا بأس به، لإطباق المسلمين في سائر الآفاق بعد الصحابة والتابعين على جواز ذلك، وأن الداعي إلى ذلك هو فشو اللحن في القراءة.

٤- ذهب جمهور السلف وجمهور علماء الخلف، إلى المنع من كتابة المصاحف بالذهب وعللوا ذلك: بأن المصحف الإمام، ومصاحف الصحابة كانت خالية من الزخرفة، مع ما فيه من إضاعة المال.

٥- أن التبرك بمخطوط المصحف ينقسم إلى قسمين: تبرك شرعي: وهو التبرك بقراءة القرآن، رجاء نوال ثواب القراءة، والاستشفاء به، وهذا النوع لا فرق فيه بين ما كتب قديمًا أو حديثًا، وتبرك محرم: وهو التبرك بذات المصحف وقُداسية قديم أوراقه.

٦- اتفق العلماء على منع تصغير حجم المصاحف، لما في ذلك من معنى الاحتقار، وعدم التعظيم، وكذلك كتابته بخط صغير لا يكاد يقرأ، كما هو معروف في الخط الغباري، أو الخط المجهري، المنتشر إبان الدولة العثمانية.

٧- وجوب الاعتدال في رسم الخط، وعدم المبالغة في تجويده وتحسينه إلى قدر التكلف في إثبات الحرف، وذلك من خلال مطّ الحرف وتعريقه، كما هو موجود في بعض المخطوطات الأندلسية والمغربية.

كما أن البحث يوصي المهتمين بالدراسات القرآنية، أو المتطلعين إلى جمع إرث الأمة من المخطوطات القرآنية وغيرها إلى بذل الغاية في دراسة هذا الإرث وتميز صحيحه من عليله، وغثه من سمينه، ومراجعة ذلكم الإرث والنظر في مستودعه ومكنونه، واستخراج الدراسات المتعددة من خلال المراجعة والدرس، والحمد لله رب العالمين.

قائمة بأهم المراجع والمصادر

١. الإِتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن السيوطي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
٢. الآداب الشرعية والمنح المرعية، لأبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، الطبعة : الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام.
٣. الانتصار للقرآن، لأبي بكر محمد بن الطيب بن محمد القاضي المالكي، تحقيق: د.محمد عصام القضاة، دار الفتح، عمان، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٤. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لزين الدين بن إبراهيم بن نجم الحنفي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة : الثانية.
٥. البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨م.
٦. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لأبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي، دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة: الثانية- ١٩٨٢م.
٧. البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، لسراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي، المعروف بابن الملتن تحقيق: مصطفى أبو الغيط، وعبدالله بن سليمان وياسر بن كمال،

دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٢٥ -
٢٠٠٤.

٨. البدع، لأبي عبد الله محمد بن وضاح بن بزيع المرواني القرطبي، تحقيق:
عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة - مصر، مكتبة العلم،
جدة - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ.

٩. البرهان في تناسب سور القرآن، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي
الغرناطي، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية -
المغرب ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

١٠. البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله
الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - بيروت - ١٣٩١
هـ.

١١. تاريخ التمدن الإسلامي، جوجي زيدان، دار المحرر الأدبي للنشر
والتوزيع.

١٢. التاريخ الكبير، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري
الجعفي، تحقيق: السيد هاشم الندوي - دار الفكر.

١٣. التاريخ الكبير، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري
الجعفي تحقيق: السيد هاشم الندوي - دار الفكر.

١٤. تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن
عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر
والتوزيع، ١٤١٥ هـ .

- ١٥ . تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، لعثمان بن علي الزيلعي الحنفي، دار الكتب الإسلامي - القاهرة - ١٣١٣هـ.
- ١٦ . تهذيب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعارف، الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٢٦هـ.
- ١٧ . تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
- ١٨ . جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، دار الفكر - بيروت.
- ١٩ . الجامع الكبير - سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سؤرة، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨م.
- ٢٠ . الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- ٢١ . جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين الطبعة: الأولى.
- ٢٢ . جواهر الخطاطين، لحسن قاسم حبش، عضو المركز الثقافي العراقي، دار الكتب العلمية.

٢٣. حاشية البجيرمي على شرح منهج الطلاب (التجريد لنفع العبيد)،
لسليمان ابن عمر بن محمد البجيرمي، المكتبة الإسلامية - ديار بكر -
تركيا.

٢٤. حاشية الشرواني على تحفة المحتاج بشرح المنهاج، لعبد الحميد بن
حسين الداغستاني الشرواني، دار الفكر - بيروت.

٢٥. حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، لابن عابدين
محمد علاء الدين أفندي، دار الفكر، - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢٦. الحجة للقراء السبعة، للحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، تحقيق:
بدر الدين قهوجي - بشير جويجايي، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت،
الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.

٢٧. حوادث حمص اليومية، من سنة ١١٠٠-١١٣٦هـ/١٦٨٨-١٧٢٣
م، لمحمد المكي بن السيد، تحقيق: منذر الحايك.

٢٨. الخرشبي على مختصر سيدي خليل، لمحمد بن عبد الله الخرشبي المالكي
دار الفكر للطباعة - بيروت.

٢٩. خطط الشام، لمحمد بن عبد الرزاق بن محمد، كُرد علي، مكتبة النوري،
دمشق، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣٠. دار الكتب المصري، د. أيمن فؤاد سيد، دار الكتب والوثائق القومية،
مصر، القاهرة، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

٣١. الذخيرة، لشهاب الدين أحمد بن إدريس القراني، تحقيق: محمد حجي،
دار الغرب - بيروت - ١٩٩٤م.

٣٢. الرحلة العجيبة لنسخة من مصحف عثمان في أرجاء المغرب والأندلس،
 محمود بوعلياد، بمشاركة المجلس الإسلامي الأعلى، موفم للنشر، ٢٠٠٤ م.
٣٣. رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين، للدكتور: عبدالفتاح
 إسماعيل شلبي، دار المنارة، جدة، الطبعة الثالثة، ١٤١٠ هـ.
٣٤. رسم المصحف - دراسة لغوية تاريخية-، لغانم قدوري الحمد، اللجنة
 الوطنية العراقية.
٣٥. شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: مختار أحمد
 الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية
 بومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
٣٦. شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد
 بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٠.
٣٧. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، لأحمد بن علي بن أحمد الفزاري
 القلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٨. صحيح مسلم بشرح النووي، لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي،
 دار إحياء التراث العربي - بيروت -، الطبعة: الثانية ١٣٩٢ هـ.
٣٩. صحيح مسلم بشرح النووي، لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي،
 دار إحياء التراث العربي - بيروت -، الطبعة: الثانية ١٣٩٢ هـ.
- الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ.

٤٠. العقد الفريد، لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ.
٤١. عناية أهل الأندلس بالمصحف الشريف، لمحمد شباح، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، ١٤٣٥ هـ.
٤٢. العناية شرح الهداية، لمحمد بن محمد البابرتي، وهو شرح لكتاب الهداية للمرغيباني، دار النشر: بدون.
٤٣. عون المعبود شرح سنن أبي داود، لمحمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية - بيروت - ١٩٩٥ م.
٤٤. غريب الحديث، لأبي عُبَيْد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤ هـ.
٤٥. غريب الحديث، لأبي عُبَيْد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤ هـ.
٤٦. الفتاوى الحديثية، لأحمد شهاب الدين ابن حجر الهيتمي المكي دار الفكر.
٤٧. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبدالرزاق الدروي، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ - المجموعة الثانية.

٤٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.

٤٩. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، للحسين بن عبد الله الطيبي، مقدمة التحقيق: إياد محمد العوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.

٥٠. فضائل القرآن، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى - ١٤١٦ هـ

٥١. فضائل القرآن، لأبي عبيد القاسم بن سلام البغدادي، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير - دمشق - بيروت.

٥٢. الفهرست، لأبوي الفرج محمد بن إسحاق المعروف بابن النديم، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٥٣. فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي المكتبة التجارية الكبرى - مصر - ١٣٥٦ هـ، الطبعة: الأولى.

- ٥٤ . قصة النقط والشكل في المصحف الشريف، لعبدالحى الفرماوي، دار النهضة العربية، مصر، القاهرة، ١٣٩٨هـ.
- ٥٥ . كتاب المصاحف، لأبي عبد الله بن سليمان بن الأشعث الشهير بابن أبي داود، تحقيق: محمد بن عبده، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.
- ٥٦ . كشف المشكل من حديث الصحيحين، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن - الرياض.
- ٥٧ . لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى.
- ٥٨ . مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، لعبد الرحمن بن محمد بن سليمان الكلبولي المدعو بشيخي زاده، تحقيق: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى - لبنان - ١٤١٩هـ.
- ٥٩ . مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن - دار الثريا، الطبعة: الثانية - ١٤١٤هـ.
- ٦٠ . المجموع في شرح المهذب، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار الفكر - بيروت - ١٩٩٧م.
- ٦١ . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.

٦٢. المحكم في نقط المصاحف، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان- الطبعة الأولى -١٤٢٥ هـ -٢٠٠٤ م.

٦٣. المذاهب الإسلامية، لجولد تسهير، تحقيق: د. عبدالحليم النجار، مكتبة المثني ببغداد، ١٣٧٤ هـ.

٦٤. المستدرک علی الصحیحین، لمحمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

٦٥. مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة - الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٦٦. مصحف عثمان بدار الكتب المصرية: الأصول والتاريخ، لأحمد وسام شاكر، موقع المخطوطات القرآنية، معنية بدراسات وترجمات المخطوطات القرآنية المبكرة،

https://quranmss.com/٢٠١٨/٠٩/٢٥/daralkutub_quran

٦٧. المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ.

٦٨. المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٣ هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.

٦٩. معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، اعتنى به: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

٧٠. المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة، دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥ هـ، الطبعة: الأولى.

٧١. مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني (ت: ١٣٦٧)، دار الفكر - لبنان، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

٧٢. منجد المقربين ومرشد الطالبين، لمحمد بن محمد بن علي ابن الجزري تحقيق: ناصر محمدي جاد، دار الميمان، الطبعة الأولى - ١٤٣٥ هـ.

٧٣. الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت - ١٤٠٤ هـ - ١٤٢٧ هـ، الأجزاء (١-٢٣): الطبعة الثانية، دار السلاسل - الكويت، والأجزاء (٢٤-٣٨): الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة - مصر، والأجزاء (٣٩-٤٥): الطبعة الثانية، طبع الوزارة.

٧٤. الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت - ١٤٠٤ - ١٤٢٧، الأجزاء (١-٢٣): الطبعة الثانية، دار السلاسل - الكويت، والأجزاء (٢٤-٣٨): الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة - مصر، والأجزاء (٣٩-٤٥): الطبعة الثانية، طبع الوزارة.

٧٥. النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩.

٧٦. نوازل القرآن، للدكتور عاصم بن عبدالله آل حمد، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مكتبة الجامعة.
٧٧. وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت.

الإشكالات الواردة في فقد زيد بن ثابت رضي الله عنه
الآية من سورة الأحزاب
{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ}
عرضا ودراسة

أ.د. يحيى بن صالح الطويان
قسم القرآن وعلومه – كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



الإشكالات الواردة في فقد زيد بن ثابت رضي الله عنه الآية من سورة الأحزاب {مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} "عرضاً ودراسة"

أ.د. يحيى بن صالح الطويان
قسم القرآن وعلومه – كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ قبول البحث: ٢٥ / ١ / ١٤٤٢ هـ

تاريخ تقديم البحث: ٨ / ٦ / ١٤٤١ هـ

ملخص الدراسة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، وصلى الله وسلّم على بينا محمد، وعلى آله، وصحبه، وبعد:

فإنّ بعض أحاديث علوم القرآن التي يُوهم ظاهرها الإشكال، اتخذها أعداء الإسلام مدخلا لأثارة الشبهات في التشكيك بالقرآن، وتشويش أذهان الناس عنه، ومن ذلك ما جاء في فقد زيد بن ثابت رضي الله عنه آية من سورة الأحزاب حين نسخ المصحف في عهد عثمان رضي الله عنه، فإنه يلزم منه أن تكون الصُّحُف في عهد الصديق، وعمر، وصدر من عهد عثمان رضي الله عنه خالية عن تلك الآية. ولَمَّا كان قول زيد رضي الله عنه بهذه الصورة يتوارد عليه الإشكالات، شحذتُ الهمة على حصر الإشكالات الواردة عليه، وأقوال العلماء في دفعها، ومن ثمّ جمعها في مؤلف مستقل؛ ليسهل الرجوع إليه والانتفاع به، وقد أسميته "الإشكالات الواردة في فقد زيد بن ثابت رضي الله عنه الآية من سورة الأحزاب {مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} عرضاً ودراسة".

الكلمات المفتاحية: الإشكالات، فقد زيد بن ثابت، الآية، سورة الأحزاب

Inquiries about a verse from Surah Al-Ahzab missed by Zaid bin Thabit (A Study of Surah Al-Ahzab)

Prof. Yahya Saleh Al-Tawian

Department: Holy Quran and its Science - College of the Fundamentals of Religion

Imam Muhammad Bin Saud Islamic University

Abstract :

Praise be to God who revealed the book to his servant and did not make him cry, and may God's prayers and peace be upon us Muhammad, his family, and his companions, and after:

Some of the hadiths of the Qur'an's sciences, which seem to be delusional, were taken by the enemies of Islam as an entry point to raise suspicions in questioning the Qur'an and confuse people's minds about it, including what came about Zaid bin Thabit, may God be pleased with him, a verse from Surah al-Ahzab when the Qur'an was copied during the era of Uthman, may God be pleased with him. It is necessary from him that the newspapers in the era of Al-Siddiq, Omar, and issued from the era of Othman, may God be pleased with them, are devoid of that verse. And since the words of Zaid, may God be pleased with him, in this way were problematic, I was keen to limit the problems mentioned to him; and the sayings of scholars in their defense, and then compiled them in a separate book. To make it easy to refer to and benefit from it, and I called it "the problems mentioned in the loss of Zaid bin Thabit, may God be pleased with him, the verse from Surat Al-Ahzab, in presentation and study."

key words: Problems, Zaid bin Thabit has lost the verse, Surat Al-Ahzab

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن القرآن الكريم هو معجزة الله الكبرى الدالة على نبوة محمد ﷺ، وهو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، وهو المنجي من الفتن، فيه نبأ ما كان قبلنا، وخبر ما بعدنا، وحكم ما بيننا، لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالت: { إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ } [الجن: ١، ٢]، وما حُسدت أمة محمد ﷺ على شيء كما حسدت على القرآن المُنزل إليها، لذا دأب أعداء الإسلام يُسدِّدون إليه سهام المطاعن، ويتخذون ما أشكل من أحاديث وآثار علومه؟ مثاراً للشبهات يُلققونها كذباً وزوراً، ويروجونها ظلماً وعدواناً، للتشكيك به، وتشويش أذهان الناس عنه ^(١)، ومن ذلك ما جاء في صحيح البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: " فقدتُ آيةً من الأحزاب حين نسخنا المصحف، قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأُ بها، فالتمسناها فوجدناها مع

(١) انظر: تاريخ القرآن بين تساهل المسلمين وشبهات المستشرقين، د. إسماعيل الصحان (ص: ٢٧٥).

خزيمة بن ثابت الأنصاري: { مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ {
[الأحزاب: ٢٣]، فألحقناها في سورتها في المصحف" (١).

ولمَّا كان قول زيد عليه السلام بهذه الصورة يتوارد عليه الإشكالات، شحذت
الهمة وقويت العزم على حصر الإشكالات الواردة عليه، وأقوال العلماء في
دفعها، ومن ثمَّ جمعها في مؤلف مستقل؛ ليسهل الرجوع إليه والانتفاع به، وقد
أسميته "الإشكالات الواردة في فقد زيد بن ثابت عليه السلام الآية من سورة الأحزاب
{ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ { عرضاً ودراسة"، سائلاً المولى
تعالى العون والتوفيق والسداد.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

كان من الأسباب التي دعيتي لاختيار هذا الموضوع -إضافةً إلى ما سبق
ذكره- ما يلي:

١ - جدَّة الموضوع؛ إذ لم أجد -حسب علمي وبحثي -مَنْ قام بدراسته، ودفع
الإشكالات المتوهمه فيه، في مؤلف مستقل؛ يسهل الرجوع إليه والانتفاع
منه.

٢ - أهمية دراسة الإشكالات المتوهمه فيه، وشدة الحاجة إلى دفعها، قال ابن
العربي: "اعلموا -وفقكم الله- أنَّ هذه مسألة عظيمة القدر... " (٢).

٣ -الدفاع عن القرآن الكريم؛ إذ أن بعض أعداء الإسلام استغلوا ما أشكل

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب فضائل القرآن، باب: جمع القرآن (ح: ٤٩٨٨).

(٢) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي (٢/ ٦٠٦).

من أحاديث علوم القرآن؛ للطعن في القرآن، وجمعه، وإيثار الشبهه حوله.
٤ - إثراء المكتبة العلمية ببحث يتعلق بنوع من أنواع علوم القرآن؛ وهو جمع القرآن.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى ما يلي:

- ١ - حصر الإشكالات المتوهمه على أثر فقد زيد بن ثابت رضي الله عنه الآية من سورة الأحزاب، والجواب عنها.
- ٢ - الرد على ما يُثار من شبهه تجاه أحاديث جمع القرآن.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والسؤال لم أجد مَنْ تعرّض لبحث موضوع "الإشكالات الواردة في فقد زيد بن ثابت رضي الله عنه الآية من سورة الأحزاب {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} عرضا ودراسة"، في مؤلف مُستقل، لكن هناك رسالة علمية لها صلة بالموضوع، وهي: "مشكل الأحاديث والآثار الواردة في علوم القرآن"، للباحث: عادل العُمري، لكنها خلت من دراسة "مشكل فقد زيد بن ثابت رضي الله عنه الآية من سورة الأحزاب" (١).

(١) وقد حضرت مناقشة الرسالة، والتي أقيمت في القاعة الكبرى بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وكان مما لاحظته لجنة المناقشة على الرسالة خلوها من دفع الإشكال المتوهم في فقد زيد بن ثابت رضي الله عنه الآية من سورة الأحزاب، ومن حينها والموضوع متعلق في ذهني حتى يسّر الله عليّ دراسته ودفعه بهذا البحث.

حدود البحث:

يقوم البحث في حصر الإشكالات المتوهمة على أثر فقد زيد بن ثابت رضي الله عنه الآية من سورة الأحزاب، والجواب عنها.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهارس. المقدمة، وفيها: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، وبيان منهجي فيه.

المبحث الأول: عرض روايات فقد زيد بن ثابت الآية من سورة الأحزاب: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الآية: ٢٣].

المبحث الثاني: مُشكل التعارض بين رواية فقد زيد بن ثابت الآية من سورة الأحزاب: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الآية: ٢٣]، مع رواية فقد الآيتين من آخر سورة التوبة: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ} [التوبة: ١٢٨، ١٢٩].

المبحث الثالث: مُشكل عدم تواتر الآية من سورة الأحزاب: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الآية: ٢٣].

المبحث الرابع: مُشكل فقد زيد بن ثابت الآية من سورة الأحزاب:

{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الآية: ٢٣].

الخاتمة، وفيها: أهم وأبرز النتائج والتوصيات.

الفهارس، وفيها: فهرس المصادر والمراجع، والموضوعات.

منهجي في كتابة البحث:

سلكت في إعداد هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك على النحو التالي:

- ١- المنهج الاستقرائي، ويقوم على: تتبع واستقراء الإشكالات المتهمة حول أثر فقد زيد بن ثابت الآية من سورة الأحزاب، وأجوبة العلماء عنها.
 - ٢- المنهج التحليلي: ويقوم على تحليل الإشكالات المتهمة في الأثر؛ وذلك: ببيان وجه الإشكال، وذكر مسالك العلماء في دفعه، والترجيح بينها.
 - ٣- اقتصرْتُ على دراسة أثر زيد بن ثابت رضي الله عنه في فقده الآية من سورة الأحزاب.
 - ٤- جعلت البحث في أربعة مباحث.
 - ٥- التزمت عند كتابة البحث بالمنهج العلمي المتبع؛ من عزو الآيات إلى سورها وأرقامها، وتخريج الأحاديث والآثار مع بيان درجتها، وتوثيق الأقوال المنقولة، وبعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط، وشرح الكلمات الغريبة، والتعريف بما يحتاج إلى بيان من الأعلام والأماكن، والبلدان ونحوها.
- وفي الختام:** فهذا جهد مقلِّ، وعمل مقصّر، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان، والله أسأل العفو والمسامحة.

المبحث الأول: عرض روايات فقد زيد بن ثابت الآية من سورة الأحزاب:

{مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الآية: ٢٣]

إنَّ مما يُعين على دفع الإشكال والجواب عنه جمع ألفاظ وطرق الرواية المُشكلة، ومن ثمَّ تخريجها والحكم عليها، ورواية فقد زيد بن ثابت رضي الله عنه الآية من سورة الأحزاب مدارها على ابن شهاب؛ أبي بكر محمد بن مسلم الزُّهري (ت: ١٢٥هـ)، وقد رويت عنه من ثمانية طرق، وإليك بيانها:

الطريق الأول: طريق إبراهيم بن سعد.

قال البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم بن سعد، حدثنا ابن شهاب، أخبرني خارجة بن زيد بن ثابت، أنه سمع زيد بن ثابت رضي الله عنه، يقول: "فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف، كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري: {مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ} [الأحزاب: ٢٣]، فألحقناها في سورتها في المصحف"^(١).

وقد أخرجها عن إبراهيم بن سعد:

أبو داود الطيالسي في المسند (١/ ٥٠٠)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٥٠٥/٣٥)، عن أبي كامل، وأخرجه ابن شبة في تاريخه (٣/ ١٠٠٠) عن سليمان بن داود الهاشمي، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٢١٧).

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: جمع القرآن، (ح: ٤٩٨٨).

عن الهيثم بن أيوب، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في المسند (١/ ٩٣)، عن عبد العزيز بن أبي سلمة العمري، وأخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٢٨١)، والترمذي في السنن (ح: ٣١٠٤)، وابن أبي داود في المصاحف (ص: ٨٨)، ثلاثتهم من طريق عبد الرحمن بن مهدي، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٥/ ١٢٩)، من طريق أبي الوليد الطيالسي، كلهم (أبو داود الطيالسي، وأبو كامل: مظفر بن مدرك، وسليمان بن داود الهاشمي، والهيثم بن أيوب، وعبد العزيز بن أبي سلمة العمري، وعبد الرحمن بن مهدي، وأبو الوليد الطيالسي) عن إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب به، بلفظ البخاري. إلا أنه عند أبو داود الطيالسي، والإمام أحمد، والنسائي: "خزيمة بن ثابت"، وعند الترمذي، وابن أبي داود: "خزيمة بن ثابت أو أبي خزيمة"، وعند أبي عبيد: "خزيمة أو أبي خزيمة".

الطريق الثاني: طريق شعيب بن أبي حمزة الحمصي:

قال البخاري: حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني خارجة بن زيد بن ثابت، أن زيد بن ثابت، قال: «لَمَّا نَسَخْنَا الصُّحُفَ فِي المصاحف، فقدت آية من سورة الأحزاب، كنت كثيراً أسمع رسول الله ﷺ يقرأها لم أجدتها مع أحد، إلا مع خزيمة الأنصاري؛ الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الأحزاب: ٢٣]"^(١).

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: {فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} [الأحزاب: ٢٣]، (ح: ٤٧٨٤).

وقد أخرجها عن شعيب بن أبي حمزة:

الإمام أحمد في المسند (٥٠١/٣٥)، عن الحكم بن نافع، والطبراني في مسند الشاميين (٢٥٣/٤)، وابن أبي داود في المصاحف (ص: ١٠٩)، والخطيب البغدادي في الفصل للوصل المدرج في النقل (٤٠٥/١)، من طريق أبي اليمان، كلاهما (الحكم بن نافع، وأبو اليمان)، عن شعيب، عن الزهري به، بلفظ البخاري. إلا أنه عند الإمام أحمد، والطبراني: "خزيم بن ثابت الأنصاري".

الطريق الثالث: طريق محمد بن أبي عتيق:

قال البخاري: حدثنا إسماعيل، قال: حدثني أخي، عن سليمان، أراه عن محمد بن أبي عتيق، عن ابن شهاب، عن خارجة بن زيد، أن زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: «نسختُ الصُّحُفَ في المصاحف، ففقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها، فلم أجدها إلا مع خزيمه بن ثابت الأنصاري الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين»، وهو قوله: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الأحزاب: ٢٣]"^(١).

الطريق الرابع: طريق معمر بن راشد الأزدي:

قال عبد الرزاق الصنعاني: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن خارجة بن زيد، أن زيد بن ثابت قال: "لما كتبنا المصاحف، فقدت آية كنت أسمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجدتها عند خزيمه بن ثابت: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا}، (ح: ٢٨٠٧).

اللَّهِ عَلَيْهِ} إلى {تَبْدِيلًا} [الأحزاب: ٢٣]. قال: وكان خزيمة يدعى: ذا
الشهادتين؛ أجاز رسول الله ﷺ، شهادته بشهادتين». قال الزهري: "وقتل
يوم صفين" (١).

وقد أخرجها عن معمر بن راشد:

الإمام أحمد في المسند (٥١٠/٣٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٨٢/٤)،
(١٢٥/٥)، وابن أبي داود في المصاحف (ص: ١٠٩)، والخطيب البغدادي في
الفصل للوصل المدرج في النقل (٤٠٥/١)، كلهم من طريق عبد الرزاق به. إلا
أنه عند غير عبد الرزاق: "خزيم بن ثابت الأنصاري".

درجة الرواية: إسنادهما صحيح، رجالها ثقات.

الطريق الخامس: طريق هشام بن الغاز، عن ابن شهاب:

قال أبو بكر الخطيب البغدادي: أخبرناه الحسن بن علي الجوهري، أنا محمد
بن المظفر، نا أبو العباس أحمد بن يحيى بن زُكَيْرِ البَرَّار - بمصر -، نا أبو الفضل
جعفر بن أحمد بن سلم بن حبيب بن ميمون العبدي، نا أبو عبد الرحمن الخليل
بن ميمون الكندي - بعبادان -، نا عبد الله بن أدينة، عن هشام بن الغاز، عن
الزهري، عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه قال: " لما نسخنا القرآن فقدت
آية من الأحزاب، قد كنت أسمع النبي ﷺ يقرؤها: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا
مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا}

(١) انظر: مصنف عبد الرزاق الصنعائي (٣٦٧/٨).

[الأحزاب: ٢٣]، فالتمسستها فوجدتها عند خزيمة بن ثابت -أخي بني خزيمة صاحب الشهاداتين-، فأخذتها فألحقتها في سورة الأحزاب "(١)".

وهذا الطريق -طريق هشام بن الغاز- لم أفق عليه عند أحد.

درجة الرواية: إسناده ضعيف؛ فيه علتان:

١- عبد الله بن عطار بن أذنية الطائي، قال الذهبي: "بصري لين. وقال ابن عدي: منكر الحديث" (٢).

٢- أبو العباس أحمد بن يحيى بن زكَّير البزار، قال ابن حجر: "قال الدارقطني في الغرائب: ليس بشيء في الحديث" (٣).

الطريق السادس: طريق معاوية بن يحيى الصَّدَفي، عن ابن شهاب:

قال أبو بكر الخطيب البغدادي: فأخبرناه علي بن محمد بن عبد الله المعدل، أنا أحمد بن محمد بن عبد الله، نا محمد بن إسماعيل الترمذي، نا أبو صالح، نا هِثْلٌ (٤)، عن معاوية بن يحيى الصَّدَفي قال: قال محمد بن شهاب: حدثني خارجة بن زيد بن ثابت، عن زيد بن ثابت قال: "لما نسخنا المصحف في المصاحف، فقدت آية من سورة الأحزاب قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأها،

(١) انظر: الفصل للوصل المدرج في النقل، للخطيب البغدادي (١/٤٠٦).

(٢) انظر: ميزان الاعتدال، للذهبي (٢/٤٦٢).

(٣) انظر: لسان الميزان، لابن حجر (١/٦٩٤).

(٤) هِثْل -بكسر أوله، وسكون القاف ثم لام- ابن زياد السَّكْسَكِيُّ الدمشقي، نزيل بيروت، قيل: هِثْلٌ لقب، واسمه محمد أو عبد الله، وكان كاتب الأوزاعي، ثقة، (ت: ١٩٩ هـ). انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر (ص: ٥٧٤).

فالتمستها فلم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة الأنصاري - الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين - وهي قوله تعالى: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الأحزاب: ٢٣] ^(١).

وهذا الطريق - طريق معاوية بن يحيى الصدفي - لم أقف عليه عند أحد.

درجة الرواية: إسناده ضعيف؛ فيه علتان:

١ - معاوية بن يحيى الصدفي، قال عنه ابن حجر: "ضعيف، وما حدث بالشام أحسن مما حدث بالري" ^(٢).

٢ - أبو صالح؛ وهو عبد الله بن صالح الجهني، أبو صالح المصري، كاتب الليث قال عنه ابن حجر: "صدوق كثير الغلط ثبت في كتابه وكانت فيه غفلة" ^(٣).

الطريق السابع: طريق عُمارة بن غَزِيَّة:

قال الطبري: حدثنا أحمد بن عَبْدَةَ الضَّبِّي، قال: حدثنا عبد العزيز بن محمد الدَّرَاوَزْدِيُّ، عن عُمارة بن غَزِيَّة، عن ابن شهاب، عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه زيد قال: "لما قتل أصحاب رسول الله ﷺ باليمامة، دخل عمر بن الخطاب على أبي بكر رضي الله عنه، فقال: إن أصحاب رسول الله ﷺ باليمامة تمأفتوا تمأفت الفراش في النار، وإني أخشى أن لا يشهدوا موطناً إلا فعلوا ذلك

(١) انظر: الفصل للوصل المدرج في النقل، للخطيب البغدادي (٤٠٧/١).

(٢) انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر (ص: ٥٣٨).

(٣) انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر (ص: ٣٠٨).

حتى يُقتلوا - وهم حملة القرآن -، فيضيع القرآن وينسى، فلو جمعته وكتبته. فنفر منها أبو بكر، وقال: أفعَل ما لم يفعل رسول الله ﷺ! فتراجعا في ذلك، ثم أرسل أبو بكر إلى زيد بن ثابت، قال زيد: فدخلت عليه، وعمر مُحزَّبٌ، فقال أبو بكر: إن هذا قد دعاني إلى أمر فأبيتُ عليه، وأنت كاتب الوحي، فإن تكن معه اتَّبَعْتُكُما، وإن توافقتني لا أفعَل. قال: فاقصَّ أبو بكر قول عمر، وعمرٌ ساكت، فنفرت من ذلك، وقلت: نفعَل ما لم يفعل رسول الله ﷺ؟ إلى أن قال عمرُ كلمة: وما عليكما لو فعلتما ذلك؟ قال: فذهبنا نظر، فقلنا: لا شيء، والله ما علينا في ذلك شيء. قال زيد: فأمرني أبو بكر، فكتبته في قطع الأدم، وكسر الأكتاف والعُشب، فلما هلك أبو بكر، وكان عمر، كتب ذلك في صحيفة واحدة، فكانت عنده، فلما هلك، كانت الصحيفة عند حفصة زوج النبي ﷺ، ثم إن حذيفة بن اليمان قدم من غزوة كان غزاها، فرج أرمينية، فلم يدخل بيته حتى أتى عثمان بن عفان، فقال: يا أمير المؤمنين، أدرك الناس فقال عثمان: وما ذاك؟ قال: غزوت فرج أرمينية، فحضرها أهل العراق وأهل الشام، فإذا أهل الشام يقرءون بقراءة أبي بن كعب، فيأتون بما لم يسمع أهل العراق، فيكفرهم أهل العراق، وإذا أهل العراق يقرءون بقراءة ابن مسعود، فيأتون بما لم يسمع أهل الشام، فيكفرهم أهل الشام. قال زيد: فأمرني عثمان بن عفان أكتبُ له مصحفاً، وقال: إني مدخلٌ معك رجلاً لبيباً فصيحاً، فما اجتمعتما عليه فاكتباه، وما اختلفتما فيه فارفعا إليَّ. فجعل معه أبان بن سعيد بن العاص. قال: فلما بلغا: {إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ} [البقرة: ٢٤٨]. قال زيد: فقلت: "التابوه". وقال أبان بن سعيد: {التابوت}، فرفعنا

ذلك إلى عثمان، فكتب: {التابوت}. قال: فلما فرغت عرضته معه عرضة، فلم أجد فيه هذه الآية {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} إلى قوله: {وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} [الأحزاب: ٢٣]. قال: فاستعرضت المهاجرين أسألهم عنها، فلم أجدها عند أحد منهم، ثم استعرضت الأنصار أسألهم عنها، فلم أجدها عند أحد منهم، حتى وجدتها عند خزيمة بن ثابت، فكتبتها، ثم عرضته عرضة أخرى، فلم أجد فيه هاتين الآيتين: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ} [التوبة: ١٢٨] إلى آخر السورة، فاستعرضت المهاجرين، فلم أجدها عند أحد منهم، ثم استعرضت الأنصار أسألهم عنها، فلم أجدها عند أحد منهم، حتى وجدتها مع رجل آخر يدعى خزيمة أيضا، فأثبتها في آخر "براءة"، ولو تمت ثلاث آيات، لجعلتها سورة على حدة، ثم عرضته عرضة أخرى فلم أجد فيه شيئا، ثم أرسل عثمان إلى حفصة يسألها أن تعطيه الصحيفة، وحلف لها ليردتها إليها، فأعطته إياها، فعرض المصحف عليها، فلم يختلفا في شيء فردّها إليها، وطابت نفسه، وأمر الناس أن يكتبوا مصاحف، فلما ماتت حفصة، أرسل إلى عبد الله بن عمر في الصحيفة بعزيمة، فأعطاهم إياها، فغسلت غسلًا^(١).

(١) انظر: تفسير الطبري (١/٥٤).

وقد أخرجها عن عُمارة بن عَزِيَّة:

الطبراني في المعجم الكبير (١٣٠/٥)، والمستغفري في فضائل القرآن (٣٥١/١)، والخطيب البغدادي في الفصل للوصل المدرج في النقل (٣٩٧/١)، كلهم من طريق عبد العزيز بن محمد الدَّرَاوَرْدِيُّ به.

وأخرجها ابن شَبَّة في تاريخه (١٠٠١/٣)، عن حفص بن عمر الدوري، عن إسماعيل بن جعفر، عن عُمارة بن عَزِيَّة به. إلا أنه لم يذكر فيها قصة زيد مع أبي بكر وعمر، وقصة حذيفة مع عثمان.

وأخرجها الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٢٨/٨)، من طريق عبد العزيز بن محمد الدَّرَاوَرْدِيُّ، عن عُمارة بن عَزِيَّة به. إلا أنه لم يُذكر فيها قصة فقد زيد بن ثابت الآيتان من سورة التوبة، وقصة فقدة للآية من سورة الأحزاب.

درجة الرواية: في إسنادها عُمارة بن عَزِيَّة، قال الخطيب البغدادي: "وقد وهم عُمارة؛ إذ روى جميعه على هذه السياقة عن ابن شهاب، عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه"^(١). وقال أيضا: "وسعيد بن العاص هو الذي خالف زيدا في التابوت، وذكر عُمارة بن عَزِيَّة في روايته أنه أبان بن سعيد، وذلك وهم؛ لأن أبان قتل بالشام في وقعة أجنادين سنة ثلاث عشرة أيام عمر بن الخطاب، ولا مدخل له في هذه القصة، والذي أقامه عثمان لهذا سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص؛ وهو ابن أخي أبان بن سعيد"^(٢).

(١) انظر: الفصل للوصل المدرج في النقل، للخطيب البغدادي (٣٩٩/١).

(٢) انظر: الفصل للوصل المدرج في النقل، للخطيب البغدادي (٤٠٤/١).

قال القرطبي: "وقال الطبري فيما روى: إنَّ عثمان قرَنَ يزيدَ أبانَ بنَ سعيد بن العاصي وحده. وهذا ضعيف، وما ذكره البخاريُّ والترمذيُّ وغيرها أصحُّ"^(١).

وقال البغوي: "وهذا عندي وهم من عمارة بن غزيرة في حديثه عن خارجة بن زيد عن زيد بن ثابت"^(٢).

وقال الدارقطني: "ورواه عمارة بن غزيرة، عن الزهري، فجعل مكان ابن السَّبَّاق خارجة بن زيد بن ثابت، وجعل الحديث كله عنه"^(٣).

وقال ابن حجر: "وأغربُ عُمارةَ بنَ غَزِيَّةَ، فرواه عن الزهري فقال: عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه وساق القصص الثلاث بطولها: قصة زيد مع أبي بكر وعمر، ثم قصة حذيفة مع عثمان أيضا، ثم قصة فقد زيد بن ثابت الآية من سورة الأحزاب أخرجه الطبري، وبين الخطيب في "المدرج" أن ذلك وهم منه، وأنه أدرج بعض الأسانيد على بعض"^(٤).

الطريق الثامن: طريق إبراهيم بن إسماعيل بن مُجمَعِ الأنصاري:

قال أبو بكر الخطيب البغدادي: أخبرنا علي بن القاسم بن الحسن البصري، نا علي بن إسحاق المادرائي، نا علي بن حرب الطائي، نا جعفر بن عون، عن إبراهيم بن إسماعيل الأنصاري، عن ابن شهاب، عن عُبَيْدِ بنِ السَّبَّاقِ، عن

(١) انظر: تفسير القرطبي (٥٢/١).

(٢) انظر: معجم الصحابة، للبغوي (٤٦٩/٢).

(٣) انظر: العلل الواردة في الأحاديث النبوية، للدارقطني (١/١٨٧).

(٤) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١٢/٩).

زيد بن ثابت: "أن عمر بن الخطاب جاء إلى أبي بكر الصديق فقال: إن القتل قد أسرع في قراء الناس أيام اليمامة، وقد خشيت أن يهلك القرآن فلا يبقى قرآن، فاجمع القرآن واكتبه. قال أبو بكر: كيف نصنع شيئاً لم يأمرنا رسول الله ﷺ فيه بأمر، ولم يعهد إلينا فيه عهداً، فقال عمر: افعل هو والله خير، فلم يزل عمر بأبي بكر حتى أرى الله أبا بكر مثل رأيي عمر. قال زيد: فدعاني أبو بكر فقال: إنك رجل شاب كنت تكتب الوحي، فاجمع القرآن واكتبه، فقلت لأبي بكر: كيف تصنعون شيئاً لم يكن أمركم رسول الله ﷺ فيه بأمر ولم يعهد إليكم فيه عهداً، فلم يزل حتى أراي الله مثل رأيي أبي بكر وعمر، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال كان أيسر علي من الذي كلفوني فجعلت أتبع العُصب. قال: وفقدت آية كنت سمعتها من رسول الله ﷺ لم أجدها عند أحد، فوجدتها عند رجل من الأنصار: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الأحزاب: ٢٣]، فأضفتها إلى سورتها، فكانت تلك الصُّحف عند أبي بكر حتى مات، ثم عند عمر حتى مات، ثم عند حفصة"^(١).

وقد أخرجها عن إبراهيم بن إسماعيل بن مُجمَع الأنصاري:

ابن أبي داود في كتاب المصاحف (ص: ٥٤)، وأبو عمرو الداني في المقنع في رسم المصاحف (ص: ١٣)، كلاهما من طريق إبراهيم بن إسماعيل بن مُجمَع الأنصاري، عن ابن شهاب به.

(١) انظر: الفصل للوصول المدرج في النقل، للخطيب البغدادي (١/٣٩٣).

درجة الرواية: في إسنادها إبراهيم بن إسماعيل بن مُجَمِّع الأنصاري، قال ابن حجر: "إبراهيم بن إسماعيل بن مُجَمِّع الأنصاري، أبو إسحاق المدني، ضعيف"^(١). وقال الخطيب البغدادي: "ووهم ابن مُجَمِّع؛ إذ روى جميع الحديث عن ابن شهاب، عن عُبيد بن السَّبَّاق، عن زيد بن ثابت"^(٢). وقال ابن حجر: "وقد رواه إبراهيم بن إسماعيل بن مُجَمِّع، عن الزهري، فأدرج قصة آية سورة الأحزاب في رواية عبيد بن السَّبَّاق"^(٣).

(١) انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر (ص: ٨٨).

(٢) انظر: الفصل للوصل المدرج في النقل، للخطيب البغدادي (١/٣٩٩).

(٣) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٩/١٢).

المبحث الثاني: مُشكل التعارض بين رواية فقد زيد بن ثابت الآية من سورة الأحزاب: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الآية: ٢٣]، مع رواية فقد الآيتين من آخر سورة التوبة: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ} [التوبة: ١٢٨، ١٢٩] أولاً: عرض الرواية المُشكلة:

قال البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل، عن إبراهيم بن سعد، حدثنا ابن شهاب، عن عُبَيْدِ بْنِ السَّبَّاقِ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ رضي الله عنه، قَالَ: «أُرْسِلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتُلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَإِذَا عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ عِنْدَهُ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: إِنْ عَمْرُ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحَرَّ الْقَتْلَ بِالْقِرَاءَةِ بِالْمَوَاطِنِ، فَيَذْهَبُ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ، قُلْتَ لِعَمْرٍ: كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ قَالَ عَمْرٌ: هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عَمْرٌ يِرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لَذَلِكَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عَمْرٌ، قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌ عَاقِلٌ لَا تَنْتَهَمِكُ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَتَتَّبِعُ الْقُرْآنَ فَاجْمَعُهُ، فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ، قُلْتَ: كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ قَالَ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يِرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرُ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرُ رضي الله عنه، فَتَتَّبَعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الْعُسْبِ وَاللِّخَافِ، وَصَدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خَزِيمَةَ الْأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ: {لَقَدْ جَاءَكُمْ

رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ { [التوبة: ١٢٨]، حتى خاتمة براءة، فكانت الصُّحُفُ عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه " (١).

ثانياً: بيان وجه الإشكال:

ظاهر هذه الرواية يدلُّ على أنَّ زيد بن ثابت - رضي الله عنه - أثناء جمعه للقرآن فقد آتيتن من آخر سورة التوبة، وقد وجدها عند أبي خزيمة الأنصاري، وهذا مُشكَلٌ؛ لأنَّه تقدَّم في الرواية السَّابِقة أن الذي فقده زيد هو آية من سورة الأحزاب، ووجدها عند خزيمة الأنصاري، مما يوهم تعارضهما.

قال ابن بطلال ^(٢): "فإن قيل: في حديث زيد بن ثابت: أنه وجد آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، وفي آخر الباب قول ابن شهاب، عن خارِجة بن زيد أنه سمع أباه زيد بن ثابت قال: "فقدت آية من الأحزاب كنت أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ} [الأحزاب: ٢٣]". وهذا اختلاف يوجب التضاد؟" ^(٣).

-
- (١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: فضائل القرآن، باب: جمع القرآن، (ح: ٤٩٨٦).
- (٢) هو أبو الحسن، علي بن خلف بن عبد الملك بن بَطَّالِ الْبَكْرِيِّ، الْقُرْطُبِيُّ، الْبَلَنْسِيُّ، كان من أهل العلم والمعرفة، عُني بالحديث العناية التَّامة، له: "شرح على صحيح البخاري"، (ت: ٤٤٩هـ).
- انظر: سير أعلام النبلاء (٤٧/١٨)، والأعلام (٢٨٥/٤).
- (٣) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بَطَّالِ (٢٢٥/١٠). وقد حكى هذا الإشكال: ابن الجوزي في كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣٥/١)، والكرماني في الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٤٦/١٨)، وابن الملقن التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٤٣٧/٢٢)،

ثانياً: مسالك العلماء في دفع هذا الإشكال:

للعلماء في دفع هذا التعارض بين الروایتين مسلكٌ واحد؛ وهو الجمع بينهما، لكنهم اختلفوا في طريقة الجمع بينهما على مذهبين:

المذهب الأول: لا تعارض بين الروایتين، وهي ثلاثُ آيات وجدها زيد بن ثابت عند خزيمة الأنصاري؛ فالآيتان من آخر سورة التوبة وجدها عند النقل من العُسْبِ إلى الصُّحُفِ في زمن أبي بكر، والآية من سورة الأحزاب وجدها عند النقل من الصَّحِيفَةِ إلى المُصْحَفِ في زمن عثمان، وأبو خزيمة الأنصاري المذكور في الحديث هو خزيمة الأنصاري الذي وجد عنده الآية من سورة الأحزاب، فقد أخرج البخاري من طريق شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني ابنُ السَّبَّاق، أن زيد بن ثابت الأنصاري - رضي الله عنه - قال: " ... حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} [التوبة: ١٢٨] إلى آخرها ... " (١)

(٢٤/٢٤)، واليرماوي في اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح (٩٥/١٣)، وابن حجر في فتح الباري (٥١٨ / ٨).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: تفسير القرآن، باب: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم} [التوبة: ١٢٨]، (ح: ٤٦٧٩).

قال ابن الدَّمَامِينِي^(١): "قيل: والصواب: مع خزيمة كما وقع في كتاب: التفسير، في آخر سورة براءة"^(٢). وقال في موضع آخر: "مع خزيمة، أو أبي خزيمة"؛ هو خزيمة من غير شك"^(٣).

وقال الكرمانِي^(٤): "فإن قلت: تقدّم أنّ الآية المفقودة التي وجدها عند خزيمة هي آخر سورة التوبة؟

قلت: لا دليل على الحصر فيها، ولا محذور في كون كليهما مكتوبتين عنده دون غيره، أو الأولى كانت عند النقل من العُصْبِ ونحوه إلى الصُّحُفِ، والثانية عند النقل من الصَّحِيفَةِ إلى المُصْحَفِ"^(٥).

وقال ابن الجوزي: "وفي بعض ألفاظ هذا الحديث: قال زيد: "فقدت آية من الأحزاب كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع

(١) هو بدر الدين، محمد بن أبي بكر بن عمر القرشي المخزومي، الاسكندري، المالكي، المعروف بابن الدَّمَامِينِي، لازم ابن خلدون، وتصدر لإقراء العربية بالأزهر، وولي قضاء المالكية في مصر، من تصانيفه: "مصاييح الجامع"، و"تحفة الغريب شرح لمغني اللبيب"، (ت: ٨٢٧ هـ). انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٩/ ٢٦٢)، والأعلام (٦/ ٥٧).

(٢) انظر: مصاييح الجامع، لابن الدَّمَامِينِي (١٠/ ٢٠٤).

(٣) انظر: المصدر السابق (٨/ ٥١٤).

(٤) هو شمس الدين، محمد بن يوسف الكرمانِي: عالم بالحديث، قال ابن حجي: "تصدى لنشر العلم ببغداد ثلاثين سنة، وأقام مدة بمكة، وفيها فرغ من تأليف كتابه "الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري"، (ت: ٧٨٦ هـ). انظر: طبقات المفسرين (٢/ ٢٨٥)، والأعلام (٧/ ١٥٣).

(٥) انظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، للكرمانِي (١٨/ ٤٦).

خزيمة - الذي جعل رسول الله شهادته شهادة رجلين-: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الأحزاب: ٢٣].

وربما قال قائل: هذا خلاف ما تقدم من أنهم وجدوا مع خزيمة آخر التوبة، فأيهما أصح؟

فالجواب: أنّ كليهما صحيح، والآيتان وجدتا مع خزيمة، فأخر التوبة وجدوها معه في زمن أبي بكر، والآية من الأحزاب وجدوها معه في زمن عثمان^(١).

المذهب الثاني: لا تعارض بين الروایتين، وهي ثلاث آيات وجدها زيد بن ثابت رضي الله عنه عند اثنين من الصحابة، فالآيتان من آخر سورة التوبة وجدها عند أبي خزيمة الأنصاري، والآية من سورة الأحزاب وجدها عند خزيمة بن ثابت الأنصاري.

قال ابن بطال: "قال المَهَلَّبُ^(٢): "ولا تضاد في هذا، وهذه غير قصة الأحزاب؛ لأن الآية التي في التوبة مع أبي خزيمة؛ وهو معروف من الأنصار،

(١) انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي (١/٣٥).

(٢) هو أبو القاسم، المهلب بن أحمد بن أبي صفرة أسيد بن عبد الله الأسدي الأندلسي، المرّي، ولي قضاء المرية، وكان أحد الأئمة الفصحاء، الموصوفين بالذكاء، له مصنف "شرح صحيح البخاري"، (ت: ٤٣٥هـ). سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٧ / ٥٧٩)، معجم المؤلفين، لرضا كحاله (٣١/١٣).

وقد عرّفه أنس، وقال: "نحن ورثناه"^(١)، والتي في الأحزاب ليست صفة النبي ﷺ، وهذه وجدت مع خزيمة بن ثابت، وهو غير أبي خزيمة، فلا تعارض في هذا، والقصة غير القصة لا إشكال فيها ولا التباس والسورة غير السورة"^(٢).

وقال الكوراني^(٣): "الذي وجد معه آيتان من آخر براءة؛ خزيمة بن أوس، يكنى أبا خزيمة، وهذا خزيمة بن ثابت يكنى أبا عمارة، وقد التبس على بعضهم، فإنّه ظن أن خزيمة في الآيتين واحد، وهو خزيمة بن ثابت"^(٤).

وقال ابن حجر: "والأرجح أن الذي وجد معه آخر سورة التوبة أبو خزيمة بالكنية، والذي وجد معه الآية من الأحزاب خزيمة؛ وأبو خزيمة قيل: هو ابن

(١) الذي عرّف به أنس بن مالك رضي الله عنه هو أبو زَيْدٍ قَيْسُ بْنُ السَّكَنِ الْأَنْصَارِيُّ، وَهُوَ الَّذِي جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَعَنْ ثَمَامَةَ قَالَ: "قُلْتُ لِأَنْسَ: أَبُو زَيْدٍ الَّذِي جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَيُّ شَيْءٍ اسْمُهُ؟ فَقَالَ: قَيْسُ بْنُ السَّكَنِ، رَجُلٌ مِنَّا مِنْ بَنِي عَدِيٍّ بْنِ النَّجَّارِ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَقَبٌ مَحْنٌ وَرِثْنَاهُ"، وليس هو أبو خزيمة الأنصاري كما قاله الْمُهَلَّبُ. انظر: الثقات لابن حبان (٣/٣٣٨)، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (٥/٣٦٢).

(٢) انظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١/٣١).

(٣) هو شهاب الدين، أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني، القاهري، الشافعي ثم الحنفي، مفسر، تعلم بمصر، وولي القضاء في أيام محمد الفاتح، أخذ عن ابن حجر ولازمه، (ت: ٨٩٣ هـ)، من كتبه: "غاية الأماني في تفسير السبع المثاني"، و"الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري". انظر: الضوء اللامع (١/٢٤١)، والأعلام (١/٩٧).

(٤) انظر: الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، للكوراني (٨/٢٣٠).

أوس بن يزيد بن أصرم مشهور بكنيته دون اسمه، وقيل: هو الحارث بن خزيمعة، وأما خزيمعة فهو بن ثابت ذو الشهادتين^(١).

وقال الخازن^(٢): "قوله: "حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمعة أو مع أبي خزيمعة الأنصاري". وفي الحديث الآخر: "فقدت آية من سورة الأحزاب - إلى قوله- فوجدناها مع خزيمعة بن ثابت الأنصاري: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الأحزاب: ٢٣] الآية. فاعلم أن المذكور في الحديث الأول غير المذكور في الحديث الثاني وهما قضيتان، فأما المذكور في الحديث الأول فهو أبو خزيمعة بن أوس بن زيد بن أصرم بن ثعلبة بن عمر بن مالك بن النجار الأنصاري، شهد بدرًا وما بعدها، وتوفي في خلافة عثمان، وهو الذي وجدت عنده آخر سورة التوبة، كذا ذكره ابن عبد البر^(٣).

(١) فتح الباري، لابن حجر (١٥/٩).

(٢) هو علاء الدين، علي بن محمد بن إبراهيم الشيعي، المعروف بالخازن، عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية، وكان خازن الكتب بالمدرسة السميصرية بدمشق. له تصانيف، منها "لباب التأويل في معاني التنزيل" في التفسير، (ت: ٧٤١هـ). انظر: المفسرين (١/٤٢٦)، والأعلام (٥/٥).

(٣) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (٤/١٦٤٠)، وأسد الغابة، لابن الأثير (٦/٨٥)، وتاريخ الإسلام، للذهبي (٢/١٩٥).

وأما المذكور في الحديث الثاني فهو أبو عمارة خزيمه بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة الخطمي الأوسي الأنصاري يعرف بذي الشهادتين شهد بدرا، وما بعدها، وقتل يوم صفين مع علي بن أبي طالب (١) (٢).

الترجيح:

الأقرب - والله أعلم - في دفع التعارض بين الروايتين المذهب الثاني، وأنه لا تعارض بينهما، وهي ثلاث آيات وجدها زيد بن ثابت رضي الله عنه عند اثنين من الصحابة، فالآيتان من آخر سورة التوبة وجدها عند أبي خزيمه الأنصاري؛ لَمَّا جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه، والآية من سورة الأحزاب وجدها عند خزيمه بن ثابت الأنصاري؛ لَمَّا نسخ المصاحف في عهد عثمان رضي الله عنه (٣). وهما حديثان رواهما الزهري، عن عبيد بن السبّاق، وعن خارجه بن زيد، وكلاهما روياه عن زيد بن ثابت، لكن اختلفا - خارجه وعبيد - في تعيين الآية التي ذكر زيد أنه وجدها، فقال: خارجه إنها قوله تعالى: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا} [الأحزاب: ٢٣]، وقد وجدها عند خزيمه بن ثابت الأنصاري، وقال عبيد:

(١) انظر ترجمته في: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (٤٤٨/٢)، وأسعد الغابة، لابن الأثير (٦١٠/١)، والإصابة في معرفة الصحابة، لابن حجر (٢١٤/٣).

(٢) انظر: تفسير الخازن (٨/١). وانظر أيضا: المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي شامة (ص: ٥١)، والكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، للكوراني (٩٢/١١، ٢٣١)، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني (١٧/٢٠)، ومرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للمباركفوري (٧/٣٢٤).

(٣) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٨/٣٤٥).

إنها قوله تعالى: { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ } [التوبة: ١٢٨]، وقد أخرج البخاري الحديثين، وفي رواية عُبيد بن السَّبَّاق زيادات ليست في رواية خارجة، وانفرد خارجة بوصف خزيمة بأنه: الذي جعل النبي ﷺ شهادته شهادة رجلين^(١)، كما اختلف الرواة عن الزهري في الذي وجد عنده الآيتين من آخر سورة التوبة، فمن قائل: "مع خزيمة"، ومن قائل: "مع أبي خزيمة"، ومن شك فيه يقول: "خزيمة أو أبي خزيمة"^(٢)، وهذه الروايات كلها في صحيح البخاري^(٣)، فالتبس على بعض العلماء فظن بأنه صحابي واحد؛ فقال: هو خزيمة الأنصاري، والآيات الثلاث كلها وجدها زيد - رضي الله عنه - عنده^(٤)، والأرجح ما قدمناه وأنَّ الذي وجد معه آخر سورة التوبة غير الذي وجد معه الآية التي في سورة الأحزاب، فأية التوبة وجدت مع أبي خزيمة، وآية الأحزاب وجدت مع خزيمة.

(١) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٦ / ٢٤).

(٢) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٩ / ١٥).

(٣) انظر: (ح: ٤٦٧٩، ٤٩٨٦، ٧١٩١).

(٤) انظر: الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، للكوراني (٨ / ٢٣٠).

المبحث الثالث: مُشكل عدم تواتر الآية من سورة الأحزاب: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الآية: ٢٣].
أولاً: بيان وجه الإشكال:

ظاهر الرواية السابقة في قصة فقد زيد بن ثابت الآية من سورة الأحزاب، يفيد أنه لم يجدها مع أحد إلا مع خزيمة بن ثابت الأنصاري، وأنه اكتفى بقول خزيمة وحده في إثبات الآية في القرآن، وهذا مُشكل؛ لأن فيه إثبات القرآن بقول الواحد، والقرآن إنما يثبت بالتواتر، وقد استغل أعداء الإسلام هذا الإشكال للطعن في تواتر القرآن.

قال ابن العربي: "اعلموا وفقكم الله أن هذه مسألة عظيمة القدر؛ وذلك أن الرافضة كادت الإسلام بآيات، وحروفٍ نسبتها إلى القرآن لا يخفى على ذي بصيرة أنها من البهتان الذي نزع به الشيطان، وادّعوا أنهم نقلوها وأظهروها حين كتمناها نحن، وقالوا: إن الواحد يكفي في نقل الآية والحروف كما فعلتم، فإنكم أثبتم آية بقول رجل واحد، وهو خزيمة بن ثابت، وهي قوله: ... {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الأحزاب: ٢٣]"^(١).

وقال ابن حجر: "فيه إشكال؛ لأن ظاهره أنه اكتفى مع ذلك بخزيمة وحده، والقرآن إنما يثبت بالتواتر"^(٢).

(١) انظر: أحكام القرآن (٢/ ٦٠٦)

(٢) انظر: فتح الباري (٨/ ٥١٨). وقد أشار إلى هذا الإشكال: القرطبي في تفسيره (١/ ٥٦)، وابن حزم في الإحكام في أصول الأحكام (٦/ ١١١)، والكرمانى في الكواكب الدراري (١٢/ ١١٠)، والعيني في عمدة القاري (١٤/ ١٠٤)، والكوبراني في الكوثر الجباري (٥/ ٤٠٤)، والقسطلاني في

ثانياً: مسالك العلماء في دفع هذا الإشكال:

أجاب العلماء عن هذا الإشكال من وجهين:

الوجه الأول: أن قول زيد: " لم أجدها مع أحد، إلا مع خزيمة الأنصاري ..."، أي: لم أجدها مكتوبة مع أحد إلا مع خزيمة بن ثابت الأنصاري، فالذي انفرد به خزيمة هو كتابتها لا حفظها، ويدلُّ على أنَّ هذا هو المعنى الذي أراده زيد بعبارة تلك، قولُ زيد نفسه: "فقدتُ آية من سورة الأحزاب كنتُ كثيراً أسمع رسول الله ﷺ يقرأها"، فإنَّ تعبيره بلفظ: "فقدتُ" يُشعر بأنَّه كان يعرف الآية ويحفظها، وإلا فكيف يفتقد شيئاً لا يعرفه أصلاً، أو غفل عنه ونسيه ولم يخطر على باله، وأكد على معرفته بالآية حين قال: "قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ بِهَا"^(١).

قال ابن حزم: "وأما افتقاد زيد بن ثابت الآية فليس ذلك على ما ظنه أهل الجهل، وإنما معناه: أنه لم يجدها مكتوبة إلا عند ذلك الرجل، وهذا بينٌ في حديث حدثناه عبد الرحمن بن عبد الله، عن أبي إسحاق البلخي، عن الفريري، عن البخاري حدثنا أبو اليمان، أنا شعيب، عن الزهري قال أخبرني خارجة بن

إرشاد الساري (٥ / ٤٦)، والزرقاني في مناهل العرفان في علوم القرآن (١ / ٢٨٤)، ومحمد أبو شهبه في المدخل لدراسة القرآن (ص: ٢٨٧).

(١) انظر: المرشد الوجيز، لأبي شامة (ص: ٥١)، والكواكب الدراري، للكرماني (١٢ / ١١٠)، وعمدة القاري، للعيبي (٢٠ / ١٩)، منحة الباري بشرح صحيح البخاري، للأنصاري (٧ / ٢٧٣)، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني (٧ / ٢٩٤)، ومناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني (١ / ٢٨٤)، والمدخل لدراسة القرآن، لمحمد أبي شهبه (ص: ٢٨٧).

زيد بن ثابت أن زيد بن ثابت قال: "لما نسخنا المصحف في المصاحف فقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأها لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة بن ثابت الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا} [الأحزاب: ٢٣]". قال أبو محمد: بيان ما قلناه منصوص في هذا الحديث نفسه؛ وذلك أن زيدا حكى أنه سمع هذه الآية من النبي ﷺ، فقد كانت عند زيد أيضا^(١).

وقال الكوراني: "قلت: أراد أنه لم يجده مكتوبًا عند أحد، كما جاء في الرواية الأخرى، ألا ترى إلى قوله: "نسخت الصُّحُف في المصاحف"، وإلى قوله: "كنت أسمع رسول الله - ﷺ - يقرأ بها"، فإنه كان يحفظ الآية، إلا أنها لم تكن مكتوبة عنده..."^(٢).

وقال ابن حجر: "والذي يظهر في الجواب أن الذي أشار إليه أن فقدته فقد وجودها مكتوبة لا فقد وجودها محفوظة، بل كانت محفوظة عنده وعند غيره"^(٣).

الوجه الثاني: أن قول زيد فيما مضى لا يدل على عدم تواترها، وغاية ما يدل عليه كلامه: أن الآية قد نُسيت فلم يجدها محفوظة مع أحد إلا مع خزيمة

(١) انظر: الإحكام في أصول الأحكام (٦/ ١١١).

(٢) انظر: الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (٥/ ٤٠٤).

(٣) انظر: فتح الباري (٨/ ٥١٨).

الأَنْصَارِي، فَخُزَيْمَةُ انْفَرَدَ بِذِكْرِ الْآيَةِ ابْتِدَاءً، ثُمَّ تَذَكَّرَ الصَّحَابَةَ مَا ذَكَرَهُ، وَكَانَ هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةَ جَمْعًا يُؤْمِنُ تَوَاطُؤُهُمْ عَلَى الْكُذْبِ، فَدَوْنَتْ تِلْكَ الْآيَاتِ فِي الصُّحُفِ وَالْمَصْحُفِ بَعْدَ قِيَامِ هَذَا التَّوَاتُرِ فِيهَا ^(١).

قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: "آيَةُ الْأَحْزَابِ لَمْ تَثْبُتْ بِوَاحِدٍ، وَإِنَّمَا كَانَتْ مَنْسِيَّةً، فَلَمَّا ذَكَرَهَا مَنْ ذَكَرَهَا أَوْ تَذَكَّرَهَا مَنْ تَذَكَّرَهَا عَرَفَهَا الْخَلْقُ، كَالرَّجُلِ تَنْسَاهُ إِذَا رَأَيْتَ وَجْهَهُ عَرَفْتَهُ، أَوْ تَنْسَى اسْمَهُ وَتَرَاهُ، وَلَا يَجْتَمِعُ لِكَ الْعَيْنِ وَالْإِسْمِ، إِذَا انْتَسَبَ عَرَفْتَهُ" ^(٢).

وَقَالَ الزَّرْكَشِيُّ: "وَقَوْلُ زَيْدٍ: "لَمْ أَجِدْهَا إِلَّا مَعَ خُزَيْمَةَ"، لَيْسَ فِيهِ إِثْبَاتُ الْقُرْآنِ بِخَبَرِ الْوَاحِدِ؛ لِأَنَّ زَيْدًا كَانَ قَدْ سَمِعَهَا وَعَلِمَ مَوْضِعَهَا فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ بِتَعْلِيمِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَذَلِكَ غَيْرُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ، ثُمَّ نَسِيَهَا، فَلَمَّا سَمِعَ ذِكْرَهُ، وَتَتَبَعَهُ لِلرِّجَالِ كَانَ لِلْإِسْتِظْهَارِ لَا لِالِاسْتِحْدَاثِ الْعِلْمِ" ^(٣).

(١) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني (٢٨٥/١)، والإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب (ص: ٦٧).

(٢) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٦٠٩).

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٣٤).

ثالثاً: الترجيح:

ما ذكره العلماء من أجوبه في توجيه قول زيد رضي الله عنه، بما يُدفع هذا الإشكال؛ إلا أن الوجه الأول في دفعه هو الأقوى؛ لأنه من أبعد البعيد أن يكون زيد رضي الله عنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية كثيراً ولا يحفظها، ولا سيما وهو مذكور فيمن جمع القرآن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم على فرض أن زيدا لم يكن يحفظها، فإنه من غير المعقول أن تكون آية من كتاب الله فاتت جميع القراء والحفاظ الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأخذ القرآن عنهم، ولا يعرفها سوى صحابي آخر لم يُشتهر أنه من حفظة كتاب الله تعالى^(١).

(١) انظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعي (١/ ٤٢٣)، والمرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لأبي شامة (ص: ٥١).

المبحث الرابع: مُشكّل فقد زيد بن ثابت الآية من سورة الأحزاب: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الآية: ٢٣]
أولاً: بيان وجه الإشكال:

ظاهر قول زيد في الرواية السابقة: "فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف، كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمه بن ثابت الأنصاري: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ} [الأحزاب: ٢٣]، فألحقناها في سورتها في المصحف". يفيد أن الصُّحف التي جمعت في عهد أبي بكر رضي الله لم يكن فيها هذه الآية، وهذا مُشكّل؛ لأنه يلزم منه أن تكون الصُّحف في عهد الصديق، وعمر، وصدر من عهد عثمان رضي الله عنه خالية عن تلك الآية.

قال ابن حجر: "وظاهر حديث زيد بن ثابت هذا أنه فقد آية الأحزاب من الصُّحف التي كان نسخها في خلافة أبي بكر حتى وجدها مع خزيمه بن ثابت"^(١).

وقال الألوسي: "ويُشكل عليه ما مرَّ آنفاً من قول زيد: "فقدت آية من الأحزاب" إلخ، فإنه بظاهره يستدعي أن في المصاحف العثمانية زيادة لم تكن في هاتيك الصُّحف"^(٢).

(١) انظر: فتح الباري (٩ / ٢١).

(٢) انظر: تفسير الألوسي (١ / ٢٤).

وقال محمد التَّأوُدي ابن سودة^(١): "قلت: وهو إشكالٌ ظاهر؛ لأنَّ زيْدًا كان أحد القراء الأربعة الذين حفظوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ، وجمعه كله في حياته، وإنما يتبعه في العُسْب والرخاف تأكيداً وتقوية ومراعاة للشكل الذي كُتِب بين يدي النبي ﷺ كما مرَّ، فكيف يترك منه آية حتى تُفقد في الجمع الثاني"^(٢).

ثانياً: مسالك العلماء في دفع هذا الإشكال:

اختلف العلماء في الإجابة عن هذا الإشكال على مسلكين:
المسلك الأول: أن إلحاق آية الأحزاب بسورتها لم يكن في عهد عثمان، وإنما كان في عهد أبي بكر، لكن أصحاب هذا المسلك اختلفوا في توجيه ذلك على مذهبين:

المذهب الأول: أن إلحاق آية الأحزاب بسورتها كان في عهد أبي بكر، لكن التبس على بعض الرواة في جمع عثمان، فجعلوا ذلك فيها، ويؤيد ذلك

(١) محمد التَّأوُدي بن محمد الطَّالِب بن محمد بن علي ابن سَوْدَةَ المَرِّي الفاسي، فقيه المالكية في عصره، وشيخ الجماعة بفاس، له: "زاد المجد الساري" حاشية على البخاري، و "شرح الأربعين النووية"، (ت: ١٢٠٩هـ). انظر: الأعلام (٦/ ٦٢).

(٢) انظر: حاشية التَّأوُدي ابن سَوْدَةَ على صحيح البخاري (١٣/٥). وقد أشار إلى هذا الإشكال: الكُوراني في الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (٣٨١/٨)، والملا علي القاري في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١٥٢٠/٤) وعبيد الله المباركفوري في مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣٣١ / ٧)، وإسماعيل الصحان في تاريخ القرآن بين تساهل المسلمين وشبهات المستشرقين (ص: ٢٧٦)، والملتقى العلمي للتفسير وعلوم القرآن: (https://vb.tafsir.net/tafsir٨٦٨٢).

رواية إبراهيم بن إسماعيل بن مُجَمِّع عن بن شهاب أن فقده إياها إنما كان في خلافة أبي بكر^(١). قال الكوراني: "وبه جزم ابن كثير، والجعدي، وعليه يدل قول الشاطبي رحمته الله"^(٢).

قال ابن كثير: "وأما ما رواه الزهري، عن خارجة، عن أبيه في شأن آية الأحزاب، وإلحاقهم إياها في سورتها، فذكره لهذا بعد جمع عثمان فيه نظر؛ وإنما هذا كان حال جمع الصديق الصُّحُف كما جاء مصرحاً به في غير هذه الرواية عن الزهري، عن عبيد بن السباق، عن زيد بن ثابت، والدليل على ذلك أنه قال: "فألحقناها في سورتها من المصحف"، وليست هذه الآية مُلحقة في الحاشية في المصاحف العثمانية"^(٣).

اعترض ابن حجر على هذا القول، وقال: "وقع في رواية إبراهيم بن إسماعيل بن مُجَمِّع، عن ابن شهاب أن فقده إياها إنما كان في خلافة أبي بكر، وهو وهمٌ منه.

والصحيح ما في الصحيح، وأن الذي فقده في خلافة أبي بكر الآيتان من آخر براءة، وأمَّا التي في الأحزاب ففقدتها لما كتب المصحف في خلافة عثمان، وجزم ابن كثير بما وقع في رواية ابن مُجَمِّع، وليس كذلك والله أعلم"^(٤).

(١) وقد تقدمت في (ص: ١٠).

(٢) انظر: الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (٨ / ٣٨١).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١ / ٣٣).

(٤) انظر: فتح الباري (٩ / ٢١).

المذهب الثاني: أن إلحاق آية الأحزاب بسورتها كان في عهد أبي بكر، والمصحف المذكور في قول زيد: " فألحقناها في سورتها في المصحف"؛ هي الصُّحف الأولى التي كُتبت في الجمع الأول، ويكون ضمير المتكلم بالنون تعظيماً. ذكر هذا الاحتمال: الملا علي القاري^(١)، وأيده عبيد الله المباركفوري، وقال: "قلت: قد وقع في نسخة القسطلاني من صحيح البخاري "الصُّحف" بدل "المصحف". قال القسطلاني: "قوله "في الصُّحف": بضم الصاد من غير ميم في الفرع، والذي في اليونينة بالميم " انتهى"^(٢).

قلتُ: هذا القول يكون معتبراً لو كان الحديث ما جاء إلا من طريق إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب، عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، كيف وقد تقدم روايته من عدّة طرق، وفي ألفاظها: "لَمَّا نسخنا الصُّحف في المصاحف"، "نسخت الصُّحف في المصاحف"، "لَمَّا كتبتنا المصاحف".

المسلك الثاني: أن إلحاق آية الأحزاب بسورتها كان في عهد عثمان رضي الله عنه، لكن أصحاب هذا المسلك اختلفوا في الجواب عن هذا الإشكال على ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: يُحتمل أن يكون زيد قد التزم كتابة القرآن في عهد عثمان بالمنهج الذي التزمه في جمعه وكتابته في الصُّحف في عهد أبي بكر، أن يسمع الآية من جماعة من الحفاظ، ويجدها مكتوبة عند اثنين، ولا يكفي بمجرد الحفاظ

(١) انظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٥٢٠).

(٢) انظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٣٣١).

دون الكتابة، ولا بمجرد وجدانها مكتوبة عند واحد، إلا أنه لم يجد آخر سورة براءة مكتوباً إلا عند أبي خزيمة، وإن كان قد سمعه من جماعة من الحفاظ وكان يحفظه بنفسه أيضاً، ووقع مثل هذا التفرد حين كتبت الصحف في المصاحف في عهد عثمان، وكان هذا التفرد في آية {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ} الآية، وكان زيد قد التزم في كتابته الثانية أيضاً مثل ما التزمه في الأولى مع أمر زائد، وهو العرض والمقابلة مع الصحف التي كتبت أولاً أي في عهد أبي بكر، فاتفق أنه لم يجد آية {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ} مكتوبة عند اثنين، وإن كانت مكتوبة في المصحف ومحفوظة في صدور الرجال^(١).

المذهب الثاني: يُحتمل أن تكون الآية فُقدت بسبب محوٍ أو تقطيع وقع في الصحف التي عند حفصة رضي الله عنها، ولم توجد مكتوبة عند أحد حينئذ إلا عند خزيمة، ذكر هذا الجواب التَّأوذي ابن سوادة^(٢).

قال محمد أبو شهبه: "لعلها انمحت وتطير مدادها فلم يبق ما يدل عليها، أو لعل الأرضة أكلت موضعها من الصَّحيفة، فاضطر أن يبحث عن أصلها المكتوب، فوجده مع خزيمة بن ثابت الأنصاري"^(٣).

المذهب الثالث: يُحتمل أن يكون سقوط الآية من الصحف التي جُمعت في عهد أبي بكر رضي الله من باب الغفلة والسهو.

(١) انظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للمباركفوري (٧/ ٣٣١).

(٢) انظر: حاشية التَّأوذي ابن سوادة على صحيح البخاري (١٣/٥).

(٣) انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم، لمحمد أبي شهبه (ص: ٢٨٦).

قال الألوسي: "يُحتمل أن يكون سُقوطها منه من باب الغفلة، وكثيراً ما تعتري السّارحين في رياض حظائر قدس كلام رب العالمين، فيذكرهم سبحانه بما غفلوا فيتداركون ما أغفلوا، وزيد هذا كان في الجمعين، ولعله الفرد المعول عليه في البين لكن عراه في أولهما ما عراه، وفي ثانيهما ذكّره مَنْ تكفل بحفظ الذكر، فتدارك ما نساه"^(١).

ثالثاً: الترجيح:

بعد عرض مسالك العلماء في دفع هذا الإشكال يتبين أن الراجح -والله أعلم- ما جاء في صحيح البخاري، أن إلحاق زيد بن ثابت آية الأحزاب بسورتها كان في عهد عثمان رضي الله عنه، ولم يكن في عهد أبي بكر رضي الله عنه، وأن الذي فقده زيدٌ في خلافة أبي بكر الآيتان من آخر براءة، وأمّا التي في الأحزاب فقد فقدها لما كتب المصحف في خلافة عثمان، وأنَّ سبب فقدها تبين بما ذكره العلماء من أجوبه، وأرجحها -والله أعلم- الجواب الذي ذكره الألوسي؛ وهو أن سقوط الآية من الصُّحف التي جُمعت في عهد أبي بكر رضي الله من باب الغفلة والسهو، واستدركها زيد رضي الله عنه في جمعه للقرآن في عهد عثمان رضي الله عنه.

(١) انظر: تفسير الألوسي (١/ ٢٤).

خاتمة البحث

أحمد الله تعالى الذي وفقني وأعاني على إتمام هذا البحث، وأختمه بذكر أهم ما توصلت إليه من نتائج، أجملها بما يأتي:

١- تبين أن أثر فقد زيد بن ثابت رضي الله عنه الآية من سورة الأحزاب مداره على ابن شهاب؛ أبو بكر محمد بن مسلم الزُّهري (ت: ١٢٥هـ)، وقد رويت عنه من ثمانية طرق.

٢- تبين ضعف رواية فقد زيد بن ثابت رضي الله عنه الآية من سورة الأحزاب كان في عهد أبي بكر الصديق.

٣- لا تعارض بين أثر فقد زيد بن ثابت الآية من سورة الأحزاب وأثر فقده الآيتين من آخر سورة التوبة، وهي ثلاث آيات وجدها زيد بن ثابت رضي الله عنه عند اثنين من الصحابة، فالآيتان من آخر سورة التوبة وجدهما عند أبي خزيمة الأنصاري؛ لَمَّا جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه، والآية من سورة الأحزاب وجدها عند خزيمة بن ثابت الأنصاري؛ لَمَّا نسخ المصحف في عهد عثمان رضي الله عنه.

٤- أن إخبار زيد بن ثابت بوجود الآية من سورة الأحزاب عند خزيمة بن ثابت الأنصاري لا يدلُّ على إثبات القرآن بقول الواحد، وإنما أراد زيد رضي الله عنه الإخبار بأنه لم يجد الآية مكتوبة عند أحد من الصحابة إلا عند خزيمة بن ثابت الأنصاري.

٥- أن إلحاق زيد بن ثابت آية الأحزاب بسورتها كان في عهد عثمان رضي الله عنه، ولم يكن في عهد أبي بكر رضي الله عنه، وأن الذي فقده زيدٌ في خلافة أبي بكر الآيتان من آخر براءة، وأمَّا التي في الأحزاب فقد فقدها لما كتب المصحف في خلافة عثمان، وأنَّ سبب فقدها تبين بما ذكره العلماء من أجوبة.

قائمة المصادر والمراجع

- الإبانة عن معاني القراءات، مكّي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي، ت: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر.
- أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٤٢٤ هـ.
- الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، ت: الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط ٧، ١٣٢٣ هـ.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري، ت: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٢ هـ.
- أسد الغابة، ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٩ هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ.
- الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢ م.
- البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط ١، ١٣٧٦ هـ.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قأئماز الذهبي، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٣ م.
- تاريخ المدينة، عمر بن شبة بن عبيدة بن ربيعة النميري، ت: فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد - جدة، ١٣٩٩ هـ.


- تفسير ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠ هـ.
- تفسير الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشححي أبو الحسن، المعروف بالخازن، ت: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ.
- تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، ت: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
- تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط ١، ١٣٨٤ هـ.
- التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي، ت: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق - سوريا.
- حاشية التَّوَّدي ابن سودة على صحيح البخاري، محمد التاودي بن محمد الطالب ابن سودة المري، ت: عمر أحمد الراوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٨ هـ.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سُوْرَة الترمذي، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨ م.
- السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، ت: حسن عبد المنعم شليبي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ.
- سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٥ هـ.

- شرح صحيح البخاري، ابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط ٢، ١٤٢٣ هـ.
- شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٥ هـ.
- صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار مكتبة الحياة - بيروت.
- طبقات المفسرين، محمد بن علي الداوودي، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية - بيروت.
- العلل الواردة في الأحاديث النبوية، أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، ت: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، دار طيبة - الرياض، ط ١، ١٤٠٥ هـ.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد بن موسى العيني، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رقمه: محمد فؤاد عبد الباقي، أشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت ١٣٧٩ هـ.
- الفصل للوصول المدرج في النقل، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، الخطيب البغدادي، ت: محمد بن مطر الزهراني، دار الهجرة، ط ١، ١٤١٨ هـ.
- فضائل القرآن، أَبُو الْعَبَّاسِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمِسْتَعْفِرِيُّ، ت: أحمد بن فارس السلوم، دار ابن حزم، ط ١، ٢٠٠٨ م.

- فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي، ت: مروان العطية، ومحسن خراية، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ.
- كتاب المصاحف، أبو بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، ت: محمد بن عبده، الفاروق الحديثة، مصر، ط ١، ١٤٢٣ هـ.
- كشف المشكل من حديث الصحيحين، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، ت: علي حسين البواب، دار الوطن - الرياض.
- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، محمد بن يوسف الكرمانی، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٣٥٦ هـ.
- الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، أحمد بن إسماعيل الكوراني، ت: الشيخ أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٩ هـ.
- اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، البرماوي، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم، ت: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا.
- لسان الميزان، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: دار البشائر الإسلامية، ط ١، ٢٠٠٢ م.
- المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، مكتبة السنة - القاهرة، ط ٢، ١٤٢٣ هـ.
- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة، طيار آلي قولاج، دار صادر - بيروت، ١٣٩٥ هـ.
- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، عبيد الله بن محمد عبد السلام المباركفوري، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، ط ٢، ١٤٠٤ هـ.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن نور الدين علي الملا الهروي القاري، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٢ هـ.


- مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، ت: د. محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر - مصر، ط ١، ١٤١٩ هـ.
- مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي، الموصلية، ت: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق، ط ١، ١٤٠٤ هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١ هـ.
- مسند الشاميين، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الطبراني، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤٠٥ هـ.
- مصابيح الجامع، الدماميني محمد بن أبي بكر بن عمر المخزومي القرشي، ت: نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، ط ١، ١٤٣٠ هـ.
- مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلْإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّيَرِ، إبراهيم بن عمر البقاعي، مكتبة المعارف - الرياض، ط ١، ١٤٠٨ هـ.
- المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي - الهند، ط ٢، ١٤٠٣ هـ.
- معجم الصحابة، أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي، محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان - الكويت، ط ١، ١٤٢١ هـ.
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الطبراني، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط ٢.
- معجم المؤلفين، عمر بن رضا كحالة، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- المقنع في رسم مصاحف الأمصار، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني، ت: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه
- منحة الباري بشرح صحيح البخاري، زكريا بن محمد الأنصاري، ت: سليمان بن دريع العازمي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤٢٦ هـ.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي، ت: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط ١، ١٣٨٢ هـ.



تحقيق القول في شهادة الأعضاء على الإنسان يوم القيامة
(دراسة تحليلية في القرآن الكريم)

د. صالح بن سعود سليمان السعود
قسم الثقافة الإسلامية - كلية التربية
جامعة حائل





تحقيق القول في شهادة الأعضاء على الإنسان يوم القيامة (دراسة تحليلية في القرآن الكريم)

د. صالح بن سعود سليمان السعود
قسم الثقافة الإسلامية - كلية التربية
جامعة حائل

تاريخ قبول البحث: ٣ / ٣ / ١٤٤٢ هـ

تاريخ تقديم البحث: ١٣ / ٧ / ١٤٤١ هـ

ملخص الدراسة:

عنوان الدراسة: شهادة الأعضاء على الإنسان يوم القيامة، دراسة تحليلية في القرآن الكريم.
هدف الدراسة: الوصول إلى القول الراجح في خصوص شهادة الأعضاء على العباد يوم القيامة.
منهج الدراسة: المنهج الاستقرائي التحليلي.

أهم نتائج الدراسة:

- ١/ أن لفظة (شهد) تأتي في القرآن على أوجه ومعان متعددة، ومفهومها الاصطلاحي متنوع بتنوع المجالات.
- ٢/ أن الشهادة صفة من صفات الله تعالى، وهي ثابتة للملائكة ولأنبياء وللرسل.
- ٣/ الأعضاء الواردة في كتاب الله تزيد عن أربعين عضواً.
- ٤/ أن الفخذ والكف أول الأعضاء شهادة على الإنسان.
- ٥/ أن شهادة الأعضاء حقيقة لدلالة النصوص في ذلك؛ لا كما يرى المعتزلة أن الله يخلق فيها كلاماً.
- ٦/ أن الآيات الواردة في شهادة الجوارح ثابتة بالنص على المنافقين والكفار من خلال سياق الآيات.

أهم التوصيات:

- ١/ ضرورة العناية بالتفسير التحليلي للإسهام في خدمة كتاب الله.
- ٢/ توجيه الباحثين وتشجيعهم على البحث في التفسير الموضوعي وانتقاء المواضيع المهمة في عصرنا والتركيز عليها.
- ٣/ عقد المؤتمرات التي تُعنى وتهتم بتدريب الباحثين على استعمال المنهج الاستقرائي والتحليلي في التفسير.

الكلمات المفتاحية: تحقيق، شهادة، أعضاء، العباد، القيامة

Achieving the saying about the testimony of the members on the person on the Day of Resurrection (An analytical study in the Holy Quran)

Dr. Saleh bin Saud Suleiman Al Saud

Department of Islamic Culture - Faculty of Education
Hail University

Abstract:

Study title: Members 'testimony on man on the Day of Resurrection: an analytical study in the Holy Quran.

The aim of the study: to arrive at the correct statement regarding the testimony of members on servants on the Day of Resurrection.

Study method: The inductive analytical method..

The most important results of the study:

- ١- The word "shahid" comes in the Qur'an in many facets and meanings, and its conventional concept is diverse in a variety of fields.
- ٢- The testimony is one of the attributes of God Almighty, and it is fixed for the angels, the prophets, and the messenger.
- ٣ / The members mentioned in the Book of God are more than forty members.
- ٤ / The thigh and palm are the first testimonies of a person.
- ٥ / The testimony of the members is true to the significance of the texts in this, not as Mu'tazilites see that God creates words in them.
- ٦ / The verses mentioned in the certificate of prey are fixed by stipulating hypocrites and unbelievers through the context of the verses.

The most important recommendations:

- ١ / The necessity of taking care of the analytical interpretation of the contribution to serving the Book of God.
- ٢ / Guide researchers and encourage them to research objective interpretation and select and focus on the important topics of our time.
- ٣ / Holding conferences concerned with training researchers in using the inductive and analytical approach to interpretation.

key words: investigation, testimony, organs, servants, resurrection.

المقدمة:

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير، وبعد:

فلقد وردت في كتاب الله آيات تناولت شهادة الأعضاء على الإنسان يوم القيامة، وتنوعت تلك الأعضاء الشاهدة، ولا شك أنّ هذه الشهادة شهادة عظيمة، وهي أيضاً شهادة مروّعة، تستوقف القلوب المؤمنة.

إنّ شهادة الأعضاء على ابن آدم تُظهر عظيم قدرة الله تعالى وإحاطته بعباده، وعدله في خلقه وحكمته، فقد جعل من أنفسهم شاهداً عليهم، وكذلك تُبين أنّ النَّاس لا حول ولا قوة لهم - حتى في أعضائهم - إلا بالله العظيم.

وقد اختلف المفسرون في تفسير الآيات الدالة على الشهادة، فمنهم من قال هي آيات عامة تشمل كل أبناء آدم، مؤمنهم وكافرهم، ومنهم من قال إنّما هي خاصة بالكفار الذين ينكرون أفعالهم.

ولما كان الخلاف بين المفسرين في هذه المسألة المهمة، أحببت أنّ أقوم بتحقيقها وإيضاحها، لأصل إلى القول الصحيح الراجح فيها بالأدلة.

أهمية الموضوع:

- تناول القرآني والتذكير والتخويف بشهادة الأعضاء يوم القيامة.
- الارتباط بالعقيدة، والإيمان باليوم الآخر وأهواله.
- التنوع في إقامة الحجّة على العباد.
- الربط بين مباحث الموضوع من ناحية عقدية وتفسيرية.
- إبراز التأصيل العلمي في تفسير القرآن الكريم من خلال دراسة مختصة.

أسباب اختيار الموضوع:

- الإسهام في تحرير وتحقيق الخلاف بين المفسرين في شهادة الأعضاء يوم القيامة.

- الدربة على المقارنة بين أقوال المفسرين، والترجيح بينها.

هدف الموضوع:

الوصول إلى القول الراجح في شهادة الأعضاء على العباد يوم القيامة.

الدراسات السابقة:

من خلال الاطلاع على قوائم الجامعات والمكتبات، والمراكز العلمية، تبين لي عدم تناول هذا الموضوع بهذا التفصيل في أي بحث سابق. ومن البحوث العلمية التي تناولت موضوع الشهادة من محاور مختلفة:

١- (الشهادة في القرآن الكريم: أنواعها ومعانيها)، وهو بحث مقدّم لنيل درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، للطالب: علي حسان بن علي حسان.

وقد تناول الباحث معنى كلمة الشهادة في القرآن الكريم، وميادين الشهادة، والأساليب القرآنية في عرض الشهادة، وشروط الشهادة العامة، والشهادة في نظام الأسرة، والشهادة في الحدود، والشهادة في الجهاد في سبيل

الله، والجهاد في الأخلاق، والآثار الدنيوية والأخروية للشهادة.

٢- (الشهادة في ضوء الكتاب والسنة وأجر الشهيد)، وهو بحث مقدّم لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى للطالبة: صالحة محمد زين أحمد فطاني.

وتناولت الباحثة الموضوع من حيث: تعريف الشهادة في اللغة والشرع، وفي اصطلاح الفقهاء والأدلة على مشروعيتها، وبيان شروط الشهادة وما ينافيها، وفضل الشهادة والشهيد في الدنيا ويوم القيامة، وصور بارزة من شجاعة الشهداء والشهيدات.

ولم أجد إلا هذين البحثين "الشهادة في القرآن الكريم: أنواعها ومعانيها"، و"الشهادة في ضوء الكتاب والسنة وأجر الشهيد" لهما صلة بموضوع الشهادة في القرآن.

ولا شك أن كتب الأقدمين فيها ما فيها من الحديث عن هذا الموضوع. وهناك مقالات وخطب حول هذا الموضوع، منها:

- شهادة الجوارح على الانسان يوم القيامة، للعلامة ابن باز (رحمته الله)، نُشر في: مجلة الدعوة، العدد (١٤٦٩) وتاريخ ١٥/٦/٢٨ هـ، مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز (٣٩٠/٨).
- خطر اللسان على الانسان للعلامة/ صالح الفوزان، الموقع الرسمي لفضيلته.
- لماذا تشهد أعضاء العبد عليه يوم القيامة وقد قامت الحجة عليه بكتابة الملكين؟ لمحمد المنجد، نشر في ٢٨/٤/٢٠١٢ م.
- الشهود يوم القيامة (كلمات لابن القيم)، جمع: أ. أناهيد السميري.
- يوم(الشهادة) تنطق الجوارح بما عملت، لمحمد أحمد، جريدة الاتحاد. وغيرها.

وأما دراستي - إن شاء الله - فستكون دراسة قرآنية مختصة بجانب التحقيق في شهادة الأعضاء على الإنسان يوم القيامة. وستتميز هذه الدراسة بمشيئة الله عن غيرها من الدراسات السابقة بتتبع الأعضاء الواردة في كتاب الله، وما يتعلق بخصوص شهادة الأعضاء وعمومها إن شاء الله.

منهج البحث:

المنهج الاستقرائي والتحليلي المتضمن لاستقصاء المسائل، والتحليل والجمع، والتحقيق، والمناقشة، وذلك بجمع النصوص والأقوال واستخلاص النتائج.

عملي في البحث:

جمعت مادة البحث من أدلة القرآن والسنة وأقوال العلماء، وفق ضوابط البحث العلمي، مع مراعاة الآتي:

- كتابة الآيات بالرسم العثماني داخل قوسين مزخرفين ❁❁.
- المقارنة بين أقوال المفسرين.
- التحري في النقل والتحقيق والتوثيق.
- عزو الآيات إلى سورها في المتن ().
- تخريج الأحاديث النبوية، فما كان في الصحيحين، أو أحدهما، أكتفي بتخرجه منهما، وما كان في غيرهما خرجته وبينت درجته وحكم العلماء فيه.
- الترجمة للأعلام غير المشهورين عند أهل الاختصاص.

خطة البحث:

ستكون خطة الدراسة مشتملةً على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وتوصيات وفهارس.

المقدمة: وتحتوي على: (أهمية وأسباب وهدف الموضوع، وحدود ومنهج الدراسة، وسؤالها، وعملي فيها).

المبحث الأول: التعريف بالشهادة وإطلاقاتها في القرآن، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى الشهادة في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: إطلاقات الشهادة في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: آيات الشهادة في القرآن الكريم ودلالاتها على الإثبات، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: شهادة الله وملائكته وأنبيائه ورسله.

المطلب الثاني: شهادة عموم الخلق.

المبحث الثالث: إقامة الحجّة على العباد يوم القيامة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إقامة الحجّة بكتابة الأعمال والشهادة عليها، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: إقامة الحجّة بكتابة الأعمال.

المسألة الثانية: إقامة الحجّة بالشهادة على الأعمال.

المطلب الثاني: إقامة الحجّة بشهادة الأعضاء يوم القيامة، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: الآيات الواردة في شهادة الأعضاء.

المسألة الثانية: الأعضاء التي تشهد على الإنسان.

المسألة الثالثة: شهادة الأعضاء يوم القيامة بين العموم والخصوص.

الخاتمة: وبها أهمّ النتائج، والتوصيات.

الفهارس: وتشمل الآتي:

١- فهرس المصادر والمراجع.

٢- فهرس الموضوعات .

المبحث الأول: التعريف بالشهادة وإطلاقها في القرآن، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى الشهادة في اللغة والاصطلاح

معاني الشهادة في اللغة: تعددت معاني الشهادة في اللغة، ومن أشهرها:

أولاً: **الحضور والمعينة:** قال ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ): **الشَّيْنُ وَهَاءٌ وَالذَّالُّ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى حُضُورٍ وَعِلْمٍ وَإِعْلَامٍ، لَا يَخْرُجُ شَيْءٌ مِنْ فُرُوعِهِ**^(١). وقال ابن منظور (ت: ٧١١هـ): **والمشاهدة: المعاينة، وشهده شهوداً؛ أي: حضره فهو شاهد، وقوم شهود، أي: حضور، وهو في الأصل مصدر**^(٢). قال تعالى: **﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾** (هود: ١٠٣)، **أَي: يَشْهَدُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**^(٣). والشُّهُودُ والشَّهَادَةُ: الحضور مع المشاهدة، إمَّا بالبصر أو البصيرة، وقد يقال للحضور مفرداً؛ قال تعالى: **﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾** (التغابن: ١٨)^(٤). وبهذا يتبين أن الشهادة: هي الإخبار عن ما يتيقنه الإنسان؛ إمَّا بحضوره؛ أو مشاهدته بحاسته؛ أو بصيرته.

ثانياً: العلم: أن يخبر بما رأى، وأن يقر بما علم، ومجموع ما يدرك بالحس والشَّهَادَةُ البَيِّنَةُ (في الفِضَاءِ) هِيَ: أَقْوَالُ الشُّهُودِ أَمَامَ جِهَةِ قَضَائِيَّةٍ^(٥)، ومنه قَوْلُهُ **﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا**

(١) مقاييس اللغة لابن فارس: ٣/ ٢٢١، مادة (شهد).

(٢) لسان العرب لابن منظور: ٣/ ٢٣٩، (فصل: الشين المعجمة).

(٣) معالم التنزيل للبخاري: ٢/ ٤٦٥.

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي: ٣/ ٣٥٠، مادة (شهد).

(٥) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة: ١/ ٩٧٤ باب (الشين)، مادة (شهد).

بِالْقِسْطِ ﴿آل عمران: ١٨﴾. قال أهل العلم: معناه أعلم الله عزَّوجلَّ، بيَّن الله، كما يُقال: شهد فلان عند القاضي؛ إذا بيَّن وأعلم لمن الحق؛ وعلى من هو^(١).

ثالثاً: التحمُّل والأداء: تطلق على التحمُّل، فنقول: شَهِدْتُ بمعنى تَحَمَّلْتُ، وعلى الأداء: فتقول: شَهِدْتُ عند القاضي شَهَادَةً أَدَيْتُهَا^(٢) واستَشْهَدْتُ فُلَانًا عَلَى فُلَانٍ؛ إِذَا سَأَلْتَهُ إِقَامَةَ شَهَادَةٍ احْتَمَلَهَا. وَأَشْهَدْتُ الرَّجُلَ عَلَى إِقْرَارِ الْعَرِيمِ، وَاسْتَشْهَدْتُهُ بِمَعْنَى؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ (البقرة: ٢٨٢)، أي: أشهدوا شاهدين^(٣).

رابعاً: الحلف واليمين: شهد: أدى مَا عِنْدَهُ مِنَ الشَّهَادَةِ، وَبِاللَّهِ: حَلَفَ وَأَقْرَبَ بِمَا عَلِمَ^(٤)، وَأَشْهَدُ بِكَذَا، أَي: أَحْلِفُ^(٥)، ومنه قوله: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ (المنافقون: ١). نَشْهَدُ أَي: نَحْلِفُ، فَعَبَّرَ عَنِ الْحَلْفِ بِالشَّهَادَةِ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْحَلْفِ وَالشَّهَادَةِ إِثْبَاتٌ لِأَمْرٍ مُعَيَّبٍ^(٦).

خامساً: القتل في سبيل الله: اسْتُشْهِدَ: قُتِلَ شَهِيداً، وَتَشْهَدُ: طَلَبَ الشَّهَادَةَ، وَالشَّهِيدُ: الْمَقْتُولُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْجَمْعُ شُهَدَاءٌ؛ قَالَ السَّهْلِيُّ (ت: ٥٥٨١) فِي مَعْنَى الشَّهِيدِ: وَهَذَا الْاسْمُ مَأْخُوذٌ مِنَ الشَّهَادَةِ أَوْ مِنَ الْمَشَاهِدَةِ؛

(١) مقاييس اللغة لابن فارس: ٢٢١/٣، كتاب (الشين) باب (الشين مع الهاء)، مادة (شهد).

(٢) المطلع على ألفاظ المقنع لمحمد بن أبي الفتح (ص: ٧٠٩) .

(٣) لسان العرب لابن منظور: ٢٤٠/٣، (فصل: الشين المعجمة).

(٤) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية: ٤٩٧/١، مادة (شهد).

(٥) القاموس المحيط للفيروز آبادي (ص: ٢٩٢)، (فصل: الشين).

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٢٢/١٨ .

فإن كان من الشهادة فهو شهيد بمعنى: مشهود، أي مشهود عليه، ومشهود له بالجنة،...، ويجوز أن يكون من الشهادة وتكون (فعيلاً) بمعنى (فاعل)؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣). فهذان وجهان في معنى الشهيد إذا جعلته مشتقاً من الشهادة،....^(١).

ويظهر لي أن هناك فروقاً لغوية بين كلمة الشهادة وبعض الكلمات المقاربة لها، ومن أبرز هذه الفروق:

الفرق بين الشهادة والعلم: أن الشهادة أخص من العلم؛ وذلك أنها علم بوجود الأشياء من قبل نفسها لا من قبل غيرها، والشاهد نقيض الغائب في المعنى؛ ولهذا سمي الله الكريم شاهداً لكل نجوى؛ لأنه يعلم جميع الموجودات بذاته عزوجل، قال سبحانه: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (التغابن: ١٨)، فالشهادة علم يتناول الموجود، والعلم يتناول الموجود والمعدوم^(٢).

الفرق بين الشاهد والحاضر: أن الشاهد للشيء يقتضي أنه عالم به؛ ولهذا قيل: الشهادة على الحقوق؛ لأنها لا

تصح إلا مع العلم بها؛ وذلك أن أصل الشهادة: الرؤية، وقد شاهدت الشيء: رأيته، وقال بعضهم: الشهادة في الأصل إدراك الشيء من جهة سمع أو رؤية؛ فالشهادة تقتضي العلم بالمشهود على ما بيننا، والحضور لا يقتضي

(١) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية: ٥٧/٦ .

(٢) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري: ٩٦/١ .

العلم المحضور؛ ألا ترى أنه يقال: حضره الموت، ولا يقال: شهدته الموت؛ إذ لا يصح وصف الموت بالعلم، وأما الإحضار فإنه يدل على سخط وغضب، والشاهد على ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ (٦١) (القصص: ٦١)^(١) أي: (من المحضرين في النار)^(٢).

الفرق بين الشاهد والمُشاهد: - أي المُعَين: المشاهد للشيء هو المدرك له رؤية، وقال بعضهم: رؤية وسمعا،

وهو في الرؤية أشهر، والشاهد لا يقتضي ذلك^(٣). فالعلم أعم من الشهادة؛ إذ يتناول الموجود والمعدوم، بخلاف الشهادة التي تتناول الموجود فقط. والشهادة أعم من الحضور؛ إذ إنها تقتضي العلم بالمشهود، والحضور لا يقتضي العلم بالمحضور.

تعريف الشهادة الاصطلاحي:

للشهادة معاني متنوعة بحسب فنون العلم، فعرفها أصحاب كتب المصطلحات بما يأتي:

قال الجرجاني (ت: ٨١٦هـ): إخبار عن عيان بلفظ الشهادة في مجلس القاضي بحق للغير على آخر، فالإخبارات ثلاثة: إما بحق للغير على آخر؛ وهو الشهادة، وإما بحق للمخبر على آخر؛ وهو الدعوى، أو بالعكس، وهو

(١) المصدر السابق: ٩٦/١.

(٢) النكت والعيون للماوردى: ٢٦١/٤.

(٣) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري: ٩٦/١.

الإقرار^(١). وقال المناوي (ت: ١٠٣١هـ): رؤية خيرة باطن الشيء ودخلته ممن له غنى في أمره، فلا شهادة إلا بخبرة وغناء ممن له اعتدال في نفسه بأن لا يحيف على غيره، فيكون ميزان عدل^(٢).

من خلال ما سبق نرى أن الجرجاني عرف الشهادة عموماً، أما المناوي فعرف الشهادة المعتبرة شرعاً.

كما عرّفها أصحاب الفنون كلّ حسب فنّه، وسوف أّبين معاني الشهادة الاصطلاحية عند المفسرين:

قال الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ): الحضور مع المشاهدة، إمّا بالبصر، أو بالبصيرة^(٣)، وقال ابن عطية (ت: ٥٤٢هـ): " أصل (شَهَدَ) في كلام العرب: حضر، ومنه قوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾^(٤) (البقرة: ١٨٥). ثم صرفت الكلمة حتى قيل في أداء ما تقرر علمه في النفس بأي وجه تقرر من حضور أو غيره: شَهِدَ يَشْهَدُ، وقال به ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)^(٤).

(١) التعريفات (ص: ١٢٩).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٢٠٨).

(٣) المفردات في غريب الألفاظ (ص: ٤٦٨).

(٤) المحرر الوجيز: ٤١٢/١، والتحرير والتنوير: ١٠٦/٣، ١٨٦.

والذي يظهر أن الشهادة قائمة على الأداء والإخبار، وهذا رأي ابن عطية، وابن عاشور، أما الأصفهاني فقد اشترط الحضور دون الأداء. أما الشهادة عند علماء العقيدة والفقهاء، فيمكن الرجوع إلى المظانها^(١)

المطلب الثاني: إطلاقات الشهادة في القرآن الكريم

وردت لفظة (شهد) وما اشتق منها (مائة وستون) مرة، في مائة وإحدى وعشرين آية، في ثمانية وأربعين سورة من سور القرآن الكريم. فوردت بلفظ (شاهد) ستة وثلاثين مرة، ولفظ (شهد) ثمان عشرة مرة، ولفظ (شهادة) خمسة وعشرين مرة، ولفظ (يشهد) اثنتين وعشرين مرة، ولفظ (شهودا) ثلاث مرات، ولفظ (شاهد) ست عشرة مرة، ولفظ (شهداء) عشرون مرة، ولفظ (أشهدوا) أربع عشرة مرة، ولفظ (مشهود) أربع مرات، ولفظ (الأشهاد) مرتين^(٢).

وحيث وردت كلمة (شهد) بسياقات مختلفة في القرآن وأُخبر بها عن مختلفين؛ فسأذكر المعاني التي وردت فيها مع ذكر بعض الآيات، مع التنويه إلى أن المفسرين اختلفوا في بعض الآيات، وكان ذلك اختلاف تنوع في التفسير.

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الحنفي: ٤٩٢/٢. وانظر: شرح فتح القدير لابن الهمام: ٣٦٤ / ٧، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، للحطاب: ١٥١/٦، ومختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية للسلمان: ١٠٠/١، كشاف القناع عن متن الإقناع للحنبلي: ٤٠٤/٦.

(٢) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي (ص: ٣٨٨).

أولاً: (شَهِدَ) أُخْبِرَ بِهَا عَنِ النَّبِيِّ الْمُبَلِّغِ، وَذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ عَدِيدَةٍ، مِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٤١). قَالَ الْبَغَوِيُّ (ت: ٥١٦هـ): أَي: يَشْهَدُ عَلَى جَمِيعِ الْأُمَّةِ عَلَى مَنْ رَأَاهُ وَمَنْ لَمْ يَرَهُ^(١)، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ (النحل: ٨٤) .

ثانياً: (شَهِدَ) أُخْبِرَ بِهَا عَنِ الْمَلِكِ الْحَافِظِ، وَذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ عَدِيدَةٍ، مِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ (الزمر: ٦٩)، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ (ت: ٧٧٤هـ): الشُّهَدَاءُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْحَفِظَةِ عَلَى أَعْمَالِ الْعِبَادِ مِنْ حَيْرٍ وَشَرٍّ^(٢) .
ثالثاً: (شَهِدَ) أُخْبِرَ بِهَا عَنِ الشَّاهِدِ الَّذِي يُخْبِرُ بِالْحَقِّ عَلَى الْمَشْهُودِ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ عَدِيدَةٍ، مِنْهَا:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ (البقرة: ٢٨٢)، وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا﴾، قَالَ النَّسْفِيُّ (ت: ٧١٠هـ):

وَاطْلُبُوا أَنْ يَشْهَدَ لَكُمْ شَهِيدَانِ عَلَى الدِّينِ^(٣)، (فَأَمَرَ بِالْإِشْهَادِ مَعَ الْكِتَابَةِ لَزِيَادَةِ التَّوْتِيقَةِ، وَالْإِشْهَادِ إِنَّمَا جَعَلَ لِلطَّمَأْنِينَةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ لِتَوْثِيقِ الدِّينِ طَرِيقًا مِنْهَا الْكِتَابَ، وَمِنْهَا الرَّهْنَ، وَمِنْهَا الْإِشْهَادُ)^(٤)، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ (الطلاق: ٢)، وَمِنْهُ قَوْلُهُ:

(١) معالم التنزيل للبغوي: ١/٦٢٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٧/١١٨.

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١/٢٢٨.

(٤) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي: ١/١٨٧ .

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣)، ونظيرها قوله: ﴿وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (الحج: ٧٨).

رابعاً: (شَهِدَ) أُخْبِرَ بِهَا عَنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ، وذلك في مواضع عديدة، منها: قوله تعالى: ﴿فَأَكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (المائدة: ٨٣)، ذكر السيوطي (ت: ٩١١هـ): أنهم يعنون بالشاهدين هم مُحَمَّدًا ﷺ وأُمَّةٌ أَنَّهُمْ قَدْ شَهِدُوا لَهُ أَنَّهُ بَلَّغَ وَشَهِدُوا لِلْمُرْسَلِينَ أَنَّهُمْ قَدْ بَلَّغُوا^(١).

خامساً: (شَهِدَ) أُخْبِرَ بِهَا عَنِ الْقَتِيلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وذلك في مواضع عديدة، منها: قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ (النساء: ٦٩)، قال الطبري (ت: ٣١٠هـ): والشهداء وهم جمع شهيد، وهو المقتول في سبيل الله؛ سمي بذلك لقيامه بشهادة الحق في جنب الله حتى قتل، وقال به القرطبي (ت: ٦٧١هـ)^(٢)، ومنه قوله: ﴿وَجَاءَءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ (الزمر: ٦٩)، ومنه قوله: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (الحديد: ١٩).

(١) الدر المنثور: ١٣٩/٣.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٥٣٢/٨، والجامع لأحكام القرآن: ٢٧٢/٥.

سادساً: (شَهَدَ) أُخْبِرَ بِهَا عَنِ الْحُكْمِ، وَذَلِكَ نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ (يوسف: ٢٦)، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): فَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا، أَي: حَكَمَ حَاكِمٌ مِّنْ أَهْلِهَا، لِأَنَّهُ حَكَمَ مِنْهُ وَلَيْسَ شَهَادَةً^(١).

سابعاً: (شَهَدَ) أُخْبِرَ بِهَا عَنِ الْحَضُورِ، وَذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ عَدِيدَةٍ، مِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (البقرة: ١٨٥)، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): شَهِدَ بِمَعْنَى حَضَرَ^(٢)، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَدَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ٢)، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿وَيَبَيِّنَ شُهُودًا﴾ (المدثر: ١٣).

ثامناً: (شَهَدَ) أُخْبِرَ بِهَا عَنِ الْإِقْرَارِ، وَذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ عَدِيدَةٍ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَيَّ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ (الأعراف: ٣٧)، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): أَقْرَأُوا بِالْكَفْرِ عَلَى أَنفُسِهِمْ^(٣)، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ﴾ (التوبة: ١٧).

تاسعاً: (شَهَدَ) أُخْبِرَ بِهَا عَنِ الْحَلْفِ وَالْيَمِينِ، وَذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ عَدِيدَةٍ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَتَيْهِمَا وَمَا أَعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة: ١٠٧)، قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): الْمُرَادُ بِالشَّهَادَةِ هُنَا الْيَمِينُ، وَسُمِّيَتْ الْيَمِينُ شَهَادَةً، لِأَنَّهَا كَالشَّهَادَةِ عَلَى مَا يَحْلِفُ عَلَيْهِ أَنَّهُ

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٧٢/٩.

(٢) المصدر السابق: ٢٩٩/٢.

(٣) المصدر السابق: ٢٠٤/٧.

كذلك^(١)، ومنه قوله: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ (المنافقون: ١).

عاشراً: (شَهِدَ) أُخْبِرَ بِهَا عَنِ التَّصْدِيقِ وَالتَّسْلِيمِ، وَذَلِكَ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ (الأنعام: ١٥٠)، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): وَلَا تَصَدِّقْ أَدَاءَ الشَّهَادَةِ إِلَّا مِنْ كِتَابٍ أَوْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّ وَليْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَبِهِ قَالَ النَّسْفِيُّ (ت: ٧١٠هـ)^(٢).

الحادي عشر: (شَهِدَ) أُخْبِرَ بِهَا عَنِ الْخَبْرِ الْقَاطِعِ، وَذَلِكَ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ (آل عمران: ١٨)، قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ (ت: ٧٥١هـ): شَهِدَ: أَعْلَمَ وَأُخْبِرَ^(٣).

الثاني عشر: (شَهِدَ) أُخْبِرَ بِهَا عَنِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَذَلِكَ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ (هود: ١٠٣)، قَالَ الطَّبْرِيُّ (ت: ٣١٠هـ): وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ تَشْهَدُهُ الْخَلَائِقُ، لَا يَتَخَلَّفُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَيَنْتَقِمُ حِينَئِذٍ مَنْ عَصَى اللَّهَ وَخَالَفَ أَمْرَهُ وَكَذَّبَ رُسُلَهُ^(٤).

الثالث عشر: (شَهِدَ) أُخْبِرَ بِهَا عَنِ الشَّرِيكِ وَهُوَ الصَّنَمُ أَوْ الْوَتْنُ، وَذَلِكَ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة:

(١) زاد المسير في علم التفسير: ٥٩٩/١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٣٠/٧، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٥٤٧/١.

(٣) تفسير القرآن الكريم، (ص: ١٧٧).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٤٧٧/١٥.

المبحث الثاني: آيات الشهادة في القرآن الكريم ودلالاتها على الإثبات،
وفيه مطلبان:

المطلب الأول: شهادة الله وملائكته وأنبيائه ورسوله، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: شهادة الله عزوجل: وردت آيات كثيرة في القرآن تُبين أنّ الشهادة من صفات الله ﷻ، حيث سُمي الله نفسه شهيداً في عدة مواضع، منها: قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٣٣)، قال الطبري (ت: ٣١٠هـ): فإن الله شاهد على ما تفعلون من ذلك، وعلى غيره من أفعالكم،.... ومعنى قوله: "شهِيداً": ذو شهادة على ذلك^(١)، ومنها قوله:

﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت: ٥٣)، ومنها قوله:

﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المجادلة: ٦)، ومنها قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ

إِلَّا هُوَ﴾ (آل عمران: ١٨)، وهي أجل الشهادات حيث إنها صادرة من الملك عزوجل ومن الملائكة وأهل العلم على توحيد الله سبحانه.

واختلف المفسرون في المراد بـ (شهد) هنا على أقوال:

القول الأول: قضى الله أنه لا إله إلا هو^(٢). القول الثاني: بين أنه لا معبود

حقيقيّ سواه^(٣). القول الثالث: أعلم وأخبر^(٤).

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٨٩/٨.

(٢) النكت والعيون للماوردي: ٣٧٩/١.

(٣) محاسن التأويل للقاسمي: ٢٩٥/٢.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٤٢/٤.

ومن تأمل هذه الأقوال يجد أن الآية تحتل هذه الأقوال جميعاً؛ قال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ): وهذه الأقوال كلها حق، لا تنافي بينها؛ فإن الشهادة تتضمن كلام الشاهد وخبره وقوله، وتتضمن إعلامه وإخباره وبيانه^(١).

ومعنى شهادة الله سبحانه يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون معناها الإخبار بذلك، تأكيداً للخبر بالمشاهدة، كإخبار الشاهد بما شاهد؛ لأنه أوكد للخبر.

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ): شهد الله تعالى وكفى به شهيداً، وهو أصدق الشاهدين وأعدلهم، وأصدق القائلين:

﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: المتفرد بالإلهية لجميع الخلائق، وأن الجميع عبده وخلقه والفقراء إليه، وهو الغني عما سواه^(٢).

والثاني: أنه أحدث من أفعاله المشاهدة ما قامت مقام الشهادة بأن لا إله إلا هو^(٣)، فشهادة الله تحقيقه ووحدانيته بالدلائل التي نصبها على ذلك^(٤).

والذي يظهر - والله أعلم - أنه ليس هناك تعارض بين هذه الأقوال؛ حيث إن للشهادة مراتب متعددة، فعبر بعض المفسرين عن الشهادة ببعض مراتبها، وعبر آخرون بمراتب أخرى كما سيتضح في مراتب الشهادة.

(١) تفسير القرآن الكريم، لابن القيم، (ص: ١٧٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٢٤/٢.

(٣) النكت والعيون للماوري: ٣٧٩/١.

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور: ١٨٦/٣.

المسألة الثانية: شهادة الملائكة: بيّنت النصوص من الكتاب والسنة على أن الملائكة يشهدون . وقد ثبتت شهادتهم لله سبحانه بالتوحيد في قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ (آل عمران: ١٨)، والمراد بشهادتهم لله بالتوحيد أي: اعترافهم بما شاهدوه من دلائل وحدانيته وإقرارهم بذلك، قال الماوردي (ت: ٤٥٠هـ): فأما شهادة الملائكة وأولي العلم، فهي اعترافهم بما شاهدوه من دلائل وحدانيته، وقال الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ): وشهادتهم: إقرارهم بأنه لا إله إلا الله، وقال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ): وشهادة الملائكة تحقيقهم ذلك فيما بينهم، وتبليغ بعضهم ذلك إلى الرسل. وتشهد الملائكة على ما أنزل الله سبحانه على رسوله ﷺ وهو القرآن، كما أنها أثبتت شهادة الله عزّوجل على ذلك، قال سبحانه: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (النساء: ١٦٦)، قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ): بصدق ما جاءك وأوحى إليك وأنزل عليك، مع شهادة الله تعالى لك بذلك، وقال السعدي (ت: ١٣٧٦هـ): أخبر عن رسالة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وأخبر برسالة خاتمهم محمد، وشهد بها وشهدت ملائكته.

ويظهر مما سبق أن الملائكة تشهد بأن القرآن منزل من عند الله ﷻ على الرسول ﷺ، وشهادتهم بصدق النبي عليه الصلاة والسلام، والاعتراف والإقرار بوحدانية الله (١).

المسألة الثالثة: شهادة الأنبياء والرسل: وفي هذه المسألة ثلاثة أمور:

الأول: شهادة الأنبياء والرسل: فقد وردت في كتاب الله آيات تبين شهادة الأنبياء والرسل، منها: قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٤١)، مع أنه سبحانه يعلم الغيب وأخفى، ولكن يجعل شهادة الأنبياء على أممهم قطعاً لحجة الكافرين، قال السعدي (ت: ١٣٧٦هـ): أي كيف تكون تلك الأحوال، وكيف يكون ذلك الحكم العظيم الذي جمع أن من حكم به كامل العلم، كامل العدل، كامل الحكمة بشهادة أركى الخلق وهم الرسل على أممهم مع إقرار المحكوم عليه؟ فهذا الحكم الذي هو أعم الأحكام وأعدلها وأعظمها (٢). واختلف المفسرون في شهادة الأنبياء على أممهم في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾: تكون على ماذا؟ في عدة أقوال: القول الأول: أن يشهد على كل

(١) النكت والعيون: ٣٧٩/١، فتح القدير: ٣٧٣/١، التحرير والتنوير لابن عاشور: ١٨٨٦/٤، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤٧٦/٢، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، (ص: ٢١٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، (ص: ١٧٩).

أمته بأنه بلغها ما تقوم به الحجة عليها^(١). القول الثاني: أن يشهد عليها بعملها^(٢). القول الثالث: نبي الأمة يشهد عليهم بإيمانهم^(٣).
القول الرابع: يشهدون لهم وعليهم^(٤).

وبالنظر في هذه الأقوال لا نجد تعارضاً، وإنما هو تنوع في الأقوال، فشهادة الأنبياء بالتبليغ جزء من الشهادة، ويشهدون على أقوامهم بالعمل والإيمان؛ ومحصلة الشهادة أنهم يشهدون لهؤلاء الأقوام إذا كانوا متبعين لهم، أو يشهدون عليهم إذا كانوا مكذابين لهم.

ومنها قوله: ﴿وَيَوْمَ نَبَعَثَ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ (النحل: ٨٤)، فقد ذكر المفسرون أن المراد بالشهيد هنا الأنبياء، فيشهدون على أقوامهم بما فعلوا من خير أو شر، قال الطبري (ت: ٣١٠هـ): وهو الشاهد عليها بما أجابت داعي الله، وهو رسوله الذي أرسل إليهم، وقال به الواحدي (ت: ٤٦٨هـ)، وابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)^(٥).

الثاني: شهادة عيسى عليه السلام: الآيات السابقة في شهادة الأنبياء على أممهم يدخل فيها عيسى عليه السلام؛ وجاءت آيات خاصة تدل على شهادة عيسى

(١) النكت والعيون للماوردي: ٤٨٨/١.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري: ٣٦٨/٨.

(٣) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي: ٤٠٧/١.

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي، (ص: ٢٦٥).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٧٤/١٧، والتفسير البسيط ١٦٥١/١٣، وتفسير

القرآن العظيم: ٥٩٢/٤.

عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ، منها قوله: ﴿وَمِن مَّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَتَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (النساء: ١٥٩)، قال الطبري (ت: ٣١٠هـ): ويوم القيامة يكون عيسى على أهل الكتاب "شهيذاً"، أي: شاهداً عليهم بتكذيب من كذبه منهم، وتصديق من صدقه منهم، فيما أتاهم به من عند الله، وبإبلاغه رسالة ربه^(١)، وقال البغوي (ت: ٥١٦هـ): شهيداً أنه قد بلغهم رسالة ربه، وأقر بالعبودية على نفسه^(٢)، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ (المائدة: ١١٧).

فلا نجد تعارضاً بين الأقوال؛ فشهادة عيسى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتبليغ والإقرار بالعبودية جزء من الشهادة، ويشهد على قومه بالتبليغ، ومحصلة الشهادة أنه يشهد لهؤلاء القوم إذا كانوا متبعين له، أو يشهدون عليهم إذا كانوا مكذبين له.

الثالث: شهادة محمد عليه الصلاة والسلام: الآيات السابقة في شهادة الأنبياء على أممهم يدخل فيها النبي محمد عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وجاءت آيات خاصة تدل على شهادة النبي عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، منها: قوله: ﴿يَتَّبِعُنَا أَنبِيَاءَ وَإِنَّا لَأَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۖ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٥-٤٦)، قال الطبري (ت: ٣١٠هـ): شاهداً على أمتك بإبلاغك إياهم ما أرسلناك به من الرسالة، ومبشرهم بالجنة إن صدقوك وعملوا

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٣٩٠/٩.

(٢) معالم التنزيل: ٧٢٠/١.

بما جئتهم به من عند ربك، وبه قال القرطبي (ت: ٦٧١ هـ)^(١)، ومنها قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الفتح: ٨)، قال ابن عطية (ت: ٥٤٢ هـ): "شاهداً على الناس بأعمالهم وأقوالهم حين بلغت إليهم الشرع"^(٢)، وقال الماوردي (ت: ٤٥٠ هـ): فيه ثلاثة أوجه: أحدها: شاهداً على أمتك بالبلاغ، والثاني: شاهداً على أمتك بأعمالهم من طاعة أو معصية، والثالث: مبيناً ما أرسلناك به إليهم^(٣).

فالآيات السابقة ذكرت عدداً من أوصاف النبي ﷺ، وأول صفة ابتدأت بها تلك الآيتان هي الشهادة. ووصف النبي ﷺ بـ "الشهيد" كما في قوله: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣). ونقل السيوطي (ت: ٩١١ هـ) عن ابن جرير قوله: "ويكون الرسول عليكم شهيداً بما عملتم"^(٤). ومثله قوله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٤١)، وكذلك قوله: ﴿وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ (الحج: ٧٨).

فمما سبق من الآيات يظهر أن شهادة النبي ﷺ تكون إما خاصة على أمته دون سائر الأمم، وإما أن تكون شهادة عامة؛ فالشهادة الخاصة هي شهادته على أمته، إما أنه يشهد بتبليغهم الرسالة، وإما أنه يشهد عليهم بأعمالهم وأقوالهم، أو ببيان ما أرسل به إليهم. ومنه حديث النبي ﷺ: "وَأَنْتُمْ

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٠/٢٨١، والجامع لأحكام القرآن: ١٤/٢٠٠.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٥/١٢٨.

(٣) النكت والعيون: ٥/٣١٢.

(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ١/٣٤٩.

تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُثُهَا إِلَى النَّاسِ "اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ"^(١). وأما الشهادة العامة فهي شهادته على سائر الأمم بأن رسل الله إليهم بلغوهم، فقد ثبت في الحديث الصحيح: "يَدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولَ عَلَيْهِكُمْ شَهِيدًا﴾"^(٢).

(١) (رواه مسلم، كتاب: الحج، باب: حجة النبي ﷺ، ح (١٢١٨)، (٢/٨٨٦).

(٢) (رواه البخاري، كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)،

ح (٤٤٨٧)، (٦/٢١).

المطلب الثاني: شهادة عموم الخلق

أولاً: شهادة أمة محمد ﷺ: اختص الله ﷻ هذه الأمة - كما اختص

رسولها ﷺ - بخصائص ميّزتها عن غيرها

من الأمم، فمن أهم هذه الخصائص أنها خير الأمم وأعدلها عند الله، قال

تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (البقرة: ١٤٣).

ومن المعاني الواردة في تفسير قوله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ ما يلي:

- لتشهدوا على أهل الكتاب بتبليغ الرسول إليهم رسالة ربهم.

- لتشهدوا على الأمم السالفة بتبليغ أنبيائهم إليهم رسالة ربهم^(١).

- لتكونوا مُحْتَجِّينَ على الأمم كلها، فعبر عن الاحتجاج بالشهادة^(٢).

- لتشهدوا على من يترك الحق من الناس أجمعين^(٣).

ولا اختلاف بين تلك الأقوال إذ إنهم يشهدون على جميع الأمم ومنهم أهل

الكتاب.

ثانياً: شهادة أهل الكتاب: وردت آيات تدل على شهادة أهل الكتاب

- اليهود والنصارى - منها: قوله: ﴿ثُمَّ أَفْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ﴾ (البقرة: ٨٤)،

(يقول تعالى منكرًا على اليهود الذين كانوا في زمن الرسول ﷺ بالمدينة، وما

كانوا يُعانونه من القتال مع الأوس والخزرج؛ وذلك أن الأوس والخزرج، وهم

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية: ٢١٩/١.

(٢) النكت والعيون للماوردي: ١٩٩/١.

(٣) معالم التنزيل للبغوي: ١٧٥/١.

الأنصار، كانوا في الجاهلية عبّاد أصنام، وكانت بينهم حروب كثيرة، وكانت يهود المدينة ثلاث قبائل: بني قينقاع، وبني النضير حلفاء الخرج، وبني قريظة حلفاء الأوس، فكانت الحرب إذا نشبت بينهم قاتل كل فريق مع حلفائه، فيقتل اليهودي أعدائه، وقد يقتل اليهودي الآخر من الفريق الآخر، وذلك حرام عليهم في دينه ونصّ كتابه، ويخرجونهم من بيوتهم وينهبون ما فيها من الأثاث والأمتعة والأموال، ثم إذا وضعت الحرب أوزارها استفكوا الأسارى من الفريق المغلوب، عملاً بحكم التوراة، فقوله: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ (أي: ثم أقررتم بمعرفة هذا الميثاق وصحّته وأنتم تشهدون به)^(١).

ومنها قوله: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَلْعَسِي ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (المائدة: ١١٢-١١٣)، أخبر الحواريون أنهم ليس مقصودهما الإيمان على ملازمة التقوى، والانقياد لأمر الله، وإنما لهم مقاصد أخرى، ولأجل الحاجة إلى ذلك ﴿قَالُوا لُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا﴾؛ وهذا دليل على أنهم محتاجون لها، ﴿وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ بالإيمان حين نرى الآيات العيانية، فيكون الإيمان عين اليقين، كما كان قبل ذلك علم اليقين، كما سأل الخليل عليه الصلاة والسلام ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ﴿قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ قَالِ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ (البقرة: ٢٦٠) فالعبد محتاج إلى زيادة العلم واليقين والإيمان كل وقت، ولهذا قال: ﴿وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ (أي:

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٣١٩/١.

نعلم صدق ما جئت به؛ أنه حق وصدق، ﴿وَتَكُونُ عَلَيْهِمَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ فتكون مصلحة لمن بعدنا، نشهدها لك؛ فتقوم الحجة، ويحصل زيادة البرهان بذلك^(١). فالحواريون علّقوا تصديقهم ببعسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- على نزول هذه الآية التي طلبوها، وأخبروا أنهم سيشهدون لبعسى بالصدق متى نزلت هذه الآية، فأنزله الله ﷺ على القول الصحيح^(٢).

ثالثاً: شهادة الأرض على العباد يوم القيامة: ورد موضع واحد في القرآن يفيد شهادة المكان على العبد من خير أو شر، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَذُكَّرُ عَنْ أَجْرِكُمْ لِأَنَّكُمْ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾. قال ابن عطية (ت: ٥٤٢هـ): في قوله: ﴿يَذُكَّرُ﴾ والصدر هو القيام للبعث، وأشتاتاً معناه: قوم مؤمنون وقوم كافرون، وقوم عصاة مؤمنون، والكل سائر إلى العرض ليرى عمله، ويقف عليه^(٣). وقد ورد في السنة ما يدل على تلك الشهادة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿يَوْمَ يَذُكَّرُ عَنْ أَجْرِكُمْ لِأَنَّكُمْ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾ قال: "أتدرون ما أخبرها؟" قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "فإن أخبرها أن تشهد على كلِّ عبدٍ أو أمةٍ بما عمِلَ على ظهرها أن تقول: عمِلَ كَذَا وَكَذَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا"، قال: فهذه أخبرها^(٤).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، (ص: ٢٤٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٢٢٦ / ٣.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٥١١ / ٥.

(٤) رواه الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة إذا زلزلت الأرض، ح (٣٣٥٣)،

(٥) (٤٤٦/٥)، وقال: "هذا حديث حسن غريب صحيح. وابن حبان في صحيحه، كتاب:

وقد اختلف المفسرون في المراد بهذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ نُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ على عدة أقوال: قال الطبري(ت: ٣١٠هـ): (يومئذ تحدث الأرض أخبارها)، وتحديثها أخبارها أن تتكلم فتقول: إن الله أمرني بهذا، وأوحى إليّ به، وأذن لي فيه^(١)، وقال الماوردي(ت: ٤٥٠هـ): تحدث أخبارها بأعمال العباد على ظهرها، وهذا قول من زعم أنها زلزلة القيامة، وقيل: تحدث بقيام الساعة إذا قال الإنسان ما لها، فتخبر بأن أمر الدنيا قد انقضى، وأن أمر الآخرة قد أتى، فيكون ذلك منها جواباً عند سؤالهم، وعيداً للكافر وإنذاراً للمؤمن^(٢)، فهذا القول لا يلزم أن يكون تحديثها بأخبارها شهادتها على العباد بما عملوا، إنما تخاطب الإنسان بعد قيامه من قبره وسؤاله عما حدث للأرض من الزلزلة، وقال القرطبي(ت: ٦٧١هـ): أي تخبر الأرض بما عمل عليها من خير أو شر، ثم قيل: هو من قول الله ﷻ، وقيل: من قول الإنسان أي: يقول الإنسان ما لها تحدث أخبارها، متعجباً^(٣).

والذي يظهر-والله أعلم-أنه من قول الله ﷻ وذلك من خلال سياق الآيات؛ ولأن الله أسند القول للإنسان في الاستفهام حين قال سبحانه: ﴿وَقَالَ

إخباره ﷻ عن مناقب الصحابة، باب: إخباره ﷻ عن البعث، ح(٧٣٦٠)،

(٣٦٠/١٦)، قال الألباني: صحيح.

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٥٤٨ / ٢٤.

(٢) النكت والعيون: ٣١٩/٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٤٩/٢٠.

الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ (الزلزلة: ٣). وهذا - والله أعلم - هو القول الراجح بأنها تشهد على العباد بما عملوا، وذلك لعدد من الأدلة منها:

شهادتها للمؤذن يوم القيامة: فعن عبدالرحمن بن عبدالله الأنصاري، عن أبيه، أنه أخبره أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال له: "...، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ، أَوْ بِأَدْيَيْكَ، فَأَذَّنْتَ بِالصَّلَاةِ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ حِنًَّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم"^(١)، قال ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ): المراد من هذه الشهادة اشتهاار المشهود له يوم القيامة بالفضل وعلو الدرجة، وكما أن الله يفضح بالشهادة قوماً فكذلك يكرم بالشهادة آخرين^(٢)، ومن ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: "الْمُؤَذِّنُ يُعْفَرُ لَهُ بِمَدِّ صَوْتِهِ، وَيَشْهَدُ لَهُ كُلُّ رَطْبٍ وَيَأْبِسُ"^(٣) فقلوه: "كل رطب ويابس": يدل على أن الجمادات، سواء كانت رطبة أو يابسة، فإن لها سماعاً في الدنيا وشهادة في الآخرة^(٤)، فدل ذلك على صحة أشياء مختلف في بعضها، منها إدراك الجمادات ونطقها. وقد أثبت ذلك جمهور السلف، سواء كانت رطبة أو يابسة، كما دل عليه قوله: ﴿يَجِبَالٌ

(١) رواه البخاري، كتاب: الأذان، باب: رفع الصوت بالنداء، ح(٦٠٩)، (١/١٢٥).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٨٩/٢.

(٣) رواه النسائي، باب: رفع الصوت بالأذان، ح (٦٤٥)، (١٢/٢)، قال الألباني: صحيح،

انظر: صحيح وضعيف النسائي للألباني ٢٨٩/٢.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري لا بن رجب: ٢٢٧/٥.

أَوَّيَّ مَعَهُ ﴿سبأ: ١٠﴾، وقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ (الإسراء: ٤٤)،
فهذه الأحاديث تثبت شهادة الأرض يوم القيامة.

ومنها شهادة الشجرة للنبي ﷺ بالرسالة: فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كُنَّا
مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: إِلَى أَهْلِي، قَالَ: هَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ؟ قَالَ: وَمَا هُوَ، قَالَ: تَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَقَالَ: وَمَنْ يَشْهَدُ
عَلَيَّ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: هَذِهِ السَّلْمَةُ^(١)، فَدَعَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهِيَ بِشَاطِئِ
الْوَادِي، فَأَقْبَلَتْ نُحْدُ الْأَرْضِ حَدًّا حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاسْتَشْهَدَهَا ثَلَاثًا،
فَشْهَدَتْ ثَلَاثًا أَنَّهُ كَمَا قَالَ...^(٢). وهذا الحديث يثبت شهادة الشجرة للنبي
ﷺ في الدنيا، وهي من معجزاته ﷺ، فمن باب أولى في الآخرة لأن الآخرة؛
أعظم أهوالاً من الدنيا، فيثبت ما هو زيادة فلا مجال لإنكار شهادة الجمادات
في الآخرة.

ومنها شهادة الحجر الأسود لمن استلمه بحق: ففي الحديث الذي رواه
ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ مِنَ الْجَنَّةِ"^(٣)، فهذا الحجر

(١) السلمة: شجرة. انظر: غريب الحديث لابن قتيبة: ٦٩٤/٣.

(٢) مسند الدارمي، كتاب: علامات النبوة، باب: ما أكرم الله به نبيه ﷺ من إيمان الشجر به
والبهائم والجن، ح(١٦)، (١/٥٠)، يرويه عن ابن عمر، قال الدارمي: حديث صحيح،
وفي صحيح ابن حبان، ح (٦٥٠٥)، (٤٣٤/١٤)، روي بلفظ: (هذه السمرة)، قال
الألباني: صحيح.

(٣) السنن الصغرى للنسائي، كتاب: مناسك الحج، باب: ذكر الحجر الأسود، ح(٢٩٣٥)،

الأسود يشهد على الإنسان يوم القيامة، فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "إن لهذا الحجر لساناً وشفتين، يشهد لمن استلمه يوم القيامة بحق"^(١).

وفي لفظ آخر لابن عباس رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَجَرِ: "وَاللَّهِ لَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ، يَشْهَدُ عَلَى مَنْ اسْتَلَمَهُ بِحَقِّ"^(٢)، وفي رواية "لَيَأْتِيَنَّ هَذَا الْحَجَرُ..."^(٣).

وقوله: "على من يستلمه بحق" أي: ملتبساً بحق، وهو دين الإسلام، واستلامه بحق هو طاعة الله واتباع سنة نبيه ﷺ، لا تعظيم الحجر نفسه.

(٢٢٦/٥)، قال الألباني: صحيح، ورواه الترمذي بإضافة (نزل) في أبواب: الحج، باب:

فضل الحجر الأسود، ح(٨٧٧)، (٢١٧/٣)، وقال: حسن صحيح.

(١) صحيح ابن خزيمة، كتاب: المناسك، باب: ذكر الدليل على أن النبي ﷺ إنما أراد بذكره الركن في هذا الخبر، ح (٢٧٣٦)، (٢٢١/٤)، قال الألباني: إسناده صحيح، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب: الحج، باب: فضل مكة، ح (٣٧١١)، (٢٥/٩)، قال الألباني: صحيح.

(٢) رواه الترمذي، كتاب: أبواب الحج، باب: ما جاء في الحجر الأسود، ح (٩٦١)، (٢٨٥/٣)، وقال: هذا حديث حسن، ورواه ابن ماجه بلفظ: "لَيَأْتِيَنَّ هَذَا الْحَجَرُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ عَيْنَانِ... الخ"، باب استلام الحجر، ح (٢٩٤٤)، (٩٨٢/٢). قال الألباني: صحيح.

(٣) رواه ابن ماجه، كتاب: المناسك، باب: استلام الحجر، برقم (٢٩٤٤)، (٩٨٢/٢)، وهو في "صحيح ابن حبان"، كتاب: الحج، باب: فضل مكة، ح (٣٧١١)، (٢٥/٩). قال الألباني: صحيح.

والشهادة عليه هي الشهادة على أدائه حق الله المتعلق به، قال المباركفوري (ت: ١٣٥٣هـ): (والحديث محمول على ظاهره، فإن الله تعالى قادر على إيجاد البصر والنطق في الجمادات؛ فإن الأجسام متشابهة في الحقيقة، يقبل كل منهما ما يقبل الآخر من الأعراض، ويؤوله الذين في قلوبهم زيغ التفلسف، ويقولون: إن ذلك كناية عن تحقيق ثواب المستلم، وأن سعيه لا يضيع)^(١). فهذه الأحاديث تثبت شهادة الحجر الأسود لمن استلمه بحق.

فالأصح إثبات شهادة الحجر الأسود، ومن تأول الأحاديث فليس له حجة؛ حيث ورد في الحديث السابق قوله: "له عينان يبصر بهما"، وهذا وصف لأحياء لا مجال فيه للإنكار ولا للتأويل، حيث إن من ينكرها فهو ينكر نصاً معصوماً.

(١) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي: ٣١/٤.

المبحث الثالث: إقامة الحجّة على العباد يوم القيامة، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: إقامة الحجّة بكتابة الأعمال والشهادة عليها، وفيه مسألتان:
المسألة الأولى: إقامة الحجّة بكتابة الأعمال، وفيها أمران:

الأول: كتابة الأعمال إلى الله عزوجل: وردت آيات بإسناد كتابة أعمال العبد إلى الله ﷻ في عدة مواضع، منها: قوله: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَكْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ (آل عمران: ١٨١)، قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ): أي نأمر الحفظة بإثبات قولهم حتى يقرأوه يوم القيامة في كتبهم التي يؤتونها، حتى يكون أوكّد للحجّة عليهم، وقال به الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)^(١). وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ﴾ (النساء: ٨١)، قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ): يعلمه ويكتبه عليهم بما يأمر به حفظته الكاتبين، الذين هم موكلون بالعباد^(٢)، وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾ (يس: ١٢)، قال الماوردي (ت: ٤٥٠هـ): نكتب ما قدموا و ما عملوا من خير أو شر، وآثارهم: ما أثروا من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها بعدهم، وقال به الألويسي (ت: ١٢٧٠هـ)^(٣). وعن ابن عباس (ت: ٦٨هـ) رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ..."^(٤)، قال ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ): ومعنى

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢٩٤/٤، فتح القدير للشوكاني: ٤٦٥/١.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٣٦٤/٢.

(٣) النكت والعيون: ٩/٥، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٣٩٠/١١.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: من همّ بحسنة أو بسيئة، ح (٦٤٩١)،

(١٠٣/٨)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: إذا همّ العبد بحسنة كتبت، ح (١٣١)،

قوله كتبها الله: أمر الحفظة بكتابتها؛ بدليل حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " يَقُولُ اللَّهُ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمَلَهَا فَانْكُتُبُوهَا بِمِثْلِهَا"^(١)، وفيه دليل على أَنَّ الملكيطع على ما في قلب الآدمي، إمَّا باطلاع الله إيَّاه أو بأن يخلق له علماً يدرك به ذلك^(٢).

الأمر الثاني: كتابة الملائكة للأعمال: وردت آيات تدل على أنه سبحانه قد أوكل كتابة الأعمال إلى الملائكة الحافظين، ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كَرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَعْمَلُونَ﴾ (الانفطار: ١٠-١٢)، قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ): وإن عليكم لملائكة حفظة كراماً فلا تقابلوهم بالقبائح، فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم^(٣). وقوله: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمَكَّرُونَ﴾ (يونس: ٢١)، قال السعدي (ت: ١٣٧٦هـ): تكتب الملائكة عليهم ما يعملون، ويحصيه الله عليهم، ثم يجازيهم الله عليه أوفر الجزاء^(٤)، وقوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ (الزخرف: ٨٠)، قال الطبري (ت: ٣١٠هـ): يقول تعالى ذكره: بل نحن نعلم ما تناجوا به بينهم،

٠(١١٨/١)

(١) رواه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: "يريدون أن يبدلوا كلام الله" ح

٠(١٤٤/٩)، (٧٥٠١)

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر: ٣٢٥/١١.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٣٤٤/٨.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص: ٣٦١).

وأخفوه عن الناس من سرّ كلامهم، وحفظتنا لديهم، يعني عندهم يكتبون ما نطقوا به من منطق، وتكلموا به من كلامهم، وبه قال الشوكاني(ت): ١٢٥٠هـ^(١)، وقوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَى الْمُتَلَقِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿٧﴾ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: ١٧-١٨)، قالمجاهد(ت: ١٠٤هـ): ملك عن يمينه، وآخر عن يساره، فأما الذي عن يمينه فيكتب الخير، وأما الذي عن شماله فيكتب الشر^(٢)، فدلّت الآيات السابقة على أن الملائكة تكتب أعمال العباد، وأن الله ﷻ وكل بكل إنسان ملكين أحدهما لكتابة الحسنات، والآخر لكتابة السيئات.

المسألة الثانية: إقامة الحجة بالشهادة على الأعمال، وفيها أمران:

الأمر الأول: شهادة الله ﷻ: إنَّ شهادة الله ﷻ تتضمن شهادته على كل شيء، ومنها شهادته على أعمال العباد، حيث قال سبحانه: ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (المؤمنون: ٥١)، وقال: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٨٣). ومن الأدلة التي تثبت علمه سبحانه بأعمال العباد، قوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ (يونس: ٦١)، فالخطاب هنا للنبي ﷺ ولأمته، ما من شأن أو خطب سواء من عبادة أو غيرها إلا والرب مطلع عليها ويعلمها^(٣)، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٦٤٧/٢١، فتح القدير: ٦٤٨/٤.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري: ٣٤٤ / ٢٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٣٥٦/٨.

مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿المجادلة: ٧﴾، فيخبر سبحانه عن إحاطة علمه بخلقهِ وإطلاعه عليهم، وسماعه كلامهم، ورؤيته مكانهم حيث كانوا وأين كانوا^(١)، وشهادته سبحانه على أعمال عباده حيث قال: ﴿وَمَا نُزِيتِكَ بَعْضَ الَّذِي نَعَدُهُمْ أَوْ تُوفِّيَتِكَ فَإِليْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ (يونس: ٤٦)، قال الطبري (ت: ٣١٠هـ): يقول جل ثناؤه: ثم أنا شاهد على أفعالهم التي كانوا يفعلونها في الدنيا، وأنا عالم بها لا يخفى عليّ شيء منها، وأنا مجازيهم بها عند مصيرهم إليّ ومرجعهم، جزاءهم الذي يستحقونه.^(٢)

الأمر الثاني: شهادة الملائكة على الأعمال.

أ- شهادة الملائكة على العباد: في المبحث السابق ذكرنا كتابة الملائكة لأعمال العباد، وأن كل إنسان وكل الله له ملكين يكتبان أعماله، وسيجد كل إنسان ما عمل من خير أو شر في كتابه. وقد وردت نصوص من الكتاب والسنة على إثبات شهادة الملائكة على العباد يوم الحساب، كقوله: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالسُّعَدَاءِ وَالشُّهَدَاءِ﴾ (الزمر: ٦٩). وفي المراد بالشهداء أقوال: القول الأول: أنهم الذين يشهدون على الناس بأعمالهم^(٣).

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤١/٨.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٩٨/١٥.

(٣) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي: ٢٦/٤.

والقول الثاني: "الذين اسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ" ^(١). واختلف أصحاب القول الأول في المراد بالشهداء على أقوال:

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ): الشهداء من الملائكة الحفظة على أعمال العباد من خير أو شر ^(٢).

وقال ابن عطية (ت: ٥٤٢هـ): المراد أمة محمد الذين جعلهم الله شهداء على الناس ^(٣).

وقال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ): أنهم المرسلون من الأنبياء ^(٤).
وقال السعدي (ت: ١٣٧٦هـ): (وَالشُّهَدَاءِ) من الملائكة، والأعضاء والأرض ^(٥).

والراجح - والله أعلم - أنهم الشهداء من الملائكة والأعضاء والأرض، ويدل على ذلك قوله سبحانه: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (ق: ٢١)، فالضمير بينهم عائد إلى من في السموات ومن في الأرض، أي قُضي بين الناس بالحق.

فمما سبق يتضح لنا أن الملائكة يشهدون على العباد بما عملوا، سواء كانوا من الشهداء الذين يشهدون كما هو القول الأول، أو شهادة الحفظة

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢٨٣/١٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ١١٨/٧.

(٣) المحرر الوجيز: ٥٤٢/٤.

(٤) زاد المسير في علم التفسير: ٢٦/٤.

(٥) تفسير السعدي (ص: ٧٢٩).

خاصة. وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (غافر: ٥١)، قال الطبري (ت: ٣١٠هـ): يوم يقوم الأشهاد من الملائكة والأنبياء والمؤمنين على الأمم المكذبة رسلها بالشهادة بأن الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم، وأن الأمم كذبتهم^(١)، وقال مجاهد (ت: ١٠٤هـ): أنهم الملائكة شهدوا للأنبياء بالإبلاغ، وعلى الأمم بالتكذيب^(٢)، وقال مقاتل (ت: ١٥٠هـ): هم الحفظة من الملائكة^(٣)، ويبيّن ذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَحَكَ، فَقَالَ: "هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟" قَالَ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "مِنْ مُحَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّ تُجْرِنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُحِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُحَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُخْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أَنْاضِلُ"^(٤)، فقوله: "وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا" يدل على أن الملائكة من ضمن الشهداء على العباد. وقوله: ﴿وَجَلَّتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (ق: ٢١)، قال الطبري (ت: ٣١٠هـ): (سَائِقٌ وَشَهِيدٌ) قال: الملكان: كاتب، وشهيد^(٥)، وقال البغوي (ت: ٥١٦هـ):

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٤٠٢/٢١.

(٢) النكت والعيون للماوردى: ١٦٠/٥.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١٦/٣.

(٤) رواه مسلم، كتاب: الزهد والرقائق، باب: الزهد، ح (٢٩٦٩)، (٤/٢٢٨٠).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٣٤٨/٢٢.

جاءت ذلك اليوم، كل نفس معها سائق يسوقها إلى المحشر، وشهيد يشهد عليها بما عملت

وهو عمله، وقال به ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)^(١)، وقال الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ): السائق: ملك والشهيد: جوارح

الإنسان، قاله ابن عباس (ت: ٦٨هـ)، والضحاك (ت: ١٠٦هـ)، وتعقبه ابن عطية (ت: ٥٤٢هـ) بقوله: وهذا بعيد عن

ابن عباس (ت: ٦٨هـ)؛ لأن الجوارح إنما تشهد بالمعاصي^(٢).

والذي يظهر - والله أعلم - أن السائق ملك يسوقه، والشهيد ملك يشهد عليه؛ لأن سياق الآية يدل أن ذلك يكون يوم القيامة، فهذا يدل على أن الملائكة يشهدون على العباد يوم القيامة.

ب- شهادة الملائكة على كتاب الأبرار: قال تعالى:

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ

الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ (المطففين: ١٨-٢١)، فالأبرار هم: المؤمنون الصادقون في إيمانهم^(٣)، وقيل: هم المطيعون^(٤)، ولا تعارض بينهما فالمؤمنون الصادقون هم مطيعون لله سبحانه^(٥). وشهادة المقربين لهذا الكتاب، أي: يحضر المقربون من

(١) معالم التنزيل: ٢٧٣/٤، تفسير القرآن العظيم: ٤٠١/٧.

(٢) روح المعاني: ٣٣٤/١٣.

(٣) تفسير الجلالين: ٧٩٧/١.

(٤) فتح القدير للشوكاني: ٤٨٧/٥.

(٥) نظم الدرر في تناسب الآي والسور: ٣٢٥/٢١، مدارك التنزيل وحقائق التأويل:

الملائكة ذلك المكتوب، أو ذلك الكتاب إذا صعد به إلى عليين^(١)، والمقربون المذكورون هم الملائكة والنبيون، قال الطبري(ت: ٣١٠هـ): المقربون من ملائكته من كل سماء من السموات السبع، وقال به النسفي(ت: ٧١٠هـ)^(٢). فالشهادة تكون خاصة بالأبرار دون الفجار، كما بيّن سبحانه ذلك في سياق الآيات بقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾...﴾ (المطففين: ٧-١٧)، قال ابن القيم(ت: ٧٥١هـ): أخبر تعالى أن كتابهم مكتوب، تحقيقاً لكونه مكتوباً كتابة حقيقية، وخص تعالى كتاب الأبرار، أنه يكتب ويوقع لهم به بمشهد المقربين من الملائكة والنبيين سادات المؤمنين، ولم يذكر شهادة هؤلاء لكتاب الفجار، تنويها بكتاب الأبرار وما وقع لهم به، وإشهارا له وإظهارا لمكانتهم بين خواص خلقه، كما يكتب الملوك توقيع يعظمون بين الأمراء وخواص أهل المملكة، تنويها باسم المكتوب له، وإشهارا بذكره، وهذا نوع من صلاة الله ﷻ وملائكته على عبده^(٣). فهذه الشهادة تكون في الجنة من باب التكريم لهم، حيث تختلف عن الشهادة التي تكون في الحساب، إذ إن الشهادة وقت الحساب للمؤمن والفاجر، كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ

٦٦١٦/٣.

(١) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي: ٤١٦/٤.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٤/٢٩٤، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٦١٦/٣،

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٣٢٧/٢١.

(٣) تفسير القرآن الكريم "التفسير القيم"، (ص: ٥٦٥).

أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ (هود: ١٨)، والمراد بالأشهاد في هذه الآية: قال الطبري (ت: ٣١٠هـ): يعني الملائكة والأنبياء الذين شهدوهم وحفظوا عليهم ما كانوا يعملون، وقال به القرطبي (ت: ٦٧١هـ)^(١)، وقال البغوي (ت: ٥١٦هـ): إنهم الأنبياء والرسل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ^(٢). والفائدة من قول الأشهاد بهذه المقالة المبالغية في فضيحة الكفار، والتفريع لهم على رؤوس الأشهاد^(٣). فعلى تلك الأقوال -والله أعلم- يتضح أن الأشهاد هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون (فالآية تفسر على العموم) التي تشهد على العبد يوم القيامة حيث إنهم كانوا يحفظون أعمالهم عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا، سواء كان هذا العبد مؤمناً أو كافراً، ويشهدون شهادة تكريم للمؤمنين في الجنة.

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٨٢/١٥، والجامع لأحكام القرآن: ١٨/٩.

(٢) معالم التنزيل: ١٦٨/٤.

(٣) فتح القدير: ٥٥٧/٢.

المطلب الثاني: إقامة الحجّة بشهادة الأعضاء يوم القيامة، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: الآيات الواردة في شهادة الأعضاء:

وردت آيات في كتاب الله ﷻ تتحدّث عن شهادة الأعضاء على الكفار والمنافقين يوم القيامة، ومنها: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النور: ٢٤). قال الطبري (ت: ٣١٠هـ): في يوم القيامة حين يجحد أحدهم ما اكتسب في الدنيا من الذنوب عند تقرير الله إياه بها، فيختم الله على أفواههم، وتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون^(١)، وقال ابن عثيمين (ت: ١٤٢١هـ): ذكر الله تعالى أن الألسن تشهد؛ لأن اللسان هو أعظم الجوارح خطراً، وذكر الألسن في سورة النور؛ لأنّه ذكر فيها ما يتعلّق بذلك من الأمور العظيمة كالقذف، وأعظمه قذف عائشة ﷺ، ولذا ذكرت في سورة النور الألسن؛ لأن القذف قول، واليد تتكلم، تقول: عملت كذا، عملت كذا، والأرجل تقول: أشهد أنه عمل كذا وكذا^(٢). فهذه الآية أثبتت شهادة اليدين، والرجلين، واللسان، ولم تذكر شهادة اللسان إلا في هذه الآية، والمشهود محذوف وهو ذنوبهم التي اقترفوها، أي: تشهد هذه عليهم بذنوبهم التي اقترفوها ومعاصيهم التي عملوها^(٣).

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري: ١٤٠/١٩.

(٢) تفسير القرآن الكريم (سورة يس)، (ص: ٢٣١).

(٣) فتح القدير للشوكاني: ٢١/٤.

وجاء الختم في القرآن الكريم في خمسة مواضع:

قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً﴾ (البقرة: ٧)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ (الأنعام: ٤٦)، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَشَاءِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ (الشورى: ٢٤)، وقوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشْوَةً﴾ (الجنات: ٢٣)، وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَنُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (يس: ٦٥)، فنلاحظ في تلك الآيات أن الختم يكون في الدنيا، فيشمل القلوب والأسماع، فالوقت الذي كان الختم فيه على قلوبهم كان قولهم بأفواههم كما قال ﷺ: ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ (التوبة: ٣٠)، أما يوم القيامة فيكون الختم على الأفواه، فلزم أن يكون قولهم بأعضائهم؛ لأن الإنسان لا يملك إلا القلب واللسان والأعضاء، قال الماوردي (ت: ٩٧٢هـ): قوله ﷺ: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾ فيه وجهان: أحدهما: أن يكون منعها من الكلام هو الختم عليها. والثاني: أن يكون ختماً يوضع عليها فيرى ويمنع من الكلام (١).

ومن الآيات الواردة في شهادة الأعضاء، قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١١﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالُوا لِمَ لُجُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٣﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ

(١) النكت والعيون: ٢٧/٥ .

سَمِعَكُمْ وَلَا أَبْصَرَكُمْ وَلَا جُلُودَكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿فصلت: ١٩-٢٢﴾، فذكر سبحانه في هذه الآيات أن الجوارح تشهد على أهلها عند استشهاد الله لها إذا أنكروا الأفعال التي فعلوها في الدنيا، قال ابن عطية (ت: ٥٤١هـ): وهذا وصف حال من أحوالهم في بعض أوقات القيامة، وذلك عند وصولهم إلى جهنم فإن الله تعالى يستقرهم عند ذلك على أنفسهم، ويسألون سؤال توبيخ عن كفرهم فينكرون ذلك، ويحسبون أن لا شاهد عليهم، ويظنون السؤال سؤال استفهام واستخبار، فينطق الله تعالى جوارحهم بالشهادة عليهم^(١).

وخص هذه الأعضاء الثلاثة؛ (لأن أكثر الذنوب إنما تقع بها أو بسببها)^(٢)، قال الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ): فالله سبحانه ذكر هنا ثلاثة أنواع من الحواس، وهي: السمع والبصر واللمس، وأهمل ذكر نوعين وهما الذوق والشم، فالذوق داخل في اللمس من بعض الوجوه؛ لأن إدراك الذوق إنما يتأتى بأن تصير جلدة اللسان مماسة لجرم الطعام، وكذلك الشم لا يتأتى حتى تصير جلدة الحنك مماسة لجرم المشموم، فكانا داخلين في جنس اللمس وإذا عرفت من كلامه هذا وجه تخصيص الثلاثة بالذكر عرفت منه وجه تخصيص الجلود بالسؤال لأنها قد اشتملت على ثلاث حواس، فكان تأتي المعصية من جهتها أكثر وأما على

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١٠/٥.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، (ص: ٧٤٧).

قول من فسر الجلود بالفروج فوجه تخصيصها بالسؤال ظاهر، لأن ما يشهد به الفرج من الزنا أعظم قبحًا، وأجلب للخزي، والعقوبة^(١).

ومما سبق نرى أن الآيات الواردة في شهادة الأعضاء على الكفار والمنافقين في ثلاثة مواضع في كتاب الله، في سورة (النور) حيث ذُكرت شهادة الألسن والأيدي والأرجل، وفي سورة (يس) ذُكرت الأيدي والأرجل، وفي سورة (فصلت) ذُكرت شهادة السمع والبصر والجلود، فهذه الآيات دليل قاطع على شهادة الأعضاء على الإنسان في ذلك اليوم.

المسألة الثانية: الأعضاء التي تشهد على الإنسان:

دلّت النصوص السابقة على أن شهادة الجوارح على الإنسان في عدد من الأعضاء، وهي:

أولاً: الألسن: ورد عدد من الأدلة تثبت شهادة الألسن على الإنسان يوم القيامة، ومنها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾، ولم يذكر في كتاب الله أن الألسنة تشهد إلا في هذا الموضوع. وورد عدد من الأحاديث التي تثبت ذلك، ومنها: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَرَفَ الْكَافِرُ بِعَمَلِهِ، فَجَحَدَ وَخَاصَمَ، فَيُقَالُ: هُوَ لَا جِيرَانَكَ يَشْهَدُونَ عَلَيْكَ، فَيَقُولُ: كَذَبُوا، فَيَقُولُ: أَهْلُكُمْ، عَشِيرَتُكُمْ؟ فَيَقُولُ: كَذَبُوا،

(١) فتح القدير: ٥٨٧/٤.

فَيَقُولُ: اٰخِلِفُوا، فَيٰخِلِفُوْنَ، ثُمَّ يُصْمِتُهُمُ اللّٰهُ وَتَشْهَدُ اَلْسِنَتُهُمْ، ثُمَّ يُدْخِلُهُمُ النَّارَ" (١).

ثانياً: الأيدي: فقد ورد عدد من الأدلة تُثبت شهادة الأيدي على الإنسان يوم القيامة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَتُكَلِّمُنَا اَيْدِيَهُمْ﴾ (يس: ٦٥)، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ اَلْسِنَتُهُمْ وَاَيْدِيَهُمْ﴾ (النور: ٢٤)، قال الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ): وفي كلامها ثلاثة أقاويل، أحدها: أنه يظهر منها سمة تقوم مقام كلامها، الثاني: أن الموكلين بها يشهدون عليها، الثالث: أن الله تعالى يخلق فيها ما يتهيأ معه الكلام منها، والثالث أرجح - والله أعلم - لأن الله قادر على أن يقول للشيء كن فيكون، وورد الدليل صريحاً على أن الأيدي تتكلم (٢).

ثالثاً: الأرجل: وردت الأدلة التي تثبت شهادة الأرجل على الإنسان يوم القيامة، منها قوله تعالى: ﴿وَتَشْهَدُ اَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ اَلْسِنَتُهُمْ وَاَيْدِيَهُمْ وَاَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وحديث جابر رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا رَجَعْتُ اِلَى رَسُوْلِ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم مُهَاجِرَةً الْبَحْرِ، قَالَ: "اَلَا تُحَدِّثُوْنِي

(١) مسند أبي يعلى، من مسند أبي سعيد الخدري، ح (١٣٩٢)، (٢ / ٥٢٧)، وقال حسين سليم: إسناده ضعيف، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ح (١٨٣٩٨)، (٣٥١ / ١٠)، وقال: إسناده حسن على ضعف فيه، وأخرجه الحاكم في مستدرکه بلفظ: (غَيَّرَ الْكَافِرُ بِعَمَلِهِ)، كتاب: القضاء، باب: ذكر الإخبار عما يجب على المرء من معونة الضعفاء وأخذ ما لهم، ح (٨٧٩٠)، (٤ / ٦٤٨)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم.

(٢) روح المعاني: ٤٣ / ١٢.

بِأَعَاجِيبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ؟ " قَالَ فِتْيَةٌ مِنْهُمْ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَرَّتْ بِنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِ رَهَابِيْنِهِمْ، نَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً مِنْ مَاءٍ، فَمَرَّتْ بِفَتَى مِنْهُمْ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهَا ثُمَّ دَفَعَهَا، فَحَرَّتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا، فَأَنْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا، فَلَمَّا اِرْتَفَعَتْ التَّفَتَّتْ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: سَوْفَ تَعْلَمُ يَا عَدْرُ (١) إِذَا وَضَعَ اللَّهُ الْكُرْسِيَّ، وَجَمَعَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَتَكَلَّمْتَ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فَسَوْفَ تَعْلَمُ كَيْفَ أَمْرِي وَأَمْرِكَ عِنْدَهُ عَدَا. قَالَ: يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "صَدَقْتُ صَدَقْتُ، كَيْفَ يُقَدِّسُ اللَّهُ أُمَّةً لَا يُؤْخَذُ لِضَعْفِهِمْ مِنْ شِدِيدِهِمْ؟" (٢)، فعندما قالت تلك المرأة: (وتكلمت الأيدي والأرجل) صدقها النبي عليه (الصلوة والسلام) لذلك. قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ): (وَتَكَلَّمْنَا أَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ): فجعل ما كان من اليد كلاماً، وما كان من الرجل شهادة، قيل: لأن اليد مباشرة لعمله والرجل حاضرة، وقول الحاضر على غيره شهادة، وقول الفاعل على نفسه إقرار؛ فلذلك عبر عما صدر من الأيدي بالقول، وعما صدر من الأرجل

(١) الْعَدْرُ: ضِدُّ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، تَقُولُ: عَدَرْتُ إِذَا نَقَضَ الْعَهْدَ، وَرَجُلٌ غَادِرٌ وَعَدَاؤٌ. انظر: لسان العرب لابن منظور ٩/٥.

(٢) سنن ابن ماجه، أبواب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ح (٤٠١٠)، (١٤٣/٥)، قال شعيب: صحيح لغيره، وأخرجه ابن حبان صحيحه، ح (٥٠٥٨)، (٤٣٣/١١)، وأخرجه أبو يعلى في مسنده، ح (٢٠٠٣)، (٧/٤)، قال الألباني: حسن

بالشهادة^(١)؛ ونسبة التكليم إبالأيدي دون الشهادة لمزيد اختصاصها بمباشرة الأعمال، حتى أنه كثر نسبة العمل إليها بطريق الفاعلية، كما في قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ (النبا: ٤٠) (٢)، وقال البقاعي (ت: ٨٨٥هـ): أثبت الكلام للأيدي أولاً؛ لأنها كانت مباشرة دليلاً على حذفه من حيز الأرجل، وأثبت الشهادة للأرجل ثانياً؛ لأنها كانت حاضرة دليلاً على حذفها من حيز الأيدي أولاً، وبقرينه أن قول المباشر إقرار وقول الحاضر شهادة^(٣).

رابعاً: السمع: وردت أدلة تثبت شهادة السمع على الإنسان يوم القيامة، منها قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ﴾ (فصلت: ٢٠)، قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ): شهد عليهم بأعمالهم مما قدموه وأخروهم، لا يكتم منه حرف^(٤).

خامساً: البصر: من الأدلة على أن البصر يشهد على الإنسان يوم القيامة قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ﴾ (فصلت: ٢٠)،

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٤٩/١٥.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي: ٤١/١٢.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٥٧/١٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم: ١٧٠/٧.

قال الطبري (ت: ٣١٠هـ): حتى إذا ما جاءوا النار شهد عليهم سمعهم بما كانوا يصغون به في الدنيا إليه، ويسمعون له (١).

سادساً: الجلود: وقد ورد عدد من الأدلة تثبت شهادة الجلود على الإنسان يوم القيامة، ومنها قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (فصلت: ٢٠).
وقد اختلف المفسرون في معنى الجلود على أقوال:

١- قال الماوردي (ت: ٤٥٠هـ): أنها الجلود نفسها (٢).

٢- قال ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) أنها الفروج وروي ذلك عن ابن عباس (٣).

أما على قول من فسّر الجلود بالفروج فوجه تخصيصها بالسؤال ظاهر، (لأنّ ما يشهد به الفرج من الزنا أعظم قبحاً، وأجلب للخزي، والعقوبة) (٤).
والصحيح - والله أعلم - القول الأول، وهو أن المراد بالجلود: الجلود نفسها؛ لأن ذلك ظاهر الآية.

وهناك بعض الأعضاء تثبت شهادتها في السنة المطهرة وهي:

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٤٥١/٢١.

(٢) النكت والعيون: ١٧٦/٥.

(٣) زاد المسير في علم التفسير: ٤٩/٤.

(٤) انظر: فتح القدير للشوكاني: ٥٨٧/٤.

سابعاً: الفخذ: وهو وصل ما بين الورك والساق،...^(١) ويوجد بها عظم واحد، وهي أقوى عظم في الهيكل العظمي للإنسان.

ثامناً وتاسعاً: العظم، واللحم: وقد ورد إثبات شهادة هذه الأعضاء على الإنسان (الفخذ والعظم واللحم) في حديث سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنَّا بِهِ، عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: "هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ،...، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبَعْتُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَيْهِ، وَيُقَالُ لِفَخْدِهِ وَحَمِيهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَحَمُّهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْزَرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْحَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ"^(٢).

قوله: "فيختم على فيه" هذا هو موضع الشاهد، أي: يمنع من الكلام المكتسب له، وينطق لسانه وسائر أركانه بكلام ضروري لا كسب له فيه، ولا قدرة على منعه، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ﴾ (فصلت: ٢٠)، فإذا شهدت عليه أركانه بعمله حُلي بينه وبين الكلام المقدر له، فيلوم جوارحه الشاهدة عليه بقوله "ويلكنّ فعنكنّ كنت أناضل"^(٣) (أي: أدافع وأحتج)^(٤).

(١) انظر: العين للخليل الفراهيدي: ٤/٢٤٥، مادة (ف خ ذ).

(٢) رواه مسلم، كتاب: الزهد والرقائق، بلا باب، ح (٢٩٦٨)، (٤/٢٢٧٩).

(٣) جزء من مسلم، كتاب: الزهد والرقائق، بلا باب، ح (٢٩٦٩)، (٤/٢٢٨٠).

(٤) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي، كتاب ذكر الموت وما بعده،

باب شهادة أركان الكافر عليه يوم القيامة ٧/١٩٨.

أول الأعضاء شهادة بعد الحتم على اللسان: دلت الأحاديث النبوية على أن أول الأعضاء شهادة هي الكف والفخذ، كما ورد عن معاوية عن أبيه عن جدّه ﷺ، قال: أتيتُ النبيّ ﷺ فقلتُ: والله ما جئتُك حتى حلفتُ بعَدِ أصابعي هذه ألا أتبعك ولا أتبع دينك،...، وإنكم تُدعون مُقدمَ على أفواهكم بالفِدام^(١)، فأول ما يُنبئ عن أحدكم فخذُه وكفه" قال: فقلتُ: يا رسولَ الله، فهذا ديننا؟ قال: "نعم، وأينما تُحسنُ يكفك، وإنكم تُحشرون على وجوهكم وعلى أقدامكم وزُجباناً"^(٢).

كذلك حديث حكيم بن معاوية، عن أبيه ﷺ عن النبيّ ﷺ قال: "بجيئون يوم القيامة على أفواهكم الفِدام، وإنَّ أول ما يتكلّم من الأدمي فخذُه وكفه"^(٣)، قال الماوردي (ت: ٤٥٠هـ) في الحكمة من كون أول الأعضاء نطقاً

(١) الفِدام: ما يُشدّ على فم الإبريق والكوز من خِرقةٍ لتصفية الشراب الذي فيه، أي: أضمّ يُمنعون الكلام بأفواههم حتى تتكلم جوارحهم، فشبه ذلك بالفِدام، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ٤٢١/٣ .

(٢) جامع معمر بن راشد الأزدي (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق)، ١٣٠/١١ برقم (٢٠١١٥)، قال ابن عدي: بجز بن حكيم أرجو أنه لا بأس به في رواياته ولم أر أحداً تخلف في الرواية من الثقات ولم أر له حديثاً منكراً . انظر: مختصر الكامل في الضعفاء، لأحمد بن علي المقرئ، ١٩٩/١ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند عن طريق الجريدي في مسند البصريين، باب: حديث بجز بن حكيم عن أبيه عن جده، ح (٢٠٠٢٦)، (٢٢٩/٣٣)، قال شعيب: إسناده حسن، وأخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب التفسير، باب تفسير سورة السجدة، ٤٧٧/٢، ح (٣٦٤٥)

الكف والفخذ: "عَنْ شُرَيْحِ بْنِ عَبْدِ الْحَضْرَمِيِّ عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْ عَقْبَةَ بْنِ عامرٍ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "إِنَّ أَوَّلَ عَظْمٍ مِنَ الْإِنْسَانِ يَتَكَلَّمُ يَوْمَ يُحْتَمَمُ عَلَى الْأَفْوَاهِ، فَحَدُّهُ مِنَ الرَّجْلِ الشِّمَالِ" (١)، فاحتمل أن يكون تقدم الفخذ بالكلام على سائر الأعضاء؛ لأن لذة معاصيه يدركها بجواسه التي في الشطر الأعلى من جسده، وأقرب أعضاء الشطر الأسفل منها الفخذ، فجاز لقربه منها أن يتقدم في الشهادة عليها، وتقدمت اليسرى، لأن الشهوة في ميامن الأعضاء أقوى منها في مياسرها، فلذلك تقدمت اليسرى على اليمنى لقلة شهوتها" (٢). قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) بعد أن نقل قول الماوردي (ت: ٤٥٠هـ): أو بالعكس لغلبة الشهوة، أو كلاهما معاً والكف، فإنَّ بمجموع ذلك يكون تمام الشهوة واللذة، والله أعلم (٣).

بلفظ (يحيئون)، قال الحاكم: هذا حديث مشهور بهز بن حكيم، عن أبيه، وقد تابعه الجزيري، فرواه عن حكيم بن معاوية وصحَّ به الحديث ولم يخرجاه.

(١) رواه أحمد (١٥١/٤) (١٧٤١٢)، والطبري في (تفسيره) (٥٤٥/٢٠)، وابن أبي حاتم في (تفسيره) (٣١٩٨/١٠). قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (٣٥١/١٠): رواه أحمد والطبراني وإسنادهما جيد. قال الألباني في (السلسلة الصحيحة) بعد حديث (٢٧١٣): أخرجه أحمد... وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات، فهو صحيح لولا شيخ الحضرمي، فإنه لم يسم. وعلّق على كلام الهيثمي قائلاً: فهو غير جيد. ثم قال على إسناد الطبري: فهذا إسناد صحيح إن كان شريح سمعه من عقبة، فقد اختلفوا في سماعه من أحد من الصحابة.

(٢) النكت والعيون: ٢٩/٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٤٩/١٥.

وقد تكون الحكمة من تقديم الفخذ والكف في النطق ما ذكره
الماوردي(ت: ٤٥٠هـ)، والقرطبي(ت: ٦٧١هـ) في تفسيريهما، وقد تكون غير
ذلك لا يعلمه إلا الله سبحانه، ولا نجزم بشيء لا دليل عليه.

المسألة الثالثة: شهادة الأعضاء يوم القيامة بين العموم والخصوص:

حقيقة شهادة الأعضاء:

دلت الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأقوال الصحابة والتابعين على
أن جوارح العبد تشهد عليه يوم القيامة حقيقة، كما ورد في كتاب الله في قوله
تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكْمَلُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ﴾ (يس: ٦٥)، وورد عن عقبه بن عامر رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:
"إِنَّ أَوَّلَ عَظْمٍ مِنَ الْإِنْسَانِ يَتَكَلَّمُ يَوْمَ يُخْتَمُ عَلَى الْأَفْوَاهِ، فَخِذُهُ مِنَ الرَّجُلِ
الشِّمَالِ" (١)، وورد عن ابن عباس رضي الله عنه قوله: "إن يوم القيامة يأتي على الناس
منه حين لا ينطقون ولا يعتذرون ولا يتكلمون حتى يؤذن لهم فيختصمون،
فيجحد الجاحد بشركه بالله تعالى، فيحلفون له كما يحلفون لكم، فيبعث الله
عليهم حين يجحدون شهوداً من أنفسهم جلودهم، وأبصارهم، وأيديهم
وأرجلهم، ويختم على أفواههم، ثم تفتح الأفواه، فتخاصم الجوارح فتقول: أنطقنا
الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون"، فتقرُّ الألسنة

(١) سبق تخرجه (ص: ٣١).

بعد^(١). ولم أجد من أنكره، إلا في بعض الجوانب المتعلقة في هذه الشهادة مثل كيفية نطق هذه الجوارح.

أ- حقيقة نطق الأعضاء: يرى المعتزلة أن الله تعالى خلق فيها الكلام، فقولهم: المتكلم هو فاعل الكلام فيكون الكلام المضاف إلى الجوارح هو في الحقيقة من الله تعالى، ويجوز أن يبيّن الله هذه الجوارح على خلاف ماهي عليه ويلجئها إلى أن تشهد على الإنسان وتخبر عن أعماله^(٢)، قال الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ): إن قلت: كيف تشهد عليهم أعضاؤهم وكيف تنطق؟ قلت: الله ﷻ ينطقها كما أنطق الشجرة بأن يخلق فيها كلاماً^(٣). ويقصد: «كما أنطق الشجرة» على زعم المعتزلة أن تكليمه مع موسى ﷺ هو خلقه الكلام في الشجرة التي كانت عند الطور. وقد رد الرازي (ت: ٦٠٦هـ) على قول المعتزلة الذين يقولون: إنّ الله تعالى خلق الكلام في الشجرة، وكان المتكلم بذلك هو الله تعالى لا الشجرة، بقوله: " لوقلنا إنّ الله خلق الأصوات والحروف في تلك الأعضاء لزم أن يكون الشاهد هو الله تعالى لا تلك، ولزم أن يكون المتكلم بذلك الكلام؛ هو الله لا تلك الأعضاء، وظاهر القرآن يدلُّ على أنّ تلك الشهادة شهادةٌ صدرت من تلك الأعضاء لا من الله تعالى لأنه تعالى قال: " شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ"، وأيضاً أنّهم قالوا لتلك

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ٣٢٧١/١٠.

(٢) غرائب القرآن و رغائب الفرقان للقمي: ١٧٣/٥.

(٣) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ١٩٥/٤.

الأعضاء: "لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا" فقالت الأعضاء: "أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ"، وكل هذه الآيات دالة على أَنَّ المتكلم بتلك الكلمات هي تلك الأعضاء، وأن تلك الكلمات ليست كلام الله" (١).

وقال ابن تيمية (ت: ٧٢٦هـ): (قالت المعتزلة (٢): المتكلم من فعل الكلام ولو أنه أحدثه في غيره؛ ليقولوا إن الله يخلق الكلام في غيره وهو متكلم به، ويقولون إنه خلق الكلام في نفس الشجرة فسمعه موسى، ومعلوم أن تلك الحروف والأصوات التي خلقها الله ليست مماثلة لما يسمع من العبد وتلك هي كلام الله المسموع منه عندهم، فالسلف وأتباعهم يرون أَنَّ المتكلم المعروف عندهم من قام به الكلام وتكلم بمشيئته وقدرته، لا يعقل متكلم لم يقم به الكلام ولا يعقل متكلم بغير مشيئته وقدرته) (٣). وقال أيضاً: وأئمة الدين كلهم متفقون على ما جاء به الكتاب والسنة، واتفق عليه سلف الأمة من أَنَّ الله كلم موسى تكليماً، وَأَنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق، وَأَنَّ المؤمنين يرون رَبَّهُمْ في الآخرة كما تواترت به الأحاديث عن النبي ﷺ، وَأَنَّ الله علماً وقدرَةً ونحو ذلك، ونصوص الأئمة في ذلك مشهور متواترة، وحتى إنَّ أبا القاسم الطبري (ت:

(١) مفاتيح الغيب: ٥٥٦/٢٧.

(٢) المعتزلة: فرقة إسلامية تنتسب إلى واصل بن عطاء، تميزت بتقديم العقل على النقل، وبالأصول الخمسة التي تعتبر قاسماً مشتركاً بين جميع فرقها، من أسمائها القدرية والوعيدية والعدلية، سموا معتزلة لاعتزال مؤسسها مجلس الحسن البصري بعد خلافه معه حول حكم الفاسق. انظر: الفصل في الملل والنحل ابن حزم: ٨٣٠/١

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل: ٢٨-٧٧.

١٨٤ هـ) الحافظ لما ذكر في كتابه في شرح أصول السنّة مقالات السلف والأئمّة في الأصول، ذكر من قال القرآن كلام الله غير مخلوق، وقال: هؤلاء خمسمائة وخمسون نفساً أو أكثر، من التابعين والأئمّة المرضيين سوى الصحابة على اختلاف الأمصار ومضبيّ السنين والأعوام، وفيهم نحو من مائة إمامٍ ممّن أخذ النَّاسُ بقولهم، وتذهبوا بمذاهبهم، ولو اشتغلت بنقل قول أهل الحديث لبلغت أسماءهم ألوفاً (١).

ومما سبق نرى أن كلام المعتزلة بأنّ الله يخلق الكلام في هذه الأعضاء قول باطل، ويعارض صريح القرآن الذي نص على حقيقة نطق الأعضاء، بلا قرينة ولا دليل.

الأدلة على حقيقة نطق الأعضاء:

قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (يس: ٦٥)، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النور: ٢٣-٢٤)، فالأيدي تتكلم، والألسن، والأرجل تشهد وذلك بقدرة الله سبحانه ومشيئته. وقول الجوارح: ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ يدل على حقيقة نطق تلك الجوارح، وذلك بعد اعتراضهم على الجوارح بقولهم: ﴿لَيْسَ شَهِدَتْ عَلَيْنَا﴾.

(١) الفتاوى الكبرى: ٣٠/٥ .

وبهذا يتبين لنا أن شهادة الأعضاء حقيقة لدلالة النصوص السابقة على ذلك، وأنها تشهد عليهم يوم القيامة بكيفية يعلمها الله ﷻ، وذلك أن أحوال الآخرة تختلف عن أحوال الدنيا في أمور كثيرة.

كيفية أداء الجوارح لهذه الشهادة:

الذي يظهر - والله أعلم - في كيفية أداء الجوارح، وهو أن تؤمر الأركان بالشهادة فتشهد معددة أفعالهم؛ لدلالة النص على ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكْمَلُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ (يس: ٦٥)، ولما ورد في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: "فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ" (١)، فدللت هذه الآيات على أن الجوارح تنطق بأمر من رب العالمين.

ب- شهادة الأعضاء بين العموم والخصوص: (من المسائل المهمة في هذا الموضوع: هل الشهادة خاصة بالكفار والمنافقين أو تشمل المؤمنين؟ ومن الآيات الواردة في هذه المسألة وما يتعلق بسياق الآيات في تلك المواضع، ما يلي:

أولاً: آيات سورة النور، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النور: ٢٣-٢٤)، فقد وردت هذه الآيات في وعيد من قذف المحصنات المؤمنات، وهذا القذف من كبائر الذنوب، وتأتي بعد قصة الإفك التي اخترعها المنافقون على عائشة رضي الله عنها في غزوة بني

(١) سبق تخريجه (ص: ٣١).

المصطلق، فبرأها الله ﷻ من فوق سبع سماوات، والقذف كبيرة من كبائر الذنوب والقاذف قد يكون كافراً، وقد يكون مؤمناً مرتكباً كبيرة... (١).

والذي يظهر - والله أعلم - أن من قذف أمهات المؤمنين أو إحداهن بعد نزول الآيات وقيام الحجة، ومن أصر على القذف ولم يتب، ومن كان مستبيحاً لذلك؛ فإنه يكفر ويستحق الوعيد الوارد في الآيات، وتكون الشهادة - الجوارح - في شأن المنافقين. ومن قذف غير أمهات المؤمنين فهو مرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمَوْبِقَاتِ"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: "الشِّرْكَ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْعَافِيَاتِ" (٢).

ثانياً: آية سورة يس كما في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (يس: ٦٤)، فهذه الآية واردة في سياق الحديث عن الكفار وأحوالهم يوم القيامة سبقت بآيات تدل على ذلك، حيث قال سبحانه: ﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (يس: ٦٢-٦٣)، فبين سبحانه أنه يختم على أفواه الكفار عندما ينكرون كفرهم وشركهم في الدنيا، فتشهد أعضاؤهم على ذلك كما

(١) انظر: زاد المسير في علم التفسير للجوزي: ٢٨٧/٣.

(٢) رواه البخاري، كتاب: الوصايا، باب: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾، ح (٢٧٦٦)، (١٠/٤).

دلت عليه تلك الآية. وقد بينا سابقا مواضع الختم في القرآن الكريم، وأن الختم يوم القيامة يكون على الأفواه.

ومما سبق من آية سورة (يس) يتبين لنا - والله أعلم - أن السياق يبين أنها في شأن الكافرين وأن الجوارح تشهد على هؤلاء الكافرين.

ثالثاً: آيات سورة فصلت كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْشُرُ أَعْدَاءَ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَقُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِمَ جُودِدْ لَنَا شَهِدٌ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْظَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْظَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَالِقُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ (فصلت: ١٩-٢٤).

هذه الآيات جاءت بعد ما أخبر الله ﷻ عن قوم عاد وثمود وما أصابهم من العذاب، حيث قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٦٠﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدِفَهُمْ عَذَابَ الْإِزْيِ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ لَهُمْ وَلَا يَنْصُرُونَ ﴿٦١﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (فصلت: ١٥-١٧)، وأنه سبحانه نجى المؤمنين حيث قال سبحانه: ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (فصلت: ١٨).

ولما فرغ من موعظة المشركين بحال الأمم المكذبة، وإنذارهم بعذاب يحل بهم في الدنيا، انتقل إلى إنذارهم بما سيحل بهم في الآخرة، فقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (فصلت: ١٩)، وأعداء الله: هم مشركو قريش؛ لأنهم أعداء رسوله ﷺ (١)، فقالوا "يعني الكفار" ﴿لِجُلُودِهِمْ لِمَا شَهِدْتُمْ عَلَيْهَا﴾ وإنما كنا نجادل عنكم، قالوا ﴿أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، فلما خاطبت وخطبت أُجريت مجرى من يعقل ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: ركب الحياة فيكم بعد أن كنتم نطفاً، فمن قدر عليه قدر على أن يُنطق الجلود وغيرها من الأعضاء، وقيل: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ابتداء كلام من الله ﴿وَالِيهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَبِزُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾، قال المفسرون: القول هنا إما أن يكون من قول الجوارح، وإما أنه من قول الملائكة، وإما أن يكون من قول الله ﷻ (٣).

والذي يظهر - والله أعلم - أنها من كلام الجوارح؛ لأن السياق متصل ولم يفصل بينهم شيء.

ومما سبق يظهر أن دلالة هذه الآيات على أن شهادة الأعضاء هنا في شأن المشركين؛ لأنها سبقت بالآيات التي تتحدث عن عاد وثمود وتكذيبهم

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: ٢٤ / ٢٦٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٥ / ٣٥٠.

(٣) المصدر السابق: ١٥ / ٣٥١.

لرسلهم، وأن الله سماهم (أعداء) وهم الكفار، وأن الآيات التي أتت بعدها في الكفار خاصة؛ ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتَبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾، فتكون الآيات الثلاثة السابقة وردت في شأن الكافرين والمنافقين، فأية سورة (يس) وسورة (فصلت) في شأن الكافرين، أما في سورة (النور) فهي في شأن المنافقين.

وسبب نطق الجوارح يوم القيامة هو الإنكار من العبد، كما دلت أحاديث في ذلك، منها:

حديث أنس رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَصَحَّكَ، فَقَالَ: "هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَصْحَكُ؟..." (١).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رُبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: "هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي

الظَّهِيرَةِ، لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟..." (٢)، فمن خلال الأحاديث السابقة يظهر -والعلم عند الله- أن شهادة الجوارح كانت بسبب إنكار العبد حتى تفضح كذبه، والإنكار في هذا اليوم لا يكون إلا من المنافق والكافر، وأما المؤمن فقد بينت الأحاديث أنه يعترف بخطئه، بل يقر بذنبه لربه فيغفر ربه ذنبه، والدليل على ذلك: حديث صفوان بن محرز المازني (٣)، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا

(١) سبق تخريجه (ص : ٣١).

(٢) سبق تخريجه (ص : ٣١).

(٣) صفوان بن محرز بن زياد المازني وقيل الباهلي، روى عن ابن عمر وابن مسعود وابن عباس

أَمْشِي، مَعَ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَخَذُ بِيَدِهِ، إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ، فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَلْؤَلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (هود: ١٨)" (١).

فهذا الحديث دليل على أن المؤمن يعترف بذنبه ويقرّ به، فلا يحتاج إلى شهود عليه، لكن قد يكون هناك شهود له تنطق بالخير وتسكت عن الشر سترًا من الله، كما ورد في سنن أبي داود عن حميصة بنت ياسر، عَنْ يُسَيْرَةَ (٢). أَخْبَرَتْهَا، "أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَمَرَهُنَّ أَنْ يُرَاعِينَ بِالتَّكْبِيرِ، وَالتَّقْدِيسِ،

وغيرهم، وروى عنه قتادة ومحمد بن واسع وغيرهم، قال ابن سعد: كان ثقة وله فضل وورع، توفي في ولاية عبد الملك سنة ٧٤ هـ. انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ٤/٤٣٠.

(١) رواه البخاري،، كتاب: المظالم والغصب، باب: قوله تعالى: "ألا لعنة الله على الظالمين"، ح (٢٤٤١)، (١٢٨/٣).

(٢) يسيرة وهي أم ياسر، ويقال بنت ياسر الأنصارية، أسلمت وبايعت، وروى حديثها هانئ بن عثمان، وكانت من المهاجرات، وقيل: من الأنصار، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ٨/٣٥٢، تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ١٢/٤٥٨.

والتَّهْلِيلِ، وَأَنْ يَعْهَدَنَّ بِالْأَنَامِلِ، فَإِنَّهُنَّ مَسْئُولَاتٌ، مُسْتَنْطَقَاتٌ" (١)، قال المناوي (ت: ١٠٣١هـ): "فإنهنَّ مسؤولات عن عمل صاحبها مستنطقات للشهادة عليه، فأما المؤمن فتنتطق عليه بخيره وتسكت عن شره سترًا من الله، والكافر بالعكس فإنَّ خيره لغير الله فهو هباء (٢)، وأما الكافر والمنافق فينكر ذنبه فتشهد عليه جوارحه.

ولفظ (العبد) يشمل المؤمن والكافر، والأدلة الواردة في شهادة الأعضاء توضح أنها خاصة بالكافر والمنافق، ونجيب على ذلك أن المؤمنين يوم القيامة على أحوال:

١- المؤمنون الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، كما في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "لَيَدْخُلَنَّ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا، أَوْ

(١) رواه أبو داود، كتاب: الصلاة، باب: التسبيح بالحصى، ح(١٥٠١)، (٦١٦/٢)، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الدعوات، باب: في فضل التسبيح والتهليل والتقديس، ح(٣٥٨٣)، (٥٧١/٥)، وقال: حديث غريب إنما نعرفه من حديث هانئ بن عثمان، وأخرجه أحمد في مسنده، ح(٢٧٠٨٩)، (٣٥/٤٥)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده محتمل للتحسين، ومُحْمِيضَةٌ بَنْتُ يَاسِرٍ إِنَّمَا رَوَى عَنْهَا ابْنُهَا هَانِئٌ بَنُ عَثْمَانَ الْجُهَنِيِّ، وَذَكَرَهَا ابْنُ حَبَانَ فِي "الثقات"، وقال الحافظ في "التقريب": مقبولة، قلنا: وبقية رجال الإسناد ثقات، قال الألباني: حسن.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير لزين الدين محمد الحدادي المناوي: ٣٥٥/٤ .

سَبْعُ مِائَةِ أَلْفٍ، لَا يَدْخُلُ أَوْهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وَجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ" (١).

٢- المؤمنون الذين يقرون بذنوبهم، فيعترف، ويستترها الله عليهم ويدخلهم الجنة، كما ورد في حديث صفوان رضي الله عنه.

٣- عصاة المؤمنون الذين يدخلون النار ليُطهروا من ذنوبهم، ومن المحتمل أن تشهد عليهم جوارحهم، لكن ليس هناك دليل صريح على ذلك.

وفي ختام هذا الفصل يتجلى رأي أكثر المفسرين في أن الآيات الواردة في شهادة الأعضاء على الإنسان يوم القيامة تشمل للكفار، كما ورد في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكْمَلُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (يس: ٦٥)، وفي قوله ﷺ "﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾" (النور: ٢٤)، ولم يرد أي دليل ثابت في أن المؤمن تشهد عليه أعضاؤه في ذلك اليوم، إنما قد تنطق عليه بحيره وتسكت عن شره سترًا من الله.

(١) رواه البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، برقم (٣٢٤٧)،

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث، وبعد الدراسة والتأمل في الأقوال والترجيح والتحقيق يمكن عرض أهم النتائج:

* أن الشهادة في اللغة تأتي بإطلاقات متعددة، أهمها الحضور، والعلم، والتحمل، والحلف، والقتل في سبيل الله.

* لفظة (شَهِدَ) تأتي في القرآن على أوجه ومعان متعددة، منها: النبي المبلغ، والمملك الحافظ، والشاهد الذي يخبر بالحق على المشهود عليه، وأمة محمد ﷺ، والإقرار، والحلف واليمين، وغيرها. ومفهومها متنوع بتنوع المجالات.

* أن الشهادة صفة من صفات الله تعالى، والشهيد اسم من أسمائه الحسنى. * أن الشهادة ثابتة للملائكة وللأنبياء وللرسل، وصفة من صفات هذه الأمة التي شرفها الله على سائر الأمم.

* أن الأعضاء الواردة في كتاب الله تزيد عن أربعين عضواً، وأن الفخذ، والكف أول الأعضاء شهادة على الإنسان.

* أن شهادة الأعضاء حقيقة؛ لدلالة النصوص في ذلك، لا كما يرى المعتزلة أن الله يخلق فيها كلاماً.

* لا بد للإنسان من ضبط سلوكه في معاملته مع الآخرين؛ حيث يعلم أن الله شاهد عليه.

* أن الآيات الواردة في شهادة الأعضاء على الإنسان يوم القيامة تكون للكفار والمنافقين، ولم يرد أي دليل ثابت في أن المؤمن تشهد عليه أعضاؤه في ذلك اليوم.

* أن المؤمن قد تنطق عليه أعضائه فتنطق بخيره، وتسكت عن شره سترًا
من الله له.

أهم التوصيات:

- ١/ توجيه الباحثين وتشجيعهم على البحث في التفسير الموضوعي، وانتقاء
المواضيع التي تهم الناس في عصرنا، والتركيز عليها. وربطهم في الحال والمآل.
 - ٢/ عقد المؤتمرات التي تُعنى وتهتم بتدريب الباحثين على استخدام المنهج
الاستقرائي والتحليلي في التفسير.
- وأخيراً أسأل الله سبحانه أن يختتم لنا ولكم بخير، وأن يرزقنا جميعاً العلم
النافع والعمل الصالح.

المراجع

- القرآن الكريم.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر، ت: عادل عبدالموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١، ١٤١٥ هـ.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت: محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٦ هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد الزبيدي، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ط ١.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤ هـ.
- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية - بيروت.
- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ت: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط: ١، ١٤٠٣ هـ.
- التفسير البسيط، علي بن أحمد الواحدي، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: ١، ١٤٣٠ هـ، رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه.
- تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث - القاهرة، ط: ١٠.
- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠ هـ.

- تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال - بيروت، ط: ١، ١٤١٠هـ.
- تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان الأزدي، ت: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط: ١، ١٤٢٣هـ.
- تحذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط: ١، ١٣٢٦هـ.
- تحذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: ١، ١٤٢٢هـ.
- التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، عالم الكتب، القاهرة، ط: ١، ١٤١٠هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢٠هـ.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاکر، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢٠هـ.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط: ١، ١٤٢٢هـ.
- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، محمد بن أحمد القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية-القاهرة، ط: ٢، ١٣٨٤هـ.
- الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الفكر - بيروت.
- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، ت: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط: ٢، ١٤٠٨هـ.


- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الألوسي، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١، ١٤١٥ هـ.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، ت: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ١، ١٤٢١ هـ.
- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ت: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط: ١، ١٤٢٢ هـ.
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، ت: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط: ١، ١٤٣٠ هـ.
- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر (ج١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط: ٢، ١٣٩٥ هـ.
- سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط: ٢، ١٤٠٦ هـ.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط: ٤، ١٤٠٧ هـ.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ٢، ١٤١٤ هـ.
- صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة، ت: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط: ٣، ١٤٢٤ هـ.
- صحيح وضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية، ت: مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

- العلل، ابن أبي حاتم، ت: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي، مطابع الحميضي، ط ١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- العين، الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي، ت: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- غرائب القرآن و رغائب الفرقان، الحسن بن محمد القمي، ت: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١، ١٤١٦ هـ.
- غريب الحديث، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ت: عبد الله الجبوري، مطبعة العاني - بغداد، ط: ١، ١٣٩٧ هـ.
- الفتاوى الكبرى، أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، ت: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
- فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، ط: ١ (١٤١٤ هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت.
- الفروق اللغوية، الحسن بن عبد الله العسكري، ت: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر، القاهرة - مصر.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف بن تاج العارفين المناوي، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط: ١، ١٣٥٦ هـ.
- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ت: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط: ٨، ١٤٢٦ هـ.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ.
- لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط: ٣، ١٤١٤ هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، ت: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي - القاهرة، ط، ١٤٤١ هـ.
- مجمل اللغة، أحمد بن فارس الرازي، ت: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٢، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- مجموعة الرسائل والمسائل، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، علق عليه: السيد محمد رشيد رضا، لجنة التراث العربي.
- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤١٨ هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١، ١٤٢٢ هـ.
- مختصر الكامل في الضعفاء، أحمد بن علي المقرئ، ت: أيمن بن عارف الدمشقي، مكتبة السنة، مصر، القاهرة، ط: ١، ١٤١٥ هـ.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد النسفي، ت: يوسف علي بدوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط: ١، ١٤١٩ هـ.
- المستدرک علی الصحیحین، محمد بن عبد اللہ الحاکم، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١، ١٤١١ هـ.
- مسند أبي يعلى، أحمد بن علي الموصلی، ت: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق، ط: ١، ١٤٠٤ هـ.
- المسند، أحمد بن محمد بن حنبل، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١ هـ.


- مسند الإمام الشافعي، محمد بن إدريس الشافعي، رتبته على الأبواب الفقهية: محمد عابد السندي، ت: السيد يوسف علي الزواوي الحسني، السيد عزت العطار الحسيني، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٣٧٠ هـ.
- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، ت: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٢ هـ.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)، مسلم بن الحجاج القشيري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- المطلع على ألفاظ المقنع، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل، ت: محمود الأرنؤوط وياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادي للتوزيع، ط ١، ١٤٢٣ هـ.
- معالم التنزيل (تفسير البغوي)، الحسين بن مسعود البغوي، ت: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٤ هـ.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى وآخرون)، دار الدعوة.
- مفاتيح الغيب "التفسير الكبير"، محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٣، ١٤٢٠ هـ.
- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط ١، ١٤١٢ هـ).
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد عمر إبراهيم القرطبي، ت: محي الدين ديب وآخرون، دار ابن كثير دمشق، بيروت، ط: ١، ١٤١٧ هـ.
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ.

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- النكت والعيون، علي بن محمد الماوردي، ت: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد ابن الأثير، ت: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ،.
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي، ت: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.



**فصل «تجريد الأسماء» من كتاب «لسان الميزان»
دراسة تحليلية منهجية**

د. بكر بن محمد فضل الله البخاري
قسم السنة وعلومها – كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية





فصل «تجريد الأسماء» من كتاب «لسان الميزان» دراسة تحليلية منهجية

د. بكر بن محمد فضل الله البخاري
قسم السنة وعلومها - كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ١٦ / ٧ / ١٤٤١ هـ تاريخ قبول البحث: ٢٥ / ١ / ١٤٤٢ هـ

ملخص الدراسة:

ألّف الحافظ ابن حجر العسقلاني كتبًا كثيرة في الرجال، ومن جملتها «لسان الميزان»، وألحق به فصلاً جرّد فيه أسماء الرواة الذين ترجم لهم في «تهذيب الكمال»، وعددهم (٣٥٧٧) راويًا، وجعلهم على ثلاثة أقسام: ثقاة متكلّم فيهم بلا حجة، ورمز لهم ب(صح)، ومختلف فيهم، والعمل على توثيقهم، ورمز لهم ب(هـ)، وما عداهم فضغفاء. وهو تقسيم واسع، لم يحدّد فيه مراتبهم التفصيلية، ولا مراده بقوله في المختلف فيهم "والعمل على توثيقه"، مما دعاني إلى دراسة هذا الفصل دراسة تحليلية لمخطوطاته لمعرفة زمن تأليفه، ودراسة رموزه، والموازنة بأحكامه في «تقريب التهذيب» على هؤلاء الرواة الذي رمز لهم ب(هـ). وخلصت إلى جملة نتائج من أهمّها أنّه ألّف هذا الفصل قبل «تقريب التهذيب»، وأنّ النسخة المنسوبة لابن قمر من «لسان الميزان» هي نسخة الحافظ ابن حجر، وأنّ رمز (صح) حكم مستقلّ منه على الرواة وليس نقلًا لأحكام الذهبي، وأنّه يريد بالتوثيق لمن رمز له ب(هـ) ما يشمل مرتبتي الصحيح والحسن، وأنّه اعتمد في الترميز للكتب التي روت للراوي على «تهذيب الكمال» ومن هنا وقع الاختلاف في بعض التراجم مع «تقريب التهذيب» والذي كان من أسبابه تغيير الحافظ ابن حجر لمنهج الترميز.

الكلمات المفتاحية: حجر . لسان . الميزان . تجريد . رمز . هـ . صح . ثقة

The chapter of “Tajreed al-Asmaa” from the book “Lisan al-Mizan” a systematic analytical study

Dr. Bakr bin Muhammad Fadlullah Al-Bukhari
Department of Sunnah and its Sciences - College Of Principles of Religion
Imam Muhammad bin Saud Islamic University

Abstract:

Al-Hafiz Ibn Hajar al-Asqalani wrote many books on men, including “Lisan al-Mizan”, and he attached a chapter to it that lists the names of the narrators for whom he was spoke about them in “Tahtheeb al-Kamal”, and their number is (٣٥٥٧) a narrator, he placed them into three categories:

- trustworthy narrators who spoke about them without an excuse, and he symbol for them with a correction tag (صح).
- Narrators who are a difference between scholars of hadith about them, and the more correct to accept them, and he a symbol for them with (هـ).
- and other than them are weak.

It is an essential division, in which he did not specify their detailed ranks, nor did it mean by saying about the disputed among them “and working on documenting them“, which prompted me to study this chapter an analytical study of its manuscripts known at the time of its composition, study its symbols, and balance his provisions in “Taqreeb al-Tahtheeb” to those narrators who symbolized them with (هـ). I concluded with a number of results, the most important of which is that he composed this chapter before “Taqreeb al-Tahtheeb”, and that the copy attributed to Ibn Qamar from “Lisan al-Mizan” is the copy of al-Hafiz Ibn Hajar, and the symbol (صح) an independent opinion from him on the narrators and not a quote from the rulings of al-Thahabi, and that he wants to document For whom he was symbolized with (هـ) what includes the two ranks of al-Sahih and al-Hasan, and that the coding for the books that narrated to the narrator was based on “Tahtheeb al-Kamal” and from here the difference occurred in some narrators with “Taqreeb al-Tahtheeb” which was one of the reasons for which Al-Hafiz Ibn Hajar changed the method of coding.

key words: Hajar. Lisan. al-Mizan. Tajreed. symbol. (هـ). (صح). trustworthy narrator

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد فإن من أكثر المتأخرين تأليفاً في الرجال وعناية بتمييز مراتب الرواة جرْحاً وتعديلاً الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابيه «تقريب التهذيب» و «لسان الميزان»، اللذان جمعا تراجم رجال الكتب الستة والمتكلم فيهم من غيرهم، حتى باتا عمدة لدى كثير من الباحثين.

كما أنّ للحافظ كلاماً منشراً في مصنّفاته، قد يتفق وقد يختلف مع ما اختاره في «التقريب» و «لسان الميزان»، ومن هنا فعلى من يريد تحرير قول الحافظ في الراوي أن يجمع بين متفرّقه، ويقارن بعضه ببعض.

وبعد أن أمّم الحافظ تأليف «لسان الميزان» ألحق به فصلاً جرّد فيه أسماء الرواة الذين ترجم لهم الحافظ الذهبي في «ميزان الاعتدال» ولهم ترجمة في «تهذيب الكمال»، ليكون كالفهرس لهم، وليكون «لسان الميزان» مع فصل «تجريد الأسماء» مستوعبين لجميع رواة «الميزان»، وذكر في هذا الفصل (٣٥٧٧) راوياً، وجعلهم على ثلاثة أقسام: ثقات متكلّم فيهم بلا حجة، ورمز لهم ب(صح)، ومختلف فيهم، والعمل على توثيقهم، ورمز لهم ب(هـ)، ومن عداهم فضغفاء.

وهذا الفصل وإن كان معروفاً لدى الباحثين إلاّ أنّه لم يظهر له أثر واضح في الدّراسات الحديثيّة، ولعلّ سببه خلوه من الرموز في طبعته القديمة. ومن هنا جاءت فكرة دراسة رموز فصل «تجريد الأسماء» من كتاب «لسان الميزان» ومنهج الحافظ فيها.

أهمية البحث:

١. أهمية فصل «تجريد الأسماء» لاشتماله على أحكام الحافظ على عدد كبير من الرواة.
٢. الحاجة إلى معرفة مراد الحافظ بالرموز التي استعملها فيه للحكم على الرواة.
٣. تحديد زمن تأليف فصل «تجريد الأسماء» لمعرفة المتقدم والمتأخر من أقوال الحافظ.

أسئلة البحث:

١. متى ألحق الحافظ فصل «تجريد الأسماء» بـ «لسان الميزان»؟
٢. أيُّهما أسبق تأليفاً فصل «تجريد الأسماء» أو «تقريب التهذيب»؟
٣. هل يعدّ رمز (صح) رأياً لابن حجر؟ أو هو رأيٌ للحافظ الذهبي؟
٤. ما مرتبة التوثيق التي قصدها الحافظ بقوله: (العمل على توثيقه)؟
٥. هل اختلف حكم ابن حجر على الرواة بين فصل «تجريد الأسماء» و «تقريب التهذيب»؟ وإذا اختلف فأَيُّهما المقدم؟

أهداف البحث:

١. إبراز عناية الحافظ بفصل «تجريد الأسماء»، ومنهجه فيه.
٢. تحديد زمن تأليف «لسان الميزان» وفصل «تجريد الأسماء» و «تقريب التهذيب» و «تهذيب التهذيب» و «هُدى الساري».
٣. تحرير مراد الحافظ برمزي (صح) و (هـ).

إجراءات البحث:

لتحقيق أهداف البحث والوصول إلى نتائج دقيقة، سلكت الإجراءات الآتية:

أولاً: إجراءات دراسة «لسان الميزان» و «تقريب التهذيب»:

١. لدقة الموضوع واعتماده على الرموز، وحاجته إلى البحث في القرائن لمعرفة تاريخ تأليف الكتابين وفصل التجريد، لزم الرجوع إلى المخطوطات، ودراسة النسختين الخطيتين لكتاب «لسان الميزان»، وقراءة ما عليها من الحواشي والتقييدات، والمقابلة بينهما في المواضع المشككة، والاعتماد على مصوِّرة من نسخة الحافظ من «تقريب التهذيب»، وكتبت وصفاً دقيقاً لنسختي «لسان الميزان» لبيان منزلتهما وإبراز عناية الحافظ بالكتاب.
٢. اعتمدت في الإحالات إلى «لسان الميزان» على طبعة مكتب المطبوعات الإسلامية بتحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله، لإتقانها وتفردتها بكتابة رموز الحافظ في فصل «تجريد الأسماء»، واعتمدت في الإحالة إلى «تقريب التهذيب» إلى طبعة دار ابن حزم بتحقيق محمد عوامة لدقتها في المحافظة على ترميز الحافظ للكتب التي أخرجت للمترجم لهم، مع الرجوع إلى طبعة دار العاصمة بتحقيق أبي الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، والرجوع إلى مصورة عن نسخة الحافظ في المواضع التي اختلفا فيها.

ثانياً: دراسة الرواة:

١. قارنت بين من رمز لهم الحافظ ب (هـ) مع أحكامه عليهم في «تقريب التهذيب».

٢. قارنت بين رموز الكتب التي أخرجت للمترجم لهم في فصل «التجريد» و«تقريب التهذيب»، فإن اختلفت رجعت إلى المخطوطات للتأكد من سلامة ما في المطبوع، سواء كان الاختلاف بين «لسان الميزان» و«التقريب» أو بين طبعتي «التقريب»، وتمييز ما وافق الصواب من ذلك، فإن اطرده موافقة أحدهما للصواب؛ فيمكن أن يكون هو المتأخر تأليفاً.

٣. ورّعت الرواة الذين رمز لهم الحافظ ب (هـ) على مراتب الجرح والتعديل التي ذكرها في مقدمة «التقريب»، وحيث تجاذب الراوي أكثر من مرتبة وضعته في المرتبة الأساس، فمن قال فيه مثلاً: ثقة رومي ببدعة، وضعته في المرتبة الثالثة، وهي من أفرد فيه لفظ التوثيق، ولم أضعه في مرتبة من رومي بالبدعة؛ لتسهيل المقارنة بين أحكامه في «التقريب» مع أحكامه عليهم في فصل «التجريد»، ومعرفة منهج الحافظ، وليس الغرض تحرير حال كل راوٍ بعينه.

٤. لما كان رمز (صح) مما استعمله الحافظان الذهبي وابن حجر في «الميزان» و«اللسان»، ولم يكن خاصاً بفصل «التجريد»؛ لم أستقص جميع الرواة الذين رمزوا لهم ب (صح)، بل اكتفيت بالقدر الذي يفني بالمقصود.

تقسيمات البحث:

اشتمل البحث على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.
المقدمة: وفيها التعريف بالموضوع.
المبحث الأول: دراسة مخطوطتي «لسان الميزان».
المبحث الثاني: الترتيب الزمني لتأليف فصل «تجريد الأسماء» وما له به تعلق من مؤلفات الحافظ.
المبحث الثالث: دراسة رموز فصل «تجريد الأسماء»، وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: دراسة رمز (صح).
المطلب الثاني: دراسة رمز (هـ).
المطلب الثالث: المطلب الثالث: الموازنة بين فصل «تجريد الأسماء» و«تقريب التهذيب» في رموز الكتب.
الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.
وبعد، فهذا الجهد، وما توفيقني إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأوّل: دراسة مخطوطي «لسان الميزان»

للكتاب عدد من النسخ الخطيّة (١)، ومن بينها نسختان نفیستان، إحداهما كتب بعضها الحافظ، والأخرى قرئت عليه، وقوبلت على الأصل مرتّين، وقد اشتملتا على كثير من المعلومات الهامّة التي تكشف مراحل تأليف الكتاب، وزمانه، وفيما يأتي تعريف بهما:

أوّلاً: نسخة مكتبة "لا له لي":

وتقع في جزئين، والمعروف منهما الثاني، وهو مكتوب بثلاثة خطوط، وآخرها طباق السّماع بخط مغاير. وهذه النسخة سمّاها الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله في وصف نسخ الكتاب بنسخة ابن قمر اعتمادًا على أنّ آخرها . وهو فصل «تجريد الأسماء» . بخطّه، وسيظهر من خلال الدراسة أنّ الأمر ليس كذلك.

ناسخها:

النسخة مكتوبة بثلاثة خطوط: الأوّل لم أعرف كاتبه إلا أنّه أحد تلامذة الحافظ، فقد كتب حاشية قال فيها: (قال سيّدنا ومولانا وشيخنا شيخ الإسلام حافظ العصر لطف الله به قرأته على إبراهيم بن أحمد ...) (٢)، والثاني من قبل الكني، مع الكني، وبداية فصل التجريد بخط الحافظ ابن حجر، والثالث وهو

(١) انظر الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط . الحديث النبوي الشريف وعلومه

ورجاله ١٣٣٤/٢ .

(٢) ل ١٨٧ أ

تتمّة فصل «تجريد الأسماء» إلى آخر الكتاب بخط ابن قَمَر^(١)، ثم طباق السّماع بخط مغاير، وحصل دمج بين هذه القطع الثلاث كما سيأتي شرحه في وصف النّسخة.

تاريخ نسخها:

ليس في النسخة ما يدلّ على تاريخ نسخها إلا أنّ وجود الإلحاقات فيها بخط الحافظ بحيث لا تكاد تخلو صفحة من لَحَق أو تعديل؛ يدلّ على أن تاريخ نسخها متقدّم، وأما التعديل عليها فيمتدّ إلى آخر حياة الحافظ، وقد ألحق بها في آخرها أوّل فصل التجريد بخط الحافظ ثم أكمل بخط ابن قمر وكتب بعده: (علّقت هذا الفصل وفرغت منه في الثاني من شهر صفر سنة إحدى وأربعين وثمانمائة أحسن الله عاقبتها. وأسأل الله الكريم أن يحفظ شيخنا حافظ العصر المؤلّف على الإسلام والمسلمين وأن يهلك أعداءه بمنّه وكرمه إنّه قريب مجيب.

(١) شمس الدين محمد بن علي بن جعفر بن مختار الشمس، أبو عبد الله القاهري الحسيني الشافعي، ويعرف بابن قَمَر، وُلد سنة ثلاث وثمانمائة أو قريباً منها.

قال السخاوي عن علاقته بالحافظ: واشتدت عنايته بملازمته في هذا الشأن حتى حمل عنه جملة من الكتب الكبار.. وكان ضابط الأسماء عنده... واستملى عليه... وكتب الكثير سيّما من تصانيف شيخنا، حتى إنّه كتب «فتح الباري» مرتين وباعهما... وهو أحد العشرة الذين أوصى لهم شيخنا بعد موته ووصفهم بالحديث. توفي في جمادى الأولى سنة ست وسبعين وثمانمائة. (الضوء اللامع ١٧٦/٨-١٧٨)

وهو ممن حضر القراءة الأخرى للكتاب على الحافظ بقراءة تقي الدين القلقشندي كما كتبه الحافظ في آخر الجزء الأوّل من نسخة القلقشندي.

قاله وكتب محمد بن علي بن جعفر بن مختار الشهير بابن قمر الحسيني^(١)، وهذا التاريخ بعد تأليف كتاب «لسان الميزان» بأربع وثلاثين سنة. وصف النسخة:

من يستعرض النسخة يلحظ فيها ملحوظتين بارزتين، الأولى تتعلق بتكوينها وبنائها، والثانية تتعلق بمحتواها.

فأما التكوين:

فسبق أنّها ملفّقة من ثلاث قطع بثلاثة خطوط، وقد حصل دمج بين القطع الثلاثة حتى استحالت شيئاً واحداً لشخص واحد، وذلك أن المجلد يستمر بخطّ أحد تلامذة الحافظ إلى آخر الأسماء، وفي آخر لوحة من الأسماء تنمة ترجمة يونس الكذوب، ويليهما أوّل الكنى، وعلى حاشيتها ترجمة أبي أحمد الحاكم، فضرب الحافظ على الصفحة، وألحق تنمة ترجمة يونس الكذوب في هامش الصفحة التي قبلها، وأعاد كتابة أوّل الكنى وأدخل ترجمة أبي أحمد الحاكم في مكانها، فما كان ملحقا في الهامش كُتب في الأصل مع تغيير في العبارة.

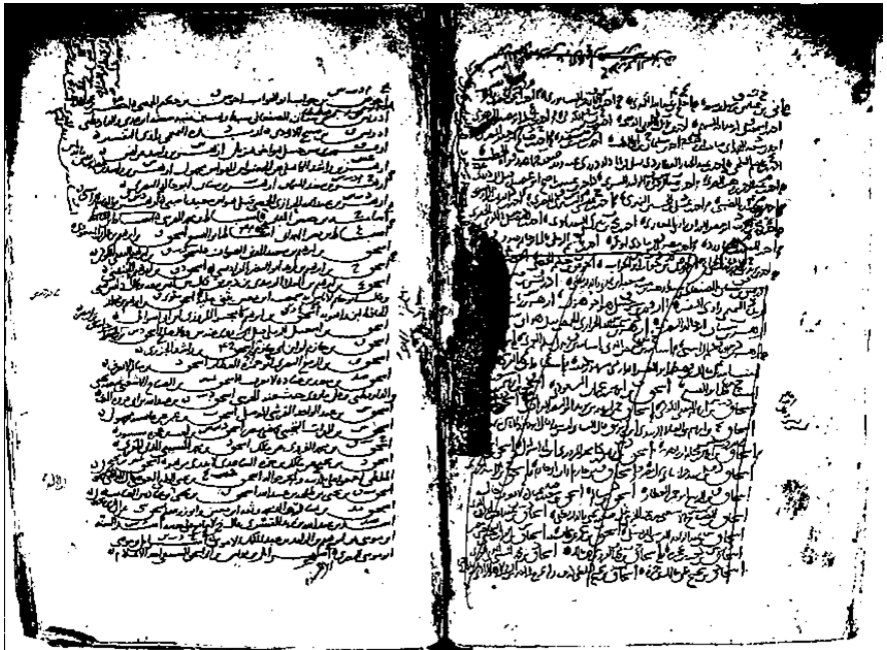
(١) لوحة ٢١١ ب من نسخة لا له لي رقم ٦٣١، وهذا الكلام قاله كاتبه في حياة الحافظ رحمه الله تعالى.



اللوحة (ب) وفيها آخر الأسماء (انتهى المعجم) وبداية الكنى (باب الكنى) وضرب عليهما الحافظ،
 وفي حاشيتها ترجمة أبي أحمد الحاكم.
 في اللوحة (أ) تبييض (باب الكنى) وأوله ترجمة أبي أحمد الحاكم



وحصل مثل هذا في آخر «باب الكنى» وأول فصل «تجريد الأسماء»، حيث استمرّ الفصل بخط الحافظ إلى إسحاق بن نجیح، فضرب على ثلثي الصفحة، وأكملت النسخة بخط ابن قمر، مع إعادة كتابة ما ضرب عليه مع اختلاف يسير، فكانت صورة ترجمة الإمام إسحاق بن راهويه: (إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه)، وفوق كلمة إسحاق الرموز التالية: (خ م د ت س)، ثم صارت صورتها: (إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحافظ ابن راهويه)، وكتب فوق كلمة إسحاق: (سوى ق).



يظهر الضرب على (ب)، ثم أكملت النسخة بخط ابن كقر، وفيها إعادة التراجم المضروب عليها

ومن حيث المحتوى:

فتكثر في النسخة الإلحاقات، بحيث لا تكاد تخلو صفحة من إلحاقات كثيرة بخط الحافظ، وفيها جزازاتٍ منثورة في أعطافها بخطه أيضاً، حتى ليخيل لمن ينظر فيها أنّها مسوّدة الحافظ، وفي آخرها طباق السّماع، وهذه النسخة ينطبق عليها وصف الحافظ السخاوي الذي يقول فيه عن الكتاب: (قبل أن يلحق فيه مصنّفه الكثير من التراجم المستقلة، والتتمّات التي تفوق الوصف)^(١)، وهذه الزيادات الكثيرة التي نراها بخط الحافظ على النسخة توحى بأن للكتاب أكثر من مبيضة، ولا عجب فقد بيّض الحافظ كتاب تغليق التعليق مرتين^(٢)، وهذه الأمارات توحى بأنّ هذه النسخة الملقّقة آلت إلى أن تكون نسخة الحافظ التي كان يزيد عليها إلى أن توفي، لققها من نسخته الأصل ونسخ بعض تلامذته، وحشّى عليها وزاد. ومّا يرجّح هذا أنّه ليس عليها علامات مقابلة أو بلاغات سماع، ولا توجد علامات التصحيح على الإلحاقات التي فيها، وفي آخرها طباق السّماع، في حين أن نسخة القلقشندي عليها البلاغات بخط الحافظ، وليس عليها طباق للسماع مع أنّه قرأها على الحافظ وعارضها معه، والله تعالى أعلم.

(١) الجواهر والدرر: ١/٢٦٨.

(٢) قال: (وقرأت بخطه [يعني الحافظ العراقي] أيضاً على الجزء الأوّل من «تغليق التعليق» لصاحب الترجمة من نسخة بخط المؤلّف، غير النسخة الشهيرة، قال: إنّها المبيضة الثانية، رأيت منها جزءاً بمكة تاريخه سنة أربع وثمانمائة) الجواهر والدرر ١/٢٦٧.

ويمكن أن يُقال هذا تظنن، وقد تكون نسخة ابن قمر وإلا لكان ضرب على آخر النسخة، والجواب عن هذا أن القيد في آخر النسخة قيد نسخ فقد، وقد كانت لابن قمر نسخة خاصة به كان يسمع ويعارض بها، وليس في هذه النسخة قيود معارضة أو بلاغات سماع. وقد أشار الحافظ إلى نسخة ابن قمر آخر الجزء الثاني من نسخة تقي الدين القلقشندي حيث كتب أن ابن قمر سمع معه وعارض بنسخته، وذكر في خاتمة الجزء الأول أن ابن قمر لم يحضر خطبة الكتاب، وهذا يفيد أن ثمت ثلاث نسخ؛ فهل يمكن أن نجزم بأن هذه النسخة هي نسخة الحافظ؟

وجدت أن القلقشندي ذكر أنه ألحق بنسخته ما ألحق الحافظ بعد المقابلة على نسخته، وأفاد هذا أمرين: الأول أن الحافظ زاد على الكتاب بعد مقابلته نسخة القلقشندي على نسخته، والثاني أن زيادته كانت إحقاقات أي أنّها على هامش النسخة أو على جزازات، وإذا كان الحافظ هو المصنّف، وهو صاحب النسخة، فينبغي أن تكون الإحقاقات موجودة على النسخة بخطّه وليس عليها رمز التصحيح، فإن كان عليها رمز التصحيح فستكون نسخة أحد النسخ، وأمراً آخر وهو أنّ هذه الإحقاقات ستكون إحقاقات أيضاً على نسخة القلقشندي، وليست في أصل نصّ الكتاب، مما يستلزم المقابلة بين مواضع الإحقاق بين النسختين لمعرفة حقيقة الحال! وبعد الرجوع والمقابلة وجدت الأمر كذلك، ووجدت الإحقاقات في نسخة "لا له لي" مكتوبة بمدادين أي أنّها كتبت في زمانين مختلفين، وجميع الإحقاقات التي ألحقها القلقشندي بأخرة ملحقة في نسخة "لا له لي" بمداد واحد! وثبت بهذا أنّها نسخة الحافظ والحمد

لله، وأنه يمكن تمييز الإلحاقات المتأخرة بعد قراءة الكتاب عليه بلون المداد، وبكونها ملحقة على هوامش نسخة القلقشندي، وفي هذا من الفائدة ما لا يخفى.

تاريخ قراءة النسخة على الحافظ:

جاء في طباق السماع آخر النسخة ما نصّه: (فقد قرأت جميع هذا الكتاب وهو كتاب «لسان الميزان» . على مؤلفه سيدنا ومولانا الإمام العلامة شيخ الإسلام ملك العلماء الأعلام خاتمة الحفاظ والمجتهدين، قاضي القضاة شهاب الدين البيهقي الثاني، أبي الفضل أحمد بن علي الكناني العسقلاني المصري الشافعي الشهير بابن حجر بلغه الله آماله وختم بالصالحات أعماله، أمين في ثلاثة وتسعين مجلسًا آخرها ليلة الأربعاء سادس عشر شوال سنة خمسين وثمانمائة)، وعدّ ممن حضر السماع: المحدث شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي كاملاً، والمحدث محمد بن محمد السنباطي، والعلامة أبو إسحاق إبراهيم بن خضر، والعلامة برهان الدين البقاعي، والعلامة تقي الدين بن عبدالرحمن القلقشندي، وغيرهم من الأعلام المشهورين الذين لهم اختصاص بالحافظ، ولعلها القراءة الأخيرة للكتاب على الحافظ رحمه الله تعالى.

ويقع هذا التاريخ بعد تاريخ قراءة القلقشندي التي انتهت بتاريخ

١٨/١/٨٤٩ هـ.

ثانياً: نسخة مكتبة راغب باشا:

وتقع في ثلاثة أجزاء.

ناسخها:

عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل أبو الفضل بن القطب القلقشندي الأصل القاهري الشافعي، ويعرف بالتقي القلقشندي، ولد ليلة سادس رجب سنة سبع وعشرة وثمانمائة بالقاهرة ونشأ بها، وأخذ عن جماعة وقرأ على الحافظ جملة من كتبه، ومما قرأه عليه: اللسان وتحرير المشتبه والمقدمة وتلخيص مسند الفردوس ومناقب الشافعي وشرح النخبة، وكان يذكر أنه أخذ عنه من بعد الثلاثين. توفي سنة في شعبان سنة إحدى وسبعين وثمانمائة. (١)

وقد قرأ الكتاب كاملاً على الحافظ وعارض ما ينسخه على أصل الحافظ. كما كتب الحافظ بيده (٢)، وكانت قراءته ومعارضته للكتاب في أربع سنوات، وكان ينسخ ويقراً، ولم يمهل حتى يُتمّ النسخ ثم يعرض على الحافظ، وكان ابتداء كتابة نسخته بعد القيد الذي في آخر نسخة "لا له لي" بخط ابن قمر، فإنه أرخ لانتهاه نسخ الجزء الأول في التاسع عشر من ذي القعدة عام خمسة وأربعين وثمانمائة، أي بعد قيد ابن قمر بخمس سنوات تقريباً، وكانت مدة نسخ الكتاب وعرضه ومقابلته ثلاث سنوات، ومن هنا كانت الإلحاقات في نسخته قليلة

(١) الضوء اللامع ٤/٤٦ - ٦٨.

(٢) وأول بلاغ يقابلنا في النسخة في ل٧ ب بخط الحافظ: (بلغ الشيخ تقي الدين قراءة عليّ وعرضاً بالأصل. ابن حجر)

حيث دخل في متنها أكثر الإلحاقات، ولم يلحق بحاشيتها سوى ما ألحقه الحافظ بعد ذلك.

وفي قسم الكنى إلحاقات بخط الحافظ، حيث كتب القلقشندي بجانب عنوان المجلد الثالث من الكتاب (الحمد لله. ليُعلم أن غالب الإلحاقات التي في الكنى بخط المؤلّف، وأن هذا الكتاب كلّه مقابل مع مؤلّفه، وعليه خطّه في البلاغات، وقد مررت على الكتاب مرّة ثانية وألحقت فيه ما ألحقه شيخنا المؤلّف بعد مقابلي معه، والله الحمد).

وفي آخر النسخة كتب الحافظ أنه قرأ عليه الكتاب من أوّله إلى آخره في مجالس آخرها ١٨/١/٨٤٩ هـ، كما أنّ اسمه مقيّد في طباق السّماع المؤرّخ في ١٦/١٠/٨٥٠ هـ مع بعض الفوت له. وعلى هذا فيكون قد نسخ الكتاب وقرأه وعارضه على مؤلّفه، ثم حضر قراءة غالبه على مؤلّفه، ثم مرّ عليه مرّة ثالثة انتهى منها في ربيع الآخر سنة ٨٥٢ هـ، وألحق الزيادات التي ألحقها الحافظ بعد ذلك.

وقبل أن أفصل الكلام على إلحاقات النسخة أذكر ما يتعلق بتاريخ نسخها وعرضها على الحافظ، فهو يعطي صورة عن الكتاب حتى اكتمل في صورته الأخيرة.

الجزء الأوّل:

أرّخ القلقشندي لتاريخ نسخته بقوله آخره: (وكان الفراغ من تعليقه في اليوم المبارك يوم الأحد التاسع عشر من شهر ذي القعدة الحرام أحد شهور عام خمسة وأربعين وثمانمائة).

وكتب الحافظ في آخره: (بلغ الشيخ الفاضل المحدث الكبير البارع المفسّر تقي الدين كاتبه وصاحبه قراءة عليّ وعرضًا بالأصل في مجالس آخرها في السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وثمانمائة.. أحمد بن علي بن حجر الشافعي، وسمع معه ذلك الشيخ شمس الدين ابن قمر سوى الخطبة. ابن حجر).

ثم قابل النسخة مرّة ثانية على الأصل، وكتب في آخر النسخة: (الحمد لله، مررت على الأصل مرّة ثانية، وقابلت هذه النسخة، وألحقت ما ألحقه شيخنا بعد مقابلي معه على هوامش هذه النسخة وحرّرتها فصحت، وكان ذلك في شهر رجب الفرد سنة إحدى وخمسين وثمانمائة من الهجرة النبوية. قاله وكتب عبد الرحمن بن القلقشندي حامدًا ومصليًا ومسلّمًا ومحسبًا ومحوقلاً).

فبين تمام النسخ وانتهاء العرض خمسة أشهر، ثم قابل مرّة ثانية بعد خمس سنوات.

الجزء الثاني:

كتب الحافظ في آخره: (ثم بلغ صاحبه وكاتبه قراءةً وعرضًا في مجالس آخرها في الثالث والعشرين من شعبان سنة سبع وأربعين وثمانمائة، وسمع معه الشيخ شمس الدين ابن قَمَر وعارضه بنسخته، قاله وكتبه أحمد بن علي بن حجر).

وكتب القلقشندي مؤرِّخًا للمقابلة الثانية في آخره: (ثم بلغ إلحاقًا ومقابلةً مرّةً ثانيةً بأصله، وذلك في مجالس آخرها يوم الجمعة التاسع عشر من شهر ربيع الآخر سنة اثنين وخمسين وثمانمائة)

الجزء الثالث:

أرَّخ القلقشندي لنسخه بقوله: (وكان الفراغ منه بكرة يوم السبت التاسع عشر من شهر ذي القعدة الحرام عام ثمانية وأربعين وثمانمائة).

وكتب الحافظ آخر الكتاب مع التجريد: (بلغ الشيخ تقي الدين القلقشندي صاحبه قراءة عليّ من أوّل الكتاب إلى هنا في مجالس آخرها في الثامن عشر من المحرم سنة تسع وأربعين وثمانمائة. كتب ابن حجر).

وكتب القلقشندي في أوّله: (الحمد لله. لتعلم أن غالب الإلحاقات التي في الكنى بخط المؤلّف وأن هذا الكتاب كلّه مقابل مع مؤلّفه وعليه خطّه في البلاغات، وقد مررت على الكتاب مرّة ثانية، وألحقت فيه ما ألحقه شيخنا المؤلّف بعد مقابلي معه، ولله الحمد)، ولم يؤرِّخ للمقابلة الثانية لهذا الجزء.

وختلاصة ما تقدم:

١. امتدّ نسخ الكتاب من قبل ١٩ / ١١ / ٨٤٥ هـ إلى ١٩ / ١١ / ٨٤٨ هـ.
٢. وامتدّت القراءة والعرض من قبل ٢٧ / ٤ / ٨٤٦ هـ إلى ١٨ / ١ / ٨٤٩ هـ.
٣. وأما مروره الأخير على الأصل وإلحاق ما فيه من الزيادات فكان من قبل رجب عام ٨٥١ هـ إلى ١٩ / ٤ / ٨٥٢ هـ، وهو تاريخ نهاية الجزء الثاني، وأما الجزء الثالث فلم يكتب عليه شيء، وأقدّر أنه انتهى منه قبيل وفاة الحافظ؛ لأنني لم أجد أنه ترحم عليه، ولو وافقت وفاته مقابلة الجزء الثالث لذكر ذلك أو لترحم عليه، والله أعلم.

الإلحاقات في النسخة:

- يمكن أن نقسّم الإلحاقات في نسخة القلقشندي إلى قسمين:
١. قسم أحقه الحافظ بخطّه في قسم الكنى، وهذه الإلحاقات موجودة أيضًا في نسخة "لا له لي"، ومع ذلك فبمقابلة جملة من الرواة الذين رمز لهم الحافظ بـ (هـ) تبيّن لي بعض الفروق بين النسختين.
 ٢. قسم أحقه القلقشندي من نسخة الحافظ حين قابل عليها مرّة ثانية بعد انتهاء قراءة الكتاب على الحافظ، كما تقدم تفصيله، ويمكن تمييز هذه الإلحاقات بوجودها على هامش نسخته بخطه، وأما باقي إلحاقات نسخة "لا له لي" فقد دخلت في أصل نسخة القلقشندي.
- وبهذا يمكن أن نعدّ نسخة القلقشندي بمنزلة المبيّضة لنسخة الحافظ.

قراءة الكتاب على الحافظ:

مما مضى يمكن أن نستخلص أن الكتاب قرئ على الحافظ مرتين، المرة الأولى بقراءة تقي الدين القلقشندي والتي انتهت في ١٨/١/٨٤٩ هـ، وكان الحافظ يقيّد البلاغات عليها، وبتقدير عددها يمكن أن نخلص إلى أنّ الكتاب كان يقرأ في مجلس أسبوعي مع بعض الانقطاعات اليسيرة، ويقرأ عليه في كل مجلس نحو ست صفحات.

والقراءة الثانية كانت في ثلاث وتسعين مجلسًا كان آخرها في ١٦/١٠/٨٥٠ هـ، وهذا يعني أنّها ابتدأت بعد القراءة الأولى، وقرئ الكتاب في نصف المدة الأولى، وكان نصاب القراءة ضعف ما كان في العرضة الأولى، أو أنّها ابتدأت قبل انتهاء القراءة الأولى، على بُعد في هذا الاحتمال، وأنه قرئ عليه الكتاب قراءة ضبط ومقابلة مرتين في أربع سنوات، وهذا يدلّ على عناية الحافظ بالكتاب على مدى خمسين سنة تأليفًا ومراجعة وإحافًا وإقرأء، فرحمه الله تعالى.

المبحث الثاني: الترتيب الزمني لتأليف فصل «تجريد الأسماء»، وما له به
تعلق من مؤلفات الحافظ.

وأعني بها «تهذيب التهذيب» و«تقريب التهذيب» و«لسان الميزان»
و«هَدْي السَّارِي»، واخترتها لارتباطها تأليفاً بفصل «تجريد الأسماء» «كلسان
الميزان»، أو لاتصالها برأي الحافظ في الرجال المرموز لهم بـ«ه»، ومعرفة تاريخ
تأليفه هذه الكتب مفيد في تحرير رأي الحافظ في مراتب الرواة الذين اختلف
قوله فيهم.

وقبل بحث الترتيب الزمني ينبغي أن نعرف منزلة هذه المؤلفات عند الحافظ
ابن حجر حيث قال: (لست راضياً عن شيء من تصانيفي؛ لأني عملتها في
ابتداء الأمر، ثم لم يتهيأ لي من يجزها معي، سوى: شرح البخاري، ومقدمته،
والمشتمة^(١)، والتهذيب، ولسان الميزان)^(٢)، وهذا الكلام يفيد أنّ باقي كتبه
المتقدّمة لم يتهيأ له تحريرها كما حرّر هذه الكتب التي اشتغل بها مدة طويلة من
الزمن، وهو يدلّ على أنّ تقدّم التأليف وتأخّره أحد أسباب المفاضلة بين
مؤلفاته، وهذا ما سيتضح من خلال العرض الآتي إن شاء الله تعالى.

ومؤلفات الحافظ حسب ترتيبها الزمني الذي ظهر لي على النحو الآتي:

(١) انتهى منه في جمادى الأولى سنة ٨١٦ هـ.

(٢) الجواهر والدرر ٦٥٩/٢

أولاً: «لسان الميزان»:

تاريخ الفراغ من تأليفه: شهر رمضان سنة (٨٠٥ هـ)، وزاد عليه حتى (٨٥٢ هـ)

صرّح الحافظ في خاتمة «لسان الميزان» بسنة الفراغ منه، فقال: (آخر الكتاب المختصر من «الميزان» مع الزيادات والتنبيهات والتحريرات. فرغت منه في شهر رمضان سنة خمس وثمانمائة بالقاهرة سوى ما ألحقته بعد ذلك، وسوى الفصل الذي جرّده من «التهديب» - وهم من ذكرهم الذهبي في «الميزان» وحذفتهم في «اللسان» - ليكون هذا المختصر مستوعباً لجميع الأسماء التي في «الميزان»، والله المستعان. الحمد لله كثيراً وصلى الله على محمد وسلّم^(١)).

وقد اطّلع شيخه الحافظ أبو الفضل العراقي (ت ٨٠٦) على هذه الإبرازة الأولى بخطّ الحافظ الشهاب البوصيري، وكتب عليها: (كتاب «لسان الميزان» تأليف الحافظ المتقن الناقد الحجة شهاب الدين أحمد بن علي الشافعي الشهير بابن حجر نفع الله بفوائده وأمتع بعوائده)، قال السخاوي: (وكان ذلك في حادي عشر شوال سنة خمس وثمانمائة، قبل أن يلحق فيه مصنفه الكثير من التراجم المستقلة، والتتمّت التي تفوق الوصف)^(٢)، أي أنه اطّلع على نسخة

(١) لسان الميزان ٢٤٦/٩، ولوحة ٢٣٢ أ من نسخة لا له لي.

(٢) الجواهر والدرر: ٢٦٨/١.

من الكتاب بعد انتهاء تأليفه بشهر، وهذا يدلّ على مدى احتفاء المحدثين به من وقت تأليفه.

ثمّ استمرت الزيادات والإلحاقات التي أشار إليها الحافظ إلى سنة وفاته، وكان الكتاب يُقرأ عليه ويعارض بأصله، كما تقدّم في دراسة نسختي الكتاب، وتقدّم أنّ القلقشندي قابل الكتاب مرة ثانية، وألحق بالنسخة ما زاده الحافظ بعد قراءة الكتاب ومعارضته على نسخته، فأمكن معرفة ما ألحقه الحافظ بعد ذلك بوجوده ملحّقاً على هامش نسخة القلقشندي، ومن ذلك ما ألحقه بالمقدمة، وهو قول الحافظ: (ثم وقفت على مجلد لطيف لشيخنا حافظ الوقت أبي الفضل ابن الحسين جعله ذيلًا على «الميزان»، ذكر فيه من تُكلم فيه وفات صاحب «الميزان» ذكره، والكثير منهم من رجال التهذيب، فعلمت على من ذكره شيخنا في هذا الذيل صورة «ذ» إشارة إلى أنه من الذيل لشيخنا)، فكلّ ما زاده من الذيل فهو مما ألحق بعد ذلك، ومنها زيادات في أثناء التراجم، أو ضرب لبعض ما ذكره فيها، وتراجم زادها من غير الذيل.

ثانيًا: «تَهذِيب التَهذِيب»^(١):

ابتدأ تلخيصه أوائل سنة (٨٠٧ هـ)، وانتهى منه سنة (٨٠٨ هـ)، ثم زاد عليه كثيرًا سنتي (٨٤٦، ٨٤٧ هـ).

قال الحافظ في مقدّمة «لسان الميزان»: (وقد كنت أردت نسخه [يعني «الميزان»] على وجهه، فطال عليّ، فرأيت أن أحذف منه أسماء من أخرج له الأئمة الستّة في كتبهم أو بعضهم، فلمّا ظهر لي ذلك، استخرت الله تعالى، وكتبت منه ما ليس في «تَهذِيب الكمال»... فإن كان القصد بذكرهم أنّه يُعلم أنّه تُكَلِّم فيهم في الجملة، فتراجمهم مستوفاة في «التَهذِيب» [يعني تَهذِيب الكمال]، وقد جمعت أسماءهم، أعني من ذُكر منهم في «الميزان»، وسردتها في فصل آخر الكتاب)^(٢)، ونلاحظ هنا أنّه لم يُشِرْ إلى «تَهذِيب التَهذِيب»، ولو كان قد انتهى من تأليفه لأحال إليه، كما يفيدنا أنّه ألفه بعد «لسان الميزان» أي بعد سنة (٨٠٥ هـ)، وقد حدّد الحافظ السخاوي تاريخ الانتهاء من تبييض الكتاب بقوله: (بَيُّض، وكُتِبَ منه نسخ، وكان انتهاء تبييضه في سنة سبع وثمانمائة)^(٣)، كذا قال؛ لكنّ الحافظ أرخ لفراغه من الكتاب سنة ثمان وثمانمائة،

(١) وسماه الحافظ في مواضع: «مختصر التَهذِيب».

(٢) ١٩٢-١٩١/١

(٣) الجواهر والدرر ٦٨٢/٢، وقد طالع السخاوي نسخة الحافظ، وكتب تاريخ سماعه آخر الجزء الثاني سنة ٨٥٠، وأرخ مطالعته للكتاب آخر الجزء الثالث سنة ٨٥٤ في الصفحة التي أرخ فيها الحافظ لانتهاء تبييض الكتاب، فلعله كتبه حفظه ولم يتهيأ له مراجع النسخة وقت الكتابة، أو أنّه ذكر تاريخ تبييض الجزئين الأولين منه، والله أعلم.

فقد كتب آخر الثالث: (وكان الفراغ من اختصاره في يوم الأربعاء تاسع جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانمائة على يد مختصره أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي العسقلاني الأصل ثم المصري الشافعي المذهب عفا الله تعالى عنه)^(١)، وأمّا الابتداء فكان أوائل سنة سبع وثمانمائة، فقد كتب الحافظ في آخر الجزء الأول: (آخر المجلدة الأولى من «مختصر التهذيب» على يد مختصره أحمد بن علي بن محمد بن حجر عفا الله تعالى عنه، وذلك في ثالث عشر جمادى الأولى سنة سبع وثمانمائة بالقاهرة)، وكتب آخر المجلد الثاني: (آخر المجلد الثاني من مختصر التهذيب أعان الله على إكمال التالي، فرغت منه في يوم عرفة سنة سبع وثمانمائة).

وإذا قارنًا المدة بين تبييض المجلدات، وجدنا أنّ تبييض المجلد استغرق ستة أشهر أو سبعة، وبهذا التقدير يكون ابتداء تبييض الكتاب أوّل سنة سبع وثمانمائة تقديرًا، واستغرق تلخيص الكتاب سنةً ونصفًا، ثم كتب أنّه زاد عليه كثيرًا سنة ست وسبع وأربعين.

وتأليف «تهذيب التهذيب» وإن كان عقب «لسان الميزان»، إلا أنّهما اشتركا بعد ذلك في التحرير والزيادة، وهذا ما يفسّر وجود بعض الإحالات إلى «تهذيب التهذيب» في ثنايا «لسان الميزان»^(٢).

(١) تهذيب التهذيب ١٢/٤٩٣. طبعة دائرة المعارف العثمانية، وهو كذلك في نسخة الحافظ من «تهذيب التهذيب» ونسخة ابن قَمَر من الكتاب، وأرّخ لتمام نسخها من نسخة المؤلف يوم الأربعاء آخر شعبان المبارك سنة خمس وثلاثين وثمانمائة.

(٢) انظر أمثلة لهذه الإحالات في مقدمة تحقيق «لسان الميزان» ١/١٢٢.

ثالثاً: فصل «تجريد الأسماء»:

ألفه بين «تهذيب التهذيب» سنة (٨٠٨)، و«تقريب التهذيب» سنة (٨٢٧).

هذا الفصل موجود في آخر نسخة "لا له لي" بخط ابن قمر، وأرخ للنسخ سنة (٨٤١هـ)، والذي يظهر لي أنه مكتوب قبل ذلك بكثير، فقد ذكر الحافظ في مقدمة «لسان الميزان» أنه سرد في فصل «التجريد» الأسماء التي حذفها من «تهذيب الكمال»، وذكر في أول الفصل أنه اعتمد في الرموز على «تهذيب الكمال»، وأنه يترجم باختصار لمن لم يكن في «الكاشف»، ولم يُشر إلى «مختصر التهذيب»، وأما في آخر الفصل فذكر «تهذيب التهذيب» في قوله: (فإن أراد الزيادة في حاله نظر في «الكاشف»، فإن أراد زيادة بسط نظر في «مختصر التهذيب» الذي جمعته، ففيه كل ما في «تهذيب الكمال» للمزّي من شرح حال الرواة وزيادة عليه، فإن لم يحصل له نسخة منه «فتذهيب التهذيب» للذهبي فإنه حسن في بابه)، ولم يُشر إلى «التقريب»، ولو كان ألفه وقتئذ لكان أولى بالإحالة إليه من «الكاشف»، وعلى هذا فيكون وقت كتابة فصل «تجريد الأسماء» بينهما. وهذا ما يفسّر وجود اختلافات في رموز الكتب بين فصل «التجريد» و«تقريب التهذيب»، حيث اعتمد في «التجريد» على «تهذيب الكمال»، وأما في «التقريب» فكان له رأي آخر في رموز بعض الرواة.^(١)

(١) سيأتي الكلام عن اختلاف الرموز بينهما.

رابعاً: «هُدَى الساري مقدمة فتح الباري»^(١)
ألفها سنة (٨١٣).

قال الحافظ في مقدمة «انتقاض الاعتراض»: (أما بعد، فإني شرعت في شرح صحيح البخاري في سنة ثلاث عشرة وثمانمائة بعد أن كنت خرجت ما فيه من الأحاديث المعلّقة في كتاب سمّيته «تغليق التعليق»، وكُمّل في سنة أربع وثمانمائة في سيفر ضخّم.. ثم عملت مقدّمة الشرح، فكمّلت في سنة ثلاث عشرة المذكورة، ومن هناك ابتدأت في الشرح)^(٢).

(١) المقدمة وإن كانت ليست مختصة بالرجال إلا أن من فصولها الهامّة (الفصل التاسع في سياق أسماء من طعن فيه من رجال هذا الكتاب مرتباً لهم على حروف المعجم، والجواب عن الاعتراضات موضعاً موضعاً، وتمييز من أخرج له منهم في الأصول أو في المتابعات والاستشهادات مفصلاً لذلك جميعه).

(٢) ٧/١.

خامسا: «تقريب التهذيب»:

ألفه سنة (٨٢٧).

وهو ملخص «تهذيب التهذيب»، كتب بخطه في آخر النسخة ما نصّه: (آخر الكتاب فرغ منه . سوى ما أصلح منه بعد . في يوم الأربعاء رابع عشرين جمادى الآخرة عام سبعة وعشرين وثمانمائة ملخصه أحمد بن علي بن حجر حامداً مصلياً مسلماً).

وهو على هذا آخر مؤلفاته في الرجال، وهو أقلها إلحاقات وإصلاحات. ولم يذكره الحافظ ضمن مؤلفاته التي رضيها، مع أنّ فيه ما ليس في غيره من تحرير حكم الرواة، وتحديد طبقاتهم، إلا أننا لا نعلم متى قال الحافظ ذلك؛ أقاله قبل تأليف «التقريب» أم بعده؟

المبحث الثالث: دراسة رموز فصل «تجريد الأسماء».

ذكر الحافظ في «لسان الميزان» الرواة المترجم لهم في «ميزان الاعتدال»، وزاد عليه، وأسقط مَنْ له رواية في الكتب الستة اكتفاء بوجود ترجمتهم في «تهذيب الكمال»، وجرّد أسماءهم في فصل ألحقه بآخر الكتاب، قال عنه: (وقد جمعت أسماءهم - أعني من ذُكر منهم في «الميزان» - وسردتها في فصل آخر الكتاب)^(١)، ثم في بداية الفصل قدّم بمقدمة ذكر فيها منهجه فيه وفائدته، فقال: (فصل في تجريد الأسماء التي حذفها من «الميزان» اكتفاء بذكرها في «تهذيب الكمال»، وقد جعلت لها علاماتها في «التهذيب»، ومن كتبت قبالته «صح» فهو مَمَّنْ تُكَلِّمُ فيه بلا حجة، أو صورة «ه» فهو مُخْتَلَفُ فيه والعمل على توثيقه، ومن عدا ذلك، فضعيف على اختلاف مراتب الضعف، ومن كان منهم زائداً على من اقتصر عليه الذهبي في «الكاشف» ذكرت ترجمته مختصرة؛ لِيَنْتَفِعَ بذلك من لم يَحْصُلْ له «تهذيب الكمال»، وباللّٰه التوفيق)^(٢).

(١) لسان الميزان ١/١٩٢.

(٢) ٢٤٧/٩، وهو في طبعة المطبعة النظامية ١٦٧/٧، وكتبوا رمز (مخ) بدل رمز (ه)، ثم لم يثبتوا رموز الرواة بعد ذلك، ولعلها لم تثبت في الأصل الخطي الذي اعتمدوا عليه.

فأفاد كلامه ما يلي:

١. في «التجريد» أسماء من ترجم لهم الحافظ الذهبي في «الميزان» وحذفهم ابن حجر من «اللسان» لوجود ترجمتهم مستوفاة في «تهذيب الكمال».
٢. اعتمد في رموز الكتب على رموز «تهذيب الكمال».
٣. ميّز الثقات المتكلّم فيهم بلا حجة برمز «صح».
٤. ميّز المختلف فيهم، والعمل على توثيقهم برمز «ه».
٥. من لم يرمز له بـ «صح» أو «ه» فهو ضعيف.
٦. ترجم باختصار لمن ذكرهم الذهبي في «الميزان»، ولم يترجم لهم في «الكاشف»، ولهم ترجمة في «تهذيب الكمال».^(١)
وأما فائدة هذا الفصل، فذكرها الحافظ في آخره، فقال:
(آخر التجريد، وفائدته أمران:
الأوّل: الإحاطة بجميع من ذكرهم المؤلّف في «الأصل».
والثاني: الإعانة لمن أراد الكشف عن الراوي، فإن رآه في أصلنا فذاك، وإن رآه في هذا الفصل، فهو: إمّا ثقة، وإمّا مختلف فيه، وإمّا ضعيف.
فإن أراد الزيادة في حاله نظر في «الكاشف»، فإن أراد زيادة بسط نظر في «مختصر التهذيب» الذي جمعه، ففيه كل ما في «تهذيب الكمال» للمزّي،

(١) منهم على سبيل المثال: أزهري بن راشد ذكره تمييزاً، وقال فيه: (أزهري بن راشد عن عصمة بن قيس، ما به بأس) ٢٥٤/٩ رقم ١٠٤، وهو من رجال التقريب رقم ٣٠٦، وإسحاق بن يسار أخرج له أبو داود في المراسيل، ولم يترجم له في الكاشف، فترجم له مختصراً في لسان الميزان ٢٥٨/٩ رقم ١٤٤، وهو من رجال التقريب رقم ٣٩٤.

من شرح حال الرواة وزيادة عليه، فإن لم يحصل له نسخة منه «فتذهيب التهذيب» للدّهبي فإنّه حسنٌ في بابه.

فإن لم يجده لا ههنا، ولا ههنا، فهو إما ثقة أو مستور).

وعلى هذا فمراتب الرواة عند الحافظ في هذا الفصل ثلاثة:

١. ثقات فيهم كلام غير مؤثّر.

٢. ثقات على الراجح، وفيهم كلام معتبر إلا أنّه لم ينزلهم إلى الضعف.

٣. ضعفاء.

وعنده أنّ من لم يكن من الرواة في «لسان الميزان» ولا في فصل «التجريد»، فهو إمّا ثقة [غير متكلّم فيه] أو مستور؛ لأنّه لما استوعب جميع المتكلّم فيهم - على التفصيل السابق - كان من عداهم إمّا ثقة غير متكلّم فيه أو مستور. ولا يخفى ما في هذا من التوسّع؛ فإنّ الجزم بإحاطة جميع الرواة المتكلّم فيهم صعب، بل غير واقع، كما أن قسمة الرواة إلى ثلاث مراتب فيه إجمالٌ شديد، وإن كان مفيداً لكونه يعطي حكماً جميلاً على الرواة.

المطلب الأوّل: دراسة رمز (صح).

لم يتفرد الحافظ باستعمال هذا الرمز بل سبقه إليه الحافظ الذهبي في «ميزان الاعتدال»، وأراد به معني خاصاً، قال ابن حجر في مقدمة «لسان الميزان» نقلاً عنه: (وقد وجدت له في أثناء الكتاب ما يصلح أن يكون في الخطبة، كقوله في ترجمة أبان العطار: إذا كتبت (صح) أوّل الاسم فهي إشارة إلى أن العمل على توثيق ذلك الرجل)^(١)، وأبان ثقة من رجال الشيخين، وتكلم في بعض حديثه، ولم يضره ذلك. وأما الحافظ ابن حجر فأبان عن مراده ب (صح) في أوّل فصل «التجريد» بقوله: (ومن كتبت قبالته (صح) فهو ممن تُكلم فيه بلا حجة)^(٢).

ونلاحظ في كلام الحافظ أنّه نسب استعمال رمز (صح) لنفسه، ولم ينسبه للذهبي، مما يدلّ على أنّ كلاّ منهما استعمل هذا الرمز، واستعمالهما له

(١) ٢٠٠/١، و ترجمة أبان العطاء في ميزان الاعتدال في ١٦/١ غير أن هذا الكلام ليس فيها، وليس في طبعة دار الرسالة العالمية، وقد ذكر المحققون ٢٢/١ بعض الفروق التي وقفوا عليها بين نسخ «ميزان الاعتدال»، وما نقله الحافظ عن «ميزان الاعتدال» يدلّ على اختلاف بين نسخ «ميزان الاعتدال»، أو أنّ الذهبي ألحق بالكتاب زيادات بعد انتشار نسخه بين الناس، فإن هذا الكلام مكتوب على الحاشية قبالة الترجمة. وقد سبق الحافظ إلى التنبيه على هذه الفائدة سبط ابن العجمي في مقدمة «التلقيح لفهم قارئ الصحيح» حيث قال: (إذا قلت: "وصحّ عليه؛ فإنّه يكون العمل على توثيقه؛ كما شرطه هو في حاشية «الميزان» - وهو كتاب مرقّص مطرب - تجاه ترجمة الشيعيّ الجلد أبان بن تغلب)، ونلاحظ هنا اتفاقهما في العبارة التي كتبها الذهبي في الحاشية (العمل على توثيقه).

(٢) ٢٤٧/٩.

متقارب، فمعناه عن الذهبي: (العمل على توثيقه)، ومعناه عند ابن حجر: (تُكَلِّم فيه بلا حجة)؛ أي أنه ثقة، وكلمة الذهبي وإن كانت أوسع لفظاً من كلمة ابن حجر إلا أنّها إذا فُهِمَت في سياق ما ذكره في المقدمة؛ أدّت إلى ما قاله الحافظ، وبيانه أنّه قال في المقدمة: (وفيه من تُكَلِّم فيه مع ثقته وجلالته بأدنى لين، وبأقلّ تجريح، فلولا أنّ ابن عدي أو غيره من مؤلّفي كتب الجرح ذكروا ذلك الشخص لما ذكرته لثقته، ولم أرَ من الرأي أن أحذف اسم أحدٍ ممّن له ذكر بتلينٍ ما في كتب الأئمة المذكورين؛ خوفاً من أن يُتعبّ عليّ، لا أنّي ذكرته لضعف فيه عندي)^(١)، وذكر في جملة من أوردتهم في كتابه: (ثم على الثقات الأثبات الذين فيهم بدعة، والثقات الذين تُكَلِّم فيهم من لا يُلتفت إلى كلامه ولا إلى تضعيفه؛ لكونه تعنّت وخالف الجمهور من أولي النقد والتحرير)^(٢)، وعليه فمن رمز له ب (صح) فهو من أمثال هؤلاء ممّن تُكَلِّم فيه بكلام غير مؤثّر، لجلالته، أو لكونه جرحاً مردوداً، أو لغير ذلك من الأسباب، وابن حجر شرطه في الكتاب كشرط الذهبي إلا أنّه خصّ الرّمز بمن كان الكلام فيه بلا حجة، وخصّ من كان ثقة والكلام فيه بحجة برمز آخر، فكلامه أخصّ من كلام الذهبي من حيث العبارة، وأمّا من حيث الحكم فمن صحّح عليه فإنّه ثقة عندهما ممّ يصحّح حديثه.

وعلى ما سبق فالذي يظهر لي أنّ استعمال رمز (صح) في «اللسان» استعمال مستقل لابن حجر، وليس نقلاً لرمز الذهبي، وقد يتفقان وقد

(١) ٢/١.

(٢) ٤٦/١.

يختلفان، فإن اتفقا فيقال: صحَّح عليه الذهبي وابن حجر، أو صحَّح عليه الذهبي ووافقه ابن حجر، ونحو ذلك.

وقد يُعترض على كونه استعمالاً مستقلاً لابن حجر بوجوده في «لسان الميزان». وهو تبع للميزان. وفي فصل «تجريد الأسماء»، وقد أشار في مقدمة «لسان الميزان» إلى استعمال الذهبي للرمز، فيكون ما في الفصل أسوة ما في «لسان الميزان»، وأمّا اختلاف الرموز بين «الميزان» و«اللسان» فسببه اختلاف نسخ «الميزان»، بدليل أنّ الحافظ نقل كلام الذهبي عن حاشية «الميزان»، ولا وجود له في نسخ «الميزان» المعروفة بين أيدينا.

وهذا اعتراض وجهه، إلاّ أنّه رجَّح الاستقلال عندي قرائن قويّة، فإنني تتبعت هذا الرمز عند ابن حجر فوجدته خالف ما في «الميزان» في مواضع كثيرة، وترك التصحيح لرواة صحَّح عليهم الذهبي، ولم يتطابق الرمز عندهما لا طردياً ولا عكسيّاً، ويصعب إحالة هذا كلّه إلى اختلاف النسخ، وأبلغ من هذا دلالة أنّ الحافظ ابن حجر صحَّح على رواية لم يترجم لهم الذهبي في «الميزان»، ممن زادهم ابن حجر ورمز لهم بـ (ز)، أو كانوا ممن زادهم الحافظ العراقي ورمز لهم الحافظ بـ (ذ)، ومن هؤلاء الرواة:

١. (ز صح) أحمد بن محمد بن زياد أبو سعيد ابن الأعرابي. (١)
٢. (ز صح) خالد بن عيسى. (٢)

(١) ٦٧٠/١ رقم ٨٥٧.

(٢) ٣٣٢/٣ رقم ٢٨٨٩.

٣. (ز صح) مسعود بن ناصر بن أبي زيد السجزي. (١)
٤. (ز صح) مفضل بن محمد بن إبراهيم، أبو سعيد الجندي. (٢)
٥. (ذ صح) مسلم بن عفان. (٣)
٦. (ذ صح) مسلم بن عمار. (٤)
٧. (ذ صح) مسلم بن هرمي. (٥)
٨. (ذ صح) مسلم مولى علي. (٦)

وأهمل التصحيح على رواية صحح عليهم الذهبي، منهم:

١. (م د س صح) إسماعيل بن شميع الكوفي الحنفي.
- نقل الذهبي كلام الأئمة في توثيقه وأنه كان مذموم الرأي، وقال ابن حجر في «التقريب»: صدوق تُكلم فيه لبدعة الخوارج. فهو من رجال مسلم ومتكلم فيه بحجة، فذكر ابن حجر رموزه وأسقط التصحيح؛ إلا أنه لم يرمز له ب (هـ) أيضاً. (٧)

٢. (صح) أحمد بن جعفر بن حمدان، أبو بكر القطيعي.

(١) ٤٧/٨ رقم ٧٦٩٨.

(٢) ١٤٠/٨ رقم ٧٨٩٠.

(٣) ٥٣/٨ رقم ٧٧١٣.

(٤) ٥٤/٨ رقم ٧٧١٤.

(٥) ٥٦/٨ رقم ٧٧٢١.

(٦) ٥٧/٨ رقم ٧٧٢٥.

(٧) ميزان الاعتدال ٢٣٠/١، وفصل تجريد الأسماء ٢٦٠/٩ رقم ١٧٥، والتقريب رقم ٤٥٢.

ونقل الذهبي قول ابن الفرات أنه خرف في آخر عمره حتى كان لا يعرف شيئاً مما يُقرأ عليه. قال الذهبي: فهذا القول غلو وإسراف، وقد كان أبو بكر أسند أهل زمانه، مات في آخر سنة ثمان وستين وثلاثمائة، وله خمس وتسعون سنة.

وأسقط ابن حجر التصحيح وتعقب الذهبي بقوله: وإنكار الذهبي على ابن الفرات عجيب، فإنه لم ينفرد بذلك ... إلخ. (١)

٣. (٤ صح) أشعث بن عبد الله الحُدّاني.

ونقل الذهبي أن العقيلي ذكره في الضعفاء، وقال: في حديثه وهم. ثم تعقبه فقال: قول العقيلي: "في حديثه وهم" ليس بمسلم إليه، وأنا أتعجب كيف لم يخرج له البخاري ومسلم.

وذكره ابن حجر فصل «تجريد الأسماء»، ونقل تعجب الذهبي، ولم يصحح عليه ولم يرمز له ب (هـ)، وكان يلزمه أحدهما، وقال عنه في «التقريب»: صدوق. (٢)

٤. (٤ صح) أشعث بن عبد الملك الحُمُراني.

قال الذهبي: إنما أوردته لذكر ابن عدي له في «كامله»، ثم إنّه ما ذكر في حقه شيئاً يدلّ على تليينه بوجه، وما ذكره أحد في كتب الضعفاء أبداً. نعم ما أخرجنا له في الصحيحين، فكان ماذا!؟

(١) ميزان الاعتدال ١/١١٧، ولسان الميزان ١/٤١٨.

(٢) ميزان الاعتدال ١/٢٥٥، ولسان الميزان ٩/٢٦٢، والتقريب ٥٢٧.

وذكره ابن حجر في فصل «تجريد الأسماء» ورمز له: خت ٤. وقال عنه في «التقريب»: ثقة فقيه. (١) وكان يلزمه أن يصحح عليه أو أن يرمز له بـ (هـ) على القاعدة.

وهذه الأمثلة من أدل ما يكون على أن ابن حجر لم يكن ناقلًا للرمز عن الذهبي دون موافقة منه على ذلك، وأن ما اتفقا على التصحيح عليه؛ فهو اجتهاد منسوب إليهما جميعًا، والله تعالى أعلم.

وتتميمًا للفائدة واستكمالًا لاحتمالات التوافق والاختلاف في الرمز بينهما، فممن صحح عليهم الحافظ في «اللسان»، ولم يصحح عليهم الذهبي: ١. إبراهيم بن سويد الصيرفي الكوفي. (٢)

٢. إسحاق بن يسار، والد ابن إسحاق.

قال ابن حجر: في «الميزان» أن الدارقطني قال: لا يحتج به. وثقه ابن معين وأبو زرعة. (٣) ويفهم من هذا أنه يتعقب الذهبي في تضعيفه له تبعًا للدارقطني، فذكر من وثقه وصحح عليه.

٣. حاشد بن عبد الله البخاري نقل الذهبي عن أبي أحمد الحاكم أنه قال: فيه نظر. وتعقبه ابن حجر بأنه لم ير لحاشد بن عبد الله ذكرًا في تاريخ بخاري، وإنما فيه حاشد بن إسماعيل، وصحح عليه. (٤)

(١) ميزان الاعتدال ٢٥٦/١، ولسان الميزان ٢٦٢/٩، والتقريب ٥٣١.

(٢) ميزان الاعتدال ٧٥/١، ولسان الميزان ٢٤٩/٩.

(٣) ميزان الاعتدال ٢٠٩/١، ولسان الميزان ٢٥٨/٩.

(٤) ميزان الاعتدال ٤١٠/١، ولسان الميزان ٥٣٥/٢.

٤. الحسين بن علي المصري الفراء. (١)
٥. محمد بن خالد المخزومي. (٢)
٦. مهنا بن يحيى الشامي، صاحب الإمام أحمد. (٣)
٧. يزيد بن صالح اليشكري النيسابوري. (٤)
- وَمَنْ صَحَّ عَلَيْهِمْ فِي فِصْلِ «تَجْرِيدِ الْأَسْمَاءِ»، وَلَمْ يَصَحَّ عَلَيْهِمُ الذَّهَبِيُّ:
١. أبان بن إسحاق المدني. (٥)
٢. أبان بن صمعة. (٦)
٣. أبان بن عبد الله البجلي. (٧)
٤. إبراهيم بن جرير البجلي. (٨)
٥. داود بن نُصير الطائي. (٩)

- (١) ميزان الاعتدال، ٤٩٦/١، ولسان الميزان ١٩٤/٣.
- (٢) ميزان الاعتدال ١٠٦/٤، ولسان الميزان ١١٢/٧.
- (٣) ميزان الاعتدال ٣٩٤/٤، ولسان الميزان ١٨٣/٨.
- (٤) ميزان الاعتدال ١٦٠/٥، ولسان الميزان ٤٩٨/٨.
- (٥) ميزان الاعتدال ٤٩/١، ولسان الميزان ٢٤٨/٩.
- (٦) ميزان الاعتدال ٥١/١، ولسان الميزان ٢٤٨/٩.
- (٧) ميزان الاعتدال ٥٢/١، ولسان الميزان ٢٤٨/٩.
- (٨) ميزان الاعتدال ٦٦/١، ولسان الميزان ٢٤٩/٩.
- (٩) ميزان الاعتدال ٢١/٢، ولسان الميزان ٢٩٨/٩.

المطلب الثاني: دراسة رمز (ه).

استعمل الحافظ هذا الرمز في (٢٥٦) راويًا حسب المطبوع^(١)، وتقدّم أن من رمز له الحافظ ب (صح) فالعمل على توثيقه، ولكونه من رجال «الميزان» فهو متكلم فيه ضرورةً، لكن الكلام فيه بلا حجة، وأمّا من رمز له ب (ه) فهو ممن تُكلم فيه بحجة، وفيه اختلاف مؤثّر إلا أنّ العمل على توثيقه، فيكون أنزل مرتبةً ممن رمز له ب (صح).

والراوي إذا كان مختلفًا فيه اختلافًا مؤثّرًا، فالغالب أنّه سيكون من أصحاب المرتبتين الرابعة أو الخامسة من مراتب الحافظ في «التقريب»، وهم من وُصف «بصدوق» وما ألحق بها، وقد يكون من غيرهما حسب قوة الاختلاف فيه. ولكن هل يصحّ أن يقال في مثل هؤلاء الرواة المختلف فيهم إنّ العمل على توثيقهم هكذا بإطلاق؟ وهل يصحّ هذا الافتراض على الرواة الذين رمز لهم ب (ه)؟

للجواب عن هذين السؤالين نحتاج إلى معرفة مراتب من رمز لهم بهذا الرمز أولاً، ثمّ نستخلص مراد الحافظ بالتوثيق.

(١) يوجد اختلاف بين نسختي لسان الميزان في رموز بعض الرواة، كما وقعت أوهام يسيرة في قراءة بعضها، ومن ذلك:

- إبراهيم بن عبد الله بن قُريم: رمز له الحافظ بخطّه (ه)، ويليهِ: إبراهيم بن عبد الله بن الحارث الجمحي: لم يرمز له ب (ه)، وألحق القلقشندي الرمز في الحاشية، فألحقت في المطبوع بالجمحي وهي لابن قُريم.

- وإبراهيم بن عبد الرحمن بن مهدي: رمز له الحافظ: (د ت سي)، وهو الموافق لتهديب الكمال، وعند القلقشندي: (د ت س)، وهو خطأ.

وللوصول إلى هذه النتيجة وُزعت الرواة على مراتب الجرح والتعديل التي ذكرها الحافظ في مقدمة «تقريب التهذيب»، فكانوا على النحو الآتي:
المرتبة الثانية: من أكد توثيقه بأفعل أو تكرير الصفة.
وعدددهم أربعة رواة.

- (ع) عكرمة أبو عبد الله، مولى ابن عباس. قال عنه في «التقريب»: ثقة
ثبت عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، ولا تثبت عنه بدعة.^(١)
- (خ د) علي بن الجعد الجوهري البغدادي. قال عنه في «التقريب»: ثقة
ثبت، رمي بالتشيع.^(٢)
- (ع) مروان بن معاوية بن الحارث بن أسماء الفزاري. قال عنه في
«التقريب»: ثقة حافظ، وكان يدلّس أسماء الشيوخ.^(٣)
- (ع) يزيد بن إبراهيم التستري، أبو سعيد. قال عنه في «التقريب»: ثقة
ثبت إلا في روايته عن قتادة ففيها لين.^(٤)

(١) لسان الميزان برقم ١٩٠٧، والتقريب برقم ٤٦٧٣.

(٢) لسان الميزان برقم ١٩٣٤، والتقريب برقم ٤٦٩٨.

(٣) لسان الميزان برقم ٢٦٣٢، والتقريب برقم ٦٥٧٥.

(٤) لسان الميزان برقم ٣٠٩٣، والتقريب برقم ٧٦٨٤.

المرتبة الثالثة: من قال فيهم: "ثقة" ونحوه من الألفاظ.

- وعدددهم (٥٦) راوياً، ولكثرهم فسأكتفي بذكر أمثلة منهم: (١)
- (د ت ق) عبد الله بن بَجِير بن رَيْسَان، أبو وائل القاص. قال عنه في «التقريب»: وثقه ابن معين، واضطرب فيه كلام ابن حبان. (٢)
- (بخ ٤) حارثة بن مُضَرَّب العبدي الكوفي. قال في «التقريب»: ثقة ... غلط من نقل عن ابن المديني أنه تركه. (٣)
- (بخ ٤) راشد بن سعد المَقْرِي، الحمصي. قال عنه في «التقريب»: ثقة كثير الإرسال. (٤)
- (خت مق ٤) سفيان بن حسين بن حسن الواسطي. قال عنه في «التقريب»: ثقة في غير الزهري باتفاقهم. (٥)

(١) أرقام من اندرج من الرواة في هذه المرتبة: ٤٥، ٣١٤٧، ١٠٠، ٤٢٢، ٧٢٥، ٧٦٠، عقب ٣٣٩٧، ٨٩٤، ٩١٦، ٩٣٤، ١٠٠٠، ١١٩٧، ١٢٤٦، ١١٣، ١٣٣٨، ٣٢٦٤، ١٣٦٧، ١٤٠٦، ١٤٧٧، عقب ٣٢٦٦، ١٥٢٩، ١٥٧٣، ١٥٩١، ٤٠٤، ١٤٩، ١٦٤٨، ١٦٨٩، ١٨٢٥، ١٨٤٥، ١٨٢٩، ١٨٧٣، ١٨٧٨، ١٩٦٤، ١٩٣١، ٢٠١٠، ٢١١٧، ٢٢٣٠، عقب ٣٢٨٨، ٢٣٦٠، ٢٣٩٤، ٢٧٤٢، ٢٧٨٩، ٢٩٥٢، ٢٩٨٦، ٣٠٠٨، ٣٠٥١، ٣١١٦، ٣١١٤، ٣١٦٦، ٣١٨٧، ٣٢٢٨، ٣٣٠٥، ٣٣٤٦، عقب ٣٤٠٦، ٣٨٩.

(٢) لسان الميزان عقب الترجمة رقم ٣٤١٣، والتقريب برقم ٣٢٢٢

(٣) لسان الميزان برقم ٤٢٢، والتقريب برقم ١٠٦٣.

(٤) لسان الميزان برقم ٧٦٠، والتقريب برقم ١٨٥٤.

(٥) لسان الميزان برقم ١٠٠٠، والتقريب برقم ٢٤٣٧.

(م) عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت الأسدي الكوفي. قال عنه في «التقريب»: ثقة. (١)

المرتبة الرابعة: من قاله فيهم: صدوق، لا بأس به، ليس به بأس. وعدددهم (٦٥) راوياً، ومن أمثلتهم: (٢)

(د ت سي ق) حجاج بن دينار الواسطي. قال عنه في «التقريب»: لا بأس به، وله ذكر في مقدمة مسلم. (٣)

(بخ م ٤) حماد بن أبي سليمان مسلم الأشعري مولاهم، أبو إسماعيل الكوفي. قال عنه في «التقريب»: فقيه صدوق له أوهام، ... ورمي بالإرجاء. (٤)

(١) لسان الميزان برقم ١٣٣٨، والتقريب برقم ٣٢٧٠.

(٢) أرقام من اندرج من الرواة في هذه المرتبة: ٤٤٢، ٦٠٦، ٣٨٣، ٢٩، ٨٣٨، ٩٣١، ٩٩٨، ١٠٠٣، ٥٣، ١١٤٩، ٦٨، ١٢٣٩، ١٠٩، ١٢٩٩، ١٤٠٨، ١٥٣٧، ١٥٥٨، ١٥٩٣، ١٦٩٢، ١٧٥٨، ١٧٧٥، ١٨٣٠، ٧٧، ١٨٩٢، ١٩٨٢، ١٩٩٧، ٢٠٨٥، ٧٦، ٢٢٠٠، ٢٢١٥، ٢٣٠٦، عقب ٣٣٦٣، ٢٣٥٥، ٢٥٠١، ٢٥٦٧، ٢٥٤، ٢٣٣٠، ٢٣٦٣، ٢٦٠٨، ٢٧٨٤، عقب ٣٢٢٨، ٢٧٧٩، عقب ٣٢٩٠، ٣١٠٣، ٣٩٣٣، ٢٨٩٦، ٣٠١٧، ٣٠٣٩، ٣٠٤١، ٣٠٤٣، ٣٠٤٩، ٣٠٥٥، ٣١٠٣، ٣١٣٤، ٣١٣٦، ٣١٣٥، ٣١٥٦، ٣١٣، ٣٢١٣، ٣٢٠٦، ٣٢٩١، ٣٦١، ٨٨، ٣٧٥، ٣٧٧، ٣٧٩.

(٣) لسان الميزان برقم ٤٤٢، والتقريب برقم ١١٢٥، وعلى هذا فليس هو من رجال مسلم، والذكر الذي أشار إليه ما جاء في مقدمة صحيح مسلم: باب في أن الإسناد من الدين ١٢/١، في قول عبد الله بن المبارك: إن بين الحجاج بن دينار وبين النبي صلى الله عليه وسلم مفاوز تنقطع فيها أعناق المطي.

(٤) لسان الميزان برقم ٦٠٦، والتقريب برقم ١٥٠٠.

(م ت س) سُعير بن الخُمس التميمي. قال عنه في «التقريب»: صدوق، له عند مسلم حديث واحد في " الوسوسة " (١).

(مق ع) (٢) سفيان بن عقبة السوائي الكوفي، أخو قبيصة. قال عنه في «التقريب»: صدوق. (٣)

(خ ت ق) عباد بن يعقوب الرواجني، أبو سعيد الكوفي. قال عنه في «التقريب»: صدوق رافضي. حديثه في البخاري مقرون. بالغ ابن حبان فقال: يستحق الترك. (٤)

(خ مقرونا م مدت س ق) يحيى بن عبد الملك بن حميد بن أبي غنّية الخزاعي الكوفي. قال عنه في «التقريب»: صدوق له أفراد. (٥)

(١) لسان الميزان برقم ٩٩٨، والتقريب برقم ٢٤٣٢.

(٢) كذا في المطبوع، وسيأتي التنبيه على ما فيه حيث إنه لا يجتمع أن يعطى رمز مسلم في المقدمة مع الجماعة.

(٣) لسان الميزان برقم ١٠٠٣، والتقريب برقم ٢٤٤٩.

(٤) لسان الميزان برقم ١٢٩٩، والتقريب برقم ٣١٣٥، وهو من شيوخ الإمام البخاري، روى له حديثا واحداً ح ٧٥٣٤ قرنه بسليمان بن حرب، حديث: (أي الأعمال أفضل).

(٥) لسان الميزان برقم ٣٠٥٥، والتقريب برقم ٥٧٩٨، وله في صحيح البخاري حديث واحد ح ٧٣٣٧ عن إسحاق. هو ابن راهويه. : أخبرنا عيسى وابن إدريس وابن أبي غنّية.

المرتبة الخامسة: من قال فيهم: صدوق سيئ الحفظ، صدوق يهم،

صدوق له أوهام، صدوق يخطئ، تغير بأخرة، من رمي ببدعة.

وعددهم (١١٨) راوياً، ومن أمثلتهم: (١)

(بخ م د ت س) الوليد بن عبد الله بن جميع الزهري المكي. قال عنه في

«التقريب»: صدوق يهم، ورمي بالتشيع. (٢)

(ت) أحمد بن محمد بن نيزك بن حبيب البغدادي، أبو جعفر الطوسي.

قال عنه في «التقريب»: صدوق في حفظه شيء. (٣)

(١) أرقام من اندرج من الرواة في هذه المرتبة: ٢٩٧٩، ٨٩، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١٣، ٤٣١، ٤٨٧، ٩٤، ٧٣، ٦٣١، ٦٦٦، عقب ٣٢٢٢، عقب ٣١٩٨، ٧٦٦، ٧٧٩، ٨٩٦، ٩١٣، ٩٤٨، ٩٥٤، ٩٧٧، ١٠٣٣، ٤٩، ١٠٧٠، ١٠٨٣، ١٠١٢، ١١٢١، ١١٣١، ١١٣٢، ١٠٩٨، عقب ٣٣٠٣، ٩٥، ١٢١٥، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٧٤، ١٢٨٣، ١١١، ١٣٧٩، عقب ٣١٠٠، ١٣٩٣، ١٣٩٧، ١٤١٣، عقب ٣٢٦٥، عقب ٣٣٥٦، ١٥٦٩، ١٥٧٧، ١٥٧٩، ١٥٩٦، ١٦١٤، ١٦٤٤، ١٧٠٦، ١٧٥٤، ١٨١٤، ١٨٤٧، ١٨٤٨، ١٨٧٥، ١٦١، ١٨٧٤، ١٨٧١، ١٧٩، ١٨٠، ١٩٠٦، ١٨٣، ١٨٤، ١٩٥٥، ١٩٨١، ٢٠٣٠، ٢٠٩٣، عقب ٣٤٠٦، ٢٢١٦، ٢٢٢٢، ٢٢٣٨، ٢٢٦١، ٢٢٩٢، ٢٣٨٤، ٢٤٠٧، ٢٤٣٣، ٢٤٤٣٠، ٢٢٩، ٢٤٥٩، ٢٤٨٠، ٢٥٢١، ٢٥٢٧، ٢٥٧٠، ٢٦١٦، ٢٦٢٠، ٢٦٢٩، ٢٦٦٠، ٢٦٨١، ٨١، ٢٦١٥، ٢٧٢٩، ٢٨١٠، ٢٨١١، ٢٨١٦، ٢٨٠٣، ٢٩٣، ٢٩١٧، ٢٩٢٧، ٣٠٠٩، ٣٠١٤، ٣٠٣٤، ٣٠٦٥، ٣٠٧٣، ٣٠٧٢، ٣٠٨٩، ٣١٣١، ٣١٢٩، ٣١٥١، ٣١٧٧، ٣١٧٩.

(٢) لسان الميزان برقم ٢٩٧٩، والتقريب برقم ٧٤٣٢.

(٣) لسان الميزان برقم ٨٩، والتقريب برقم ١٠١.

(خت م د ت) الحارث بن عبيد الإيادي أبو قدامة البصري. قال عنه في «التقريب»: صدوق يخطئ. (١)

(خ ت ق) أحمد بن بشير المخزومي، أبو بكر الكوفي. قال عنه في «التقريب»: صدوق له أوهام. (٢)

(خت م ٤) سعد بن سعيد بن قيس بن عمرو الأنصاري. قال عنه في «التقريب»: صدوق سيئ الحفظ. (٣)

(مق ٤) سليمان بن موسى الأموي الدمشقي الأشدق. قال عنه في «التقريب»: صدوق فقيه في حديثه بعض لين، وخولط قبل موته بقليل. (٤)

(خ د ت ق) سنان بن ربيعة الباهلي البصري. قال عنه في «التقريب»: صدوق فيه لين، أخرج له البخاري مقروناً. (٥)

(١) لسان الميزان برقم ٤١٠، والتقريب برقم ١٠٣٣.

(٢) لسان الميزان برقم ٧٣، والتقريب برقم ١٣.

(٣) لسان الميزان برقم ٩١٣، والتقريب برقم ٢٢٣٧.

(٤) لسان الميزان برقم ١٠٧٠، والتقريب برقم ٢٦١٦، وأخرج له مسلم في المقدمة عن طاوس، قوله ١١/١، وفي الصحيح أيضاً في كتاب البيوع، في كراء الأرض ح ١٥٤٣.

(٥) لسان الميزان برقم ١٠٨٣، والتقريب برقم ٢٦٣٩، وأخرج له البخاري حديثاً واحداً في كتاب الأطعمة: باب من أدخل الضيفان عشرة عشرة ح ٥٤٥٠ قرنه حماد بن زيد بالجعد أبي عثمان ومحمد بن سيرين.

(خت م ٤) شريك بن عبد الله النخعي الكوفي القاضي. قال عنه في «التقريب»: صدوق يخطئ كثيراً، تغَيَّرَ حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة، وكان عادلاً فاضلاً عابداً شديداً على أهل البدع. (١)

المرتبة السادسة: من قال فيهم: مقبول.

وعدددهم (٦) رواية، هم:

(م تم س) شعيب بن صفوان بن الربيع الثقفي الكوفي.
قال فيه الذهبي: وثَّق، وقال ابن عدي: عامَّة ما يرويه لا يتابع عليه، له في مسلم حديث واحد. (٢)

(بخ س) عمير بن إسحاق أبو محمد مولى بني هاشم.
قال فيه الذهبي: ليَّنه ابن معين وقوَّاه غيره. (٣) وأخرج له الحاكم وابن حبان.
(٤) أبو الأحوص، مولى بني ليث أو غفار. (٤)
(س) توبة، أبو صدقة الأنصاري مولى أنس البصري.

قال فيه الذهبي: لم يُنكَلَم فيه. وقال في «الميزان»: ثقة روى عنه شعبة.
وقال ابن حجر معلقاً على قول الذهبي: يعني وروايته عنه توثيق له. (٥)

(١) لسان الميزان برقم ١١٣١، والتقريب برقم ٢٧٨٧، وعَلَّقَ له البخاري في موضع واحد في الجناز: باب فضل من مات له ولد فاحتسب ح ١٢٤٩.

(٢) لسان الميزان برقم ١١٣٧، والتقريب برقم ٢٨٠٣، والكاشف ٢٢٩١، وله في مسلم حديثان، أحدهما في الجناز ح ٩٢٧ في تعذيب الميت بالبكاء عليه، والآخر في ذكر الدجال ح ٢٩٣٤.

(٣) لسان الميزان برقم ٢١٣٤، والتقريب برقم ٥١٧٩، والكاشف ٤٢٨٢.

(٤) لسان الميزان برقم ٣١٩١، والتقريب برقم ٧٩٢٦.

(٥) لسان الميزان برقم ٣٢٤، والتقريب برقم ٨٠٩، والكاشف ٦٣٠، وميزان الاعتدال ١/٣٣٥، وتهذيب التهذيب ١/٢٦١.

(عخ ٤) ثعلبة بن عباد العبدي البصري. (١)
أخرج له ابن خزيمة وابن حبان.
(س) جابان. غير منسوب.
قال أبو حاتم: شيخ. (٢) وأخرج له ابن حبان.
المرتبة السابعة: من قال فيهم: مستور أو مجهول الحال.
ولم يندرج في هذه المرتبة أحد من الرواة.
المرتبة الثامنة: من قال فيه: ضعيف. وألحقتُ بها: لين الحديث، ليس بالقوي.

وعددتهم (٦) رواية، هم:
(٤) سُهَيْل ابن أبي حزم مهران القُطَعي، أبو بكر البصري.
قال عنه في «التقريب»: ضعيف. (٣)
(م د ت ق) عباد بن أبي صالح السمان المدني.
قال عنه في «التقريب»: لين الحديث. وسمّاه الذهبي: عبد الله، وقال فيه:
مختلف في توثيقه، وحديثه حسن. (٤)
(بخ د س ق) عبيد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله التيمي.

(١) لسان الميزان برقم ٣٣٨، والتقريب برقم ٨٤٣.
(٢) لسان الميزان برقم ٣٤٩، والتقريب برقم ٨٦٣، والجرح والتعديل ٥٤٦/٢، ونقل ابن حجر عن الذهبي أنه قال: لا يُدرى من هو. وعن أبي حاتم أنه قال فيه: ليس بحجة.
(٣) لسان الميزان برقم ١٠٩٣، والتقريب برقم ٢٦٧٢.
(٤) لسان الميزان برقم ١٢٨٦، والتقريب برقم ٣٣٩٠، والكاشف برقم ٢٧٨٢.

قال عنه في «التقريب»: ليس بالقوي. (١) وأخرج له ابن خزيمة والحاكم وابن حبان والضياء في المختارة.

(بخ م ٤) علي بن زيد بن عبد الله بن زهير بن عبد الله بن جدعان التيمي البصري.

قال عنه في «التقريب»: ضعيف. وقال فيه الذهبي: أحد الحفاظ وليس بالثبت. (٢)

(م ت ق) محمد بن يزيد بن محمد بن كثير العجلي الرفاعي.

قال عنه في «التقريب»: ليس بالقوي .. وذكره ابن عدي في شيوخ البخاري، وجزم الخطيب بأنّ البخاري روى عنه، لكن قد قال البخاري: رأيتهم مجمعين على ضعفه. (٣)

قلت: هو من شيوخ البخاري كما ذكر ابن عدي، وله في «الصحيح» حديث واحد كما ذكر الخطيب البغدادي، وهو: ح ٣٦٧٨ حدثني محمد بن يزيد الكوفي: حدثنا أبو الوليد، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن محمد بن إبراهيم، عن عروة بن الزبير، قال: سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم. الحديث.

(١) لسان الميزان برقم ١٧٧٤، والتقريب برقم ٤٣١٤.

(٢) لسان الميزان برقم ١٩٤٣، والتقريب برقم ٤٧٣٤، والكاشف برقم ٣٩١٦.

(٣) لسان الميزان برقم ٢٦٠٥، والتقريب برقم ٦٤٠٢.

لكن اختلفوا في المراد بمحمد بن يزيد هل هو البزاز أو العجلي الكوفي أو
هما واحدا؟^(١) ولعلّ هذا هو السبب في تقوية الحافظ له لاحتمال أن يكون من
رواة الصحيح، والله أعلم.

(م ٤) مصعب بن شيبة بن جبير العبدي المكي الحجبي.
قال في «التقريب»: لين الحديث. وقال الذهبي: فيه ضعف.^(٢)

المرتبة التاسعة: من قال فيهم: مجهول.

ولم يندرج في هذه المرتبة أحد من الرواة.

المرتبة العاشرة: من قال فيهم: متروك، متروك الحديث، واهي الحديث،
ساقط.

وفيهما راوٍ واحد، هو:

(ت ق) أشعث بن سعيد البصري، أبو الربيع السمان.

قال في «التقريب»: متروك.^(٣)

المرتبة الحادية عشرة:

لم يندرج فيها أحد من الرواة.

المرتبة الثانية عشرة:

لم يندرج فيها أحد من الرواة.

(١) انظر: التعديل والتجريح للباحي ٦٨٨/٢، وكلام الحافظ ابن حجر عند شرح الحديث في
فتح الباري.

(٢) لسان الميزان برقم ٢٦٧٣، والتقريب برقم ٦٦٩١، والكاشف برقم ٥٤٦٥.

(٣) لسان الميزان برقم ٢٠١، والتقريب برقم ٥٢٣.

وختلاصة توزيع الرواة على المراتب على النحو الآتي:

المرتبة	ألفاظها	عدد الرواة
٢	المؤكّد بأفعل أو تكرير الصفة	٤
٣	ثقة، ونحوها	٥٦
٤	صدوق، لا بأس به، ليس به بأس	٦٥
٥	صدوق سيئ الحفظ، صدوق يهيم، صدوق له أوهام، صدوق يخطئ، تغير بأخرة، من رمي ببدعة	١١٨
٦	مقبول	٦
٧	مستور، مجهول الحال	لا يوجد
٨	ضعيف وألحقَتْ بما: لين الحديث، ليس بالقوي	٦
٩	مجهول	لا يوجد
١٠	متروك، متروك الحديث، واهي الحديث، ساقط	١
١١		لا يوجد
١٢		لا يوجد
	المجموع	٢٥٦ راويًا

وبعد هذا العرض لمراتب من رمز لهم الحافظ بـ (هـ) يتأكد أنّ غالب المختلف فيهم والعمل على توثيقهم عند الحافظ من أصحاب المراتب الثالثة والرابعة والخامسة، وهذه المراتب ممن يحسّن الحافظ حديثهم لعدم تمام ضبطهم، وعليه فيكون مراده بكون العمل على توثيقهم مطلق التوثيق، وإذا أدخلنا معهم أصحاب المرتبة السادسة، فجميع هؤلاء ضمن مراتب التعديل عنده، ومن المستبعد جدًا أن يريد بكون العمل على توثيقهم أنّهم ثقات بإطلاق قد بلغوا تمام الضبط؛ وإلا للزم منه أن يكونوا أعلى مرتبة ممن تُكلم فيهم بلا حجة أو أنّهم مثلهم سواء.

ومطلق التوثيق وصف جامع لمن يقبل حديثه سواء كان ثقة أو صدوقًا على اختلاف مراتبهما، وهو استعمال جرى عليه المحدثون قبل استقرار

الاصطلاح، فذكروا في «الصحيح» نوعي الصحيح والحسن الاصطلاحيين، ويؤيد هذا أن غالب هؤلاء الرواة لهم رواية في الكتب التي اشترط أصحابها الصحة، ورمز لهم الحافظ بـرمز البخاري ومسلم أو أحدهما، أو أخرج لهم غيرهما ممن أُلّف في الصحيح، وقد تبّهت على هذا في مواضعه عند ذكر رواية المرتبتين السادسة والثامنة، فإن هذه الصفة تنطبق على غالبهم، وإذا ثبت هذا فيهم فمن كان فوقهم فهو من باب أولى.^(١)

بقي أن الحافظ رمز بـ (هـ) لسبعة رواة وضعهم في المرتبتين الثامنة والعاشرية، وهما من مراتب الجرح، ستة منهم ضعفاء، والسابع متروك، وتوجيه هذا أن أصحاب المرتبة الثامنة تمكن تقوية أحاديثهم عند بعض المحدثين حيث أخرج لهم من أُلّف في الصحيح كما تبّهت عليه عند سرد أسمائهم، أو يحمل على أنه تغير رأي الحافظ فيهم بعد ذلك، فأنزلهم إلى مراتب الجرح، وإذا حملنا هذا على اختلاف الاجتهاد فعددهم قليل، ونسبتهم ٢,٧٪ لا تؤثر على الغالب الذين انطبقت عليهم النتيجة، ونسبتهم ٩٧,٣٪، والذي أميل إليه الاحتمال الثاني، وهو تغير الاجتهاد، فقد وجدت أنه تغير اجتهاده أيضًا في الرواة الذين لم يرمز لم بشيء. وهم على القاعدة ضعفاء. ورفعهم في «التقريب» إلى مرتبة الثقة أو الصدوق، ومن أمثلتهم:

(خ ت س) بشر بن شعيب بن أبي حمزة.

قال في «التقريب»: ثقة.

(١) وكنت قد سردت أسماء جميع الرواة ومن أخرج لهم ممن أُلّف في الصحيح تفصيلاً، ثم رأيت الاقتصار على أمثلة منهم خشية الإطالة.

ولم ينقل في «التهذيب» عن أحد أنه جرحه، إنما اختلفوا في طريقة تحمّله من أبيه. (١)

(بخ (٢) م د ت س) إبراهيم بن يوسف بن أبي إسحاق السبيعي.
قال في «التقريب»: صدوق يهم.

وهو مختلف فيه، وأخرج له البخاري ومسلم في صحيحيهما، وقال فيه أبو حاتم: حسن الحديث، يكتب حديثه. ووثقه الدارقطني. (٣)

(خ د س) إبراهيم بن عبد الرحمن السكسكي.
قال في «التقريب»: صدوق ضعيف الحفظ.

وهو مختلف فيه، وأخرج له البخاري وابن حبان والحاكم. (٤)
وخلاصة ما سبق:

أن رمز (هـ) يفيد حكمًا إجماليًّا على الراوي، وأما مرتبته التفصيلية عند الحافظ فتؤخذ من «تقريب التهذيب» لتأخره تأليفيًّا، وذلك أنه يشير إلى أنّ الراوي ضمن مراتب من يقبل حديثه لذاته أو لغيره، وغالبهم ممن أخرج له من ألف في الصحيح.

ومراتب الرواة عند الحافظ في فصل «تجريد الأسماء» إجمالًا ثلاثة:

أ. ثقات متفق عليهم أو متكلم فيهم بلا حجة.

ب. مختلف فيهم، وكان الراجح قبول حديثهم احتجاجًا أو اعتبارًا.

(١) التقريب ٦٨٨، والتهذيب ٢٢٨/١.

(٢) كذا عند القلقشندي، ويخط الحافظ. وأسقط س. وفي تهذيب الكمال والتقريب (خ)، وهو الصحيح، فقد أخرج له البخاري في الصحيح.

(٣) التقريب ٢٧٤، والتهذيب ٩٥/١.

(٤) التقريب ٢٠٤، والتهذيب ٧٤/١.

واندرج فيهما من مراتب الجرح والتعديل التي ذكرها الحافظ في مقدمة «التقريب» المراتب من الثانية وحتى السادسة من المراتب الثنتي عشرة. ج. ضعفاء على اختلاف مراتبهم، أي أنّ الأصل في حديثهم الضعف، وقد يتقوى بعضهم بالمتابعة.

واندرج فيها من مراتب الجرح والتعديل التي ذكرها الحافظ في مقدمة «التقريب» المراتب الستة الأخيرة، وهم المجهولون فمن دونه.

المطلب الثالث: الموازنة بين فصل «تجريد الأسماء» و«تقريب التهذيب» في رموز الكتب.

وأقصد بها الرموز التي يشير بها الحافظ إلى الكتب التي أخرجت للمترجم لهم، والذي يدعو إلى دراستها وجود بعض الاختلافات بين فصل «التجريد» و«التقريب»، ودراستها يمكن أن يبرِّح تقدم أحدهما على الآخر تأليفاً، أو على أنه الأرجح عند الاختلاف؛ إن أمعن أحدهما في موافقة «تهذيب الكمال» أو مخالفته، وقد عُلم مما سبق أنّ الحافظ سرد في هذا الفصل أسماء من ترجم لهم في «تهذيب الكمال»، أي أنه تبع له في رموزه، وأما «التقريب» فاعتمد فيه على «تهذيب التهذيب» كما يُعلم من مقدمة الكتاب.

وقد قارنت بين رموز رواة البحث وهم (٢٥٦) راوياً، فوجدتها اختلفت في (١٧) راوياً حسب المطبوع، ثم اقتضت الدراسة الرجوع إلى النسختين الخطيتين لتكون المقارنة دقيقة، مع مقارنة كلٍ منهما بأصله الذي اعتمد عليه، وكانت المقارنة باعتبار ما تفرّد به أحدهما، وباعتبار ما أصاب فيه من ذلك أو خطأ، وبعد المراجعة والمقارنة كانت النتائج على النحو التالي^(١):

(١) وبعد مراجعة مخطوطتي التجريد، ومخطوط التقريب تبين أنّ الاختلاف وقع أحياناً بسبب الخطأ في قراءة المخطوط أو التغيير المتعمد لما في المخطوط، فمن الأوّل ما وقع في ترجمة أبي الجهضم موسى بن سالم حيث رمز له في «التجريد»: (ع)، والصحيح: (٤)، وهما متقاربان في الرسم خاصة إذا كان التصوير ضعيفاً. ومن الثاني ما وقع في طبعة أبي الأشبال للتقريب حيث كان يغيّر رموزه لتوافق ما في تهذيب الكمال، ولم أدخل هذين النوعين في المقارنة.

أولاً: ما كان الصواب فيه مع ما في فصل «تجريد الأسماء»:

وعدددهم (٤) رواية، وهم:

١. (بخ د س ق) عبيد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله التيمي.
وكذا رُمز له أيضاً في «تهذيب الكمال» و«تهذيب التهذيب»، وتفرّد في «التقريب» فرمز له (ر س ق)^(١).
٢. (ع) عطاء بن أبي مسلم، أبو عثمان الخراساني.
وكذا رمز له أيضاً في «تهذيب الكمال» و«تهذيب التهذيب»، وتفرّد في «التقريب» فرمز له (م ٤)،^(٢) وذكر الحافظ المزي في ترجمته حديثين - ح ٤٩٢٠، ٥٢٨٦ - رواهما البخاري عن "عطاء" مهملاً، وقال: روى له البخاري حديثين لم ينسبه في واحد منهما، والظاهر أنه اعتقد أنه عطاء بن أبي رباح. يعني أنه الخراساني، واستعظم أن يخفى مثل هذا على البخاري.
وذكر الحافظ ابن حجر الخلاف في تعيين عطاء عند شرح ح ٤٩٢٠، وقوى أن يكون الحديث من رواية عطاء بن أبي رباح والخراساني جميعاً، وعلى هذا فالأمر محتمل، وعلى ما قرّره في الشرح يكون ما في «التجريد» أرجح.
٣. (م ت ق) محمد بن يزيد بن محمد بن كثير العجلي الرفاعي.

(١) تهذيب الكمال ١٩/٨٤، وتهذيب التهذيب ٣/١٧، والتقريب ٤٣١٤ وفي ط. أبي الأشبال

غيّر الرموز لتوافق تهذيب الكمال.

(٢) تهذيب الكمال ١٢/٩٢، وتهذيب التهذيب ٤/١١١/٢، والتقريب ٤٦٠٠.

وكذا رمز له في «تهذيب الكمال» و«تهذيب التهذيب»، وتفرّد في «التقريب» فـرمز له (م د ق).^(١)

٤. (بخ م مدت س ق) يحيى بن محمد بن قيس المحاربي الضرير.

وكذا رمز له في «تهذيب الكمال»، وأسقط في «تهذيب التهذيب» رمز (م) لكنّه نقل في ترجمته قول العقيلي: لا يحتج به، وحديثه عند مسلم في المتابعات. وأمّا في «التقريب» فجعل الرمز لأبي داود في السنن لا في المراسيل،^(٢) والصحيح الأول.

(١) تهذيب الكمال ٢٧/٢٤، وتهذيب التهذيب ٣/٧٣٥، والتقريب ٦٤٠٢ وفي ط. أبي الأشبال غيّر الرموز لتوافق تهذيب الكمال.

(٢) تهذيب الكمال ٣١/٥٢٤، وتهذيب التهذيب ٤/٣٨٦، والتقريب ٧٦٣٩ وفي ط. أبي الأشبال غيّر الرموز لتوافق تهذيب الكمال.

ثانيًا: ما كان الصواب فيه مع ما في «تقريب التهذيب»:

وعدددهم (٤) رواة، وهم:

١. (مق ٤) سليمان بن موسى الأموي الدمشقي الأشدق.
وكذا رمز له في «تهذيب الكمال» و«تهذيب التهذيب»، وتفرّد في «التقريب» فرمز له (م ٤)،^(١) وهو الصواب فإنّ له رواية لخبر مقطوع في المقدمة: باب في أنّ الإسناد من الدين ١/١، وآخر مرفوع في البيوع، في كراء الأرض ح ١٥٣٦.
٢. (م مدت س) شداد بن سعيد، أبو طلحة الراسبي البصري.
تفرّد بالرمز وخالف أصله، ورمزه في «تهذيب الكمال» و«تهذيب التهذيب» و«التقريب»: (م صدت س)، ولم أقف له على رواية في المراسيل، فلعلّ (مد) مصحّفة من (صد).^(٢)
٣. (سي ق) المغيرة بن أبي الحُر الكندي الكوفي.
وهو موافق لما في «تهذيب الكمال» و«تهذيب التهذيب»، ورمز له في «التقريب» (س ق)،^(٣) وهو الصحيح.
٤. (د ت) يعلى بن شداد بن أوس الأنصاري.
تفرّد بالرمز وخالف أصله، ورمزه في «تهذيب الكمال» و«تهذيب التهذيب» و«التقريب» و«التقريب» (د ق)،^(٤) وهو الصحيح.

(١) تهذيب الكمال ٩٢/١٢، وتهذيب التهذيب ٤/١١١/٢، والتقريب ٢٦١٦ وفي ط. أبي الأشبال غير الرموز لتوافق تهذيب الكمال.

(٢) تهذيب الكمال ١٠٦/٢٠، وتهذيب التهذيب ١٥٥/٢، وفيه (م ٤) والذي في المخطوط (ع)، والتقريب ٢٧٥٥.

(٣) تهذيب الكمال ٣٥٤/٢٨، وتهذيب التهذيب ١٣٢/٤، والتقريب ٦٨٣٢.

(٤) تهذيب الكمال ٣٨٧/٣٢، وتهذيب التهذيب ٤٥٠/٤، والتقريب ٧٨٤٣.

ثالثاً: ما أصابا فيه جميعاً:

حيث كان لكلٍ منهما وجهه، وهم (٩) رواية:

١. (بخ م د س ق) سعيد بن عبد الرحمن الجمحي أبو عبد الله المدني. تفرّدت به نسخة راغب باشا (بخ م د س ق). وعليها المطبوع.، وفي نسخة لا له لي (م د س ق)، وفي «تهذيب الكمال» و«تهذيب التهذيب» و«التقريب» (عخ م د س ق)،^(١) وكلاهما صحيح، فله رواية في «الأدب المفرد» و«خلق أفعال العباد».
٢. (مق ٤)^(٢) سفيان بن عقبة السوائي الكوفي، أخو قبيصة. كذا في نسخة راغب باشا وفاقاً لـ «تهذيب الكمال» و«تهذيب التهذيب»، وفي نسخة لا له لي (٤)، وفي «التقريب»^(٣) (م ٤)، وله رواية في مقدمة مسلم مقروناً بأخيه في "باب الكشف عن معاييب رواة الحديث ونقله الأخبار وقول الأئمة في ذلك" عن حسن الحلواني، حدثنا أبو يحيى الحماني، حدثنا قبيصة، وأخوه، أهما سمعا الجراح بن مليح. ورواة المقدمة أدرجهم الحافظ في «التقريب» ضمن رمز الصحيح، فكان يرمز لهم (م)^(٤).
٣. (م) عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت الأسدي الكوفي.

(١) تهذيب الكمال ١٠/٥٢٨، وتهذيب التهذيب ٢/٣٠، والتقريب ٢٣٥٠.

(٢) في المطبوع (مق ع)، وهو تصحيف من ٤.

(٣) تهذيب الكمال ١١/١٧٤، وتهذيب التهذيب ٢/٥٨، والتقريب ٢٤٤٩.

(٤) انظر مقدمة تحقيق تقريب التهذيب ص ٦٨، ٦٩.

وفي «التقريب» (م س) (١)، وفي «تهذيب الكمال» و«تهذيب التهذيب» ذكر أنه له حديثاً في «صحيح مسلم» وآخر في «خصائص علي رضي الله عنه»، ورمز له (م ص) (٢)، ويلاحظ هنا أن كلاً منهما خالف أصله، ووجه صواب ما في «التجريد» أنه ليست له رواية في «المجتبى»، ووجه صواب ما في «التقريب» أن روايته في «خصائص علي رضي الله عنه» وهو من جملة «السنن» كما تَبَّه إليه ابن حجر في مقدمة «التهذيب»، وهذا ما سنراه في عدد من التراجم حيث كان يغيّر رمز «عمل اليوم والليلة» إلى رمز «السنن». (٣)

٤. (د ت سي ق) حجاج بن دينار الواسطي.

وكذا رمز له في «تهذيب الكمال» و«تهذيب التهذيب»، وتفرّد في «التقريب» فرمز له (٤)، (٤) ولكون «عمل اليوم والليلة» من «السنن» رمز له (س)

٥. (د ص) موسى بن قيس الحضرمي الفراء، يلقب بعصفور الجنة.

وكذا رمز له في «تهذيب الكمال» و«تهذيب التهذيب»، وتفرّد في «التقريب» فرمز له (د س)، لكون «خصائص علي رضي الله عنه» من «السنن». (٥)

٦. (ص ق) أبو صادق الأزدي الكوفي.

-
- (١) رقم ٣٢٧٠ وفي ط. أبي الأشبال غيّرهما لتوافق ما في تهذيب الكمال.
- (٢) تهذيب الكمال ٤٠٦/١٤، وتهذيب التهذيب ٣١٩/٢.
- (٣) انظر مقدمة تحقيق تقريب التهذيب ص ٦٨.
- (٤) تهذيب الكمال ٤٣٥/٥، وتهذيب التهذيب ٣٥٨/١، والتقريب ١١٢٥ وفي ط. أبي الأشبال غيّرهما لتوافق ما في تهذيب الكمال.
- (٥) تهذيب الكمال ١٣٤/٢٩، وتهذيب التهذيب ١٨٦/٤، والتقريب ٧٠٠٣.

وكذا رمز له في «تهذيب الكمال» و«تهذيب التهذيب»، وتفرّد في «التقريب» فرمز له (س ق)، لكون «خصائص علي رضي الله عنه» من «السنن»^(١).

٧. (د ت ص) أبو عبد الله الجدلي، اسمه عبد، أو عبد الرحمن بن عبد. وفاقاً لما في «تهذيب الكمال» و«تهذيب التهذيب»، ورمز له في «التقريب» (د ت س)^(٢)، إلا أنّه رمز له في نسخة نسخة لا له لي (د س)، وفي راغب باشا (د ت س)، وله رواية عند «أبي داود» و«الترمذي»، وأمّا روايته في «خصائص علي رضي الله عنه» فداخلة في السنن كما تقدم.

٨. (خت مق ٤) سفيان بن حسين بن حسن الواسطي.

وكذا رمز له في «تهذيب الكمال» و«تهذيب التهذيب»، وتفرّد في «التقريب» فرمز له (خت م ٤)^(٣)، وروى له مسلم خيراً مقطوعاً في مقدمة مسلم: "باب النهي عن الحديث بكل ما سمع" رقم ٥، إلا أنّ الحافظ أدرج رمز (مق) في رمز (م).

٩. (م د ت ق) أبو الودّك جبر بن نوف الهمداني البكالي.

(١) تهذيب الكمال ٤١٢/٣٣، وتهذيب التهذيب ٥٣٨/٤ وجاء فيه (س ق) وهو خطأ مخالف

لما في نسخة الحافظ من التهذيب، والتقريب ٨١٦٧.

(٢) تهذيب الكمال ٢٤/٣٤، وتهذيب التهذيب ٥٤٧/٤، والتقريب ٨٢٠٧ وفي ط. أبي

الأشبال غيرها لتوافق ما في تهذيب الكمال.

(٣) تهذيب الكمال ١٣٩/١١، وتهذيب التهذيب ٥٤/٢، والتقريب ٢٤٣٧.

كذا نسخة لا له لي، وهو موافق لما في «تهذيب الكمال»، وفي نسخة راغب باشا. وعليها المطبوع. رقم له (م د ت س ق) مكتوب بعضها بالحمرة وبعضها بالسواد، وهذا يشير إلى أنّ بعضها ألحق بعد ذلك أثناء المقابلة، وهو موافق لما في «تهذيب التهذيب» و«التقريب» حيث رمز له فيهما (م د ت س ق)^(١)، وكتبت الرموز هكذا منثورة ولم يرقم عليه (م ٤).

وعليه فكلُّ منهما تبع أصله، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في ترجمته أنّ حديثه في «السنن الكبرى» في الحدود وغيرها ولم يرقم له المزي. يعني أن رمز (س) للنسائي في «الكبرى»، ولم يرقم له (س) في «تهذيب الكمال» لكون روايته ليست في «المجتبى».

وعلى هذا فلم يطرد الصواب مع أحدهما، إلا أن فصل «التجريد» كان أكثر موافقةً لأصله من «التقريب»، ومن أسباب عدم موافقة «التقريب» لأصله تغيير الحافظ منهج الترميز للرجال، وهو قرينة تؤيد أنّ الحافظ ألفه بعد «التجريد»، فإنّ العادة جرت أنّ المؤلّف يتبع غيره، ثم يستقل برأيه، لا أنّه يستقل برأيه ثم يعود لمتابعة غيره، والله تعالى أعلم.

(١) تهذيب الكمال ٤/٤٩٥، وتهذيب التهذيب ١/٢٩٠، والتقريب ٨٩٤.

الخاتمة:

وبعد، فأحمد الله تعالى حمداً يكافئ نعمه، ويوافي مزيده، على إتمام البحث على وجهٍ أرجو أن يكون نافعاً لمطالعه، والذي خلصت فيه إلى عدّة نتائج من أهمّها:

١. أن نسخة مكتبة "لا له لي" من «لسان الميزان» هي نسخة الحافظ ابن حجر التي كان يلحق عليها الزيادات إلى سنة وفاته.
٢. يمكن تمييز ما ألحقه الحافظ على «لسان الميزان» بأمرين: الأول: وجوده ملحقاً على هامش نسخة القلقشندي، والثاني: كتابته في نسخة الحافظ بمداد مغاير للإلحاقات الأخرى في الكتاب.
٣. ترتيب مؤلفات الحافظ ابن حجر التي لها تعلق برواة الكتب الستة على النحو التالي: لسان الميزان (٨٠٥)، ثم تهذيب التهذيب (٨٠٨)، ثم فصل تجريد الأسماء (بين ٨٠٨ - ٨٢٧)، ثم مقدّمة شرح البخاري (٨١٣)، ثم تقريب التهذيب (٨٢٧)، سوى ما ألحقه بها بعد انتهاء التأليف.
٤. أقسام الرواة في فصل «تجريد الأسماء» إجمالاً على ثلاثة: ثقة، ومختلف فيه، وضعيف.
٥. من لم يكن من الرواة في «لسان الميزان» ولا في فصل «تجريد الأسماء»، فهو عند الحافظ: إمّا ثقة أو مستور.
٦. ميّز الحافظ الثقات المتكلّم فيهم بلا حجة برمز «صح»، وذكرت الأدلّة على أنّه حكم مستقلّ منه على الرواة، وليس نقلاً لرمز الحافظ الذهبي من

«ميزان الاعتدال»، وعليه فما اتفقا عليه يقال فيه: صحَّح له الذهبي ووافقه ابن حجر.


٧. استعمل الحافظ رمز «هـ» في (٢٥٦) راوياً، وهم المختلف فيهم، والعمل على توثيقهم، ويريد بالتوثيق مطلق الثقة، وهم من يقبل حديثهم ويصحَّح لهم أو يحسِّن، وغالبهم ممن أُخرج له في شيء من الكتب المؤلفة في الصحيح، وغالبهم من أصحاب المرتبتين الرابعة والخامسة من مراتبه في «تقريب التهذيب».

٨. اختلفت رموز الكتب بين فصل «تجريد الأسماء» و«تقريب التهذيب» في (١٧) راوياً، كان سبب الاختلاف في (٩) منهم تغيير الحافظ لمنهج الترميز في «التقريب»، والبقية كان الصواب فيهم مناصفة بين الكتابين، وكثرة المخالفة في «التقريب» قرينة على تأخر تأليفه عن فصل «تجريد الأسماء». ثم إنني أوصي بدراسة رموز الكتب التي يذكرها المترجمون للرواة، وسبب الاختلاف الذي يقع بينهم فيه، فقد يكون مردّه إلى اختلافهم في القاعدة المتبعة كأن يكون الراوي ممن روى له أصحاب الصحيح مقروناً أو متابعة فقط، أو ورد في بعض روايات الكتاب، ونحو هذه من الاعتبارات العلمية. هذا والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المراجع:


١. التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي المالكي، تحقيق أ.د. أبو لبابة حسين، دار اللواء، الرياض، ط١، ١٤٠٦.
٢. تقريب التهذيب لابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية بالقاهرة، تاريخ. تيمور ٥٣٣. وتحقيق محمد عوامة، دار ابن حزم، بيروت، ط١ من الإخراج الجديد، ١٤٢٠. وتحقيق أي الأشبال صغير الباكستاني، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٢١.
٣. التلقيح لفهم قارئ الصحيح لسبط ابن العجمي، إبراهيم بن محمد بن خيل الحلبي، منشور ضمن موسوعة صحيح البخاري الإلكترونية.
٤. تهذيب التهذيب لابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مصورة عن نسخة بخط الحافظ ابن حجر. مكتبة با يزيد، تركيا. وتحقيق عادل مرشد وإبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١.
٥. الجمع بين رجال الصحيحين لأبي الفضل محمد بن طاهر القيسراني، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٥.
٦. الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق إبراهيم باجس بعد المجيد، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٩.
٧. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تصوير دار الجيل، بيروت.
٨. الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط. الحديث النبوي الشريف وعلومه ورجاله، مؤسسة آل البيت، الأردن، ١٩٩٢ م

٩. لسان الميزان لابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مصورة عن نسخة مكتبة "لا له لي" رقم ٦٣١، ومصورة عن نسخة مكتبة راغب باشا ٣٤٧، وتحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط ١، ١٤٢٣.
١٠. ميزان الاعتدال لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق محمد رضوان العرقسوسي ومحمد بركات، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط ١، ١٤٣٠. تحقيق علي محمد البجاوي، تصوير دار المعرفة، بيروت.



التخلق بأخلاق الله
دراسة عقديّة

د. محمد بن ناصر السحيباني
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة – كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية





التخلق بأخلاق الله "دراسة عقديّة"

د. محمد بن ناصر السحبياني

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة – كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ٢٠ / ٣ / ١٤٤٢ هـ تاريخ قبول البحث: ١٤ / ٤ / ١٤٤٢ هـ

ملخص البحث:

هذا البحث دراسة عقديّة لمقالة "التخلق بأخلاق الله" وفق النصوص الشرعية وفهم علماء السلف لها.

ومن أبرز محاور هذا البحث ما يلي:

١. بيان أن التعبير عن تحقيق مقتضى الأسماء والصفات، بأربعة عبارات هي: التشبه، والتخلق، والدعاء، والتعبد.
٢. حكم إطلاق لفظ: التشبه والتخلق
٣. تفصيل القول حول إطلاق لفظ التخلق وذلك من خلال: بيان لفظ "التخلق" و"الخلق" في اللغة والاصطلاح. ورودهما في القرآن الكريم والسنة النبوية.
٤. بيان أن ما ورد في السنة من وصف صفات الله عز وجل بالأخلاق هي روايات ضعيفة لا تثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم.
٥. حكم إطلاق لفظ "الأخلاق" على صفات الله عز وجل، وأن في ذلك اتجاهين هما: الجواز والمنع، وترجيح المنع وذكر أوجه نقد العبارة.
٦. بيان وجه صحة لفظ كل من: الدعاء والتعبد، وأيهما أولى بالتقديم.
٧. وإيضاح مراتب التعبد بأسماء الله وصفاته وآثاره، وأقسام الصفات بالنسبة لتعبد العبد بها.
٨. وختم البحث بخاتمة فيه أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

الكلمات المفتاحية: التخلق الأخلاق التعبد بأسماء الله إحصاء أسماء الله الدعاء بأسماء الله مقتضيات الأسماء والصفات.

the article "Creation of the ethics of God", a nodal study

Researcher name

Dr. Muhammad bin Nasser Al-Suhaibani

Belief and Contemporary Doctrines.

Fundamentals of Religion.

Imam Muhammad bin Saud Islamic University

Abstract :

This research is a doctrinal study of the article "Creation with the ethics of God" according to the Sharia texts and the understanding of the scholars of the early generations.

Among the most prominent axes of this research are the following:

- ١ .A statement expresses the fulfillment of the requirements of the names and attributes; in four terms: imitation, creation, supplication, and worship.
- ٢ .Ruling on pronouncing the expression: imitation and morphology
- ٣ .A detailed statement about launching the word "creationism" through a statement of the term "creation" and "creation" in language and convention appears in the Holy Quran and the Sunnah.
- ٤ .A statement that what was mentioned in the Sunnah describing the attributes of God Almighty with morals are weak narratives that are not proven on the authority of the Prophet, may God bless him and grant him peace.
- ٥ .Ruling on releasing the term "morals" to the attributes of God Almighty. There are two directions in that: permissibility and prohibition; and the preponderance of prevention and mentioning aspects of criticism of the phrase.
- ٦ .An indication of the correctness of the pronunciation of each of: supplication and worship, and which of them is more appropriate to present
- ٧ .Clarification of the ranks of devotion in the names; attributes, and effects of God, and the categories of attributes in relation to the worship of the servant with them
- ٨ .The research was concluded with a conclusion with the most important findings of the researcher

key words: Morphogenesis / Creation Morals Worship in the names of God Statistics of Allah's names Supplication with the names of God Requirements of nouns and adjectives

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا، وبعد:

فإن أشرف ما تقضى فيه الأوقات الاشتغال بما يصل المرء بربه ويقربه إليه، ويوصله إلى محبته ورضاه، ويفوز بجنته وينجو من ناره. وذلك بعبادته وتأله والخضوع له سبحانه.

وإن عبادة الله عز وجل هي الغاية من خلقنا، وهي الحكمة من إرسال الله عز وجل رسله وإنزال كتبه، ومن أعظم عبادة الله عز وجل تعبده بأسمائه وصفاته، بأن يسأل المرء الله بها ويدعوه بها، ويثني عليه ويمدحه بها، وهذا مما يحقق محبة الله لعبده فالله سبحانه يحب أسمائه وصفاته، ويُحب المتعبدين له بها، ويحبُّ مَنْ يسأله ويدعوه بها، ويحبُّ مَنْ يعرفها ويعقلها، ويثني عليه بها، ويمدحه بها.

بل لا يمكن الوصول لعبادة الله إلا عن طريق معرفته سبحانه بأسمائه وصفاته وتعبده بها.

وهذا التعبد والدعاء بأسماء الله وصفاته جاء منصوصا عليه بالنصوص الشرعية، بيد أنه لما ظهر بعض المتكلمين وظهر أيضا أثر فلاسفة اليونان وفلسفتهم بعد ترجمة كتبهم وثقافتهم في هذه الأمة وخاصة لدى بعض المتكلمين في ألفاظهم وآرائهم، بدأ انتشار وتداول بعض الألفاظ غير الشرعية فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته التي أصبحت مدخلا للانحراف العقدي والضلال في باب

الأسماء والصفات وهو الوقوع في تشبيه المخلوق بالخالق، ومن جملة تلك الألفاظ لفظ "التخلق" وإطلاق لفظ "الأخلاق" على صفات الله وأسمائه، وتفسير بعض النصوص الشرعية بهذا التفسير المحدث، وتم تداول مقالة "التخلق بأخلاق الله" لدى بعض المهتمين والكتاب والمؤلفين.

لذا رأيت أن هناك حاجة لتأصيل هذه المقالة بدراستها دراسة عقدية وفق النصوص الشرعية وفهم علماء السلف لها. وقد سرت في هذه الدراسة وفق الآتي:

حرصت أن أجمع كل ما وقفت عليه حول هذه المقالة، سواء المحيزين لذلك أو المانعين له، من أقوالهم وأدلتهم، ودراستها دراسة علمية وفق ما تدل عليه النصوص الشرعية، وذلك من خلال المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي.

كما اتبعت في هذه الدراسة إجراءات البحث العلمي من توثيق النصوص من مصادرها الرئيسية، وعزو الآيات إلى مواضعها في القرآن الكريم، وتخريج الأحاديث وبيان حكمها وفق ما قاله علماء الحديث، كما قمت بترجمة الأعلام الذين استشهدت بأقوالهم، وبينت غريب الألفاظ الواردة في البحث. وختمت الدراسة بخاتمة ذكرت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا الدراسة، ووضعت فهارس للآيات، والأحاديث، والأعلام المترجم لهم، والمصادر، والموضوعات.

وجاءت هذه الدراسة بعنوان: (مقالة: "التخلق بأخلاق الله" - دراسة عقدية)، وذلك وفق الخطة التالية:

خطة البحث: وتشتمل على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وفهارس، وهي على النحو التالي:

المقدمة وفيها الأهمية والمنهج وخطة البحث.

تمهيد: أهمية العلم بأسماء الله تعالى وصفاته والإيمان بها ومنزلته وفضله.

المبحث الأول: التعبير عن تحقيق مقتضى الأسماء والصفات، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: معنى "أحصاها".

المطلب الثاني: بيان وجه بطلان لفظ كل من: التشبه والتخلق، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: وجه بطلان لفظ "التشبه".

المسألة الثانية وجه بطلان لفظ "التخلق"، وفيها ستة فروع:

الفرع الأول: التعريف بلفظ "التخلق" و"الأخلاق" في اللغة والاصطلاح.

الفرع الثاني: ورود لفظ الخلق والتخلق في القرآن الكريم والسنة النبوية، ومعناه فيهما.

الفرع الثالث: ما ورد في السنة من وصف صفات الله عز وجل بالأخلاق.

الفرع الرابع: صحة إطلاق لفظ "الأخلاق" على صفات الله عز وجل.

الفرع الخامس: صحة إطلاق لفظ "التخلق"، وفيها ثلاثة أمور:

الأمر الأول: الاتجاه الأول: جواز التعبير به وعدم الامتناع عنه.

الأمر الثاني: الاتجاه الثاني: رفض ذلك ومنعه والتحذير من التعبير به.

الأمر الثالث: نقد عبارة: "التخلق بأخلاق الله".

الفرع السادس: صلة هذا اللفظ بتشبه المخلوق بصفات الخالق.
المطلب الثالث: بيان وجه صحة لفظ كل من: الدعاء والتعبد، وفيه
مسألتان:

المسألة الأولى: تقديم لفظ الدعاء.

المسألة الثانية تقديم لفظ التعبد.

المبحث الثاني: مراتب التعبد بأسماء الله وصفاته وآثاره، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مراتب التعبد بأسماء الله وصفاته.

المطلب الثاني: آثار التعبد بالأسماء والصفات.

المبحث الثالث: أقسام الصفات بالنسبة لتعبد العبد بها.

الخاتمة.

الفهارس.

وأسأل الله عز وجل أن يبارك في هذا الجهد وأن ينفع به، فما كان فيه من
خير وصواب فهو من الله وحده، وما كان فيه من تقصير وخلل فمني ومن
الشیطان، وأستغفر الله عن كل خلل وتقصير.
وصلی الله على نبینا محمد وعلى آله وصحبه أجمعین.

تمهيد: أهمية العلم بأسماء الله تعالى وصفاته والإيمان بها ومنزلته وفضله

إن العلم بأسماء الله وصفاته ومعرفتها وتدبر معانيها له أهمية كبرى ومنزلة عظمى، ويمكن أن تتضح وتتجلى تلك الأهمية والمنزلة من خلال الأوجه التالية:

١. أن معرفة الله سبحانه وتعالى المقتضية عبادته هي الأصل، ومعرفته

سبحانه إنما تكون بمعرفة أسمائه وصفاته، فمعرفة الأسماء والصفات هي

الطريق لمعرفة الله، لذا فحاجة العبد إلى معرفة أسماء الله وصفاته من أعظم

الحاجات وأفضلها، والعلم بها أول الفروض، فأول واجب على المكلف

معرفة الله جل جلاله. قال ابن تيمية^(١) رحمه الله عن معرفة الله -: "الذي

مَعْرِفَتُهُ غاية المعارف وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب،

بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الإلهية"^(٢)

قال ابن القيم^(٣) رحمه الله: "لا حياة للقلوب، ولا نعيم ولا لذة، ولا سرور

ولا أمان ولا طمأنينة، إلا بأن تعرف ربَّها ومعبودها وفاطرها، بأسمائه وصفاته

(١) شيخ الإسلام، أبو العباس، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني،

الإمام العالم المفسر الفقيه المجتهد الحافظ المحدث، توفي سنة ٧٢٨هـ. يُنظر: العقود الدرية من

مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، لمحمد الدمشقي ٢٥/١، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة،

لابن حجر العسقلاني ١/١٦٨ - ١٨٦، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع،

للشوكاني ١/٦٣ - ٧٢.

(٢) العقيدة الحموية ١٩٩.

(٣) شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ثم الدمشقي، الشهير بابن القيم الجوزية، الشيخ

الإمام العلامة الفقيه الحنبلي، ولد سنة ٦٩١، وتوفي سنة ٧٥١هـ يُنظر: البداية والنهاية لابن

كثير، ١٨/٥٢٣ الأعلام ٦/٥٦. موسوعة مواقف السلف في العقيدة، لأبي سهل المغراوي

٢٩٣/٨

وأفعاله، ويكون أحبَّ إليها ممَّا سواه، ويكون سعيها في ما يقربها إليه ويُدنيها
من مَرْضاته" (١)

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي (٢) رحمه الله: (لا سبيل إلى معرفة الله إلا
بمعرفة أسمائه وصفاته، والتفقه في فهم معانيها.. بل حقيقة الإيمان أن يعرف
الرب الذي يؤمن به، ويبدل جهده في معرفة أسمائه وصفاته، حتى يبلغ درجة
اليقين). (٣)

قال قوام السنة الأصفهاني (٤) رحمه الله: (قال بعض العلماء: أول فرض
فرضه الله على خلقه: معرفته، فإذا عرفه الناس عبده، قال الله تعالى: {فَاعْلَمْ
أَنَّه لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ} (٥)، فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها ؛
فيعظموا الله حق عظمته، ولو أراد رجل أن يعامل رجلاً: طلب أن يعرف اسمه
وكنيته، واسم أبيه وجده، وسأل عن صغير أمره وكبيره، فالله الذي خلقنا ورزقنا،
ونحن نرجو رحمته ونخاف من سخطه أولى أن نعرف أسماءه ونعرف تفسيرها) (٦).

(١) الصَّوَّاقِقُ الْمُرْسَلَةُ: ١ / ١٤٧.

(٢) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي: من علماء الحنابلة، من أهل نجد، توفي:

١٣٧٦هـ، انظر: الأعلام ٣ / ٣٤٠

(٣) تفسير السعدي، ١ / ٢٤.

(٤) إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصفهاني، أبو القاسم، الملقب

بقوام السنة: من أعلام الحفاظ، توفي: ٥٣٥هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٨٠ الأعلام ١ /

٣٢٣.

(٥) محمد: ١٩

(٦) الحجّة في بيان المحجّة، ١ / ١٢٢.

٢. أن العلم بأسماء الله وصفاته هو أشرف العلوم وأفضلها، قال ابن القيم رحمه الله: " ولا ريب ان العلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومة إلى سائر المعلومات وكما أن العلم به أجل العلوم وأشرفها فهو أصلها كلها كما أن كل موجود فهو مستند في وجوده إلى الملك الحق المبين ومفتقر إليه في تحقق ذاته وأينيته وكل علم فهو تابع للعلم به مفتقر في تحقق ذاته إليه فالعلم به أصل كل علم ". (١)

وقال: " فإن العلم بالله وأسمائه وصفاته هو أشرف العلوم على الإطلاق وهو مطلوب لنفسه مراد لذاته قال الله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ ﴿١٣﴾ الطلاق: ١٢

فقد أخبر سبحانه أنه خلق السموات والأرض ونزل الأمر بينهن ليعلم عباده أنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير فهذا العلم هو غاية الخلق المطلوبة.

وقال تعالى: { فَاعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ } فالعلم بوحديته تعالى وأنه لا إله إلا هو مطلوب لذاته وإن كان لا يكتفى به وحده بل لا بد معه من عبادته وحده لا شريك له فهما أمران مطلوبان لأنفسهما:

- أن يعرف الرب تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه.

(١) مفتاح دار السعادة ٨٦/١

- وأن يعبد بموجبها ومقتضاها فكما أن عبادته مطلوبة مرادة لذاتها فكذلك العلم به ومعرفته وأيضا فإن العلم من أفضل أنواع العبادات" (١).

قال ابن العربي (٢) رحمه الله: " شرف العلم بشرف المعلوم، والباري أشرف المعلومات، فالعلم بأسمائه أشرف العلوم" (٣).

٣. إن العلم بأسماء الله وصفاته هو الوسيلة الوحيدة والطريق السليم لتحقيق توحيد الله بأسمائه وصفاته ؛ إذ لا يمكن العمل بدون علم، ولا يمكن التقرب لله بدون معرفته ؛ لذا فحقيقة تحقيق توحيد الأسماء والصفات يكون بمعرفتها والعلم بها.

٤. أن الأوجه الكثيرة المتعددة المتنوعة التي حررت وبين فيها أهمية التوحيد مطلقا وعلى سبيل العموم، والتي يتضح منها فضل التوحيد وسمو منزلته وجلالة شأنه وعلو مكانته بين سائر العلوم والفنون الأخرى، وأنه هو أساسها، وأنه أصل العلوم وأشرفها ؛ فهذه الأوجه ونحوها هي شاملة لتوحيد الأسماء والصفات متضمنة له.

٥. توحيد الله بأسمائه وصفاته هو أحد أنواع التوحيد الثلاثة - إضافة للربوبية والألوهية-، والتي لا يصح إيمان المرء ولا يستقيم له توحيد إلا بالإيمان بها جميعا، وهي التي تتضمن الركن الأول من أركان الإيمان: الإيمان

(١) المصدر السابق ١/١٧٨

(٢) ابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله الأندلسي، ولد سنة ٤٦٨هـ، وتوفي سنة ٥٤٣هـ. ينظر:

سير أعلام النبلاء، ٢٠/١٩٧

(٣) أحكام القرآن ٢/٨٠٤

بالله عز وجل، ومما لا شك فيه أن الإيمان بالله هو أفضل أركان الإيمان الستة وأجلها، بل هو أصلها وأعظمها قال تعالى ﴿كُلٌّ أَمَّنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾^(١)، وعليه مدار بقية الأركان من الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر.

٦. وهذا النوع - أي توحيد الأسماء الصفات - مع أنه ركن مستقل عن بقية الأنواع، إلا أن له ارتباط وعلاقة وثيقة ببقية أنواع التوحيد، مما لا يمكن تحقيقها أو أحدها إلا به ومن خلاله، فهو يستلزم أنواع التوحيد كلها ويتضمنها.

٧. ومع أن كثيرا من العلماء ينص على أن أهم أنواع التوحيد الألوهية، وأن عليه مدار قبول العمل وردده، وهو الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب، بل هو الغاية من خلق الجن والأنس، مع هذا كله إلا أن كل ذلك قائم ومبني على توحيد الأسماء والصفات، فعبادة الله ومعرفته لا تتحقق إلا بمعرفة أسمائه وصفاته فالمعرفة هي الطريق للعبادة، وعليه فمعرفة أسماء الله وصفاته هي أصل عبادة الله سبحانه وتعالى.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم.^(٢)

(١) البقرة: ٢٨٥

(٢) تفسير السعدي ١/٨١٣

٨. أن الحكمة من خلق الله للخلق وإيجادهم من العدم وتسخير السماوات والأرض وما فيهما لهم إلا ليعبدوه، وعبادته لا تتحقق إلا بمعرفته سبحانه وتعالى، ولذا فدعوة الرسل هي تعريف الناس بربهم وبأسمائه وصفاته والطرق الموصلة إليه للوصول إلى دار كرامته والفوز بجناته.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: " إن دعوة الرسل تدور على ثلاثة أمور: تعريف الرب المدعو إليه بأسمائه وصفاته وأفعاله. الأصل الثاني: معرفة الطريق الموصلة إليه وهي ذكره وشكره وعبادته التي تجمع كمال حبه وكمال الذل له. الأصل الثالث: تعريفهم ما لهم بعد الوصول إليه في دار كرامته من النعيم الذي أفضله وأجله رضاه عنهم... ". (١)

٩. هناك ارتباط وتلازم بين توحيد الله بأسمائه وصفاته وبين توحيد الألوهية، فكلما حقق العبد توحيد الأسماء والصفات كلما كان أعظم وأكمل توحيداً لله وعبودية له. وكذا تلازم بين إنكار الأسماء والصفات والشرك.

قال ابن القيم رحمه الله في تقرير هذا التلازم: "كل شرك في العالم فأصله التعطيل، فإنه لولا تعطيل كماله أو بعضه وظن السوء به، لما أشرك به، كما قال إمام الحنفاء وأهل التوحيد لقومه: { أَفْكَأَ أَهَّةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُمْ

(١) الصواعق المرسلّة في الرد على الجهمية والمعتلة ٤ / ١٤٨٩

يَرْبِّ الْعَالَمِينَ} (١) والمقصود: أن التعطيل مبدأ الشرك وأساسه، فلا تجد معطلاً إلا وشركه على حسب تعطيله، فمستقلّ ومستكثر (٢).

وأوضح ابن القيم رحمه الله التلازم بين التوحيدين بقوله: " ولا يتم التوكل إلا بمعرفة الربّ وصفاته من قدرته وكفايته وقيوميته وانتهاء الأمور إلى علمه، وصدورها عن مشيئته وقدرته، قال شيخنا ابن تيمية -رحمه الله-: لا يستقيم التوكل إلا من أهل الإثبات... فكل من كان بالله وصفاته أعلم وأعرف، كان توكله أصح وأقوى، والله سبحانه وتعالى أعلم" (٣).

١٠. أن القرآن الكريم حث وأمر بتدبر آياته وفهمها فهما صحيحا، وذم من لم يفهم معانيها، ومن جملة ذلك أسماء الله وصفاته، بل هي تدخل دخولا أوليا، إذ معظم الآيات بل لا تخلو آية من آيات القرآن من ذكر لأسماء الله تعالى وصفاته مما يؤكد على أهمية العلم بها والضرورة الماسّة لمعرفةا.

كما قال سبحانه: { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ } (٤)، وذمّ القرآن من لا يفهمه، فقال تعالى: { فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا } (٥).

(١) الصفات : ٨٦ ، ٨٧

(٢) انظر مدارج السالكين، ٣ / ٣٤٧

(٣) مدارج السالكين، ٢ / ١١٧

(٤) ص : ٢٩

(٥) النساء : ٧٨

بل جاءت آيات كثيرة فيها الأمر بتعلم أسماء الله وصفاته والعناية بها، قال الله تعالى: {فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (١) وقال: {وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (٢)، وقال: {وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ} (٣) وقال: {وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} (٤)، وقال: {اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ} (٥) والآيات في هذا نحو ثلاثين آية.

قال ابن القيم رحمه الله: " فالقرآن كله بيان لصفة الله - عز وجل - فهو إما إخبار عن ذات الله وصفاته، أو عمّا صنعه بأوليائه من الرسل والمؤمنين، وهذا بيان أفعاله وإكرامه وإحسانه، أو عمّا أحله بأعدائه وهذا من صفاته، فالقرآن من أول بسم الله الرحمن الرحيم إلى: { مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ } (٦) كله بيان لصفات الله - سبحانه وتعالى " (٧).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"والقرآن فيه من ذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله أكثر مما فيه من ذكر الأكل والشرب والنكاح في الجنة... والآيات المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته أعظم قدرًا من آيات المعاد، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي المتضمنة لذلك،....

(١) البقرة: ٢٠٩

(٢) البقرة: ٢٣٣

(٣) البقرة: ٢٣٥

(٤) البقرة: ٢٦٧

(٥) المائدة: ٩٨

(٦) الناس: ٦

(٧) طريق المهجرتين ص ٢١١

وأفضل سورة سورة أم القرآن....، وفيها من ذكر أسماء الله وصفاته أعظم مما فيها من ذكر المعاد".^(١)

١١. أن معرفة أسماء الله وصفاته والعلم بها تقرب العبد من مولاه ؛ فمنزلة العبد عند مولاه سبحانه على قدر معرفته به، كما أنها سبب ووسيلة لاتصاف العبد بمقتضيات صفات الله عز وجل، مما يزيد العبد حب الله له والقرب منه فالله سبحانه يجب ظهور آثار صفاته في خلقه، وهذا من لوازم كماله.

قال ابن القيم رحمه الله: " لما كان سبحانه يحب أسماء وصفاته: كان أحب الخلق إليه من اتصف بالصفات التي يحبها، وأبغضهم إليه: من اتصف بالصفات التي يكرهها، فإنما أبغض من اتصف بالكبر والعظمة والجبروت ؛ لأن اتصافه بها ظلم، إذ لا تليق به هذه الصفات ولا تحسن منه ؛ لمنافاتها لصفات العبيد، وخروج من اتصف بها من رتبة العبودية، ومفارقتها لمنصبه ومرتبته، وتعديه طوره وحدّه، وهذا خلاف ما تقدم من الصفات كالعلم والعدل والرحمة والإحسان والصبر والشكر، فإنها لا تنافي العبودية، بل اتصاف العبد بها من كمال عبوديته، إذ المتصف بها من العبيد لم يتعد طوره، ولم يخرج بها من دائرة العبودية"^(٢).

وقال رحمه الله: " لكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها، أعني: من موجبات العلم بها والتحقيق بمعرفتها، وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح:

(١) درء تعارض العقل والنقل: ٣١٠/٥.

(٢) طريق المهجرتين ص ١٢٩.

فعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالضرّ والنفع، والعطاء والمنع، والخلق والرزق، والإحياء والإماتة: يثمر له عبودية التوكل عليه باطناً، ولوزام التوكل وثمراته ظاهراً، وعلمه بسمعه تعالى وبصره، وعلمه أنه لا يخفى عليه مثقال ذرة، وأنه يعلم السر، ويعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور: يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه على كل ما لا يرضي الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه، فيثمر له ذلك: الحياء باطناً، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح، ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبره وإحسانه ورحمته توجب له سعة الرجاء وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزه، تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعاً من العبودية الظاهرة، هي موجباتها.. فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات"^(١).

"ويحبُّ أسماءه وصفاته، ويحبُّ المتعبدين له بها، ويحبُّ مَنْ يسأله ويدعوه بها، ويحبُّ مَنْ يعرفها ويعقلها، ويثني عليه بها، ويحمده ويمدحه بها؛ كما في الصحيح عن النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللهِ؛ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَعْيَرَ مِنَ اللهِ؛ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعَذْرُ مِنَ اللهِ؛ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكُتُبَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ)^(٢)

(١) انظر مفتاح دار السعادة، ٢ / ٩٠ باختصار، وانظر : طريق المهجرتين، ص ٤٣، ومدارج

السالكين، ١ / ٤٢٠، ٣ / ٣٥١، والفوائد، ص ٦٣.

(٢) صحيح؛ رواه مسلم ٤٩٥٨ / التوبة / باب: غيرة الله تعالى.

ولمحبته لأسمائه وصفاته أمرَ عباده بموجبها ومقتضاها، فأمرهم بالعدل والإحسان، والبرِّ والعفو... ولما كان سبحانه يُحِبُّ أسماءَهُ وصفاته كان أحبَّ الخلق إليه من اتَّصف بالصفات التي يُحِبُّها، وأبغضهم إليه من اتَّصف بالصفات التي يكرهها"^(١)...

قال ابن القيم رحمه الله: " وأحب الخلق إلى الله من اتصف بمقتضيات صفاته فإنه:

كريم يحب الكريم من عباده، وعالم يحب العلماء، وقادر يحب الشجعان وجميل يحب الجمال وهو سبحانه وتعالى رحيم يحب الرحماء، وإنما يرحم من عباده الرحماء، وهو ستير يحب من يستر على عباده، وعفو يحب من يعفو عنهم من عباده، وغفور يحب من يغفر لهم من عباده، ولطيف يحب اللطيف من عباده ويبغض الفظ الغليظ القاسي الجعظري الجواظ^(٢)، ورفيق يحب الرفق وحليم يحب الحلم ومن عامل خلقه بصفة عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة فالله تعالى لعبده على حسب ما يكون العبد لخلق فكما تدين تدان وكن كيف شئت فان الله تعالى لك كما تكون أنت لعباده"^(٣)

١٢- هناك جانب آخر يبرز أهمية الإيمان بأسماء الله وصفاته وهو آثار المعرفة والتعبد بأسماء الله وصفاته سواء على العبد نفسه خصوصا والتي لا يُحاط بالوصف ولا يُدرك إلا لمن يُرزق فهمها ومعرفتها، أو على المجتمع عموما، فالعلم بتلك الآثار تبرز أهميته ومنزلة بجلاء ووضوح.

(١) مفتاح دار السعادة: ١ / ١٣٧.

(٢) أما الجواظ فهو الجموع المنوع أي الذي يحرص على جمع المال، ولا يصرفه في مصارفه المشروعة. الجعظري: الفظ الغليظ، أو الأكل الغليظ، والقصير المنتفخ، بما ليس عنده. انظر القاموس المحيط

(٣) الوابل الصيب ص ٢٤-٢٥

المبحث الأول: التعبير عن تحقيق مقتضى الأسماء والصفات، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: معنى "أحصاها":

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ).^(١)
بين العلماء المراد من الإحصاء في الحديث " من أحصاها دخل الجنة " بأنه يشمل أموراً، وهي:

أولاً: تحقيق العلم بأسماء الله وصفاته ابتداءً، فيتعلمها، ويحفظ ألفاظها وعددها، مع التيقن بان الأسماء أسماء حسن وكمال، وأن الصفات صفات عليا وتمام.

ثانياً: فهم وفقه معانيها ومدلولها، وإدراك موجبها، وآثارها، ومقتضياتها، ومتعلقها، ولوازمها، وأحكامها، وارتباط هذه الأسماء بآثار ما يجريه الله في الملكوت.

ثالثاً: العمل بها وتحقيق ما تقتضيه، وتعبد الله بها، فيعامل كل اسم أو صفة بما يقتضيه ذلك الاسم أو تقتضيه تلك الصفة، وهذا ثمرة الإيمان بها، وذلك من خلال:

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب إن لله مائة اسم إلا واحدا حديث رقم ٧٣٩٢، وأخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، حديث رقم ٢٦٧٧.

- الاتصاف بالصفات التي يحب الله أن يتصف بها
- الانتهاء والبعد عن الصفات التي يكرهها الله عز وجل من عبيده.
- دعاء الله عز وجل بها، كما في قوله تعالى: ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾^(١)، وتجعلها وسيلة لما تطلبه وتدعو الله به. والدعاء مرتبتان: أحدهما: دعاء ثناء وعبادة. والثاني: دعاء طلب ومسألة.
- وهذه المعاني الثلاث لا تعارض بينها، فاللفظ يشملها كلها، كما أنها - كما ذكر ابن القيم وغيره - مراتب يتدبّر بتعلمها وحفظها، وفهم ومعرفة معانيها ومدلولها، ثم تأتي ثمرة ذلك وهي المرتبة الثالثة العمل بها وتحقيق مقتضياتها.

فالإِنسان إذا فعل هذا: أحصاها لفظاً، وفهمها معنى، وتعبّد الله بها، فهذا هو الدين، ومن دان لله بهذا أدخله الله الجنة^(٢).

وبهذا يتبين أن الإحصاء لا يراد به: حفظها عدا وأحصاها سرداً فقط، من غير أن يعمل بها، وإلا أصبح كمن يحفظ القرآن ولا يعمل بما فيه، فلا ينفعه ذلك، ويكون حاله كحال الخوارج الذين ثبت فيهم بنص الحديث الصحيح (أنهم يقرءون القرآن ولا يجاوز حناجرهم)^(٣)، وكذلك الكافر لو عرف وحفظ هذه الأسماء فإنه لا يدخل الجنة، إذ الجنة لا يدخلها إلا المؤمنون.

(١) الأعراف : ١٨٠

(٢) سلسلة لقاءات الباب المفتوح ٢٢/١٧

(٣) رواه البخاري كتاب استتابة المرتدين باب قتل الخوارج والملحدّين حديث رقم ٦٩٣٠

اختلاف الناس في التعبير عن " العمل بها وتحقيق ما تقتضيه "

وهذه المرتبة الثالثة وهي: "العمل بالأسماء والصفات وتحقيق ما تقتضيه" تفاوتت أقوال الناس في التعبير عنها وتسميتها، ويمكن حصر الأقوال في أربعة ألفاظ، كما ذكر ذلك ابن القيم رحمه الله - بعد أن ذكر مراتب إحصاء أسماء الله وصفاته - قال: " وهذه العبارة - أي المرتبة الثالثة دعاؤه بها - أولى من عبارة من قال يتخلق بأسماء الله فإنها ليست بعبارة سديدة وهي منتزعة من قول الفلاسفة بالتشبه بالإله على قدر الطاقة، وأحسن منها عبارة أبي الحكم بن برهان^(١) وهي التبعيد، وأحسن منها العبارة المطابقة للقرآن وهي الدعاء المتضمن للتعبد والسؤال، فمراتبها أربعة: أشدها إنكارا عبارة الفلاسفة وهي التشبه، وأحسن منها عبارة من قال يتخلق، وأحسن منها عبارة من قال التبعيد، وأحسن من الجميع الدعاء وهي لفظ القرآن. " (٢)

إذن هناك أربع ألفاظ مستخدمة في هذا الباب:

لفظان باطلان، هما: أ- التشبه، ب- التخلق.

لفظان صحيحان، هما: أ- التبعيد، ب- الدعاء.

وإليك الآن بيان وجه بطلان اللفظين الأولين، ووجه صحة اللفظين

الأخرين.

(١) ابن بَرَّجَان أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد اللخمي الإشبيلي،: الإفريقي الصوفي المعروف بابن برجان، قال ابن الأبار : كان من أهل المعرفة بالقراءات والحديث والتحقيق يعلم الكلام والتصوف مع الزهد والعبادة وله تواليف. ت. ٥٣٦ هـ ينظر فوات الوفيات ١ : ٢٧٤، ولسان الميزان ٤ : ١٣ العبر للذهبي ٤ : ٢٤٣. الأعلام ٤ / ٦

(٢) انظر بدائع الفوائد ١ / ١٦٤

المطلب الثاني: بيان وجه بطلان لفظ كل من: التشبه والتخلق، وفيه ستة

مسائل

كما تقدم فابن القيم رحمه الله أشار إلى بطلان كل من لفظ " التشبه " ولفظ " التخلق "، وبين أن لفظ التشبه أشد نكارة، وأن لفظ " التخلق " أحسن منه.

المسألة الأولى: وجه بطلان لفظ " التشبه ": فهو كما يلي:

التشبيه لغة: الشين والباء والهاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على تشابه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً^(١)

والتشبيه: المثل، والجمع أشباه. وأشبه الشيء الشيء ماثله.^(٢)

أما التشبيه في الاصطلاح: فهو وصف الله بشيء من خصائص المخلوقين، وذلك بأن يثبت لله تعالى في ذاته أو صفاته وأفعاله من الخصائص مثل ما يثبت للمخلوق من الصفات، مثل أن يقال: يد الله مثل أيدي المخلوقين، واستواءه كاستوائهم، ونحو ذلك، أو يعطي لمخلوق من خصائص الرب تعالى، التي لا يماثله فيها شيء من المخلوقات.^(٣)

والتشبيه نوعان:

الأول: تشبيه الخالق بالمخلوق.

(١) مقاييس اللغة: ٢٤٣/٣.

(٢) لسان العرب: ٥٠٣/١٣.

(٣) مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها ٧٩/١

الثاني: تشبيه المخلوق بالخالق، بإثبات شيء للمخلوق مما يختص به الخالق عز وجل من الأفعال والحقوق والصفات^(١) وهذا هو المراد هنا فمن أعطى للمخلوق صفات الخالق أو بعضها فقد شبه.

والتشبيه بهذا المفهوم مذموم لدى عامة طوائف المسلمين، بل بلغ ببعض المعطلة نفي وتعطيل بعض صفات الله الثابتة في الكتاب والسنة بحجة تنزيه الله عز وجل من التشبيه.

فلفظ "التشبيه" و"التشبه" يرد عند طوائف المسلمين على سبيل الذم لمن يقول به ويتمثله.

ولذا فلا خلاف لدى المسلمين - فيما أعلم - بأن عبارة "التشبه بصفات الله" عبارة باطلة وغير صحيحة، وينزه الخالق عنها، وإنما هي من قول الفلاسفة بالتشبه كما ذكر ابن القيم رحمه الله^(٢) ويقول الجرجاني^(٣) رحمه الله في تعريف الفلسفة: "الفلسفة التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الأبدية كما أمر الصادق في قوله تخلقوا بأخلاق الله أي تشبهوا به في الإحاطة بالمعلومات والتجرد عن الجسمانيات"^(٤).

وعليه فلفظ التشبه لفظ باطل كما نص عليه ابن القيم رحمه الله في النص السابق ذكره.

(١) المصدر السابق ١/١٦٤.

(٢) انظر بدائع الفوائد ١/١٧٢.

(٣) علي بن محمد بن علي الحنفي الشريف الجرجاني، ولد سنة ٧٤٠هـ، وتوفي ٨١٦هـ. ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي، ٢/١٩٦ وسلم الوصول إلى طبقات الفحول لحاجي خليفة، ٢/٣٨٨.

(٤) التعريفات ص ٢١٦.

المسألة الثانية: وجه بطلان لفظ "التخلق"، وفيها ستة فروع:

أما التعبير بلفظ "التخلق" كقولهم "التخلق بأخلاق الله، وهو اللفظ الذي وقع فيه خلاف بين العلماء في صحة وجواز التعبير به واستعماله وبين منع ذلك وأنه لفظ فاسد وباطل. وعليه فسيكون الحديث عنه مفصلاً. ليشمل كل ما يتعلق به من جميع جوانبه، وسكون الحديث عنه من خلال المحاور التالية:

الفرع الأول: التعريف بلفظ "التخلق" و"الأخلاق" في اللغة والاصطلاح.

الفرع الثاني: ورود لفظ الخلق والتخلق في القرآن الكريم والسنة النبوية، ومعناه فيهما.

الفرع الثالث: ما ورد في السنة من وصف صفات الله عز وجل بالأخلاق.

الفرع الرابع: صحة إطلاق لفظ "الأخلاق" على صفات الله عز وجل.

الفرع الخامس: صحة إطلاق لفظ "التخلق".

الفرع السادس: صلة هذا اللفظ بتشبه المخلوق بصفات الخالق.

الفرع الأول: التعريف بلفظ "التخلق" و"الأخلاق" في اللغة والاصطلاح التخلق والأخلاق في اللغة:

(خ ل ق). (فعل: خماسي لازم متعد بحرف). تخلقت، أتخلق، تخلق،
مصدر تخلق.

تخلق: تكلف أن يظهر من خلقه خلاف ما ينطوي عليه
وتخلق بأخلاق كذا: تطبع بها.

وتخلق بغير خلقه: تكلفه من غير أن يكون له.

وتخلق بأخلاق العلماء: حمل نفسه على التطبع بها، وجعلها خلقا له.^(١)
والخلق بضم اللام وسكونها في لغة العرب: هو الطبع والسجية، والمروءة
والدين.

قال ابن فارس^(٢) رحمه الله: "الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير
الشيء، والآخر ملامسة الشيء.... ومن ذلك: الخلق وهي السجية؛ لأن
صاحبه قد قدر عليه".^(٣)

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة ص ١٧٠

(٢) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين: من أئمة اللغة والأدب. توفي سنة ٣٩٥ هـ
ينظر: معجم الادباء ٤ / ٨٠، الواوي بالوفيات ٧ / ٢٧٨، البداية والنهاية ١١ / ٣٣٥، بغية الوعاة
١ / ٣٥٢، شذرات الذهب ٣ / ١٣٢، سير أعلام النبلاء ١٧ / ١٠٢

(٣) معجم المقاييس في اللغة؛ ص: ٣٢٩

وقال الفيروز آبادي^(١) رحمه الله: "الخلق: بالضم، وبضمّتين: السجّية والطبع، والمروءة والدين".^(٢)

وقال ابن منظور^(٣) رحمه الله: "الخلق: الخليقة؛ أعني: الطبيعة، وفي التنزيل: { وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ }^(٤)، والجمع: أخلاق، لا يكسر على غير ذلك.^(٥) الخلق والخلق في الأصل واحد... ولكن خص الخلق - بفتحة على الخاء - بالهيئات، والأشكال، والصور المدركة بالبصر.

وخص الخلق - بضمّة على الخاء - بالسجّايا والطباع المدركة بالبصيرة. قال تعالى { وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ } أي: لعلى دين عظيم، وقال تعالى { إِنَّ هَذَا إِلَّا خَلْقُ الْأَوَّلِينَ }^(٦) أي عاداتهم ودينهم الذي كانوا يدينون به.

(١) محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي، من أئمة اللغة والأدب. توفي ٨١٧ هـ ينظر: البدر الطالع ٢/٢٨٠ والضوء اللامع ١٠/٧٩ وبغية الوعاة ١١٧

(٢) القاموس المحيط ص: ٧٩٣.

(٣) محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين، ابن منظور الأنصاري، الإمام اللغوي، من أشهر مصنفاته: لسان العرب، توفي: ٧١١ هـ، انظر: الأعلام ٧/١٠٨.

(٤) القلم: ٤

(٥) لسان العرب ١٠: ٨٦، ٨٧

(٦) الشعراء: ١٣٧

قال الراغب الأصفهاني^(١) رحمه الله: "والخلق والخلق في الأصل واحد كالشرب والشرب، والصرم والصرم، لكن خص الخلق بالهئئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخلق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة"^(٢).

والخلق هو الطبع المتكلف، أما إن كان طبع غريزي فيسمى " الخيم "

قال القرطبي^(٣) رحمه الله: "وحقيقة الخلق في اللغة هو ما يأخذ الإنسان به نفسه من الأدب يسمى خلقاً؛ لأنه يسير كالخلقة فيه، وأما ما طبع عليه من الأدب فهو الخيم -بالكسر-: السجية والطبيعة، لا واحد له من لفظه، فيكون الخلق الطبع المتكلف، والخيم الطبع الغريزي، وقد أوضح ذلك الأعشى في شعره فقال: وإذا ذو الفضول ضن على المولى وعادت لخيمها الأخلاق أي: رجعت الأخلاق إلى طبائعها"^(٤).

(١) الحسين بن محمد بن محمد بن الفضل، أبو القاسم الأصفهاني المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء،

توفي: ٥٠٢هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ١٨ / ١٢٠، الأعلام ٢ / ٢٥٥

(٢) مفردات ألفاظ القرآن ص: ٢٩٧

(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي الإمام العلامة من

كبار المفسرين، توفي سنة ٦٧١ هـ. ينظر: تاريخ الإسلام، للذهبي ١٥ / ٢٢٩، الأعلام للزركلي،

٣٢٢ / ٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٨ : ٢٢٧

الأخلاق في الاصطلاح:

في الاصطلاح تطلق الأخلاق باعتبارين:

"الأول إطلاق عام: وهو ما ذكره الغزالي^(١) رحمه الله حين عرف الخلق بقوله:
"الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر
من غير حاجة إلى فكر وروية"^(٢).

وعلى هذا فالأخلاق هي ثابتة ومستقرة لدى المرء، وليست عرضة وطارئة،
فهي صفة تتكرر لدى المرء متى حان وقتها، أما إن كانت عارضة ولا يفعلها
المرء إلا مرة أو نحوها فلا تسمى خلقا.

كما أن هذه الصفات المستقرة منها ما يكون خلقا ومنها ما يكون غريزة
ودافعا، زما يميز الخلق عنها أن آثار سلوك المرء فيه مما يحمد عليه أو يذم، بينما
الغريزة والدافع قد يكون فطريا وتتكاثر فيه حاجات الإنسان^(٣)، ولذا فالخلق
إذا أطلق فيشمل الحسن والقبيح، والممدوح والمذموم، وإن كان في الغالب إذا
أطلق يكون المراد به الحسن الممدوح.

(١) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، صاحب التصانيف، ولد سنة ٤٥٠هـ،
وتوفي سنة ٥٠٥هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ١٩ / ٣٢٢، والأعلام ٧ / ٢٢.

(٢) إحياء علوم الدين ٣ : ٤٧

(٣) انظر الأخلاق الإسلامية وأسسها ١ / ١٠

قال ابن عاشور^(١) رحمه الله: "خلق بضمّتين: فهو السجّية المتمكّنة في النفس، باعثة على عمل يناسبها من خير أو شر. وقد فسر بالقوى النفسية، وهو تفسير قاصر.

فيشمل طبائع الخير وطبائع الشر؛ ولذلك لا يعرف أحد النوعين من اللفظ إلا بقيد يضم إليه فيقال: خلق حسن، ويقال في ضده: سوء الخلق، أو خلق ذميم، قال تعالى: و{إنك لعلی خلق عظیم} (٢)

وفي الحديث: (وخالق الناس بخلق حسن)^(٣) فإذا أطلق عن التقييد انصرف إلى الخلق الحسن.... والخلق في اصطلاح الحكماء: ملكة؛ "أي: كيفية راسخة في النفس أي: متمكّنة في الفكر"، تصدر بها عن النفس أفعال صاحبها بدون تأمل.

فخلق المرء مجموعة غرائز -أي: طبائع نفسية- مؤتلفة من انطباع فكري إما جبلي في أصل خلقته، وإما كسبي ناشئ عن تمرن الفكر عليه وتقلده إياه لاستحسانه إياه عن تجربة نفعه، أو عن تقليد ما يشاهده من بواعث محبة ما شاهد،

(١) محمد الطاهر بن عاشور المالكي، ولد سنة ١٢٩٦، وتوفي سنة ١٣٩٣ هـ. انظر: الأعلام للزركلي، ١٧٤/٦.

(٢) القلم: ٤

(٣) أخرجه الترمذي في أبواب البر والصلة باب ما جاء في معاشرّة الناس حديث رقم ١٩٨٧، قال الألباني حديث حسن. ورواه الإمام أحمد في مسنده في مسند الأنصار حديث أبي ذر الغفاري حديث رقم ٢١٣٥٤

وينبغي أن يسمى اختياراً من قول أو عمل لذاته، أو لكونه من سيرة من يحبه ويقتدي به، ويسمى تقليداً، ومحاولته تسمى تخلقا.

قال سالم بن وابصة^(١): عليك بالقصد فيما أنت فاعله إن التخلق يأتي دونه الخلق

فإذا استقر وتمكن من النفس صار سجية له يجري أعماله على ما تمليه عليه وتأمره به نفسه بحيث لا يستطيع ترك العمل بمقتضاها^(٢).

الثاني: إطلاق خاص

فيراد به التمسك بأحكام الشرع وآدابه فعلاً وتركاً. وهذا هو معناه في الشرع.

وعند النظر والاستقراء للنصوص الشرعية يلحظ أن الاستخدام الشرعي للفظ "الخلق"، لا يختلف كثيراً عن المعنى اللغوي لهذه الكلمة.

(١) سالم بن وابصة الأسدي ذكره الطبري وغيره في الصحابة ذكره المرزباني في معجمه، فقال: "سالم

بن وابصة بن معبد الأسدي، ويقال: اسم جده عتبة بن قيس بن كعب"، توفي سنة ١٢٥ هـ

ينظر الإصابة ٢١١/٣، أسد الغابة ٣٨٧/٢، المؤلف والمختلف ١٩٧، الأعلام ٧٣/٣

(٢) التحرير والتنوير ١٩ / ١٧١-١٧٢

الفرع الثاني: ورود لفظ الخلق والتخلق في القرآن الكريم والسنة النبوية، ومعناه فيهما.

لفظ الخلق في القرآن الكريم:

جاءت كلمة الخلق في القرآن في موضعين:

الأول: قوله تعالى على لسان قوم هود: { إن هذا إلا خلق الأولين }^(١)
"معناه: ما هذا إلا دين الأولين وعاداتهم وأخلاقهم".^(٢)

قال الألوسي^(٣) رحمه الله: "أي: ما هذا الذي جئنا به إلا عادة الأولين يلفقون مثله ويدعون إليه،

أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت إلا عادة قديمة لم يزل الناس عليها،

أو ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا عادة الأولين الذين تقدمونا من الآباء وغيرهم"^(٤).

الثاني: قوله تعالى مخاطبا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم: { وإنك لعلى خلق عظيم }^(٥)

(١) الشعراء: ١٣٧

(٢) تفسير الطبري ١ / ٢٧٧

(٣) أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي، مفسر، وكاتب أديب،

وفقيه واعظ، توفي سنة: ١٣٤٢هـ. ينظر: أعلام العراق، لمحمد بمجت ٨٥ - ٢٠٥

(٤) روح المعاني ١ / ١١٢

(٥) القلم: ٤

قال الطبري^(١) رحمه الله: "يقول - تعالى ذكره - لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإنك يا محمد، لعلى أدب عظيم، وذلك أدب القرآن الذي أدبه به، وهو الإسلام وشرائعه، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل".^(٢)

قال ابن كثير^(٣) رحمه الله: "عن ابن عباس رضي الله عنه: أي: وإنك لعلى دين عظيم، وهو الإسلام. وكذلك قال مجاهد، وأبو مالك، والسدي، والربيع بن أنس، والضحاك، وابن زيد. وقال عطية: لعلى أدب عظيم".^(٤)

لفظ الخلق في السنة النبوية:

أما في السنة المطهرة، فقد ورد لفظ "الخلق" في عدد من الأحاديث الصحيحة، ومن ذلك:

١. قول عائشة رضي الله عنها في وصف خلق الرسول صلى الله عليه وسلم: (كان خلقه القرآن)^(٥)؛ أي: متمسكا بالقرآن وبآدابه، وأوامره ونواهيه، وما يشتمل عليه من المكارم والمحاسن والألطف^(٦).

(١) أبو جعفر الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، الإمام العلم المجتهد، ولد سنة ٢٢٤هـ، وتوفي سنة ٣١٠هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي ١٤/١.

(٢) تفسير الطبري ٢٣/٥٢٨.

(٣) عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء الإمام العلامة ولد سنة ٧٠٠ أو بعدها بيسير،

توفي سنة ٧٧٤هـ. ينظر: الدرر الكامنة في أعلام المائة الثامنة ١/٤٤٥، الأعلام ١/٣٢٠.

(٤) تفسير ابن كثير ٨/١٨٨.

(٥) أخرجه أحمد (٢٣٤٦٠) والحاكم (٢: ٣٩٣) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في

صحيح الجامع (٤٨١١).

(٦) انظر لسان العرب ١٠/٨٧، وجامع العلوم والحكم؛ لابن رجب ٢/٩٩.

- ٢ . قوله صلى الله عليه وسلم: (البر حسن الخلق)^(١).
- ٣ . قوله صلى الله عليه وسلم: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً)^(٢).
- قال ابن رسلان^(٣): "الخلق عبارة عن أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره"^(٤).

-
- (١) أخرجه مسلم (٤٦٣٣) من حديث النّوأس بن سمعان رضي الله عنه.
- (٢) رواه أبو داود في سننه ب الدليل على زيادة الإيمان، ٢٥٤/٤ وقال الألباني حسن صحيح
- (٣) أحمد بن حسين بن حسن بن علي بن رسلان، أبو العباس، شهاب الدين، الرملي: فقيه شافعي. توفي سنة ٨٤٤ هـ ينظر البدر الطالع ١/ ٤٩ وشذرات الذهب ٧/ ٢٤٨
- (٤) عون المعبود ١٢/ ٣٤٣

الفرع الثالث: ما ورد في السنة من وصف صفات الله عز وجل بالأخلاق
أما ما ورد في السنة من وصف صفات الله عز وجل بالأخلاق، فقد ورد
جملة من الروايات في ذلك، بيد أن جميع تلك الروايات لم تثبت بسند صحيح،
وهي إما ضعيفة أو موضوعة، وهذه هي الروايات التي وقفت عليها مع بيان
حكمها كما ذكره العلماء والمختصين في هذا الشأن.

١- رواية: (تخلقوا بأخلاق الله).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في " : لا يعرف عن النبي صلى الله
عليه وسلم بل هو من باب الموضوعات. " (١)

ووصف ابن القيم رحمه الله هذا الأثر بأنه باطل " ورووا في ذلك أثرا باطلا
تخلقوا بأخلاق الله " (٢)

وقال الألباني (٣) رحمه الله: " لا أصل له , أورده السيوطي في " تأييد الحقيقة
العلية " (١/٨٩) دون عزو " (٤).

(١) تلبس الجهمية ٥١٨/٦

(٢) مدارج السالكين ٢٤١/٣

(٣) أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن نوح نجاتي الألباني، الشيخ المحدث، علامة الشام، ولد سنة
١٣٣٣هـ، وتوفي سنة ١٤٢٠هـ. ينظر: موسوعة مواقف السلف في العقيدة، لأبي سهل المغراوي
٣٦٨/١٠، المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين لمجموعة من أعضاء ملتقى
أهل الحديث، ص ٣٢١.

(٤) السلسلة الضعيفة ٦/ ٣٤٦ رقم ٢٨٢٢.

وقال محققا شرح الطحاوية: " لا يعرف له أصل في شيء من كتب السنة، وذكره السيوطي رحمه الله في - تأييد الحقيقة العلية - ورقة ١/٨٩، ولم يعزه لاحد.(١)

٢- في المطالب العالية: ٢٥٧٢ وقال أبو داود الطيالسي رحمه الله^(٢): حدثنا عبد الواحد بن زيد، حدثني عبد الله بن راشد مولى عثمان حدثني مولاي عثمان بن عفان رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن لله تعالى مائة خلق وسبعة عشر خلقا، فمن أتى الله عز وجل بخلق واحد، دخل الجنة).(٣)

وقال البزار حدثنا محمد بن معمر، حدثنا أبو داود به.(٤)
وقال أبو يعلى: حدثنا إسحاق هو ابن أبي إسرائيل، حدثنا عبد الواحد، به.(٥)

ورواه البزار من هذا الوجه، وقال: لا نعلمه إلا من هذا الوجه وعبد الواحد ليس بالقوي، وعبد الله بن راشد مجهول^(٦).

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي بتحقيق: التركي، الأرئوط ص ١٨١

(٢) مسند الطيالسي ص ١٤، رقم ٨٤

(٣) قال محقق المطالب العالية: هو في مسند الطيالسي بنفس الإسناد ولفظه: " إن الله عز وجل خلق مائة خلق وسبعة عشر خلقا، فمن أتى بخلق واحد، دخل الجنة." وهناك فرق بين هذا اللفظ وبين لفظ المطالب فنسبت في المطالب إلى الله تعالى وأما في لفظ المسند فهي مخلوقة.
المطالب العالية ٤٣٢/١١،

(٤) في البحر الزخار ٩١/٢ وفي كشف الأستار ٢٨/١ بنفس الإسناد والمتن

(٥) في المسند الكبير لأبي يعلى كما في مجمع الزوائد ٣٦/١ والمقصد الأعلى ١٠٦/١ حديث ١٨

(٦) انظر المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية

قال البوصيري: ومدار أسانيدهم على عبد الواحد بن زيد، قال ابن عبد البر: أجمعوا على ضعفه^(١)

قال الهيثمي: وفي إسناده عبد الله بن راشد وهو ضعيف^(٢)
وقال الألباني رحمه الله (ضعيف جدا)^(٣) وقال محقق المطالب العالية: إسناده ضعيف جدا.^(٤)

٣- (السخاء خلق الله الأعظم).^(٥)

قال المنذري رحمه الله في الترغيب "رواه أبو الشيخ ابن حيان في كتاب الثواب".^(٦)

ورواه أبو نعيم في أخبار أصبهان^(٧)، وأورده السيوطي في الجامع الصغير

(١) الاتحاف ج ٢ ق ١٣٤ نقلا عن المطالب العالية ٤٣١/١١

(٢) مجمع الزوائد ٣٦/١

(٣) ضعيف الجامع حديث رقم: ١٩٥٤. وانظر تخريج أحاديث إحياء علوم الدين ٨٧٩ / ٢

حديث رقم ١١٥٣

(٤) وقال فيه علتان: الأولى عبد الواحد بن زيد وهو متروك، والثانية عبد الله بن راشد وهو مستور.

المطالب العالية ٤٣١/١١، حاشية حديث رقم ٢٥٧٢

(٥) "روى عن نافع قال: لقي يحيى بن زكريا عليه السلام إبليس لعنه الله فقال له: أخبرني بأحب الناس إليك وأبغضهم، قال: أحبهم إلى كل مؤمن بخيل وأبغضهم إلى كل منافق سخي قال: ولم ذلك؟ قال إبليس: لأن السخاء خلق الله الأعظم فأخشى أن يطلع عليه في بعض سخائه فيغفر

له" المحاسن والأضداد للجاحظ ٨٧/١

(٦) الترغيب والترهيب ٢٨٣/٢ حديث رقم ١٩

(٧) أخبار أصبهان ١٧٨/٢ حديث ٤٨٢

نقلا عن تاريخ ابن النجار عن ابن عباس...^(١). وذكره الهندي في كنز العمال^(٢). والديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب^(٣). قال ابن السبكي: لم أجد له إسنادا.^(٤) وقال الألباني رحمه الله: ضعيف^(٥).

٤- عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حسن الخلق خلق الله الأعظم)

رواه الطبراني وأبو نعيم و الديلمي، والمنذري، والهيثمي وقال: "وفيه عمرو بن الحصين وهو متروك"،^(٦) قال العراقي: ضعيف^(٧) قال الألباني: موضوع^(٨).

-
- (١) الجامع الصغير ٧٠٨٣/١ حديث رقم ٧٠٨٥. وقال المناوي بعد شرحه للحديث: " (ابن النجار) في تاريخ بغداد (عن ابن عباس) وضعفه المنذري وظاهره أنه لم يخرج أحد ممن وضع لهم الرموز مع أن أبا نعيم والديلمي خرجاه عن عمارة باللفظ المزبور بل رواه أبو الشيخ ابن حيان في كتاب الثواب " فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤-١٣٤ حديث رقم ٤٨٠٢
- (٢) كنز العمال ٥٠٧/٦ حديث ١٥٩٢٦.
- (٣) الفردوس بمأثور الخطاب ٣٤١/٢ حديث ٣٥٤٢
- (٤) ٦/٣٧٨ انظر تخريج أحاديث إحياء علوم الدين ص ٥/٢٣٧٤ حديث ٣٧٨٧، اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ٨/٢٠١، ٦٧٩/٩
- (٥) انظر صحيح وضعيف الجامع ١/٤٩٠ حديث رقم ٧٠٨٢، ضعيف الجامع ١٥/٢٠٤ حديث رقم: ٣٣٣٩، ضعيف الترغيب والترهيب ٢/١٧٤ حديث ١٥٥٩، السلسلة الضعيفة: ٨/٣٧٣١ ٢٣٣
- (٦) انظر المعجم الأوسط ٨/١٨٤ حديث ٨٣٤٤، حلية الأولياء ٢/١٧٥، الفردوس بمأثور الخطاب ٢/١٤٠ حديث ٢٧١٤، مجمع الزوائد ٧/٢٢٨ حديث ١٢٦٥٨، الترغيب والترهيب ٣/٣٥٥
- (٧) تخريج الإحياء ٣/٦٢
- (٨) ضعيف الجامع حديث رقم: ٢٧١٥، ضعيف الترغيب حديث رقم ١٥٩٧، السلسلة الضعيفة حديث رقم ٣٤٩٠

٥- عن أنس مرفوعاً: (أفضل الأعمال الصلاة لوقتها وخير ما أعطي الإنسان حسن الخلق إن حسن الخلق خلق من أخلاق الله)^(١).

قال الذهبي رحمه الله في ميزان الاعتدال: في ترجمة الحسن بن مقداد بعد أن ذكر الحديث: " فأحسب هذا وضعه، وإلا فالجسار."^(٢)

٦- (إن لله تسعة و تسعين خلقاً من تخلق بواحد منها دخل الجنة).^(٣)

٧- (إن لله ثلاثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة).

قال الحافظ العراقي رحمه الله: حديث «إن لله تعالى ثلاثمائة خلق...» أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أنس مرفوعاً عن الله تعالى^(٤). وقال الشوكاني: "وروى بألفاظ قال السخاوي والكل ضعيف"^(٥).

٨- عن عثمان بن عفان رضي الله عنه (إن لله عز وجل مائة وسبعة عشر خلقاً لا يوافق عبد بخلق منها إلا أدخله الجنة).

وفي رواية (إن لله تعالى مائة خلق وسبعة عشر خلقاً من أتاه بخلق منها دخل الجنة).

(١) كتاب موسوعة الأخلاق الإسلامية الدرر السنية - أحاديث لا أصل لها أو موضوعة في

الأخلاق ص ٥٦

(٢) ميزان الاعتدال ١/٥٢٤ رقم ١٩٥٣

(٣) ذكره الغزالي في خاتمة المقصد الأسنى، ولم أجد من عزاه إلى أحد كتب السنة.

(٤) الطبراني في المعجم الأوسط ٢/٢٠ وفي إسناده أبو ظلال القسملي، وثقه ابن حبان والأكثر على تضعيفه.

(٥) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ١/٤٥٠ الحديث ١٧، وانظر قول العراقي في تحريج

الأحياء حديث ٤١٩٦

وفي رواية: (أن لله عز وجل مائة خلق وستة عشر خلقا من أتاه بخلق منها دخل الجنة).

وفي رواية أخرى (مائة خلق وسبعة عشر خلقا وفي رواية مائة وسبع عشرة شريعة)^(١).

رواه البيهقي رحمه الله وقال: " هكذا رواه عبد الواحد بن زيد البصري الزاهد وليس بالقوي في الحديث و قد خولف في إسناده و هو أيضا ليس بالقوي"^(٢).

وذكره الدارقطني رحمه الله في العلل: وقال: وهما بصريان ضعيفان - أي عبد الواحد بن زيد والحسن بن ذكوان - والحديث غير ثابت^(٣) وبنحوه قاله ابن الجوزي في العلل المتناهية^(٤).

قال السيوطي رحمه الله حسن^(٥).

قال: الألباني رحمه الله: ضعيف جدا.^(٦)

(١) الهيثمي في مجمع الزوائد ٤١/١ ابن حجر العسقلاني في المطالب العالية ١٢٨/٣

(٢) شعب الإيمان ٢٦٦/٦ حديث ٨٥٥٠

(٣) العلل للدارقطني ٣٨-٣٩

(٤) العلل المتناهية ٩٣٣/٢-٩٣٤ حديث ١٥٥٧ وقال: قال يحيى بن معين عبد الواحد بن زيد

ليس بشيء وقال الفلاس متروك الحديث وقال احمد بن حنبل احاديث ابن ذكوان اباطيل،

وانظر تليخيص العلل المتناهية للذهبي ص ٣٦٣ حديث ١٠٤٨

(٥) الجامع الصغير ٤/ ٤٢

(٦) ضعيف الجامع ١٩٥٤

٩- وقد قيل: إن الله سبحانه أوحى إلى داود: (تخلق بأخلاقى، فإن من أخلاقى أنى أنا الصبور).^(١)

وهذه الرواية: كما هو ظاهر أوردت بصيغة التمریض، كذلك هي مروية عن أهل الكتاب وروایات أهل الكتاب أقل ما يقال فيها التوقف فيها. ١٠- رواية عن الحسن البصري أنه قال: (ألا إن المعروف خلق من أخلاق الله، وعليه جزاؤه).

ذكره بن أبي الدنيا في كتابه قضاء الحوائج^(٢) بإسناده: أخبرنا القاضي أبو القاسم، حدثنا أبو علي، حدثنا عبد الله قال: قال أبي رحمه الله: أخبرنا محمد بن جعفر المدائني، عن حمزة الزيات، عن أبي سفيان، عن الحسن.... وليس المراد بالحسن هنا الحسن البصري رحمه الله، بل المراد به الحسن الكوفي. قال عنه ابن حجر: مجهول. وقال الذهبي: لا يعرف.

فمن العرض السابق يتبين لنا أن ما ورد في السنة من وصف صفات الله عز وجل بالأخلاق، فجميع تلك الروایات لم تثبت بسند صحيح، وهي إما ضعيفة أو موضوعة.

(١) ذكره ابن القيم في عدة الصابرين ص ٨٥-٨٦

(٢) كتابه قضاء الحوائج ٢٤/١ حديث ٢٢، وفي رواية عن جابر النخعي، رفعه قال: "المعروف

خلق من خلق الله كريم". حديث ٢٣

الفرع الرابع: صحة إطلاق لفظ " الأخلاق " على صفة الله عز وجل.
المراد بلفظ: " الأخلاق " هنا هو أسماء الله وصفاته عز وجل، فأخلاق الله عز وجل أي أسماءه وصفاته. وهذا واضح، لكن المسألة العقدية المرادة هنا هي حكم إطلاق مصطلح " الأخلاق " على الله عز وجل والعدول به عن مصطلح " الأسماء والصفات " ؟

عند تتبع لفظ " الأخلاق " في النصوص الشرعية، يتبين - كما تقدم - أنه لم يرد لا في الكتاب ولا في السنة ولا في كلام الصحابة وسلف الأمة من أئمة أهل السنة والجماعة إطلاقه على الله عز وجل.

وما ورد في السنة النبوية من أحاديث فيها لفظ " الأخلاق " فهي أحاديث لا تصح بل كثير منها لا أصل له وموضوع - كما تقدم بيانه - .

وأول من وقفت عليه ممن أطلق هذا اللفظ على الله عز وجل هو الحكيم الترمذي^(١) رحمه الله حيث قال - في شرح حديث (إن الله تعالى خلق وسبعة عشر خلقا فمن أتى الله بخلق واحد منها دخل الجنة) - : " كأنه يريد أن من أتاه بخلق واحد منها وهب له جميع سيئاته وغفر له سائر ذنوبه. وفي خبر أن الأخلاق في الخزائن فإذا أراد الله بعبد خيرا منحه خلقا منها، ألا ترى أن المفرط في دينه المضيع لحقوقه يموت وهو صاحب خلق من هذه الأخلاق

(١) الترمذي الحكيم: هو أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر الحكيم الترمذي، قال الإمام الذهبي :

الإمام الحافظ العارف الزاهد... وكان ذا رحلة ومعرفة وله مصنفات وفضائل... وله حكم ومواعظ وجمالية لولا هفوة بدت منه.. ينظر : السير ١٣ ص: ٤٣٩، لسان الميزان ٣٠٩/٥ مجموع

الفتاوي لابن تيمية ٢/٢٢٢، ١٣ / ٢٦٧

فتنطلق الألسنة بالثناء عليه، فأخلاق الله أخرجها لعباده من باب القدرة،
وخزنها لهم في الخزائن، وقسمها بينهم على قدر منازلهم عنده... .

وقد عد في بعض الروايات من تلك الأخلاق كظم الغيظ والعفو عند القدرة
والصلة عند القطيعة والحلم عند السفه والوقار عند الطيش ووفاء الحق عند
الجحود والإطعام عند الجوع والقطيعة عند المنع والإصلاح عند الإفساد
والتجاوز عن المسيء والعطف على الظالم وقبول المعذرة والإنابة للحق والتجافي
عن دار الغرور وترك التماذي في الباطل. فإذا أراد الله بعبد خيرا وفقه لتلك
الأخلاق، وإن أراد به شرا خلى بينه وبين أخلاق إبليس التي منها أن يغضب
فلا يرضى ويسمع فيحقد ويأخذ في شره ويلعب فيلهو^(١).

قال المناوي^(٢) رحمه الله: تتمة قال ابن عربي^(٣): سئل الجنيد عن المعرفة
والعارف فقال لون الماء لون إنائه أي هو متخلق بأخلاق الله تعالى حتى كأنه
هو وما هو هو. لم يصرح في هذا الحديث في أي مكان هذه الأخلاق ولم
يصرح بأن الآتي بشيء من هذه الأخلاق شرطه الإسلام.

(١) انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير ٦١٢/٢-٦١٣ حيث نقل المناوي ذلك عن الحكيم

(٢) محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي، زين الدين،
صاحب كتاب فيض القدير شرح الجامع الصغير، ولد سنة: ٩٥٢هـ وتوفي سنة: ١٠٣١ هـ.

(٣) ابن عربي أبو بكر محمد بن علي بن محمد الطائي، أبو بكر الملقب بالشيخ الأكبر عند
الصوفية، فيلسوف، صوفي من أئمة المتكلمين قال الذهبي عنه: " ومن أردا تواليفه كتاب
(الفصوص)، فإن كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة، " توفي سنة

٦٣٨هـ. ينظر سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤٨/٢٣

وقد بين ذلك في حديث آخر روى الطبراني عنه في الأوسط مرفوعاً (إن الله عز وجل لوحاً من زبرجدة خضراء تحت العرش كتب فيه أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين خلقت بضعة عشر وثلاث مئة خلق من جاء بخلق منها مع شهادة أن لا إله إلا الله دخل الجنة) وإسناده حسن^(١) ولا منافاة بين قوله في الحديث المشروح "مئة" وقوله في الحديث "ثلاثمائة"، لأننا إن قلنا أن مفهوم العدد ليس بحجة فالقليل لا ينفي الكثير، وإلا فيمكن أن يقال إن منها مئة وسبعة عشر أصول والباقي متشعبة عنها داخلة تحتها فأخبر مرة بالأصول وأخرى بها وما تفرع عنها^(٢).

وقد تقدم معنى الأخلاق في لغة العرب، وكذلك في الاصطلاح، وعند تأمل ذلك يلحظ أنه يتضمن معنى لا يليق بالله عز وجل، إن لم يتضمن قدحاً فيه سبحانه وتعالى.

وبهذا يتبين لنا أن لفظ "الأخلاق" لا يصح أن تطلق على صفات الله عز وجل، إذ لم ترد في النصوص الشرعية لا في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية، ولا في كلام الصحابة ولا سلف الأمة، كما أنها تحتل معاني لا تليق بالله عز وجل.

(١) تقدم تخريجه انظر ص ٢٥

(٢) انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير ٦١٢/٢-٦١٣

الفرع الخامس: صحة إطلاق لفظ " التخلق "

وفيهما ثلاثة أمور:

للعلماء في إطلاق لفظ " التخلق " والتعبير به على الاقتداء بأسماء الله وصفاته اتجاهان:

الأول: جواز التعبير بذلك وعدم التحرج منه أو الامتناع عنه.
والآخر: رفض ذلك ومنعه، والتحذير من التعبير به، لما يتضمن من محاذير.
وتفصيل الكلام عن هذين الاتجاهين فيما يلي:
الأمر الأول: الاتجاه الأول: جواز التعبير به، وعدم الامتناع عنه:
هناك جملة من العلماء أطلقوا لفظ "التخلق بأخلاق الله". وهذه العبارة يمكن حملها على محملين، أحدهما صحيح سليم، والآخر فاسد باطل.

الأول: محمل صحيح سليم؛ وهو الحث على التخلق بمقتضى صفات الله وأسمائه وموجبها، وذلك بالنظر إلى الصفات التي يحسن من المخلوق أن يتصف بمقتضاها؛ كالعلم والرحمة والحكمة والحلم والكرم والجود والعفو ونظائرها؛ كما في حديث (إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً)^(١) وحديث (إن الله جميل يحب الجمال)^(٢). أما الصفات المختصة بالله فهذا شيء لا يمكن أن يتصف به المخلوق، ولا يجوز أن يدعيه، كالحلاق والرزاق والإله ونحو ذلك.^(٣)

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الزكاة باب قبول الصدقة من الكسب الطيب.. حديث رقم

١٠١٥

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب تحريك الكبر وبيانه حديث رقم ٩١

(٣) انظر مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز ١٣٣/١

الثاني: محمل فاسد باطل ؛ وهو محاولة الاتصاف بجميع صفات الله تعالى؛ سواء الصفات التي اختص بها الله عز وجل أو غيرها من الصفات، وذلك عملا وتشبها بالقاعدة الفلسفية "غاية الحكمة ونهاية الكمال الإنساني التشبه بالإله على قدر الطاقة".

ومعظم من يدعو إلى هذه الدعوة ويقول بهذه العبارة هو على هذا المحمل، لظهور ذلك جليا عند تأمل نصوص كلامه وأقواله، فغاياته التشبه بالإله، وسيأتي بيان هذا.^(١)

وإليك بعض نصوص وأقوال من قال بهذه العبارة وهذا اللفظ: تقدم قول الحكيم الترمذي^(٢). قال الكلاباذي^(٣) بقوله: "وهذا الفناء هو الذي عبر عنه الحديث النبوي: (تخلقوا بأخلاق الله) ؛ وصوره الحديث القدسي: (كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به).^(٤) وبهذا الفناء يحس الصوفي إحساس ذوق ووجدان وقلب وروح بأن الله سبحانه معه وفي ضميره وحركاته وكلماته".^(٥)

والغزالي أكثر من عبر عن صفات الله بأنها أخلاق، وتحدث عن ذلك، وأطلقه، وصرح به، وصنف فيه حتى عد أنه من أوائل من قال بذلك.

(١) انظر ص ٤١ من هذا البحث

(٢) انظر ص ٢٧ من هذا البحث

(٣) محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري، أبو بكر، من حفاظ الحديث، توفي: ٣٨٠هـ،

انظر: الأعلام ٥/ ٢٩٥

(٤) رواه البخاري كتاب الرقاق باب التواضع حديث رقم ٦٥٠٢

(٥) التعرف لمذهب أهل التصوف ص: ٥

ومن أقواله:

قال: "الفصل الرابع: في بيان أن كمال العبد وسعادته في التخلق بأخلاق الله تعالى، والتحلي بمعاني صفاته وأسمائه بقدر ما يتصور في حقه".^(١)
وقال: "فالذي يذكر هو قرب العبد من ربه عز و جل في الصفات التي أمر فيها بالافتداء والتخلق بأخلاق الربوبية حتى قيل تخلقوا بأخلاق الله، وذلك في اكتساب محامد الصفات التي هي من صفات الإلهية من العلم والبر والإحسان واللطف وإفاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وإرشادهم إلى الحق ومنعهم من الباطل إلى غير ذلك من مكارم الشريعة فكل ذلك يقرب إلى الله سبحانه وتعالى لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات"^(٢).

وقال: " اعلم أنه إنما حملني على ذكر هذه التنبهات ردف هذه الأسمي والصفات قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تخلقوا بأخلاق الله تعالى)، وقوله عليه الصلاة والسلام إن لله كذا وكذا خلقا من تخلق بواحد منها دخل الجنة، وما تداولته ألسنة الصوفية من كلمات تشير إلى ما ذكرناه؛ لكن على وجه يوهم عند غير المحصل شيئا من معنى الحلول والاتحاد. وذلك غير مظنون بعقل فضلا عن المتميزين بخصائص المكاشفات.

(١) المقصد الأسنى ص: ٤٥

(٢) إحياء علوم الدين ٤/٣٠٦

ولقد سمعت الشيخ أبا علي الفارمذي^(١) يحكي عن شيخه أبي القاسم الكركاني^(٢) قدس الله روحهما أنه قال: إن الأسماء التسعة والتسعين تصير أوصافا للعبد السالك وهو بعد في السلوك غير واصل. وهذا الذي ذكره إن أراد به شيئا يناسب ما أوردناه فهو صحيح، ولا يظن به إلا ذلك ويكون في اللفظ نوع من التوسع والاستعارة، فإن معاني الأسماء هي صفات الله تعالى وصفاته لا تصير صفة لغيره، ولكن معناه أنه يحصل له ما يناسب تلك الأوصاف، كما يقال: فلان حصل علم أستاذه، وعلم الأستاذ لا يحصل للتلميذ بل يحصل له مثل علمه.

وإن ظن ظان أن المراد به ليس ما ذكرناه فهو باطل قطعاً، فإني أقول: قول القائل: إن معاني أسماء الله سبحانه وتعالى صارت أوصافاً له؛ لا يخلو: إما أن يعني به عين تلك الصفات أو مثلها، فإن عني به مثلها فلا يخلو: إما عني به مثلها مطلقاً من كل وجه، وإما أنه عني به مثلها من حيث الاسم والمشاركة في عموم الصفات دون خواص المعاني، فهذان قسمان.

(١) الفارمذي أبو علي الفضل بن محمد الخراساني الإمام الكبير، شيخ الصوفية، الواعظ. ولد: سنة ٤٠٧ هـ وتوفي سنة ٤٧٧ هـ والفارمذي: ضبطت في الأصل بسكون الميم وضبطها السمعاني بفتح الراء والميم وضبطها ياقوت بسكون الراء وفتح الميم: وهي نسبة إلى فارمذ قرية من قرى طوس.

ينظر الأنساب ٩ / ٢١٩، ٤٠٥ العبر ٣ / ٢٨٨ سير أعلام النبلاء ١٨ / ٥٦٥

(٢) الشيخ القدوة، عالم الزهاد، أبو القاسم، عبد الله بن علي بن عبد الله الطوسي الطبراني، الكركاني، ويعرف: بكركان. كان شيخ الصوفية والمشار إليه بالأحوال والمجاهدة. توفي سنة ٤٦٩ هـ سير أعلام النبوة ١٣ / ٣٩٩

وإن عني به عينها؛ فلا يخلو: إما أن يكون بطريق انتقال الصفات من الرب إلى العبد، أو لا انتقال. فإن لم يكن بالانتقال؛ فلا يخلو: إما أن يكون باتحاد ذات العبد بذات الرب حتى يكون هو هو فتكون صفاته، وإما أن يكون بطريق الحلول.

وهذه أقسام ثلاثة؛ وهو: الانتقال، والاتحاد، والحلول، وقسمان مقدمان. فهذه خمسة أقسام الصحيح منها قسم واحد؛ وهو: أن يثبت للعبد من هذه الصفات أمور تناسبها على الجملة وتشاركها في الاسم ولكن لا تماثلها مماثلة تامة كما ذكرناه في التنبيهات..^(١).

وقال شيخ الإسلام: رحمه الله: " ولهذا ضل من سلك سبيل هؤلاء فصار مقصودهم هو التشبه بالله واحتجوا بما يروون تخلقوا بأخلاق الله، وصنف أبو حامد شرح أسماء الله الحسنى وضمنه التشبه بالله في كل اسم من أسمائه وسماه التخلق حتى في اسمه الجبار والمتكبر والإله ونحو ذلك من الأسماء التي ثبت بالنص والإجماع أنها مختصة بالله وأنه ليس للعباد فيها نصيب".^(٢)

ومن عبر بالأخلاق عن الصفات ابن العربي رحمه الله حيث قال: " وأخلاق الله تعالى: هي كل صفة محمودة يكون الثناء عليها في الشريعة موجودا؛ كالتقوى والجلود وكظم الغيظ والعفو؛ فهذه وأمثالها أخلاق الله، وأخلاق القرآن، وأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم؛

(١) المقصد الأسنى ص: ١٥٠-١٥١

(٢) الصفدية ٢/٣٣٧

أي: الأخلاق التي مدح الله، وورد الثناء عليها في القرآن، وكان عليها الأنبياء عليهم السلام؛ كما يقال في المساجد: بيوت الله؛ أي: عظمها الله ودعا إلى قال فيها".^(١)

وممن عبر بالتخلق بصفات الله، وفصل القول فيها، وذكر كيفية التخلق ببعض الصفات العز بن عبد السلام^(٢) رحمه الله في كتابة شجرة المعرفة حيث قال في فصل في آداب القرآن: "أخلاق القرآن ضربان: أحدهما: التخلق بخصائص العبودية كالذل والإذعان، والثاني: التخلق ببعض صفات الربوبية كالعدل والإحسان، فإن صفات الإله ضربان، أحدهما: مختص به كالأزلية والأبدية و الغني عن الأكوان،

والثاني: يمكن التخلق به، وهو ضربان: أحدهما: لا يجوز التخلق به كالعظمة والكبرياء.

والثاني: وردت الشريعة بالتخلق به كالجود والحياء والحلم والوفاء، فالتخلق بذلك على حسب الإمكان مرض للرحمن، مرغم للشيطان، ويدل على ذلك التخلق بآيات القرآن واتفق أهل المعرفة والإيمان".

(١) انظر: الأمد الأقصى ٢٣١/١

(٢) عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي، المشهور بالعز بن عبد السلام،

توفي سنة ٦٦٠ هـ ينظر طبقات الشافعية: ٢١٤/٨، البداية والنهاية: ١٣/٢٦٤، العبر

للذهبي: ٢٦٠/٥، شذرات الذهب: ٣٠٢/٥

ثم عقد بابا في التخلق بصفات الرحمن على حسب الإمكان، وفيه فصل:
"لا يصلح لولاية الديان من لم يتأدب بأداب القرآن، ولم يتخلق بصفات الرحمن
على حسب الإمكان".

وعقد بابا في كيفية التخلق بالأسماء والصفات، وقال: "لكل تخلق رتب و
درجات متفاوتات، وينقسم أكثر التخلق إلى فرض عين وسنة وفرض كفاية،
فانظر إلى أسمائه الحسن، وتخلق من كل اسم منها بمقتضاه على حسب
الإمكان" ثم ذكر أقسام أسماء الله وصفاته، وبين أن منها ما يتخلق به ن ومنها
مالا لا يمكن التخلق به. ثم عقد لكل صفة من صفات الله فصلا في كيفية
التخلق بها.^(١)

وتكلف الشريف التلمساني^(٢) يجعل التخلق باسمه الخالق في النكاح بأنه
خلافه ربانية في إيجاد الأشخاص الإنسانية، ولا يخفى على عاقل أن هذا الخلق
المزعوم موجود في البهائم وسائر الحيوانات. قال التلمساني: "... في النكاح
خلافه ربانية في إيجاد الأشخاص الإنسانية، وذلك بالتخلق باسمه الخالق،
ولذلك ذهب الحنفية والحنابلة إلى أنه أفضل من التحلي بنوافل الطاعات،
وروي أنه في الفضل أكمل من حفظ الموجود كإنقاذ الهلكى، لأن الإيجاد أنفع
من الإبقاء وأقوى في التشبه بالخلق الإلهي،

(١) انظر شجرة المعارف: ص: ١٤، ٢٢، ٣١-٤٢

(٢) محمد بن أحمد بن علي الإدريسي الحسيني، أبو عبد الله العلوي المعروف بالشريف التلمساني، من
علماء المالكية، توفي سنة ٧٧١ هـ. ينظر الأعلام ٣٢٧/٥

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تخلقوا بأخلاق الله). وفي هذا زلت أحبار اليهود إذ قدحوا في النبوة بعد الكمال تقليدا لقدماء الفلاسفة في الرغبة عن النكاح، نظرا منهم إلى استغناء الإنسان عنه في بقائه الشخصي، قالوا بخلاف الطعام والشراب، وما شعروا أن الإيجاد أقوى في التشبه بالخلق الإلهي من الإبقاء، ولسنا نعني بالإيجاد الحقيقة، بل أقوى درجات الإعداد تسمى إيجادا مجازا، أما الإيجاد الحقيقي فلا يتأتى من الممكن، إذ لو خلى رسوم ذاته لم يستحق الوجود لما في الإمكان من الطبيعة العدمية فكيف تقيده".^(١)

وقال الشاطبي^(٢) رحمه الله: "وقسم هو مأخوذ من عادة الله تعالى في إنزاله، وخطاب الخلق به، ومعاملته لهم بالرفق والحسنى، من جعله عربيا يدخل تحت أفهامهم، مع أنه المنزه القديم، وكونه تنزل عليهم بالتقريب والملاطفة والتعليم في نفس المعاملة به، قبل النظر إلى ما حواه من المعارف والخيرات، وهذا نظر خارج عما تضمنه القرآن من العلوم، ويتبين صحة الأصل المذكور في كتاب الاجتهاد، وهو أصل التخلق بصفات الله والافتداء بأفعاله".

وقال بعد أن ذكر أمثلة من القرآن: "إن هذه الأمثلة وما جرى مجراها لم يستفد الحكم فيها من جهة وضع الألفاظ للمعاني، وإنما استفيد من جهة أخرى، وهي جهة الافتداء بالأفعال".

(١) المعيار العرب والجامع المغرب عن فتاوى إفريقيا والمغرب في فقه النوازل ٨ / ٤٩٢

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي المالكي، الشهير بالشاطبي، توفي سنة ٧٩٠هـ. ينظر: الأعلام، للزركلي ١/٧٥، موسوعة مواقف السلف في العقيدة، لأبي سهل

وقال: "ومن ذلك أشياء ذكرت في باب الاجتهاد في الاقتداء بالأفعال والتخلق بالصفات".^(١)

كما استخدم المناوي رحمه الله في كتابه التيسير كلمة تخلق في مواضع كثيرة عند ذكر الصفات التي وصف الله بها وأن الله يجب تلك الصفة نحو إن الله جميل يحب الجمال سخي يحب السخاء نظيف يحب النظافة، ونحوها من الألفاظ.^(٢)

(١) الموافقات: ٣/٣٧٧، ٢/١٦٣-١٦٩، ٤/٢٠٣-٢٠٤

(٢) انظر التيسير بشرح الجامع الصغير ١/١٤١، ٥٠٥، ٥٠٥، ٥٢٩، ٥٢٢، ٥٤١، ٥٤٣، ٧٥٤، ٩٩٦، ٢/١٣٥ وغيرها.

ومن قال بذلك: السهروردي في عوارف المعارف ١/١٩٣، والسيوطي في شرح سنن ابن ماجه، والرازي في أساس التقديس وملا علي القاري في مرقة المفاتيح والشعراوي في أسماء الله الحسنى ص ٩، ١١٤، والجرجاني في تعريفه للفلسفة ص ٢١٦، والكاشاني في اصطلاحات الصوفية ص ١١٤، وعموما العبارة مشهورة ومتداولة لدى الصوفية في كتبهم.

الأمر الثاني: الاتجاه الثاني: رفض ذلك ومنعه، والتحذير من التعبير به، لما يتضمن من محاذير

ذهب جملة من العلماء من أئمة أهل السنة والجماعة إلى منع التعبير بلفظ التخلق بصفات الله، إذ هذا اللفظ يراد به حقيقة التشبه بصفات الله، لكن لتلطيف معنى التشبيه يعبر بالتخلق بأخلاق الله، وممن ذهب إلى هذا وبين بطلان التعبير به وأنه مسلك المشبهة وأهل الحلول والاتحاد من المتفلسفة من الملاحدة ومن وافقهم مايلي:

ابن تيمية رحمه الله حيث قال: "وأصل المتفلسفة أن الفلسفة التي هي الكمال عندهم هي التشبه بالإله على قدر الطاقة، وهم يقولون: إن حركات الأفلاك لأجل التشبه بالأول.

وعلى هذا بنى أبو حامد كتابه في شرح الأسماء الحسنى، وتخلق العبد بأخلاق الله، وأنكر ذلك عليه المازري وغيره، وقالوا: ليس لله خلق يتخلق به العبد.

وعدل أبو الحكم بن بركان عن لفظ التخلق إلى لفظ التعبد. وعلى هذا الأصل الفيلسفي بنى ابن عربي معنى ولي الله، وأنه المتشبه به المتخلق بأخلاقه، كما يفسر أبو حامد التقرب من الله بالتشبه به، وابن عربي ونحوه يجعلون الولي أفضل من النبي بناء على أصولهم الفلسفية الاتحادية.^(١) وقال في موضع آخر: "ولهذا ضل من سلك سبيل هؤلاء فصار مقصودهم هو التشبه بالله واحتجوا بما يروون تخلقوا بأخلاق الله.

(١) شرح كلمات الشيخ عبد القادر الكيلاني من فتوح الغيب ص ٨٣

وصنف أبو حامد شرح أسماء الله الحسنى وضمنه التشبه بالله في كل اسم من أسمائه وسماه التخلق حتى في اسمه الجبار والمتكبر والإله ونحو ذلك من الأسماء التي ثبت بالنص والإجماع أنها مختصة بالله وأنه ليس للعباد فيها نصيب كقول النبي صلى الله عليه و سلم في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره يقول الله تعالى: (العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما عذبتُه)^(١). وسلك هذا المسلك ابن عربي وابن سبعين^(٢) وغيرهما من ملاحدة الصوفية وصار ذلك مع ما ضموا إليه من البدع والإلحاد موقعا لهم في الحلول والإلتحاد^(٣) وقال: " وهذا قد طَرَدَه بعضُ الناس كَأبي حامد الغزالي وغيره، وجعلوا العبدَ يتصف بالجبار والمتكبر على وجهٍ فسروه وجعلوا ذلك تَحَلُّفًا بأخلاق الله، ورووا حديثًا "تَحَلَّقُوا بأخلاق الله"، وأنكر ذلك عليهم آخرون كأبي عبد الله المازري^(٤).

(١) أخرجه أبو داود ٤٠٩٠، وابن ماجه ٤١٧٤، وأحمد ٧٣٨٢، وصححه الألباني، صحيح أبي داود ٢ / ٧٧٠

(٢) عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين الاشبيلي المرسي، أحد الفلاسفة المتصوفة وهو من القائلين بوحدة الوجود. قال ابن دقيق العيد: "جلست مع ابن سبعين من ضحوة إلى قريب الظهر، وهو يسرد كلاما تعقل مفرداته ولا تعقل مركباته". توفي سنة ٦٦٩ هـ، ينظر ترجمته: العبر: ٥ / ٢٩١، فوات الوفيات: ٢ / ٢٥٣، لسان الميزان: ٣ / ٣٩٢، شذرات الذهب: ٥ / ٣٢٩.

(٣) الصفدية ٢ / ٣٣٧

(٤) المازري أبو عبد الله، محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري المالكي. الشيخ الإمام العلامة البحر المتفنن، مصنف كتاب "المعلم بفوائد شرح مسلم" قال الذهبي: "ولصاحب الترجمة تأليف في الرد على "الاحياء" وتبيين ما فيه من الواهي والتفلسف، أنصف فيه، رحمه الله"

وغيره؛ وقالوا: ليس للرب خلق يتخلَّقُ به العبد. وقالوا هذه فلسفة كُسيبت عبادة الإسلام، وهو معنى قول الفلاسفة: الفلسفة التشبه بالإله على قدر الطاقة. وبالجملة فالاتصاف والتخلُّق والتعبُّد بما أحبَّ الله من العباد الاتصاف به وهو من صفاته كالعلم والرحمة والإحسان والجمال الشرعي ونحو ذلك هو حق كما دلَّ عليه الكتاب والسنة بخلاف الكبرياء ونحوه، فإنه قد ثبت في الصحيح أن الله يقول: (الْعَظْمَةُ إِزَارِي وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدَةً مِنْهَا عَدَّ بُتُهُ) (١)

وقال ابن القيم رحمه الله مبينا فساد هذا اللفظ، وأن هناك ألفاظ أولى منه، كما بين رحمه الله رتبة هذا اللفظ مقارنا بالألفاظ التي تقاربه، فقال: " وهذه العبارة - أي الدعاء - أولى من عبارة من قال يتخلق بأسماء الله فإنها ليست بعبارة سديدة وهي منتزعة من قول الفلاسفة بالتشبه بالإله على قدر الطاقة. وأحسن منها عبارة أبي الحكم بن برهان وهي التبعُد. وأحسن منها العبارة المطابقة للقرآن وهي الدعاء المتضمن للتبعُد والسؤال. فمراتبها أربعة أشدها إنكارا عبارة الفلاسفة وهي التشبه وأحسن منها عبارة من قال التخلق وأحسن منها عبارة من قال التبعُد وأحسن من الجميع الدعاء وهي لفظ القرآن ". (٢)

توفي سنة ٥٣٦ هـ ينظر سير أعلام النبلاء ٢٠-١٠٤، وفيات الاعيان " ٤ / ٢٨٥، الإمام

المازري لعبد الوهاب حسن حسني.

(١) كتاب الرد على الشاذلي في حزيه وما صنفه في آداب الطريق ص ٩٦

(٢) بدائع الفوائد ١/ ١٧٢

وقال: " قوله "وتلبس نعوت القدس" القدس هو النزاهة والطهارة ونعوت القدس هي صفاته فيلبسه الحق سبحانه من تلك النعوت ما يليق به واستعار لذلك لفظة اللبس فإن تلك الصفات خلع وخلع الحق سبحانه وتعالى يلبسها من يشاء من عباده.

وهذا موضع يتوارد عيه الموحدون والملحدون:
فالموحد يعتقد أن الذي ألبسه الله إياه هو صفات جعل الله بها ظاهره وباطنه وهي صفات مخلوقه ألبست عبدا مخلوقا فكسى عبده حلة من حلل فضله وعطائه.

والملحد يقول كساه نفس صفاته وخلع عليه خلعة من صفات ذاته حتى صار شبيها به بل هو هو. ويقولون الوصول هو التشبه بالإله على قدر الطاقة وبعضهم يلفظ هذا المعنى ويقول بل يتخلق بأخلاق الرب ورووا في ذلك أثرا باطلا تخلقوا بأخلاق الله، وليس ههنا غير التعبد بالصفات الجميلة والأخلاق الفاضلة التي يجبها الله ويخلقها لمن يشاء من عباده، فالعبد مخلوق وخلعته مخلوقة وصفاته مخلوقة والله سبحانه وتعالى بائن بذاته وصفاته عن خلقه لا يمازجهم ولا يمازجونه ولا يحل فيهم ولا يحلون فيه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. (١)
قال ابن أبي العز الحنفي (٢) رحمه الله: " ثم يقولون - أي غلاة نفاة الصفات - : أصل الفلسفة هي التشبيه بالإله على قدر الطاقة، ويجعلون هذا غاية

(١) مدارج السالكين ٢٤١ / ٣

(٢) صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد بن محمد بن أبي العز الحنفي الصالحى، توفي سنة ٧٩٢هـ. ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي، ٨/٥٥٧.

الحكمة ونهاية الكمال الإنساني. ويوافقهم على ذلك بعض من يطلق هذه العبارة، ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (تخلقوا بأخلاق الله)، فإذا كانوا ينفون الصفات، فبأي شيء يتخلق العبد على زعمهم؟^(١) وقال ابن باز^(٢) رحمه الله عندما سئل عن الحث على الاتصاف بصفات الله والتخلق بأخلاقه.

فأجاب رحمه الله: هذا التعبير غير لائق، ولكن له محمل صحيح، وهو الحث على التخلق بمقتضى صفات الله وأسمائه وموجبها، وذلك بالنظر إلى الصفات التي يحسن من المخلوق أن يتصف بمقتضاها، بخلاف الصفات المختصة بالله كالخلاق والرزاق والإله ونحو ذلك، فإن هذا شيء لا يمكن أن يتصف به المخلوق، ولا يجوز أن يدعيه، وهكذا ما أشبه هذه الأسماء.^(٣)

وقال الشيخ صالح آل الشيخ^(٤) حفظه الله: "امتثال العبد لصفات الله جل وعلا وتأثره بذلك وإتيانه بها، الناس فيها ما بين جافٍ وغالٍ، وأما أهل السنة فإنهم أثبتوا ذلك على ما جاء في النصوص.

(١) شرح العقيدة الطحاوية ١٨١/١-١٨٢

(٢) عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن آل باز، الشيخ الإمام البحر العلامة، ولد سنة ١٣٣٠ هـ، وتوفي سنة ١٤٢٠ هـ. ينظر: مجموع فتاوى ابن باز، ٩/١، جوانب من سيرة ابن باز لمحمد

الحمد، ص، ١٢ موسوعة مواقف السلف في العقيدة، لأبي سهل المغراوي ١٠/٣٠٢

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز ٦ / ٢٥١

(٤) صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ صاحب المعالي الشيخ

العلامة، وزير الشؤون الإسلامية السابق، ولد في مدينة الرياض سنة ١٣٧٨ هـ

بيان ذلك: أن الصوفية والفلاسفة - يعني غلاة الصوفية والفلاسفة - يقولون إن الفلسفة هي التخلق بصفات الله على قدر الطاقة، التخلق بصفات الله، هكذا يجعلون الفلسفة اللي هي عندهم أعلى الحكمة، عند الصوفية أن صفات الله جل وعلا تُمثل وسواء في ذلك الصفات التي هي راجعة إلى الجمال أم الصفات التي هي راجعة إلى الجلال أم الصفات التي هي راجعة إلى الربوبية أم الصفات التي هي راجعة إلى الألوهية".^(١)

وبهذا يتبين لنا أن القول بالتخلق بأخلاق الله مآله الوقوع بالتشبيه، بل في الحلول والاتحاد، إضافة إلى تعطيل أسماء الله وصفاته عن حقيقتها ومعناها الصحيح المراد به، ولذا حذر علماء أهل السنة والجماعة من استعمال هذا اللفظ، وأنكروا على من قال به.

(١) شرح الواسطية ص ١٤٣

الأمر الثالث: نقد عبارة: "التخلق بأخلاق الله"

نقد العلماء والباحثون عبارة " تخلق العبد بأخلاق الله " من أوجه كثيرة، يمكن تصنيفها من جانبين:

الأول: من الجانب الشرعي، وذلك بعدم ثبوتها ومخالفتها للنصوص الشرعية، ومخالفتها للمنهج الصحيح السليم للاعتقاد ووقوع القائلين بها في التناقض في ما يعتقدونه.

الثاني: من جانب أصل المقالة ومنبعها، وارتباطها بالفلسفة اليونانية، وتأثرها بها.

وهذه بعض أوجه نقد العبارة:

١. أن نسبة "الخُلُق" لله عز وجل لم ترد لا في الكتاب ولا في السنة - وقد تقدم بيان ذلك - والواجب على المسلم أن يتقيد في حديثه عن الله تعالى بما ثبت بالنصوص الشرعية، لأن الأصل في ما لم يثبت في الكتاب ولا في السنة التوقف.

٢. وردت عدة أحاديث في نسبة الخُلُق إلى الله، وكلها لا تثبت إما أن تكون ضعيفة أو موضوعة لا أصل لها - وقد تقدم بيان ذلك -.

٣. أن من أجاز ذلك وقال به كان معتمدا على حديث: (تخلقوا بأخلاق الله)، وهو حديث "لا أصل له في كتب السنة"^(١) قال شيخ الإسلام ابن

(١) تقدم بيان ذلك انظر ص ٢٢

تيمية رحمه الله: "لا يعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم بل هو من باب الموضوعات." (١)

٤. حديث (تخلقوا بأخلاق الله)، مع عدم ثبوته وكونه لا أصل له، فإنه أيضا ظاهر البطلان؛ فليس كل صفات الله مطلوب من العبد الاتصاف بها، فمن صفات الله ما لا يجوز للعبد التخلق به إذ هناك صفات اختص بها الله عز وجل لا ينازعه فيها أحد، ومن الضلال والانحراف منازعة الله فيها. قال ابن تيمية رحمه الله: "والإله ونحو ذلك من الأسماء التي ثبت بالنص والإجماع أنها مختصة بالله وأنه ليس للعباد فيها نصيب كقول النبي صلى الله عليه و سلم في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره (يقول الله تعالى العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما عذبتة). وسلك هذا المسلك ابن عربي وابن سبعين وغيرهما من ملاحدة الصوفية وصار ذلك مع ما ضموا إليه من البدع والإلحاد موقعا لهم في الحلول" (٢).

٥. القول بالافتداء بأفعال الله تعالى مع ما يترتب عليه من مفسدة الحلول والتشبه مخالف لمقتضى أوامر الشرع، حيث دلت النصوص الشرعية على وجوب لزوم طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم في العلم والاعتقاد والعمل والقول، وأن ذلك هو ميزان الإيمان. فالعبد مأمور شرعا بالافتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم فيما لا يختص به، لا بأفعال الله. قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر

(١) تلبس الجهمية ٥١٨/٦

(٢) الصفدية ص ٦٧٨

الله كثيراً^(١)، قال ابن كثير-رحمه الله:- "هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله"^{(٢)(٣)}.

٦. اتّفاق أهل السنّة على أنّ القياس لا يجري في التّوحيد إن أفضى إلى تشبيه الخالق بالمخلوق، فإنّ الله تعالى ليس كمثله شيءٌ، فلا يجوز أن يُمثّل بغيره. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وبالجمله ففعل الرب لا يقاس بأفعال العباد، بل من أعظم الأصول التي أنكرها أهل السنة على المعتزلة ونحوهم من القدرية قياس أفعال الرب على أفعال العباد وبالعكس؛ وقالوا: هم مُشَبَّهة الأفعال، فإنهم يجعلون الحسن من العبد والقبیح منه حسناً من الرب وقبيحاً منه، وليس الأمر كذلك؛ فإنّ الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا أفعاله. والله تعالى يحب من العباد أموراً اتصف بها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله وَثَرٌ يُحِبُّ الْوَثْرَ"، وقال: "إنه جميلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ"..... فهو يحب اتصاف العبد بهذه الصفات وتعبده بهذه المعاني المحبوبة. وهذا قد طرّده بعضُ الناس كأبي حامد الغزالي وغيره، وجعلوا العبد يتصف بالجبار والمتكبر على وجه فسروه وجعلوا ذلك تَخَلُّقاً بأخلاق الله، ورووا حديثاً "تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ"، وأنكر ذلك عليهم آخرون كأبي عبد الله المازري وغيره؛ وقالوا: ليس للرب خلق يتخلّق به العبد. وقالوا هذه

(١) الأحزاب: ٢١

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٧٣

(٣) انظر محظورية القول بالتخلّق بأسماء الله والتشبهه بصفاته والاقتداء بأفعاله مقال في النت لمحمد

علي فركوس في موقع خاص بالمؤلف

فلسفة كُسيّت عبادة الإسلام، وهو معنى قول الفلاسفة: الفلسفة التشبه
بالإله على قدر الطاقة".^(١)

٧. أن من يقول بتخلق العبد بأخلاق الله، هم من المتكلمين ومن متفلسفة

الصوفية، وهو بهذا القول متناقضون فيما يقولونه من اعتقاد في هذا:

- حيث إنهم لا يقبلون حديث الأحاد حتى لو كان في الصحيح، فهم
يرفضونه ولا يستدلون به في مسائل العقيدة، بينما هم هنا يقررون عقيدة
بمثل هذا الحديث الذي لا أصل له.

- كما أنهم متناقضون من حيث إنهم يعطلون صفات الله عز وجل بحجة
تنزيه الخالق عن التشبيه بالمخلوق، بينما هم هنا يدعون إلى المخلوق
بالتخلق بأخلاق الخالق، مع نفيهم للصفات وتعطيلها، وكما قال ابن أبي
العز الحنفي: " فإذا كانوا ينفون الصفات، فبأي شيء يتخلق العبد على
زعمهم ؟ " ^(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض الردّ على
الفلاسفة وأتباعهم: " ثمّ من العجب أنّ القومَ يدعون التّوحيدَ، ويبالغون
في نفي التّشبيه حتى نفّوا الصّفات، وشنّوا على أهل الكتاب لما جاء من
الصّفات في التّوراة وغيرها، وأنكروا قوله في التّوراة: (إِنَّا سَخَّلْنَا بَشَرًا عَلَى
صُورَتِنَا يُشَبِّهُنَا)، وهم يدعون أنّ أحدهم يجعل نفسه شبيهاً لله، ^(٣).

(١) الرد على الشاذلي ص ٩٥-٩٧

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ١/١٨١-١٨٢

(٣) الصّفة ٢ / ٣٣٦

٨. وبناء على ما تقدم لا يبعد عن الصحة القول بأن مقصود هؤلاء ودافعهم ليس هو اتباع الحديث والاقتداء به، بل هو التأثير بالفلسفة، واتباعها والتشبه بها.

٩. عبارة التَّخَلُّقِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَالتَّشْبِهِ بِصِفَاتِهِ غَيْرُ سَدِيدَةٍ، وهي منتزعة من قول الفلاسفة بالتشبه بالإله على قدر الطاقة" كما ذكر ابن القيم رحمه الله. (١)

١٠. أن المقولة فكرة يونانية قديمة كان أول من قال بها أفلاطون في محاوره "تيتاتوس". (٢)

١١. هناك ارتباط بين مقولة " التخلق بأخلاق الله " وبين القاعدة الفلسفية " غاية الحكمة ونهاية الكمال الانساني التشبه بالإله على قدر الطاقة " يقول الجرجاني في تعريف الفلسفة: "الفلسفة التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الأبدية كما أمر الصادق في قوله تخلقوا بأخلاق الله أي تشبهوا به في الإحاطة بالمعلومات والتجرد عن الجسمانيات" (٣) ولذا قالوا في التصوف: التخلق بأخلاق الله، والتشبه بالإله".

وبهذا يتبين من خلال العرض السابق فساد القول بالتخلق بأخلاق الله وبطلانها، وأنه لا أصل لها في النصوص الشرعية، وأن مصدره ومنبعه التأثير بالفلسفة والفلاسفة في قاعدتهم أن الكمال الإنساني بحسب التشبه بالإله.

(١) انظر بدائع الفوائد ١/١٧٢

(٢) ينظر لمحة عن عقيدة التخلق بأخلاق الله مقال في موقع ملتقى أهل التفسير.

(٣) التعريفات ص ٢١٦

الفرع السادس: صلة هذا اللفظ بتشبيه المخلوق بصفات الخالق.

مع - كما تقدم - أن هذه العبارة تتضمن محاذير عقديّة مخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته، كعدم ثبوت إطلاق لفظ "المُخلَق على صفات الله عز وجل، وأن ما ورد من روايات في التخلُّق وأخلاق الله عز وجل فهي غير ثابتة فهي ضعيفة أو موضوعة، مع هذه المحاذير فهناك محذور آخر أهم وأعظم وهو القول بالتشبيه، والوقوع في تشبيه المخلوق بالخالق، وقد تقدم بيان أن عبارة " التخلُّق بأخلاق الله " لها محملان، أحدهما صحيح وهو الحث على التخلُّق بمقتضى صفات الله وأسمائه التي يحسن من المخلوق أن يتصف بمقتضاها وموجبها. والآخر فاسد وهو محاولة الاتصاف بجميع صفات الله تعالى؛ سواء الصفات التي اختص بها الله عز وجل أو غيرها من الصفات، أي التشبه بالله عز وجل. وسيتبين من خلال النصوص التالية أن الحمل الثاني هو المراد لدى الكثير ممن قال ودعا إلى التخلُّق بأخلاق الله عز وجل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ولهذا ضل من سلك سبيل هؤلاء فصار مقصودهم هو التشبه بالله واحتجوا بما يروون تخلُّقوا بأخلاق الله. وصنف أبو حامد شرح أسماء الله الحسنى وضمنه التشبه بالله في كل اسم من أسمائه وسماه التخلُّق حتى في اسمه الجبار والمتكبر والإله ونحو ذلك من الأسماء التي ثبت بالنص والإجماع أنها محتصة بالله وأنه ليس للعباد فيها نصيب كقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره يقول الله تعالى: (العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما عذبتة).

وسلك هذا المسلك ابن عربي وابن سبعين وغيرهما من ملاحدة الصوفية وصار ذلك مع ما ضموا إليه من البدع والإلحاد موقعا لهم في الحلول والإلحاد^(١). وقال: " وأصل المتفلسفة أن الفلسفة التي هي الكمال عندهم هي التشبه بالإله على قدر الطاقة، وهم يقولون: إن حركات الأفلاك لأجل التشبه بالأول. وعلى هذا بنى أبو حامد كتابه في شرح الأسماء الحسنى، وتخلق العبد بأخلاق الله.... وعلى هذا الأصل الفلسفي بنى ابن عربي معنى ولي الله، وأنه الممتشبه به المتخلق بأخلاقه، كما يفسر أبو حامد التقرب من الله بالتشبه به، وابن عربي ونحوه يجعلون الولي أفضل من النبي بناء على أصولهم الفلسفية الاتحادية."^(٢)

وقال: " ثم أعجب من هذا كله أنكم تقولون: الفلسفة هي التشبه بالإله على قدر الطاقة ومن هنا دخل من وافقكم في إثبات تشبه العبد بالرب في الذات والصفات والأفعال كصاحب الكتب المضمون بها على غير أهله - للغزالي - ومن مشى خلفه من القائلين بالوحدة المطلقة والاتحاد وقالوا: إن الإنسان مثل الله وأن قوله: { ليس كمثله شيء }^(٣) المراد أنه ليس كالإنسان الذي هو مثل الله شيء ويقولون إن الفلك إنما يتحرك تشبها بما فوقه فيجعلون العبد قادرا على أن يتشبه بالله وأن الفلك يتشبه بالله أو يتشبه بالعقل المشبه لله... ".

(١) الصفدية ٣٣٧/٢

(٢) شرح كلمات الشيخ عبد القادر الكيلاني من فتوح الغيب ص ٨٣

(٣) الشورى ١١

ثم بين أن تشبه هؤلاء أنكر من التشبه الذي وقع فيه أهل الكتاب فقال: " فتشبيهم أنكر من تشبيه أهل الكتاب لأنكم جعلتم العبد قادرا على أن يتشبه بالرب وأولئك أخبروا عن الرب أنه قادر على أن يخلق ما يشبهه"^(١).

وقال ابن القيم رحمه الله: قوله وتلبس نعوت القدس، القدس هو النزاهة والطهارة ونعوت القدس هي صفاته فيلبسه الحق سبحانه من تلك النعوت ما يليق به واستعار لذلك لفظة اللبس فإن تلك الصفات خلعت وخلع الحق سبحانه وتعالى يلبسها من يشاء من عباده. وهذا موضع يتوارد عيه الموحدون والملحدون:

فالموحد يعتقد أن الذي ألبسه الله إياه هو صفات جعل الله بها ظاهره وباطنه وهي صفات مخلوقه ألبست عبدا مخلوقا فكسى عبده حلة من حلال فضله وعطائه. والملحد يقول كساه نفس صفاته وخلع عليه خلعة من صفات ذاته حتى صار شبيها به بل هو هو ويقولون الوصول هو التشبه بالإله على قدر الطاقة، وبعضهم يلطف هذا المعنى ويقول بل يتخلق بأخلاق الرب ورووا في ذلك أثرا باطلا تخلقوا بأخلاق الله. وليس ههنا غير التعبد بالصفات الجميلة والأخلاق الفاضلة التي يجبها الله ويخلقها لمن يشاء من عباده.

فالعبد مخلوق وخلعته مخلوقة وصفاته مخلوقة والله سبحانه وتعالى بائن بذاته وصفاته عن خلقه لا يمازجهم ولا يمازجونه ولا يحل فيهم ولا يحلون فيه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا."^(٢)

(١) انظر درء التعارض ٢/٣٥٥

(٢) مدارج السالكين ٣/٢٤١

المطلب الثالث: بيان وجه صحة لفظ كل من: الدعاء والتعبد، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: تقديم لفظ الدعاء:

كما تقدم فابن القيم رحمه الله صوب إطلاق لفظ الدعاء والتعبد، وأشار إلى أن لفظ الدعاء أفضل وأولى من سائر العبارات، ويمكن تعليل ذلك من خلال أمرين، هما:

١- أن لفظ الدعاء هو اللفظ المطابق لما ورد في القرآن الكريم، حيث قال تعالى: { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }^(١)، وقال سبحانه: { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۗ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ }^(٢)، عن النعمان بن بشير، قال: سمعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ) ثم قرأ: { ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين }^(٣)^(٤)

٢- أن لفظ الدعاء شامل لنوعي الدعاء التعبد والمسألة، إذ الدعاء على نوعين عبادة ومسألة.

(١) الأعراف ١٨٠

(٢) غافر ٦٠

(٣) رواه أحمد ٤/ ٢٦٧، ٢٧١، وأبو داود ٢/ ٧٦، والترمذي ٥/ ٢١١، وابن ماجه ٢/

١٢٥٨، قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود

(١٣٢٩).

(٤) القواعد الحسان ٥١

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية أن آيات الدعاء في القرآن الكريم شاملة
لنوعي الدعاء دعاء المسألة ودعاء العبادة، حيث قال في قول الله عز وجل:
{ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} * وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ
إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} (١):

هاتان الآيتان مشتملتان على آداب نوعي الدعاء: دعاء العبادة، ودعاء
المسألة:

فإنَّ الدعاء في القرآن يراد به هذا تارةً وهذا تارةً، ويراد به مجموعهما ؛ وهما
متلازمان ؛ فإنَّ دعاء المسألة: هو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما
يضره ودفعه،... فهو يدعو للنفع والضرر دعاء المسألة، ويدعو خوفًا ورجاءً
دعاء العبادة ؛ فَعَلِمَ أَنَّ النَّوعَيْنِ متلازمان ؛ فكل دعاء عبادةٍ مستلزمٌ لدعاءِ
المسألة، وكل دعاءٍ مسألةٍ متضمنٌ لدعاءِ العبادة.

وعلى هذا فقوله: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ
إِذَا دَعَانِ} (٢) يتناول نوعي الدعاء... وبكل منهما فُسِّرَت الآية. قيل: أُعْطِيهِ
إذا سألني، وقيل: أُثْبِتُهُ إذا عبدني، والقولان متلازمان.

وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في معنييه كليهما، أو استعمال
اللفظ في حقيقته ومجازه ؛ بل هذا استعماله في حقيقته المتضمنة للأمرين جميعاً.
فتأملهُ ؛ فإنه موضوعٌ عظيمُ النفع، وقلَّ ما يُفطن له، وأكثر آيات القرآن
دالَّةٌ على معنيين فصاعداً، فهي من هذا القبيل.

(١) الأعراف ٥٥-٥٦

(٢) البقرة ١٨٦

ومن ذلك قوله تعالى: {قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ} (١) أي: دعاؤكم إياه، وقيل: دعاؤه إياكم إلى عبادته، فيكون المصدر مضافاً إلى المفعول، ومحل الأول مضافاً إلى الفاعل، وهو الأرجح من القولين.

وعلى هذا؛ فالمراد به نوعا الدعاء؛ وهو في دعاء العبادة أظهر؛ أي: ما يعبأ بكم لولا أنكم تَرْجُونَهُ، وعبادته تستلزم مسألته؛ فالتوعان داخلان فيه. ومن ذلك قوله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} (٢)، فالدعاء يتضمن التوعين، وهو في دعاء العبادة أظهر؛ ولهذا أعقبه {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي} (٣) الآية، ويفسر الدعاء في الآية بهذا وهذا.

وروى الترمذي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول على المنبر: (إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ، ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} الآية)، وأما قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ} الآية (٤)، وقوله: {إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا} الآية (٥)، وقوله: {وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ} الآية (٦)، وكل موضع ذكر فيه دعاء المشركين لأوثانهم، فالمراد به دعاء العبادة المتضمن دعاء المسألة، فهو في دعاء العبادة أظهر...

(١) الفرقان ٧٧

(٢) غافر ٦٠

(٣) غافر ٦٠

(٤) الحج ٧٣

(٥) النساء ١١٧

(٦) فصلت ٤٨

وقوله تعالى: {فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} (١)، هو دعاء العبادة، والمعنى:

اعبدوه وحده وأخلصوا عبادته لا تعبدوا معه غيره.

وأما قول إبراهيم عليه السلام: {إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ} (٢)، فالمراد بالسمع

هنا السمع الخاص وهو سمع الإجابة والقبول لا السمع العام لأنه سميع لكل مسموع وإذا كان كذلك فالدعاء هنا يتناول دعاء الثناء ودعاء الطلب وسمع الرب تبارك وتعالى له إثابته على الثناء وإجابته للطلب فهو سميع لهذا وهذا.

وأما قول زكريا عليه السلام: {وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا} (٣)، فقد قيل:

إنه دعاء لسمع الخاص، وهو سمع الإجابة والقبول، لا السمع العام؛ لأنه سميع لكل مسموع، وإذا كان كذلك؛ فالدعاء: دعاء العبادة ودعاء المسألة، والمعنى: أنك عودتني إجابتك، ولم تشقني بالرد والحرمان، فهو توسل إليه سبحانه وتعالى بما سلف من إجابته وإحسانه، وهذا ظاهر ههنا.

وأما قوله تعالى: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ} الآية (٤)، فهذا الدعاء:

المشهور أنه دعاء المسألة، وهو سبب النزول، قالوا: كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ربه فيقول مرّة: يا الله. ومرّة: يا رحمن. فظنّ المشركون أنه يدعو إلهين، فأنزل الله هذه الآية.

وأما قوله: {إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ} (٥)، فهذا دعاء

العبادة المتضمن للسؤال رغبة ورهبة، والمعنى: إننا كنا نخلص له العبادة؛ وبهذا

(١) غافر ٦٥

(٢) إبراهيم ٣٩

(٣) مريم ٤

(٤) الإسراء ١١٠

(٥) الطور ٢٨

استحَقُّوا أَنْ وقاهم الله عذابَ السَّمومِ، لا بمجرد السَّؤال المشترك بين التَّاجي وغيره: فَإِنَّه سبحانه يسأله من في السَّموات والأرض، {لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِهْلاً} (١)، أي: لن نعبد غيره، وكذا قوله: {أَتَدْعُونَ بَعْلًا} الآية (٢).

وأَمَّا قوله: {وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ} (٣)، فهذا دعاءُ المسألة، ييكتهم الله ويخزيهم يوم القيامة بأرائهم؛ أَنْ شُرَكَاءَهُمْ لا يستجيبون لهم دعوتهم، وليس المراد: اعبدوهم، وهو نظير قوله تعالى: {وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ} (٤). إِذَا عُرِفَ هَذَا: فَقَوْلُهُ تَعَالَى: {ادْعُوا رَبِّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً} (٥) يَتَنَاوَلُ نَوْعِي الدُّعَاءِ؛ لَكِنَّهُ ظَاهِرٌ فِي دُعَاءِ الْمَسْأَلَةِ مُتَضَمِّنٌ دُعَاءَ الْعِبَادَةِ وَهَذَا أَمْرٌ بِإِخْفَائِهِ وَإِسْرَارِهِ. (٦).

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: "كل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء، والنهي عن دعاء غير الله، والثناء على الداعين، يتناول دعاء المسألة، ودعاء العبادة" (٧).

(١) الكهف ١٤

(٢) الصافات ١٢٥

(٣) القصص ٦٤

(٤) الكهف ٥٢

(٥) الأعراف ٥٥

(٦) انظر مجموع الفتاوى ١٥-١٠-١٤، وانظر بدائع الفوائد ٥/١٤٤ وما بعدها

(٧) القواعد الحسان ص ١٥٤

المسألة الثانية: تقديم لفظ التعبد:

غير أن هناك عدد من العلماء من رأى التعبير بلفظ التعبد، وذلك لأوجه،
منها:

- ١- أن الذهن ينصرف غالبا لدى الكثير من الناس عند إطلاق لفظ "الدعاء" إلى دعاء المسألة والطلب، وهذا ليس هو المراد، بينما إطلاق لفظ "التعبد" هو المراد والأدل على المقصود، لذا فالتعبير به أولى وأسلم.
- ٢- أن كثيرا من العلماء خاصة المنظرين لهذا المسلك كابن تيمية وابن القيم وغيرهما درج في ألفاظهم لفظ "التعبد"، مما يدل على استحسانه وألويته
- ٣- لفظ التعبد يتوافق مع لفظ العبادة والعبودية التي هي الغاية والحكمة من وجودنا وخلقنا، وهو توحيد الألوهية، ولذا فالتعبير بهذا اللفظ يجمع بين توحيد الأسماء والصفات الذي هو من توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، فيحقق أنواع التوحيد توحيد المعرفة والإثبات وتوحيد القصد والطلب^(١)

(١) انظر التعبد بالأسماء والصفات ص ٤

المبحث الثاني: مراتب التَعْبُدِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ وصفاته وآثاره، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مراتب التَعْبُدِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ وصفاته

التعبد بأسماء الله وصفاته الحسنی ليس على درجة واحدة، بل هو درجات ومراتب وأنواع، وكلما زاد علم العبد بالله جل وعلا ارتفع في درجة التعبد، وأكملُ الناس عبوديةً المتعبدُ بجميع الأسماء والصفاتِ

قال ابن تيمية رحمه الله: "إذا استقرَّ في القلب وتمكَّن فيه العلمُ بكفايته لعبده ورحمته له وحلمه عنده وبرّه به وإحسانه إليه على الدوام

أوجب له الفرح والشُّرورُ أعظمَ من فرح كلِّ محبِّ بكل محبوب سواه، فلا يزال مترقيًا في درجات العلوِّ والارتفاع بحسب رقيته في هذه المعارف؛ هذا في باب معرفة الأسماء والصفات".^(١)

قال ابن القيم رحمه الله: أكمل الناس عبودية المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر، فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر، كمن يحجبه التعبد باسمه القدير عن التعبد باسمه الحليم الرحيم، أو يحجبه عبودية اسمه المعطي عن عبودية اسمه المانع، أو عبودية اسمه الرحيم والعفو والغفور عن اسمه المنتقم، أو التعبد بأسماء التودد، والبر، واللطف، والإحسان عن أسماء العدل، والجبروت، والعظمة، والكبرياء ونحو ذلك.

(١) دقائق التفسير ٦/٥، مجموع الفتاوى ٤٩/١٦

وهذه طريقة الكُمَّل من السائرين إلى الله، وهي طريقة مشتقة من قلب القرآن، قال الله تعالى {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها} (١).

والدعاء بها يتناول دعاء المسألة، ودعاء الثناء، ودعاء التبعيد، وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه (٢).

وقال العزُّ بن عبدالسلام: "وقد يحصل التحديقُ إلى هذه الصِّفات من غير تذكُّر ولا استحضار،

والعارفون متفاوتون في كثرة ذلك وقَلَّتِهِ، وانقطاعه ومداومته، فهم في رياض المعرفة يتقلَّبون، ومن نَضارة ثمارها يتعجَّبون، ولا تستمر الأحوال لأحدٍ منهم على الدوام والاتصال لتقلُّب القلوب وتنقُّل الأحوال، والغفلات حُجِبَتْ على المعارف مسدلات، إن أسدلت على جميعها نكص العارِف إلى طَبَع البشر، فربَّما وقَّعت منه الهفوات والزَّلَّات، فإذا انكشف الحجاب عن بعض الصِّفات، ظهرت آثارُ تلك الصِّفة وأينعت أثمارها" (٣).

(١) الأعراف ١٨٠

(٢) مدارج السالكين ٤٢٠/١، وانظر شفاء العليل ٢٧٨/١

(٣) شجرة المعارف والأحوال ٤٣

المطلب الثاني: آثار التبعيد بأسماء الله وصفاته:

تقدم بيان منزلة الإيمان بأسماء الله وصفاته وأهميته، وهناك جانب آخر يبرز أهميته وهو آثار المعرفة والتبعيد بها سواء على العبد نفسه خصوصا، أو على المجتمع عموما، فالعلم بتلك الآثار تبرز أهميته ومنزلة بجلاء ووضوح. وآثار التبعيد بأسماء الله وصفاته على العبد نفسه لا يُحاط بالوصف ولا يُدرك إلا لمن يُرزق فهمها ومعرفتها، والتبعيد والمعرفة متلازمان، فمعرفة بدون تبعيد لا تفيد صاحبها، وتبعيد بدون معرفة لا يصح التبعيد وقد يكون ضلالا وانحرافا، لذا فما يذكر عن أهمية المعرفة أو عن التبعيد فهو شامل للأمرين معا ولا يخص أحدهما دون الآخر. ومن جملة تلك الآثار:

١. أن التبعيد من أعظم أسباب دخول الجنة والنجاة من النار، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة)، وقد تقدم بيان المراد بأحصاها، وأن من الإحصاء تبعيد الله بها.
٢. يزيد إيمان العبد بربه، وإقبال على الطاعات اجتناب الذنوب، ويزيده اجتهادا في نيل محاب الله، وفي العمل بما يرضيه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " من عرف أسماء الله ومعانيها فأمن بها كان إيمانه أكمل ممن لم يعرف تلك الأسماء بل آمن بها إيمانا مجملا "(١).

(١) مجموع الفتاوى ٧/٢٣٤-٢٣٥

٣. يورث ويثمر في العبد عبادات قلبية متنوعة من ذلك: حب الله وتعظيمه ورجائه وخوفه، وخشيته، وذلك له وخضوعاً وانكساراً وفقراً، وإخلاص العمل له، فهي أعظم الأسباب والطرق لذلك.

قال ابن القيم: "كلّما ازدادت معرفة العبد برّبّه ازدادت هيبتُهُ له وخشيته إيّاه، كما قال الله تعالى: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ }^(١)؛ أي: العلماء به، وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: (أنا أعرفُكم بالله وأشدُّكم له خشية)^{(٢)(٣)}. وقال ابن القيم: "كلّما كان بالله أعرف كان توكله عليه أقوى"^(٤) وقال ابن كثير: "إنّما يخشاه حقّ خشيته العلماء العارِفون به؛ لأنّه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوفِ بصفات الكمال المنعوتِ بالأسماء الحسنى، كلما كانت المعرفة به أتمّ والعلم به أكمل - كانت الخشية له أعظم وأكثر"^(٥).

(١) فاطر: ٢٨

(٢) أخرجه البخاري كتاب الأدب باب من لم يواجه الناس بالعتاب حديث رقم ٦١٠١، ومسلم كتاب الفضائل باب علمه بالله تعالى وشدة خشيته حديث رقم ٦٢٥٥، بلفظ: (إني لأعلمهم بالله وأشدّهم له خشية). من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) روضة المحبين ص ٤٠٦

(٤) مدارج السالكين ١٢٣/٢، وانظر: طريق المهجرتين: ٤٢٣، التعبّد بالأسماء والصفات ص ١٠

(٥) تفسير القرآن العظيم ٣ / ٥٦١

يقول العز بن عبد السلام رحمه الله: "فهم معاني أسماء الله تعالى وسيلة إلى معاملته بثمراتها من: الخوف، والرجاء، والمهابة، والمحبة، والتوكل، وغير ذلك من ثمرات معرفة الصفات"^(١).

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله: "إن معرفة الله تعالى تدعو إلى محبته وخشيته ورجائه وإخلاص العمل له، وهذا عين سعادة العبد، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه وصفاته، والتفقه في فهم معانيها.. بل حقيقة الإيمان أن يعرف الربّ الذي يؤمن به، ويذل جهده في معرفة أسمائه وصفاته، حتى يبلغ درجة اليقين. وبحسب معرفته بربه، يكون إيمانه، فكلما ازداد معرفة بربه، ازداد إيمانه، وكلما نقص نقص، وأقرب طريق يوصله إلى ذلك: تدبر صفاته وأسمائه من القرآن.."^(٢).

قال ابن رجب^(٣) رحمه الله: "فأصل العلم: العلم بالله الذي يوجب خشيته ومحبته والقرب منه والأنس به والشوق إليه، ثم يتلوه العلم بأحكام الله وما يحبه ويرضاه من العبد من قول أو عمل و حال أو اعتقاد"^(٤).

فمن الثمرات: اليقين والطمأنينة، قال ابن القيم رحمه الله: " وحقيقة الطمأنينة التي تصير بها النفس مطمئنة أن تطمئن في باب معرفة أسمائه وصفاته

(١) شجرة المعارف والأحوال، ص ١.

(٢) تفسير السعدي، ج ١، ص ٢٤.

(٣) زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، الحنبلي، الواعظ. الإمام الحافظ، المحدث، الفقيه، توفي من بعد سنة: ٧٩٢هـ. يُنظر: ذيل طبقات الحافظ، ٢٤٣-٢٤٤ انظر: الأعلام

(٣/٢٩٥)

(٤) فضل علم السلف ص ٦٩

ونعوت كماله إلى خبره الذي أخبر به عن نفسه وأخبرت به عنه رسله فتتلقاه بالقبول والتسليم والإذعان وانسراح الصدر له وفرح القلب به، فإنه معرفة من معرفات الرب سبحانه إلى عبده على لسان رسوله فلا يزل القلب في أعظم القلق والاضطراب في هذا الباب حتى يخالط الإيمان بأسماء الرب تعالى وصفاته وتوحيده وعلوه على عرشه وتكلمه بالوحي بشاشة قلبه فينزل ذلك عليه نزول الماء الزلال على القلب الملتهب بالعطش فيطمئن إليه ويسكن إليه ويفرح به ويلين له قلبه ومفاصله، حتى كأنه شاهد الأمر كما أخبرت به الرسل بل يصير ذلك لقلبه بمنزلة رؤية الشمس في الظهيرة لعينه فلو خالفه في ذلك من بين شرق الأرض وغربها لم يلتفت إلى خلافهم

وقال إذا استوحش من الغربة: قد كان الصديق الأكبر مطمئنا بالإيمان وحده وجميع أهل الأرض يخالفه وما نقص ذلك من طمأنينة شيئاً، فهذا أول درجات الطمأنينة ثم لا يزال يقوى كلما سمع بآية متضمنة لصفة من صفات ربه وهذا أمر لا نهاية له فهذه الطمأنينة أصل أصول الإيمان التي قام عليه بناؤه. (١)

ومن الثمرات الرضا والتسليم لما قضاه الله شرعاً وقدرًا. والتعبد بأسماء الله تعالى وصفاته يثمر الموقف الصحيح تجاه ما قضاه الله شرعاً وقدرًا، فإن الإنسان ظلوم جهول، والله تعالى بكل شيء عليم، وهو سبحانه حكيم عدل، ولا يظلم تعالى أحداً.

(١) الروح ص ٢٢١

قال ابن القيم -رحمه الله-: "وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله، وأسماءه وصفاته، وعرف موجب حكمته وحمده... ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تَعَبّاً على القدر وملازمة له... وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت سالم... من ذلك" (١).

يقول ابن القيم -رحمه الله-: من صحت له معرفة ربه والفقهِ في أسمائه وصفاته علم يقيناً أن المكروهات التي تصيبه والمحن التي تنزل به فيها ضروب من المصالح والمنافع التي لا يحصيها علمه ولا فكرته، بل مصلحة العبد فيما كره أعظم منها فيما يجب. (٢)

ومن الثمرات: السلامة من آفات وأمراض القلوب.

والتعبد بأسماء الله تعالى وصفاته سبب رئيس في السلامة من الآفات: كالحسد، والكبر.

قال ابن القيم -رحمه الله-: لو عرف العبد ربّه بصفات الكمال ونعوت الجلال، لم يتكبر ولم يحسد أحداً على ما آتاه الله؛ فإن الحسد في الحقيقة نوع من معاداة الله؛ فإنه يكره نعمة الله على عبده وقد أحبها الله، ويجب زوالها عنه والله يكره ذلك، فهو مضاد لله في قضائه وقدره ومحبته وكرهاته. (٣)

(١) زاد المعاد ٣ / ٢٠٦

(٢) الفوائد ص: ٩١ - ٩٢

(٣) المصدر السابق ص: ١٥٨

- ومن العبادات الأخرى التي يورثها التعبد بأسماء الله وصفاته: المحبة والرضا والتوكل والخشية والهيبية وتعظيم الله وإجلاله وغيرها من العبادات.
٤. أن معرفة الله ربح لا خسارة فيها، بل ربح عظيم وكبير سواء في حياته الدنيوية أو الأخروية، إذ إن كل اسم أو صفة لله له تأثير خاص في القلب والسلوك والجوارح.
٥. يحصن العبد من الشبهات، ويحفظه من الشهوات المحرمة، ويبدد حجب الغفلة؛ بما يمد العبد من أنوار الحق، والبصيرة.
٦. يحسن علاقة العبد بربه وسلوكه معه، حيث يورثه يقينا وطمأنينة، وأدبا معه وحياء منه
٧. تسكن به نفس العبد ويطمئن قلبه وينشرح صدره، فيحيا حياة طيبة وسعادة حقيقية
٨. الفوز والفلاح برضى الله وثوابه والنجاة من سخطه وعقابه.
٩. الزهد في الدنيا وعدم التطلع ولا التعلق بها.
١٠. من أعظم وسائل الدعاء وأسباب إجابته توسل الداعي بأسماء الله وصفاته وتعبد به. قال تعالى { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا } (١).
١١. يتحقق به تزكية النفس وصلاح القلب، وحسن الخلق، وسلامة التفكير، والسلامة من الآفات ومسأوي الأخلاق، ورداة السلوك.
- قال ابن القيم رحمه الله: "لو عرف ربه بصفات الكمال ونعوت الجلال، لم يتكبر ولم يحسد أحداً على ما آتاه الله؛ فإن الحسد في الحقيقة نوع من معاداة

(١) الأعراف : ١٨٠

الله ؛ فإنه يكره نعمة الله على عبده وقد أحبها الله، ويجب زوالها عنه والله يكره ذلك، فهو مضاد لله في قضائه وقدره ومحبته وكرهته... " (١).

١٢. يثمر الموقف الصحيح تجاه المصائب والمكروهات التي تصيب العبد. يقول ابن القيم رحمه الله: "من صحت له معرفة ربه والفقہ في أسمائه وصفاته علم يقيناً أن المكروهات التي تصيبه والمحن التي تنزل به فيها ضروب من المصالح والمنافع التي لا يحصيها علمه ولا فكرته، بل مصلحة العبد فيما كره أعظم منها فيما يجب... " (٢).

ويقول أيضاً: ".. فكل ما تراه في الوجود من شر وألم وعقوبة ونقص في نفسك وفي غيرك فهو من قيام الرب تعالى بالقسط، وهو عدل الله وقسطه، وإن أجراه على يد ظالم، فالمسلط له أعدل العادلين، كما قال تعالى لمن أفسد في الأرض: { بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً } (٣) " (٤).

(١) الفوائد ص ١٥٠.

(٢) المصدر السابق ص ٨٥.

(٣) الإسراء : ٥

(٤) مدارج السالكين ١ / ٤٢٥.

المبحث الثالث: أقسام الصفات بالنسبة لتعبد العبد بها

أسماء الله تعالى وصفاته من حيث تعبد العبد بها والاقتداء بها ثلاثة أقسام، هي:

١- لا يمكن التعبد بها.

٢- يمكن التعبد به. وهو ضربان:

- أحدهما: ما يمكن التعبد بها، ويشرع ذلك.

- الثاني: ما يمكن التعبد بها، ولا يجوز ذلك.^(١)

القسم الأول: مالا يمكن التعبد بها، بل ويستحيل منه ذلك، وهذه هي الصفات الخاصة بالله عز وجل التي لا قدرة للعبد بالتعبد بها بأي معنى من معانيها، فهي لله وحده، وهذه مثل صفة: الإله والإحياء والإماتة والتدبير والخلق.

القسم الثاني: ما يمكن التعبد به، ويشرع ذلك.

وهذه الصفات تتحلى بثلاثة أمور هي:

- ورد في الشرع الحث على التعبد بها، بل الأمر بالاتصاف والتعبد بها.
- ثبت أن هذه الصفات يجبها الله عز وجل ويجب مقتضياتها، ويجب من عبده الاتصاف بها، وأمره بموجبها ومقتضياتها، وأثنى على أهلها المتصفين بها. ومن تلك الصفات: عليم، حكيم، حلیم، رحيم، صبور، عفو، جميل، شكور، جواد، كريم، محسن، ودود، محسن، طيب، عدل، حيي ستير، فهو يجب هذه الصفات ويجب أهلها المتصفين بها.

(١) انظر شجرة المعارف والأحوال ص ١٤

قال ابن القيم رحمه الله: "ولما كان سبحانه هو الشكور على الحقيقة، كان أحب خلقه إليه من اتصف بصفة الشكر، كما أن أبغض خلقه إليه من عطلها، أو اتصف بضدها، وهذا شأن أسماءه الحسنى، أحب خلقه إليه من اتصف بموجبها، وأبغضهم إليه من اتصف بأضدادها... وهو سبحانه جميل يجب الجمال، عليم يجب العلماء. رحيم يجب الرحماء. محسن يجب المحسنين. ستر يجب أهل الستر. قادر يلوم على العجز. والمؤمن القوي أحب إليه من المؤمن الضعيف. فهو عفو تحب العفو. وتر يحب الوتر. وكل ما يحبه فهو من آثار أسمائه وصفاته وموجبها، وكل ما يبغضه فهو مما يضادها وينافياها" (١).

وهذه النوع من الصفات هو في مجال قدرة العبد، وتوجد معانيها لديه، ويليق به تعبد الله بها، والعمل بمقتضاها. (٢)

ومثال التعبد لله بأسماء الله وصفاته:

اسم الحليم: فمن من أسماء الله تبارك وتعالى الثابتة " الحليم ". والتعبد بهذا الاسم هو: حلم العبد عن كل من ظلمه أو سبه أو آذاه، إذ يعلم العبد أن ربه حليم كريم، يحلم ويعفو عن كل من عضاه وخالف أمره. صفة العلم: فالله عليم بكل شيء، والتعبد بهذه الصفة هو: أن تعرف الله عز وجل بأسمائه وصفاته، والعلم بأحكامه حلاله وحرامه، ومعرفة كل ما يقربك إليه.

(١) عدة الصابرين ص ٢٨٣، وانظر الوايل الصيب ص ٣٤

(٢) انظر فتح الباري، ١١ / ٢٢٦

وهذا التعبد بهذه الصفة تثمر لدى العبد: الخوف من الله، والحياء منه في سائر أحوال العبد، إذ إن الله بكل شيء عليم.

والناس فيها على تفاوت ورتب ودرجات، فكل يتعبد بها على حسب الإمكان.

وأكمل الناس عبودية لله عز وجل أكملهم تعبداً بجميع الأسماء والصفات التي يمكن للعبد ويليق به أن يتصف بها، فلا تحجبه عبودية اسم من هذه الأسماء عن عبودية اسم آخر.

ولا عبودية صفة من هذه الصفات عن عبودية صفة أخرى. كمن يحجبه مثلاً التعبد لله باسمه القدير عن التعبد باسمه الحليم الرحيم.

القسم الثالث: ما يمكن التعبد به، ولا يجوز ذلك، لأنها مختصة بالله.

ما يمكن التعبد به، لكن ورد في الشرع النهي منع ذلك وتحريمه، إذ إنها لا تليق بالعبد، وهي في حقه نقص وذم، وإن كانت في حق الله عز وجل صفة كمال ومدح وثناء.

مثالها: صفة الكبرياء، والتجبر والعظمة، واسم المتكبر والجبار والعظيم ونحوها من الأسماء والصفات التي تليق بالخالق عز وجل دون المخلوق.

نقل ابن حجر^(١) رحمه الله عن ابن بطلال^(٢) رحمه الله قوله: طريق العمل بها^(٣):... وما كان يختص بالله تعالى، كالجبار والعظيم، فيجب على العبد الإقرار بها، والخضوع لها، وعدم التحلي بصفة منها^(٤).

ومن ادعى الاتصاف بها تحقيقا وتعبدا لأن الله متصف بها، فقد عرض نفسه للعقوبة، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " قال الله عز وجل: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار".

(١) أحمد بن علي بن محمد الكتاني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، المعروف بابن حجر، عالم مؤرخ، حافظ الإسلام في عصره توفي سنة ٨٥٢هـ. ينظر: الأعلام، للزركلي (١/١٧٨)، موسوعة مواقف السلف في العقيدة، لأبي سهل المغراوي (٨/٥٠٨-٥١٠).

(٢) ابن بطلال أبو الحسن، علي بن خلف بن بطلال البكري، القرطبي، ويعرف بابن اللجام، من أهل العلم والمعرفة، عني بالحديث العناية التامة شرح "صحيح" البخاري،، توفي في صفر سنة ٤٤٩ هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ٤٨/١٨ ترتيب المدارك ٤ / ٨٢٧، العبر ٣ / ٢١٩، الوافي بالوفيات م ١٢ / ٥٦، شذرات الذهب ٣ / ٢٨٣

(٣) أي حديث: (له تسعة وتسعون اسما مائة إلا واحد، لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة).

(٤) فتح الباري، ١١ / ٢٢٦

الخاتمة

في ختام هذا البحث؛ أحمد الله عز وجل الذي أنعم، وتفضل عليّ بإتمامه، ولولا فضله وتيسيره ومنته لما تم ذلك، فأحمده سبحانه كما هو أهله، وأشكره كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

وبعد؛ فبنهاية هذا البحث أوجر ما انتهيت إليه من نتائج والفوائد العلمية، وهي كالتالي:

١٢. أن حاجة العبد إلى معرفة أسماء الله وصفاته من أعظم الحاجات وأفضلها، والعلم بها أول الفروض لعبادة الله ومعرفته لا تتحقق إلا بمعرفة أسمائه وصفاته فالمعرفة هي الطريق للعبادة، وعليه فمعرفة أسماء الله وصفاته هي أصل عبادة الله سبحانه وتعالى.

١٣. بين توحيد الله بأسمائه وصفاته وبين توحيد الألوهية ارتباط وتلازم، فكلما حقق العبد توحيد الأسماء والصفات كان أكمل توحيدا لله وعبودية له. وكذا تلازم بين إنكار الأسماء والصفات والشرك.

١٤. ، التعبد والمعرفة متلازمان، فمعرفة بدون تعبد لا تفيد صاحبها، وتعبد بدون معرفة لا يصح التعبد وقد يكون ضلالا وانحرافا.

١٥. منزلة العبد عند الله سبحانه على قدر معرفته به، واتصاف العبد بمقتضيات صفات الله عز وجل، مما يزيد حب الله له والقرب منه.

١٦. إحصاء أسماء الله يتضمن: تعلمها وحفظ ألفاظها وفهم وفقه معانيها، والعمل بها وتحقيق ما تقتضيه.

١٧. "العمل بأسماء الله وصفاته وتحقيق ما تقتضيه " أطلقت عليه أربع ألفاظ: لفظان باطلان: التشبه، التخلق، ولفظان صحيحان: التعبد، الدعاء.

١٨. لم يرد في النصوص الشرعية لا في الكتاب ولا في السنة ولا في كلام الصحابة وسلف الأمة إطلاق لفظ " الأخلاق " على الله عز وجل، وما ورد في السنة النبوية من أحاديث فيها وصف صفات الله عز وجل بالأخلاق فهي أحاديث لا تصح ولا تثبت، بل كثير منها لا أصل له وموضوع، وعليه فلفظ " الأخلاق " لا يصح أن يطلق على صفات الله عز وجل، لعدم ورودها، كما أنها تحتمل معاني لا تليق بالله عز وجل.

١٩. عبارة "التخلق بأخلاق الله" لها محملان: محمل صحيح سليم وهو الحث على التخلق بمقتضى صفات الله وأسمائه التي يحسن من المخلوق أن يتصف بمقتضاها. ومحمل فاسد باطل وهو محاولة الاتصاف بجميع صفات الله تعالى سواء ما اختص به الله عز وجل من الصفات أو غيرها من الصفات. ٢٠. للعلماء في إطلاق لفظ " التخلق " والتعبير به على الاقتداء بأسماء الله وصفاته اتجاهان: الأول: جواز التعبير بذلك وعدم التحرج منه. والآخر: رفض ذلك ومنعه والتحذير من التعبير به، لما يتضمن من محاذير.

٢١. أن من أجاز ذلك وقال به كان معتمدا على حديث: (تخلقوا بأخلاق الله)، وهو حديث لا يعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم بل هو من باب الموضوعات.

٢٢. عبارة التخلق بأسماء الله والتشبه بصفاته عبارة منتزعة من قول الفلاسفة "بالتشبه بالإله على قدر الطاقة". وأنها فكرة يونانية قديمة أول من قال بها أفلاطون.

٢٣. تقديم لفظ الدعاء وألويته لأنه: اللفظ المطابق لما ورد في القرآن الكريم، وأنه شامل لنوعي الدعاء التبعدي والمسألة.

٢٤. تقديم لفظ التبعدي وألويته لأنه: أدل على المقصود من غيره من الألفاظ، درج في كلام عدد من العلماء، يتوافق مع لفظ العبادة والعبودية التي هي الغاية والحكمة من وجودنا وخلقنا.

٢٥. التبعدي بأسماء الله وصفاته الحسنى ليس على درجة واحدة، بل هو درجات ومراتب، وكلما زاد علم العبد بالله جل وعلا ارتفع في درجة التبعدي، وأكمل الناس عبودية المتبعدي بجميع الأسماء والصفات.

٢٦. أسماء الله تعالى وصفاته من حيث تبعدي العبد بها والافتداء بها ثلاثة أقسام: لا يمكن التبعدي بها، ويمكن التبعدي بها ويشرع ذلك، وما يمكن التبعدي بها ولا يجوز ذلك.

وأخير أحمد الله عز وجل أولا وآخرا على فضله ونعمته وتوفيقه باختيار هذه الدراسة، وتيسيرها وإتمامها.

وهذا جهد المقل فما كان فيه من خير وصواب فمن الله وحده، وما كان فيه من خلل وتقصير فمني ومن الشيطان. وعذري أن بذلت جهدي وأفرغت وسعي في إكماله وإتمامه بأحسن صورة وأكملها.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر:

١. إتخاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الحسيني الزبيدي، مؤسسة التاريخ العربي، لبنان، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ.
٢. أحكام القرآن، محمد بن عبد الله ابن العربي، ٥٤٣، عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي.
٣. إحياء علوم الدين، للغزالي، وبذيله كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار لزين الدين العراقي، تصحيح الشيخ عبد العزيز السيروان، دار القلم، بيروت، الطبعة الثالثة.
٤. أخبار أصبهان = تاريخ أصبهان، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، المحقق: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ
٥. الأخلاق الإسلامية وأسسها، المؤلف: عبد الرحمن حبنكة الميداني
٦. أسماء الله الحسنى محمد متولي الشعراوي مطبوعات أخبار اليوم
٧. الأمد الأقصى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، للقاضي أبي بكر بن العربي ضبط نصه: عبد الله التوراتي وخرج أحاديثه ووثق نقوله: أحمد عروبي، الناشر: دار الحديث الكنانية
٨. بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان
٩. بيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الناشر: مطبعة الحكومة - مكة المكرمة الطبعة الأولى، ١٣٩٢
١٠. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ١٣٩٣، دار النشر دار سحنون للنشر والتوزيع تونس، ١٩٩٧ م.
١١. تخریج أحاديث إحياء علوم الدين، المؤلفون: العراقي، ابن السبكي، الزبيدي، استخراج: أبي عبد الله محمود بن محمد الحداد، الناشر: دار العاصمة للنشر - الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ
١٢. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، ضبط أحاديثه وعلق عليه: مصطفى محمد عمارة

١٣. التعلُّد بالأسماء والصفات لمحات علمية إيمانية، وليد الودعاني بدون بيانات نسخة الإلكترونية في النت
١٤. التعرف لمذهب أهل التصوف، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق الكلاباذي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت
١٥. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ.
١٦. تفسير ابن كثير المسمى تفسير القرآن العظيم لابن كثير إسماعيل بن عمر الدمشقي تحقيق سامي السلامة دار طيبة الرياض ط ٢، ١٤٢٥ هـ
١٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، ١٣٧٦، المحقق عبد الرحمن بن معلا اللويح، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.
١٨. التيسير بشرح الجامع الصغير، زين الدين عبد الرؤوف المناوي، الطبعة: الثالثة دار النشر مكتبة الإمام الشافعي الرياض ١٤٠٨ هـ
١٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ٣١٠، د. عبد الله التركي، دار هجر.
٢٠. الجامع الصغير وشرحه النافع الكبير، أبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني، الناشر عالم الكتب سنة ١٤٠٦
٢١. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م.
٢٢. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ٦٧١، المحقق هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م.

٢٣. الحججة في بيان الحججة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الأصبهاني، المحقق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراجعية، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ.
٢٤. الحوار القرآني في سورة نوح د. يحيى محمد زمزمي بحث مقدم للمشاركة في مؤتمر الحوار مع الآخر الذي تنظمه كلية الدراسات الإسلامية والشريعة بجامعة الشارقة عام ١٤٢٨
٢٥. درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، ط ١، ١٤٠٠ هـ الرياض
٢٦. دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، المحقق: د. محمد السيد الجليلند، الناشر: مؤسسة علوم القرآن - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤
٢٧. الرد على الشاذلي في حزيبه، وما صنفه في آداب الطريق، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، المحقق: علي بن محمد العمران، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة، الطبعة: الأولى ١٤٢٩هـ
٢٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الألوسي أبو الفضل، ١٢٧٠، محمد الأمد، عمر عبد السلام، دار إحياء التراث العربي.
٢٩. روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٢
٣٠. زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة الخامسة والعشرون، ١٤١٢هـ.
٣١. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.
٣٢. السلسلة الضعيفة، المحدث محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة: الطبعة الأولى

٣٣. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، المحقق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ.
٣٤. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ.
٣٥. شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال عز الدين عبدالسلام السلمي تحقيق أحمد فريد المزدي دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٤
٣٦. شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، تحقيق د عبد اله التركي وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ط ١١، ١٤١٨ هـ
٣٧. شرح العقيدة الواسطية: للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
٣٨. شرح كلمات الشيخ عبد القادر الكيلاني من فتوح الغيب لشيخ الاسلام ابن تيمية، تحقيق ايداد عبد اللطيف ابراهيم. الناشر مكتبة المثنى، بغداد سنة ١٩٨٧
٣٩. شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسبوي زغلول الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠
٤٠. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: دار المعرفة، لبنان، بيروت، بدون طبعة، ١٣٩٨ هـ.
٤١. صحيح البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، لبنان، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.
٤٢. صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، لبنان، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ.
٤٣. صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ.

- ٤٤ . صحيح مسلم المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت، بدون طبعة، وتاريخ.
- ٤٥ . الصفدية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية الحراني، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: مكتبة ابن تيمية، مصر الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ.
- ٤٦ . الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله، لابن قيم الجوزية، تحقيق د علي الدخيل الله، دار العاصمة الرياض ط ١، ١٤٠٨ هـ.
- ٤٧ . ضعيف الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض
- ٤٨ . ضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، لبنان، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ.
- ٤٩ . طريق المهجرتين وباب السعادتین، محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار السلفية، مصر، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٤ هـ.
- ٥٠ . عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: سليم الهاللي، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٣٣ هـ.
- ٥١ . العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ.
- ٥٢ . العلل الواردة في الأحاديث النبوية، أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، تحقيق وتخريج: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، الناشر: دار طيبة - الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ٥٣ . عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ.
- ٥٤ . فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، المحقق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه

وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، لبنان، بيروت، بدون طبعة، ١٣٧٩هـ.

٥٥. الفتوى الحموية الكبرى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة الحرانی المحقق: د. حمد بن عبد المحسن التویجری، الناشر: دار الصمیعی - الرياض، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ.

٥٦. الفردوس بمأثور الخطاب، شبرويه بن شهردار، أبو شجاع الديلمي الهمداني، المحقق: السعيد بن بسويبي زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٥٧. فضل علم السلف على الخلف، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي.

٥٨. فقه الأسماء الحسنى عبدالرزاق البدر دار التوحيد للنشر الرياض الطبعة الأولى ١٤٢٩

٥٩. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٦٠. الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ.

٦١. في محظورية القول بالتحلق بأسماء الله والتشبهه بصفاته والافتداء بأفعاله محمد علي فركوس، الكلمات الشهرية ١٤ نسخة الإلكترونية

٦٢. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المناوي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦

٦٣. القاموس المحيط للفيروز آبادي المؤسسة العربية للطباعة والنشر بيروت


٦٤. قضاء الحوائج، أبو بكر ابن أبي الدنيا، المحقق: مجدي السيد إبراهيم، الناشر: مكتبة القرآن - القاهرة

٦٥. القواعد الحسان لتفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ

٦٦. الكتاب: الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت،
٦٧. كشف الأستار عن زوائد البزار، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩ هـ
٦٨. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي الشهير بالمتقي الهندي، المحقق: بكري حياني - صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م
٦٩. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي دار صادر بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ،
٧٠. لقاء الباب المفتوح محمد بن صالح بن محمد العثيمين
٧١. لمحة عن عقيدة التخلق بأخلاق الله عيسى السعدي موقع ملتقى أهل التفسير نسخة الإلكترونية
٧٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (٧٣٥ - ٨٠٧ هـ)، بتحريه الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
٧٣. مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر
٧٤. مجموع فتاوى/ التفسير، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ٧٢٨.
٧٥. مدارج السالكين لابن القيم، تحقيق، محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٣٩٢ هـ
٧٦. مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود الطيالسي، الناشر: دار المعرفة - بيروت
٧٧. مسند أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث دمشق الطبعة الأولى، ١٤٠٤

٧٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.
٧٩. مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو المعروف بالبزار، المحقق: مجموعة من الباحثين، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة الطبعة: الأولى،
٨٠. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المحقق: (١٧) رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود، تنسيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، الناشر: دار العاصمة، دار الغيث - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ
٨١. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ
٨٢. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ
٨٣. معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، المحقق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٣٢ هـ
٨٤. المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، تحقيق: محمد حجى، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية - ودار الغرب الإسلامي سنة: ١٤٠١
٨٥. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت
٨٦. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ٥٠٢، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة.
٨٧. مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها، جابر بن إدريس بن علي أمير، الناشر: أضواء السلف الطبعة: ١، سنة: ١٤٢٢ هـ

٨٨. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المحقق: بسام عبد الوهاب الجبلي، الناشر: الجفان والجبلي - قبرص، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧
٨٩. المقصد الأعلى في تقريب أحاديث الحافظ أبي يعلى: الناشر: دار ابن حزم، بيروت تاريخ الإصدار ١٤٢٢ هـ
٩٠. الموافقات في أصول الفقه، الشاطبي، دار المعرفة - بيروت، تحقيق: عبد الله دراز
٩١. موسوعة الأخلاق الإسلامية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر السنينة على الإنترنت
٩٢. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ
٩٣. الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث القاهرة، رقم الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩ م



**حكم صلاة العيدين في البيوت
وتنزيلها على حال حظر التجول زمن وباء كورونا**

د. عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن المحيسن
قسم الفقه – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية





حكم صلاة العيدين في البيوت وتنزيلها على حال حظر التجول زمن وباء كورونا

د. عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن المحيسن
قسم الفقه - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ٢٠ / ١ / ١٤٤٢ هـ تاريخ قبول البحث: ٢ / ٥ / ١٤٤٢ هـ

ملخص الدراسة:

"حكم صلاة العيدين في البيوت في حال حظر التجول زمن وباء كورونا"
- أعظم مقصدين لصلاة العيدين هما: إظهار شعائر الإسلام، وشكر الله على نعمة العبادة وتمامها بأداء صلاة العيد.

- اختلاف العلماء في صلاة العيد في البيوت - كما هو الحال في زمن وباء كورونا-، يتضح أنه يبني على أصل، وهو: أن صلاة العيد: هل يشترط لها العدد والاستيطان وإذن الإمام؟ وهل تلحق بصلاة الجمعة في شروطها وأحكامها؟ والأقرب - والله أعلم-: عدم اشتراط الاستيطان، والعدد، وإذن الإمام لصحة صلاة العيد، وأنها تشرع لجميع المسلمين مستوطنين أو غير مستوطنين، كالمسافرين وأهل البادية والأرياف البعيدة عن المدن، وبناء على هذا؛ فيشرع لعموم الناس - في حال حظر التجول- أن يصلوها في البيوت منفردين، أو جماعة سواء كانوا مستوطنين، أو مسافرين، أذن الإمام أو لم يأذن.
- وأما التخيير الفقهي لهذه المسألة فلها حالتان:

(١) إن صليت في البلد - كما في مكة والمدينة-: فتخرج على قضاء العيد لمن فاتته مع الإمام، والراجح أنها تقضى في البيوت؛ لفعل أنس رضي الله عنه وغيره، وعموم أدلة قضاء الفوائت.
(٢) إن لم تصل في البلد، فهذه نازلة معاصرة، واختلف الفقهاء المعاصرون في تخييرها، والأقرب: تخييرها على صلاة غير المخاطبين بالخروج لصلاة العيد أصالة، أو من لا تجب عليهم - عند القائلين بوجودها-، كالنساء والمسافرين ونحوهم.

الكلمات المفتاحية: الفطر - الأضحى - جائحة - عيد - كورونا.

“Rulling of Eid Prayer at Home because of Coronavirus Curfew”

Dr Abdulrahman Abdullah A Almuhaysin

Department of Sharia

Collge Of Sharia And Islamic Studies In AL-AHSAA

Al-Imam Muhammd Ibn Saud Islamic University

Abstract :

“Ruling of Eid Prayer at Home because of Coronavirus Curfew.”

- The greatest objectives of Eid Prayer in Islam are to demonstrate the Islamic rituals, and to praise Allah for his graces of good deeds that is done.
- The scholars have disagreed on the ruling of Eid prayer at home -as a time of coronavirus curfew- and the origin of the disagreement is the obligatory of the conditions of Eid prayer such as: number of people, settlement, and the ruler’s permission, and is it as conditions of Jumu’ah prayer or not. and the chosen view-Allah knows best- is that conditions of number and settlement and ruler’s permission are not obligatory for the Eid prayer, and it’s for all Muslim even if they settlers or traveller, nomadic people and far countryside people. Consequently, it’s permissible for all Muslims - at quarantine time - performing the Eid prayer at home alone or in Jama’ah, whether they are settlers or traveler, within ruler’s permission or not.
- The fiqhi exegesis for the issue has two cases:
 - 1 -If the Eid prayer is performed as what happened in Mecca and Madinah in the pandemic; the issue’s exegesis is as “Qād’a” (making up the missed prayer) for who miss the Eid prayer with the imam, and the chosen opinion is to perform the prayer in home Because of the narrations from Anās (RA) and general fiqhi origin in “Qād’a” of missed worships.
 - 2- If the prayer is not performed in public, which is a new case, then the chosen opinion will be to exegete this issue as Eid prayer for women and traveler: who are not obligated to perform it in public basically.

key words: * Al-Fitr *Al-Adha *Eid * Epidemic * Curfew

مقدمة

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾^(١)، وأصلي وأسلم على نبي الله ومصطفاه، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد: فقد أكمل الله لنا الدين وأتم علينا النعمة، وجعل لنا شريعة كاملة، وأنزل علينا الكتاب تبياناً لكل شيء، ولذا فقد اتسعت أدلة الشريعة وقواعدها الكلية لمسايرة مستجدات كل عصر.

وقد ابتلى الله الناس في منتصف عام ١٤٤١ هـ الموافق لمطلع عام ٢٠٢٠ م بوباء كورونا الجديد (كورونا COVID-19)^(٢) الذي بدأ في الصين ثم عم أغلب بلاد العالم، وخيم على كثير من ديار المسلمين، فحبسهم في منازلهم، ومنعهم من مساجدهم، وقل اجتماعهم ومخالطتهم لغيرهم؛ خوفاً من انتشار الوباء، واحترازاً لصحة الناس.

(١) [سورة الأعراف: ٤٣].

(٢) فيروس (كورونا) (COVID-19): يعتبر من فصيلة فيروسات (كورونا) الجديد؛ حيث ظهرت أغلب حالات الإصابة به في مدينة ووهان الصينية نهاية ديسمبر ٢٠١٩ م على صورة التهاب رئوي حاد، وينتقل الفيروس بين البشر من الشخص المصاب بالعدوى إلى شخص آخر عن طريق المخالطة القريبة دون حماية، وقد يتسبب في مضاعفات حادة لدى الأشخاص ذوي الجهاز المناعي الضعيف، والمسنين والأشخاص المصابين بأمراض مزمنة مثل: السرطان، والسكري، وأمراض الرئة المزمنة، قد تؤدي بتقدير الله إلى الوفاة. مستفاداً من موقع منظمة الصحة العالمية في الشرق الأوسط www.emro.who COVID-19 موقع وزارة الصحة في المملكة العربية السعودية www.moh.gov.sa.

وكان من آثار ذلك أن ظهرت نوازل ومستجدات في شتى أبواب الفقه من العبادات والمعاملات وغيرها، وكان من الخير في هذا أن حَرَّكَ عقولَ الفقهاء ومداركَ الباحثين لدراسة نوازل هذا الوباء، وبيان موقف الشريعة منها. وحيث إن كثيراً من بلاد المسلمين في عيد الفطر لعام ١٤٤١ هـ لم يصلوا صلاة العيد في مصلياتهم المعتادة ومساجدهم العامرة، إلا في مكة والمدينة وبعض البلاد التي نجت أو تعافت من هذا البلاء، وكثر الخلاف وتعددت الاجتهادات بين طلاب العلم في الحكم الشرعي عند هذه النازلة المستجدة - التي لم تمر على العالم الإسلامي مثلها فيما اطلعنا عليه - والله نسأل أن يتم علينا وعلى المسلمين العافية في الدين والدنيا والآخرة، وأن يرفع الوباء ويدفع البلاء؛ إن ربنا لسميع الدعاء.

فلذلك جاء هذا البحث في "حكم صلاة العيدين في البيوت في حال حظر التجول زمن وباء كورونا" لمعالجة هذه المسألة، والمساهمة في بيانها لطلاب العلم وعموم الناس، والمشاركة في المبادرات التي أطلقتها الجمعيات الفقهية والمجلات العلمية للبحث في (المسائل الفقهية في نازلة كورونا).

ولقد حرصت في البحث أن أجمع الأصول والقواعد التي يبني عليها تخريج هذه النازلة على أدلة الشريعة وأقوال الفقهاء، وقد ظهر لي أن أهمها ما يلي:

١ - ما مقصد صلاة العيد: هل هو إظهار الشعيرة، أو شكر الله بالتعبد بمطلق الصلاة؟

٢ - حكم صلاة العيد: بين الفرض العيني أو الفرض الكفائي أو السنة المؤكدة.

٣- على القول بأنها فرض عين أو فرض كفاية: فهل تطبق قاعدة: (الواجبات تسقط بالعجز عنها) في مثل حالة كورونا وتعذر صلاحها مع الناس؟ أو تبقى في الذمة إلى أن يذهب العذر ثم تقضى على هيئتها؟

٤- ما الجمع بين تعارض أفعال الصحابة في صلاة العيد عند فواتها: وهل تحمل على اختلاف الاجتهاد؟

٥- هل يشترط لصحة صلاة العيد: الاستيطان والعدد وإذن الإمام؟

٦- هل تشرع وتصح من أهل القرى والأرياف والبدو، وكذا المعذورين كالمسافر والمريض والمحبوس؟

٧- صلاة العيد: هل هي عبادة ذات هيئة شرعية كالجمعة، فلا تقضى، أو إنها كعموم الصلوات، فتقضى سواء على صفتها؟ أو صفة أخرى؟

٨- هل تطبق قاعدة (القضاء يحكي الأداء) فتشرع على هيئتها (الجماعة، التكبيرات الزوائد، الجهر بالقراءة، والسور المستحبة في القراءة) أو لا؛ لأن صورة القضاء مختلفة عن صفة الأداء؟

وترجع أسباب اختياري لهذا الموضوع لما يلي:

أولاً: هذا الموضوع من الموضوعات التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة، حيث يمكن من خلاله التخريج الفقهي لنازلة معاصرة، وفق ما جاء في الأدلة الشرعية واجتهادات الصحابة، مع ما كتبه الفقهاء في مدوناتهم الفقهية، وهذا له أثره الكبير على اكتساب الملكة الفقهية للباحث وصناعة الفقيه الذي يحسن توظيف التراث الفقهي في مستجدات العصر.

ثانياً: المساهمة في إثراء الساحة الفقهية المعاصرة في دراسة إحدى مستجدات الواقع التي عمت الحاجة إليها في أغلب البلاد الإسلامية، لا سيما مع ما حصل من الاختلاف الكبير بين أهل العلم المعاصرين في تخريج هذه النازلة على أقوال الفقهاء، مما يستدعي دراسة هذه التخريجات وتحليلها والوصول إلى أقربها - حسب ما يظهر للباحث-، والذي تبعه كذلك اضطراب كثير من الناس في هذه المسألة، وخصوصاً مع اختلاف أهل العلم بين مرغّبٍ فيها، ومانعٍ منها، وكلٌّ له اجتهاده؛ مما يستدعي بياناً مناسباً لمن يحتاج إلى توسع في تصور كلام أهل العلم، وترتيبه في موضع واحد.

ثالثاً: أن دراسة مثل هذا الموضوع تبين مدى قدرة الفقه الإسلامي على مواجهة مشكلات الواقع، واستيعابه لكل ما يستجد من مسائل ونوازل على مر الزمان.

الدراسات السابقة في الموضوع:

بعد الاطلاع على عددٍ من مظان البحوث والرسائل الفقهية لم أجد -حتى كتابة هذا البحث- مَنْ أفرد بحثاً في أحكام صلاة العيدين في البيوت، وتنزيلها على نازلة وباء كورونا، ولعل السبب: أن هذه المسألة مستجدة، وإن وجدت مقالات وتحريرات فقهية وبحوث مختصرة لبعض العلماء المعاصرين وعدد من الباحثين، ولكن يظهر على كثير منها أن محاولات سريعة في كتابة رأي أو تصور تخريج فقهي لهذه النازلة، ولم تُحَكِّمْ ولم تطبع في كتاب أو بحث، وإنما انتشرت عبر الشبكة العالمية ووسائل التواصل، وقد جمعت عشرة منها، واستفدت منها في الوصول إلى نتائج هذا البحث -وهي مذكورة في مظانها، ولها روابط في آخر البحث-(^١).

(١) لما أنجزت هذا البحث وأرسلته في شهر محرم ١٤٤٢ هـ، ظهر في آخر شهر صفر من الجمعية الفقهية السعودية عددٌ خاصٌ في القضايا الفقهية المتعلقة بهذه النازلة، وهو العدد (٥١) الذي طبع في ثلاثة أجزاء، اشتمل على ستة وثلاثين بحثاً، وفيها بحث عن هذا الموضوع أو له صلة به، ومنها:

أ- أحكام صلاة العيدين في البيوت خوفاً من الوباء - وباء كورونا أنموذجاً، للباحث/ د. هاني بن البراك باصلعة. وقد ذكر كثيراً من الأحكام المتعلقة بصلاة العيدين في حال الوباء، ولكن زدت عليها مجموعة من الأحكام الفقهية، والتخریجات الفقهية لهذه النازلة، مع بيان مقاصد صلاة العيدين، وتأثير ذلك على هذه المسألة، مع اختلاف منهج العرض ومسالك الترجيح في كثير من المسائل.

ب- أحكام الشعائر التعبديّة المتعلقة بنوازل الوباء د. عبد الحميد الغامدي. لكنه لم يبحث صلاة العيدين مطلقاً، وإنما ذكر حكم صلاة الجماعة والجمعة في حال الوباء.

منهج البحث:

اتبعت المنهج العلمي (الاستقرائي الاستنباطي التحليلي) فجمعت الأصول التي تخرج عليها هذه المسألة مع الأدلة والأقوال في المسألة، ثم تتبعت تخريجات الفقهاء المعاصرين لهذه النازلة، ومحاولة تحليلها لبيان أقرب حكم فقهي يمكن تخريج مسألة البحث عليه، وقد حرصت على مراعاة ما يلي:

(١) إذا كانت المسألة من مواضع الاتفاق ذكرت حكمها بدليله مع توثيق الاتفاق.

(٢) إذا كانت المسألة من مسائل الخلاف فقد ذكرت الأقوال فيها وبيّنت مَنْ قال بها من أهل العلم مع توثيق ذلك من المصادر الأصلية، وقد عرضت الخلاف حسب الاتجاهات الفقهية مقتصرًا على المذاهب المعتمدة، وإذا لم أقف على المسألة في مذهب ما سلكتُ بها غالباً مسلك التخريج، وقد راعيت في ترتيب الأقوال بحسب الأقوى والأرجح، وقد استقصيتُ أدلة الأقوال مع بيان وجه الدلالة - إن لم تكن ظاهرة -، وذكرتُ بعد كل دليل ما يرد عليه من مناقشات وما يُجاب به عنها - إن أمكن ذلك -، ثم ذكرتُ القول الراجح مع بيان سببه.

(٣) رَقَمْتُ الآيات وبيّنتُ سورها مضبوطةً بالشكل، وخرّجتُ الأحاديث من مصادرها الأصلية وأثبتُ رقم الحديث والكتاب والباب والجزء والصفحة - غالباً -، وما كان من الصحيحين أو أحدهما فخرّجته من ذلك واكتفيتُ به، وإن لم يكن فيهما فخرّجته من دواوين السنة، وبيّنتُ ما ذكره أهل الشأن في درجته.

٤) وثَّقْتُ المعاني من معاجم اللغة المعتمدة، وأحلتُ عليها بالمادة والجزء والصفحة.

٥) اعتنيتُ بقواعد اللغة العربية والإملاء وعلامات الترقيم ومنها: علامات التنصيص للآيات الكريمة وللأحاديث الشريفة وللآثار ولأقوال العلماء، وميزتُ أقواسها فكان لكلٍ منها علامته الخاصة - كما جرى عليه عرف الباحثين-، وأما النصوص المنقولة عن العلماء فوضعتُها بين قوسين كهذا الشكل: "" وأحلتُ على مصدرها، وأما إن كان الكلام منقولاً بمعناه فقد أحلتُ على مصدره بكلمة: ينظر.

٦) ختمتُ البحث بخاتمةٍ متضمنةٍ لأهم النتائج والتوصيات.

٧) وضعت ملحفاً يحتوي على جدول تحليلي لأقوال الفقهاء في أحكام صلاة العيد ثم تخريج صلاة العيد في البيوت بسبب وباء كورونا؛ بناءً على مذاهبهم.

٨) أتبعْتُ البحث بثبت بأهم المراجع، وروابط للبحوث والفتاوى في هذه النازلة.

خطة البحث:

يحتوي هذا البحث على: مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وفهارس، وتفصيلها ما يلي:

تمهيد في التعريف بالعيدين، وبيان مقاصد صلاة العيدين في الشرع.
المبحث الأول: حكم صلاة العيدين في حال حظر التجول بسبب وباء كورونا.
وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حكم صلاة العيدين عند فقهاء الإسلام.
المطلب الثاني: التخريج الفقهي لحكم صلاة العيدين في ظل حظر التجول
زمن وباء كورونا.

المبحث الثاني: شروط صلاة العيدين وتنزيلها زمن وباء كورونا. وفيه مطلبان:
المطلب الأول: اتجاهات الفقهاء في شروط صلاة العيدين.
المطلب الثاني: تخريج شروط صلاة العيدين على حكمها في البيوت بسبب
وباء كورونا.

المبحث الثالث: حكم صلاة العيدين في البيوت حال حظر التجول زمن وباء
كورونا. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التخريج الفقهي لصلاة العيدين في البيوت حال حظر التجول.
المطلب الثاني: صفة صلاة العيدين في البيوت حال حظر التجول.
- أما الخاتمة فقد تركزت على أهم نتائج البحث وتوصياته.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع بهذا البحث
كاتبه وقارئه، وأن يكون من العلم النافع الذي لا ينقطع بعد الموت، وأن يرزقنا
التوفيق والسداد في أقوالنا وأعمالنا، وأن يزيدنا علماً وهداية، وصلى الله وسلم
على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد: في التعريف بالعيدين ومقاصد صلاة العيدين في الشرع:

• المطلب الأول: التعريف بالعيدين:

العيان مثنى عيد، والعيد في اللغة: مأخوذ من أصل (عَوَدَ)، معناه: الرجوع، وتثنية الأمر عوداً بعد بدء. ومن الباب: العيد: ما اعتادك من شوق أو هم أو مرض أو حزن ونحوه.

والعيد: كل يوم فيه جمع، واشتقاقه من عاد يعود، والياء في العيد أصلها الواو، ولكنها قلبت ياءً؛ لكسرة العين^(١). وتطلق العرب العيد على: الوقت الذي يعود فيه الفرح والحزن.

وهذا وما قبله هو المعنى المناسب للمعنى الشرعي، مع تقييده: "على وجه معظم"، فيخرج: ما يتكرر على وجه غير معظم، فلا يطلق عليه عيد شرعاً. وقد اختلف في وجه تسمية يوم العيد بذلك على أوجه، من أشهرها: أنه يعود ويتكرر في أوقاته كل سنة، أو أنه يعود كل سنة بفرح وسرور مجدّد، وقيل: تفاقماً ليعود ثانية، كالقافلة، أو أن الله تعالى فيه عوائد الإحسان على عباده كل عام^(٢).

وهذه المعاني ليست متضادة، بل هي من اختلاف التنوع وتعدد المعاني والحكم، فالعيد يتكرر في السنة مرتين، ويتعبد الناس فيه بإظهار البهجة

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٤/ ١٨١)، القاموس المحيط (١/ ٤٤٠)، لسان العرب (٤/ ٤٥٩).

(٢) ينظر: لسان العرب (٤/ ٤٦٠)، الحاوي الكبير للماوردي (٢/ ٤٨٢)، المبدع شرح المقنع لابن

مفلح (٢/ ١٦٢).

والسرور، ويتفألون بعوده والسلامة لشهوده، ويرجون من الله المغفرة والرحمة
والإنعام.

ويطلق العيد شرعاً على: عيد الفطر والأضحى، بل صار علماً على هذين
اليومين المخصوصين^(١).

وصلاة العيدين: من باب إضافة الشيء إلى سببه: أي الصلاة التي سببها
العيد، وقيل: من إضافة الشيء إلى وقته؛ لأنها لا تصلى إلا في العيدين^(٢).

(١) ينظر: المطلع على أبواب المنع (١٠٨)، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (١/٢٢٨)، كشاف
القناع (٣/٣٩٣).

(٢) ينظر: حاشية الروض المربع لابن قاسم (٣/٩٣)، الشرح الممتع لابن عثيمين (٥/١١١).

المطلب الثاني: مقاصد صلاة العيدين في الشرع:

الذي يتتبع نصوص الشريعة وكلام أهل العلم يظهر له بجلاء أن أعظم مقصدين لصلاة العيدين هما:

المقصد الأول: إظهار شعائر الإسلام، إذ العيد شعار الحول لأهل الإسلام، يبرز فيه الناس للمصليات، صغيرهم وكبيرهم، ذكرهم وأثامهم؛ يُظهرون فيهما تكبير الله وتحميده، وتمجيده وتوحيده، ويظهرون جمال الإسلام، وأبعثه، والمباهاة به، وتكثير سواد أهل الإسلام، وترغيب الكفار بالإسلام، فجاء أمره **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بالخروج لصلاة العيد للكافة، وأمر بإخراج النساء إلى المصليات حتى الحيض؛ تأكيداً لإظهار الشعائر، وهذا أكمل الأوصاف وأعلاها^(١)، ومن هنا قال جمهور الفقهاء: بعقوبة أهل البلد الممتنعين عن صلاة العيد.

المقصد الثاني: شكر الله على نعمة العبادة وتامها، قال ابن دقيق العيد - **رحمته الله** - في العيدين: "إنهما يقعان شكراً لله تعالى على ما أنعم الله به من أداء العبادات المتعلقة بهما، فعيد الفطر: شكراً لله على إتمام صوم شهر رمضان، وعيد الأضحى: شكراً لله على العبادات الواقعة في العشر"^(٢). وأعظم الشكر يكون بعبادة الله كما قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾^(٣)، وأعظم ذلك: الصلاة، وقد جاء عن جمع من الصحابة والتابعين في تفسير قوله

(١) ينظر: إحكام الأحكام لابن دقيق العيد (٣٤٢/١)، المغني (٢٥٤/٥)، كشاف القناع (٣٩٤/٣).

(٢) إحكام الأحكام لابن دقيق العيد (٣٤٢/١).

(٣) [سورة سبأ: ١٣].

تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ١٤ ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ ١٥ (١)، بأن المراد بـ"تزكى": زكاة الفطر، و"صلى" صلاة العيد (٢).

والمتمأمل لأقوال الفقهاء يظهر له ارتباط حكم صلاة العيد في البيوت بمهدين المقصدين؛ بسبب اختلاف اتجاهات الفقهاء في أيهما المقصد الأصلي، فالذي يظهر أن الحنفية والحنابلة اعتبروا المقصد الأول هو الأصلي؛ وهذا الذي جعل الحنفية يشترطون لصحتها الاستيطان والعدد وإذن السلطان، وجعل الحنابلة يقولون بأن صلاة العيد فرض كفائي، واشتروا جميعاً لها شروطاً تحقق إظهار الشعيرة، ومنع هؤلاء من إقامتها في البيوت -على تفصيل سيأتي في القضاء لمن فاتته-، وأما الذي يظهر من صنيع المالكية والشافعية: فهو أن الثاني هو المقصد الأصلي، وأما إظهار الشعائر فهو مقصد تبعي، ومن هنا فإنهم اتجهوا إلى إناطة صلاة العيد بكل فرد بعينه، ولم يشترطوا لها الجمع العام، وهذا الذي فهمه أنس رضي الله من جمعه لأهله وحشمه يوم العيد فصلى بهم، وجاء عن جمع من التابعين ذلك (٣).

(١) [سورة الأعلى: ١٤-١٥].

(٢) جاء هذا عن أبي سعيد وابن عمر وغيرهما. ينظر: معالم التنزيل للبغوي (٤٠٢/٨).

(٣) سيأتي في ثنايا البحث سرد هذه الأدلة وتخريجها، وينظر في مقاصد صلاة العيد: بحث: صلاة العيد في البيت د. سليمان النجران. منشور في موقعه على الشبكة العالمية [وفي ثبت المراجع رابط للبحث].

المبحث الأول: حكم صلاة العيدين في حال حظر التجول بسبب نازلة كورونا:

شرع الله في عيد الفطر والأضحى شعائر تميز بها أهل الإسلام، ومن ذلك: صلاة العيدين.

وفي ظل وباء كورونا الذي خيم على العالم، فالتزم الناس بيوثهم، واعتزلوا مساجدهم، وتركوا المخالطة والاجتماع بغيرهم، فقد أشكل على كثير من الناس: كيف نترك صلاة العيد في المصليات والمساجد، ولا تقام هذه الشعيرة في بلاد المسلمين؟

ولتوضيح حكم صلاة العيدين في زمن الوباء، نحتاج إلى بيان حكم صلاة العيدين عند فقهاء الإسلام ثم يُبين التخريج الفقهي لهذه المسألة في ظل حظر التجول بسبب وباء كورونا، وذلك في مطلبين:

المطلب الأول: حكم صلاة العيدين عند فقهاء الإسلام

• تحرير محل النزاع:

أجمع العلماء على مشروعية صلاة العيدين^(١). وقد دل على ذلك الكتاب والسنة:

فأما الكتاب: فقول الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾^(٢).

والمشهور عن جماعة من المفسرين: أن المراد بذلك صلاة العيد^(٣).

وأما السنة فثبت بالتواتر أن رسول الله ﷺ كان يصلي صلاة العيدين.

عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: (شهدت الصلاة يوم الفطر مع

رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فكلهم يصلونها قبل الخطبة)^(٤).

• أقوال العلماء في حكم صلاة العيدين:

اختلف العلماء في حكم صلاة العيدين على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن صلاة العيد فرض على الكفاية، إذا قام بها من يكفي

سقطت عن الباقي، وإن اتفق أهل بلد على تركها قاتلهم الإمام.

(١) ينظر: الإفصاح (١/١٧٧)، المغني لابن قدامة (٣/٢٥٣).

(٢) [سورة الكوثر: ٢].

(٣) قاله عكرمة وعطاء وقتادة. ينظر معالم التنزيل للبغوي (٨/٥٥٩) قال ابن قدامة في المغني

(٢/٢٥٣): "المشهور في التفسير: أن المراد بذلك صلاة العيد".

(٤) أخرجه البخاري كتاب التفسير، باب {إذا جاءك المؤمنات يبائعنك}، ح (٤٦١٣)

وإليه ذهب: الشافعية^(١)، والحنابلة في المعتمد عندهما^(٢).

القول الثاني: هي واجبة على الأعيان.

وإليه ذهب الحنفية^(٣)، وهو رواية عند الحنابلة^(٤).

القول الثالث: سنة مؤكدة غير واجبة.

وهو مذهب المالكية^(٥)، وقول عند الشافعية^(٦)، ورواية عند الحنابلة^(٧).

أدلة الأقوال:

أدلة القول الأول: فأما دليلهم على الفرضية وأصل الوجوب:

١- قول الله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴾^(٨).

(١) ينظر: الأم (١ / ٢٤٠) روضة الطالبين للنووي (٢ / ٧٣)، الحاوي للماوردي (٢ / ٤٨٢)، مغني المحتاج (١ / ٤٦٢).

(٢) ينظر: الإنصاف للمرداوي (٥ / ٣١٦)، كشف القناع للبهوتي (٣ / ٣٩٣)، شرح منتهى الإيرادات للبهوتي (٢ / ٨١).

(٣) ينظر: المبسوط (٢ / ٣٧)، بدائع الصنائع (١ / ٢٣٦)، تبيين الحقائق للزبيعي (١ / ٥٣٨).

(٤) ينظر: الإنصاف للمرداوي (٥ / ٣١٦)، الفروع لابن مفلح (٣ / ١٩٩)، واختار القول بالوجوب: ابن تيمية، وابن القيم، والشوكاني، وابن سعدي، وابن عثيمين ينظر: الأخبار العلمية من الاختيارات الفقهية لشيخ الإسلام ابن تيمية لابن اللحام البعلي (١٢٣)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٣ / ١٦١) كتاب الصلاة، لابن القيم (١١)، ونيل الأوطار (٤ / ١٨٠) والمختارات الجليلة، للسعدي (٨٢) والشرح الممتع، للعثيمين (٥ / ١٥١).

(٥) ينظر: القوانين الفقهية (٨٥)، عقد الجواهر الثمينة لابن شاس (١ / ١٧٣)، مواهب الجليل (٢ / ٥٦٨).

(٦) ينظر: الأم (١ / ٢٤٠)، الحاوي الكبير للماوردي (٢ / ٤٨٢)، نهاية المحتاج (٢ / ٣٨٦).

(٧) ينظر: الإنصاف للمرداوي (٥ / ٣١٦)، الفروع لابن مفلح (٣ / ١٩٩).

(٨) [سورة الكوثر: ٢].

وجه الاستدلال: أن أمر الله تعالى بها، والأمر يقتضي الوجوب^(١).
١- مداومة النبي ﷺ على فعلها، وهذا دليل الوجوب^(٢).
٢- إن صلاة العيدين من أعلام الدين الظاهرة، فكانت واجبة كالجمعة والأذان^(٣).

٣- إنها لو لم تجب لم يجب قتال تاركها، كسائر السنن، يحققه أن القتال عقوبة لا تتوجه إلى تارك مندوب كالقتل والضرب^(٤).
وأما دليلهم على أنها لا تجب على الأعيان:

١- إن مقصود الشارع هو إظهار شعائر الإسلام بإقامة صلاة العيد في كل بلد بغض النظر عن الفاعل، وهذا هو حقيقة فرض الكفاية^(٥).
٢- إن صلاة العيد لا يشرع لها الأذان، فلم تجب على الأعيان، كصلاة الجنازة^(٦).

أدلة القول الثاني:

استدلوا بما استدل به أصحاب القول الأول في أصل الفرضية، وعللوا وجوبها على الأعيان بما يلي:

(١) ينظر: المغني (٣/٢٥٤).

(٢) ينظر: المغني (٣/٢٥٤)، كشف القناع (٣/٣٩٣).

(٣) ينظر: المغني (٣/٢٥٤)، كشف القناع (٣/٣٩٣).

(٤) ينظر: المغني (٣/٢٥٤).

(٥) ينظر: مغني المحتاج (١/٤٦٢).

(٦) ينظر: المغني (٣/٢٥٤).

١- حديث أم عطية رضي الله عنها أنها قالت: "أمرنا أن نخرج العواتق^(١) والحِيصَ في العيدين، يشهدن الخير ودعوة المسلمين، ويعتزل الحِيصَ المصلي"^(٢).
فقد جاء النص بأمر النساء، فهذا يقتضي الوجوب على الجميع^(٣).
ونوقش: بأن الأمر محمول على الندب؛ بدليل قوله في الحديث: "يشهدن الخير ودعوة المسلمين"، وبدليل أمره الحيض بالخروج مع أن العيد لا يجب عليهن بالإجماع^(٤).

٢- إن صلاة العيد شرعت لها الخطبة، فكانت واجبة على الأعيان، وليست فرضاً، كالجمعة^(٥).
ونوقش: بأنه لو وجبت على الأعيان لوجبت خطبتها، ووجب استماعها كالجمعة^(٦).

٣- إن صلاة العيد من شعائر الإسلام، والناس يجتمعون لها أعظم من الجمعة، وقد شرع لها التكبير، ولو حضرها البعض لم يحصل مقصود صلاة العيد من إظهار شعائر الإسلام^(٧).

(١) جاء في عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٦/ ٢٩٦): "قوله: (العواتق): جمع العاتق وهي التي بلغت، وسميت بما؛ لأنها عتقت عن أمهاتها في الخدمة أو عن قهر أبويها...، وقوله (الحِيصَ) بضم الحاء وتشديد الياء جمع: حائص".

(٢) رواه البخاري (٩٧٤) ومسلم (٦٠٥ / ٢) برقم (٨٩٠)، واللفظ للبخاري.

(٣) ينظر: المسبوط (٢/ ٣٧)، بدائع الصنائع (١/ ٢٣٦).

(٤) ينظر: بدائع الصنائع (١/ ٢٣٩).

(٥) ينظر: المغني (٣/ ٢٥٤).

(٦) ينظر: المغني (٣/ ٢٥٤).

(٧) ينظر: بدائع الصنائع (١/ ٢٣٦).

وبهذا الوجه ناقش القائلون بالوجوب أصحاب القول الأول: بأن القول
بفرضية العين أكثر انضباطاً وتحقيقاً لمقصد الشارع.

أدلة القول الثالث:

١ - حديث طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه: في قصة الأعرابي، وفيه: قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم للأعرابي حين ذكر خمس صلوات قال: هل علي غيرهن؟ قال: (لا
إلا أن تطوع) ^(١).

٢ - حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (خمس صلوات
كتبهن الله على العباد) الحديث ^(٢).

وجه الدلالة من النص: أن كلا الحديثين جاء النص فيهما على وجوب
الصلوات الخمس دون غيرهما، فدل على عدم وجوب صلاة العيدين ^(٣).
ونوقش الأول: بأنه لا حجة لهم فيه؛ لأن الأعراب لا تلزمهم الجمعة، لعدم
الاستيطان، فالعيد أولى ^(٤). وأما الثاني فنوقش من وجهين:

○ أن سياق الخبر يقتضي نفي وجوب صلاة سوى الخمس، وإنما خولف بفعل
النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن صلى معه، فيختص بمن كان مثلهم.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإسلام، ح (٤٦)، ومسلم في كتاب الإيمان،
باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام، ح (١١) واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ح [١٤٢٠ / ٢ / ٥٦٠] قال ابن عبد البر كما في التمهيد (٢٣ /
٢٨٨): "هو صحيح ثابت". وينظر: التلخيص الحبير (٢ / ٣٣٤).

(٣) ينظر: مغني المحتاج (٤٦٢ / ١)، المغني (٢٥٤ / ٣).

(٤) ينظر: تبين الحقائق للزيلعي (٥٣٨ / ١)، المغني (٢٥٤ / ٣).

○ إنما صرح في الحديثين بوجوب الخمس، وخصها بالذكر، لتأكيدهما ووجوبها على الأعيان، ووجوبها على الدوام، وتكررها في كل يوم وليلة، وغيرها يجب نادرا ولعارض، كصلاة الجنائز والمنذورة والصلاة المختلف فيها، فلم يذكرها^(١).

٣- إن صلاة العيد صلاة ذات ركوع وسجود لم يشرع لها أذان، فلم تجب ابتداء بالشرع، كصلاة الاستسقاء والكسوف^(٢).
ونوقش: بأن هذا القياس لا يصح؛ لأن كونها ذات ركوع وسجود لا أثر له، بدليل أن النوافل كلها فيها ركوع وسجود، وهي غير واجبة، فيجب حذف هذا الوصف، لعدم أثره، ثم ينقض قياسهم بصلاة الجنائز، وينتقض على كل حال بالمنذورة^(٣).

الترجيح: الأقرب -والله أعلم-: القول الأول بأن صلاة العيدين فرض كفاية في كل بلد؛ لقوة أدلتهم، وفيه توسط وجمع بين أدلة الموجبين على الأعيان، وغير الموجبين على أهل البلد، فأدلة غير الموجبين على الأعيان صارفة للنصوص التي فيها الأمر بصلاة العيد.

(١) ينظر: المغني (٣/٢٥٤).

(٢) ينظر: المغني (٣/٢٥٤).

(٣) ينظر: المغني (٣/٢٥٤).

المطلب الثاني: التخريج الفقهي لحكم صلاة العيدين في ظل حظر التجول

بسبب نازلة كورونا:

تنقسم البلاد التي يطبق فيها الحظر الكلي ومنع التجول إلى قسمين:

القسم الأول: بلاد يقيم فيها الإمام صلاة العيد:

القسم الثاني: بلاد لا يقيم فيها الإمام صلاة العيد:

فأما القسم الأول: وهي البلاد التي يقيم فيها الإمام صلاة العيد:

- كما حصل في مكة المكرمة والمدينة النبوية في هذا الوباء- ففي هذه البلاد لا تعتبر المسألة من النوازل؛ لأن الفقهاء نصوا على حكمها، وعلى المرجح سابقاً أنها فرض كفاية؛ فإن الفرض يسقط بصلاحتها في البلد، ويبقى قضاءها على عموم أهل ذلك البلد: سنة مؤكدة، كما سيأتي تفصيله والاستدلال له.

وأما القسم الثاني: فهي البلاد التي لا يقيم فيها الإمام صلاة العيد:

- كما حصل في كثير من بلاد المسلمين في هذا الوباء-، والذي يظهر من استقراء كلام بعض الفقهاء المتقدمين -وهم الحنفية والحنابلة في المعتمد عندهم-: أن حكم صلاة العيدين يختلف بسبب هذا العذر عن الحكم العام المقرر عند الفقهاء في الأحوال العادية.

ويمكن تخريج مذاهب الفقهاء في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنها سنة مؤكدة مطلقاً.

وهو منصوص قول المالكية^(١)، والشافعية^(٢)، ورواية عند الحنابلة^(٣).
قال الإمام الشافعي رحمه الله: "وأحبُّ أن يصلِّي العيدان والكسوف بالبادية
التي لا جمعة فيها، وتصليها المرأة في بيتها، والعبد في مكانه؛ لأنه ليس بإحالة
فرض، ولا أحبُّ أحد تركها"^(٤).

القول الثاني: تسقط مشروعيتها للعدر العام.

وهو تخريج على مذهب الحنفية^(٥)، ورواية عند الحنابلة^(٦).
فقد نص فقهاء الحنفية على شروط لا تصح صلاة العيد إلا بها، وهي:
العدد، والاستيطان، وإذن الإمام، وهذا غير متحقق في كثير من أحوال الناس
في البيوت، فلا تجب عليهم، بل ولا تشرع في البيوت^(٧).

(١) ينظر: مواهب الجليل (٥٦٨/٢)، وأشار الزرقاني المالكية في شرحه على مختصر خليل (١٣٦/٢):
إلى استحباب إقامة صلاة العيدين لأهل الأعدار؛ كأهل السجون والمرضى والمسافرين.

(٢) ينظر: الأم الحاوي للماوردي (٤٨٣ / ٢)، مغني المحتاج (٤٦٢/١).

(٣) ينظر: الإنصاف (٣١٧/٥). وتخريج هذه النازلة على رأي فقهاء الحنابلة مشكل متردد بين أكثر
من وجه، ولكن الذي يظهر أن تخريجها على المعتمد من قولهم: إنه يسقط فرضها على البلد،
وتكون سنة مؤكدة على أهل البيوت؛ إذ إنهم قد جعلوا الاستيطان والعدد شرط صحة لا وجوب،
فتبقى سنتها ولا تجب -على وجه القضاء-. قال ابن قدامة كما في المغني (٢٨٧/٥): "ويشترط
الاستيطان لوجوبها، وكذلك العدد المشترط للجمعة، ... ولا يشترط شيء من ذلك لصحتها؛
لأنها تصح من الواحد في القضاء".

(٤) الأم للإمام الشافعي (٥١٨/٢).

(٥) ينظر: بدائع الصنائع (١/ ٢٣٦).

(٦) ينظر: كشاف القناع (٣/ ٣٩٥). وهذا التخريج رجحه الشيخ عبدالله بن خنين عضو هيئة كبار
العلماء كما في إجابته لسؤال عبر إذاعة القرآن الكريم

<https://www.youtube.com/watch?v=oSSxuY2BvJ9>

(٧) ينظر: بدائع الصنائع (١/ ٢٣٦).

ونص فقهاء الحنابلة - القائلون بأنها فرض في كل بلد على الكفاية - على أنها تسقط في حال العذر: قال البهوتي رحمته الله: " (إن تركها أهل بلد يبلغون أربعين بلا عذر قاتلهم الإمام) كالأذان، لأنها من شعائر الإسلام الظاهرة وفي تركها تهاون بالدين" (١).

ويخرج عليه: إذا ترك جميع أهل بلد صلاة العيد بسبب جائحة كورونا وخشية العدوى والضرر بالاجتماع والتزاحم؛ فلا حرج عليهم؛ فإن هذا من أولى الأمور بالعذر.

القول الثالث: فرض كفاية وتصلى إذا زال العذر ولو بعد أيام. وهو تخريج لبعض المعاصرين (٢) على رواية عند الحنابلة (٣).

(١) كشاف القناع (٣/ ٣٩٥).

(٢) ومن ذهب إلى هذا التخريج: الباحث عبدالله بن أحمد آل سحيم الغامدي في بحث له بعنوان: تحرير مذهب الحنابلة في حكم صلاة العيد في ظل جائحة كورونا [رابط البحث في ثبوت المراجع].

(٣) الذي يظهر أن هذا هو المذهب عند متأخري الحنابلة في حال العذر العام، ينظر: الإنصاف (٣١٩/٥)، شرح منتهى الإرادات للبهوتي (١٢/٢)، كشاف القناع (٣/ ٣٩٥). واختلفوا إذا صليت بعد يوم العيد بيوم أو أيام هل تكون قضاء تفتقر إلى نية القضاء أم تكون أداء على ثلاثة أوجه: أولهما: تكون أداء، وهو المعتمد عند الشافعية وقول عند الحنابلة. الثاني: تكون قضاء مطلقاً، وهو رواية عند الشافعية، والمعتمد عند الحنابلة. الثالث: التفصيل. قال ابن مفلح في النكت على المحرر (٢٦٢/١): "فإن كان مع عدم العلم، أو العذر في تركها باشتغالهم بأمر عظيم، من فتنة، أو جهاد ونحوه، كانت أداء؛ لأن هذا الوقت يصلح أن يكون فيه أداءً عند إكمال العدة، وعند تجويز الغلط في حق الشهر، وإن كان مع العلم وعدم العذر كانت قضاء؛ لفوات وقتها كسائر الصلوات". وينظر: روضة الطالبين (٢/ ٧٨) الإنصاف (٣١٩/٥).

قال الشيخ منصور البهوتي -رحمته الله-: "ولأن العيد شرع له الاجتماع العام وله وظائف دينية ودنيوية، وآخر النهار: مظنة الضيق عن ذلك غالباً وأما من فاتته مع الإمام فيصلها متى شاء؛ لأنها نافلة لا اجتماع فيها (وكذا لو مضى أيام) ولم يعلموا بالعيد، أو لم يصلوا لفتنة ونحوها أو أخروها بلا عذر"^(١). وقال الخلوئي: "فإن عنهم العذر المقتضي للتأخير أخروا، وقضوا"^(٢).

أدلة الأقوال:

أدلة القول الأول:

١- ما ثبت عن أنس رضي الله عنه، أنه كان إذا لم يشهد العيد مع الإمام بالبصرة جمع أهله ومواليه، ثم قام عبد الله بن أبي عتبة مولاه فيصلي بهم ركعتين، يكبر فيهما^(٣).

وجه الاستدلال: الظاهر من حال أنس أنه كان بعيداً عن البلد، ويشق عليه الحضور، ففعل أنس يدل بوضوح على مشروعية صلاة العيد للجماعة القليلة إذا كانوا في محل لا تقام فيه صلاة العيد، وحال

(١) شرح منتهى الإرادات للبهوتي (١٨٢/٢).

(٢) حاشية الخلوئي على منتهى الإرادات (١/٥٠٢).

(٣) أثر أنس: ثابت صحيح، فقد ذكره البخاري معلقاً بصيغة الجزم في صحيحه (٢/٢٣)، باب: إذا فاته العيد يصلي ركعتين، وكذلك النساء، ومن كان في البيوت والقرى، من كتاب العيدين، ووصله ابن أبي شيبه في مصنفه (٢/١٨٣) في: باب الرجل تفوته الصلاة في العيد كم يصلي، من كتاب الصلوات، فقال: حدثنا ابن علية عن يونس، قال: حدثني بعض آل أنس بن مالك أن أنسا كان ربما جمع أهله وحشمه يوم العيد فيصلي بهم عبد الله بن أبي غنية ركعتين، وكذلك البيهقي في السنن (٣/٣٠٥) في: باب صلاة العيدين سنة أهل الإسلام حيث كانوا، من كتاب العيدين.

المسلمين في لزوم بيوتهم بسبب حظر التجول والإجراءات الاحترازية عن
الوباء يشبه حال أنس رضي الله عنه.

٢- إذا سقط فرض الكفاية وتعذر الاجتماع فيعود حكمها كسائر النوافل
التي لا اجتماع فيها، وهو الاستحباب^(١).

٣- إن من قواعد الشريعة أن: "الميسور لا يسقط بالمعسور" وأن
"المقدور عليه لا يسقط بسقوط المعجوز عنه"، فالمأمور به إذا لم يتيسر
فعله على الوجه الأكمل الذي أمر به الشارع لعدم القدرة عليه فيشرع
للمكلف فعل المتيسر مما يقدر عليه، ولا يترك الكل بسبب ترك الذي
يعجز عنه أو يشق فعله، وهذا أمر متفق عليه بين علماء الشريعة - في
الجملة-، فالعبادات لا تسقط بالعجز عن بعض شروطها، ولا عن بعض
أركانها^(٢).

أدلة القول الثاني:

١- إن من قواعد الشريعة: أن الواجبات تسقط بالعجز عنها، وبما أن
هذا العذر منع جميع الناس من صلاحها مع جماعة المسلمين، فسقط مشروعيتها.
ونوقش: أنها يسقط وجوبها وفرضها على كل بلد لهذا العذر ولكن إلى بدل
وهو صلاحها في البيوت.

(١) ينظر: شرح منتهى الإرادات للبهوتي (٨٢/٢).

(٢) ينظر: المنشور في القواعد الفقهية للزركشي (١/٢٢٧)، الأشباه والنظائر للسيوطي (١٣٩)، مجموع
الفتاوى (٢٤/١٨٥).

٢- الصلاة بهذه الصفة ما عرفت قرينة إلا بفعل رسول الله ﷺ كالجمعة، ورسول الله ﷺ ما فعلها إلا بالجماعة كالجمعة، فلا يجوز أداؤها إلا بتلك الصفة، وإذا فاتت فليس لها حَلْفٌ؛ لأن وقتها بعد طلوع الشمس، وهذا ليس بوقت صلاة واجبة في سائر الأيام، بخلاف من فاتته الجمعة فإنه يصلي الظهر^(١).

ونوقش: بأنه قياس مع الفارق؛ إذ الجمعة لها أحكام تخصها تختلف عن العيدين فلا يصح القياس عليها، ولأن الجمعة لا تقضى وإنما الواجب عليه أن يصلي فرض الوقت وهو الظهر^(٢).

أدلة القول الثالث:

١- ما رواه أبو عمير بن أنس، عن عمومة له من أصحاب رسول الله ﷺ: «أن ركبا جاءوا إلى النبي ﷺ فشهدوا أنهم رأوا الهلال بالأمس، فأمرهم أن يفطروا. فإذا أصبحوا أن يغدوا إلى مصلاهم»^(٣).
وجه الاستدلال: أنه لما فاتت صلاة العيد النبي ﷺ وأصحابه لم يأمرهم بقضائها وحداناً في بيوتهم، بل أمرهم بالاجتماع لها في اليوم الثاني.

(١) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (١/ ٢٧٩).

(٢) ينظر: فتح الباري (٢/ ٤٧٤)، بداية المجتهد لابن رشد (١/ ٤١٩).

(٣) رواه أبو داود كتاب الصلاة، باب إذا لم يخرج الإمام للعيد من يومه يخرج من الغد بقرم (١١٥٧)، وصححه البيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣١٦) والخطابي في معالم السنن (١/ ٢٥٢) والنووي في المجموع (٥/ ٢٧) والحافظ في البلوغ (٥١٠) قال الخطابي: حديث أبي عمير صحيح فالمصير إليه واجب، وكذا قال ابن المنذر في الأوسط (٤/ ١٩٥). قال الخطابي: سنة رسول الله ﷺ أولى، وحديث أبي عمير صحيح، فالمصير إليه واجب. ينظر: تلخيص الخبير لابن حجر (٢/ ٩٣).

ويناقش هذا: بأن هذا - كما ذهب إليه جمع من أهل العلم - خاص بمن لم يبلغه العيد إلا بعد الزوال، ولا يلحق به من علم بالعيد في يومه، وتعدر له أدائه لعذر، كما في هذه النازلة.

٢- إن صلاة العيد شعيرة عظيمة من شعائر الدين الظاهرة^(١)، وفعله في البيوت ينافي ذلك.

ويناقش هذا: بأن هذا في الأصل مع عدم العذر، وأما مع العذر العام؛ فإن صلاتها في البيوت يحقق مقصد الشريعة في التعبد بالصلاة في يوم العيد؛ شكراً لله وتعظيماً لشعائره، وهذا لا يتحقق مع تأخير الصلاة أياماً أو أسابيع.

٣- إن صلاة العيد فرض كفائي تجب في البلد، ولا يسقط الفرض إلا على الهيئة الشرعية بحضور أربعين رجلاً، فإذا صلى الناس أفراداً أو جماعات يسيرة لم تصح ولم يسقط الفرض عن أهل البلد - على مذهب الحنابلة -.

٤- إنه لا يشرع القضاء للأفراد في البيوت ونحوها إلا إذا سقط الفرض الكفائي، وإلا فلا يشرع؛ إذ سنية القضاء فرع عن سقوط الواجب الكفائي، وإذا لم يوجد الأصل لم يوجد الفرع^(٢).

(١) ينظر: شرح منتهى الإرادات للبهوتي (١/ ٣٢٤).

(٢) ينظر: تحرير مذهب الحنابلة في حكم صلاة العيد في ظل جائحة كورونا، للباحث عبدالله آل سحيم الغامدي [رابط البحث في ثبوت المراجع].

وهذا الترخيص الفقهي لهذه النازلة يمكن مناقشته من أوجه:

١. إن الواجبات ومنها فروض الكفاية منوطة بالقدرة والإمكان، وبما أن الناس في هذه النازلة وفي ظل الحجر الكلي لم يتمكنوا من أداء الصلاة بشروطها وهيئتها مع الإمام فسقط عنهم الوجوب، فإما أن يقال بسقوطها إلى غير بدل، كما هو ظاهر كلام الحنفية والحنابلة، أو أنها تصلى في البيوت كما ورد عن جمهور العلماء.

٢. إن حال الوباء مما يطول غالباً ولا يُعلم أمدُ انقضائه، ويتعذر الاجتماع العام على الناس ولو بعد أيام؛ خشية الضرر عليهم إلا أن يقال بأن يصلّيها العدد المجزئ مع إمام البلد لتسقط عنهم فرض الكفاية، فهذا يمكن أن يحصل في يوم العيد لو تيسر مع أمن الضرر بالتباعد ونحو ذلك من الاحترازات الصحية.

الترجيح: الأقرب: القول الأول - والله أعلم - وهو أنه إذا تعذر صلاة العيد مع جماعة المسلمين في البلد أنها تكون مشروعة في البيوت لعموم المسلمين، وأنها سنة مؤكدة في حق كل مسلم؛ لأن هذا القول هو الذي تعضده الأدلة العامة، والمقاصد الشرعية، وهو الجاري على غالب أصول الأئمة ومذاهبهم المختلفة، والأقوال الأخرى تفضي إلى تعطيل هذه الشعيرة في يوم العيد مع إمكانها في البيوت.

فعلى هذا: فلا تسقط عنهم بالكلية، ولا يؤخر قضاؤها، بل تقام في يوم العيد في البيوت، ويسقط عنهم واجب الاجتماع لما عجزوا عنه^(١). وقد ذهب إلى هذا كثير من هيئات الفتوى في بلاد المسلمين، وأكثر الفقهاء المعاصرين^(٢) -على اختلاف بينهم في صفة الصلاة كما سيأتي-.

-
- (١) وأشار إلى هذا ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٤ / ١٨٥): "وأما من كان عاجزا عن شهودها مع الإمام فهذا أهل أن يفعل ما يقدر عليه فإن الشريعة فرقت في المأمورات كلها بين القادر والعاجز فالقادر عليها إذا لم يأت بشروطها لم يكن له فعلها والعاجز إذا عجز عن بعض الشروط سقط عنه.. فهكذا يوم العيد إذا لم يمكنه الخروج مع الإمام سقط عنه ذلك، وجوز له أن يفعل ما يقدر عليه ليحصل له من العبادة في هذا اليوم ما يقدر عليه فيصلي أربعاً، وتكون الركعتان بدل الخطبة التي لم يصل بها كما كانت الخطبة يوم الجمعة قائمة مقام ركعتين".
- (٢) وممن ذهب إلى هذا القول: هيئة كبار علماء الأزهر، ودار الإفتاء في الأردن، ووزارة الأوقاف في الكويت، ولجنة الفتوى في الجزائر. وممن اختاره من العلماء والفقهاء المعاصرين: مفتي عام المملكة العربية السعودية سماحة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ، والشيخ صالح الفوزان، والشيخ عبدالرحمن البراك، والشيخ عبدالكريم الخضير وغيرهم -وفي ثبت المراجع روابط لهذه الفتاوى-.

المبحث الثاني: شروط صلاة العيدين وتنزيلها زمن وباء كورونا:

إن اختلاف العلماء في صلاة العيد في البيوت - كما هو الحاصل في زمن جائحة كورونا-، يتضح أنه يُبنى على أصل، أحسن ابن رجب رحمته الله في إيراده، فبعد أن ذكر أقوال الفقهاء في حكم صلاة العيد في البيوت قال رحمته الله: "واعلم: أن الاختلاف في هذه المسألة ينبني على أصل، وهو: أن صلاة العيد: هل يشترط لها العدد والاستيطان وإذن الإمام؟ فيه قولان للعلماء، هما روايتان عن أحمد، وأكثر العلماء: على أنه لا يشترط لها ذلك، وهو قول مالك والشافعي، ومذهب أبي حنيفة وإسحاق: أنه يشترط لها ذلك، فعلى قول الأولين: يصلّيها المنفرد لنفسه في السفر والحضر والمرأة والعبد ومن فاتته، جماعة وفردى، لكن لا يخطب لها خطبة الإمام؛ لأن فيه افتئاتاً عليه، وتفريقاً للكلمة، وعلى قول الآخرين: لا يصلّيها إلا الإمام أو من أذن له، ولا تصلّي إلا كما تصلّي الجمعة، ومن فاتته، فإنه لا يقضيها على صفتها، كما لا يقضي الجمعة على صفتها"^(١).

والسبب في اختلافهم في اشتراط هذه الشروط: أشار إليه ابن رشد رحمته الله بقوله: "اختلافهم في قياسها على الجمعة: فمن قاسها على الجمعة كان مذهبه فيها على مذهبه في الجمعة، ومن لم يقسها رأى أن الأصل هو أن كل مكلف مخاطب بها حتى يثبت استثناءه من الخطاب، قال القاضي: قد فرقت السنة

(١) فتح الباري لابن رجب (٧٩ / ٩).

بين الحكم للنساء في العيدين والجمعة، وذلك أنه ثبت أنه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أمر النساء بالخروج للعيدين، ولم يأمر بذلك في الجمعة^(١).

وفي هذا المبحث نحتاج أولاً إلى بيان موقف الفقهاء من هذه الشروط ثم يتبين تنزيل هذه الشروط على هذه النازلة، وذلك في مطلبين:

المطلب الأول: اتجاهات الفقهاء في شروط صلاة العيدين:

اتفق أهل العلم على مشروعية صلاة العيد على المستوطنين الذين يبلغون أربعين فأكثر^(٢).

واتفقوا على أولوية إذن الإمام في إقامة الشعائر العامة مثل صلاة العيدين^(٣). واتفقوا: أنه لا يجب على غير المستوطنين في البلد كأهل الأرياف البعيدة عن المدن والبدو الرحل والمسافرين، وكذا المرأة والمنفرد^(٤). وإنما الخلاف في صحة فعلها منهم.

(١) بداية المجتهد لابن رشد (٤١٦/١)، وأشار ابن تيمية إلى نحو هذا في مجموع الفتاوى (١٧٩/٢٤).
(٢) ينظر: بدائع الصنائع (١/٢٣٦)، مواهب الجليل (٢/٥٦٨)، الحاوي للماوردي (٢/٤٨٣)، الإنصاف (٥/٣٣٤).

(٣) ينظر: بدائع الصنائع (١/٢٣٦)، مواهب الجليل (٢/٥٦٨)، الحاوي للماوردي (٢/٤٨٣)، مغني المحتاج (١/٤٦٢)، المغني (٥/٢٨٧)، الإنصاف (٥/٣٣٤). جاء في الروايتين والوجهين لأبي يعلى (١/١٩٠): سئل الإمام أحمد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** - وهو ممن لا يشترط إذن الإمام -: عن أهل القرى يجتمعون صلاة العيد قال: نعم يخطبون ويصلون، ولكن إذا كان بإذن الأمير فهو أجود".

(٤) نقل الاتفاق ابن رجب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** كما في فتح الباري لابن رجب (٩/٧٩)، وينظر: بدائع الصنائع (١/٢٣٦)، مواهب الجليل (٢/٥٦٨)، الحاوي للماوردي (٢/٤٨٣)، مغني المحتاج (١/٤٦٢)، المغني (٥/٢٨٧)، الإنصاف (٥/٣٣٤).

ومبنى هذا: هل يشترط لصحة صلاة العيد: الاستيطان والعدد وإذن الإمام؟
اختلف أهل العلم في ذلك على ثلاثة أقوال:

القول الأول: لا يشترط الاستيطان والعدد وإذن الإمام لصلاة العيد، فيصح إقامتها من غير المستوطنين، ومن المنفرد، وبلا إذن الإمام. وإليه ذهب المالكية^(١)، والشافعية^(٢)، وهو رواية عند الحنابلة^(٣).

القول الثاني: يشترط الاستيطان والعدد وإذن الإمام لصحة صلاة العيد. وإليه ذهب الحنفية^(٤).

القول الثالث: يشترط لوجوب صلاة العيد: الاستيطان والعدد، ولا يشترط إذن الإمام.

وهو المعتمد عند الحنابلة^(٥). وذهبوا إلى أن العدد: أربعون من أهل وجوبها. ويظهر اتفاق الحنفية والحنابلة في اشتراط الاستيطان والعدد.

(١) ينظر: مواهب الجليل (٢/٥٦٨).

(٢) ينظر: الأم للإمام الشافعي (٢/٥١٨)، الحاوي للماوردي (٢/٤٨٣)، نهاية المحتاج للرملي (٢/٤٠١).

(٣) ينظر: المغني (٥/٢٨٧)، الإنصاف (٥/٣٣٤)، جاء في الفروع لابن مفلح (٣/١٩٩): قيل لأحمد في رواية ابن هانئ: على المرأة صلاة العيد؟ قال: "ما بلغنا في هذا شيء، ولكن أرى أن تصلي، وعليها ما على الرجال، يصلين في بيوتهن".

(٤) وذهبوا إلى أن العدد ثلاثة، وهو رواية عند الحنابلة، اختارها ابن تيمية. ينظر: بدائع الصنائع (١/٢٣٦)، الإنصاف (٥/٣٣٣).

(٥) ينظر: المغني (٥/٢٨٧)، الإنصاف (٥/٣٣٣).

لكن ذهب الحنفية إلى أنهما شرطا صحة فلا يصح إقامتها من غير المستوطنين ولا المنفرد.

وذهب الحنابلة إلى أنهما شرطا وجوب لا شرطا صحة، والمراد عندهم: شرط الصلاة الذي يتحقق به فرض الكفاية؛ لا اشتراط عموم صحة الصلاة بهذا الشرط؛ لأن المنفرد عندهم تصح منه الصلاة بعد صلاة الإمام وبعد الوقت^(١).

أدلة الأقوال:

أدلة القول الأول:

١- فعل أنس رضي الله عنه، فقد ثبت عنه أنه كان يأمر مولاهم ابن عتبة بالزاوية^(٢) فجمع أهله وبنيه وصلى كصلاة أهل المصر وتكبيرهم^(٣).
ويقويه: ثبوت العمل عليه عند كبار التابعين: فعن عكرمة أنه قال: في القوم يكونون في السواد وفي السفر في يوم عيد فطر أو أضحي، قال: "يجتمعون

(١) نقل ابن قاسم في حاشيته على الروض المربع (٥٠٢/٢) عن ابن نصر الله قوله: "المراد: شرط وجوب صلاة العيد، لا اشتراط صحتها". وينظر: المغني (٢٨٧/٥).

(٢) موضع على فرسخين من البصرة كان بها قصر وأرض لأنس، رضي الله تعالى عنه، وكان يقيم هناك كثيرا، وكانت بالزاوية وقعة عظيمة بين الحجاج والأشعث. ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٣٠٩ /٦) معجم البلدان للحموي (١٢٨ /٣).

(٣) سبق تخريجه ص (١٥).

فيصلون ويؤمهم أحدهم"^(١)، وعن عطاء فيمن فاته العيد قال: "يصلي ركعتين ويكبر" فليصل ركعتين"^(٢).

٢- القياس على سائر النوافل، فلا يشترط لها استيطان ولا عدد ولا إذن إمام^(٣).

أدلة القول الثاني والثالث:

١- أن النبي ﷺ لم يقيم صلاة العيد إلا في المدينة، وقد سافر عليه الصلاة والسلام وأدركه العيد فلم يصلها في سفره كما في عيد الفطر بعد غزوة بدر وبعد فتح مكة، ولم يصل عيد الأضحى في حجة الوداع ولا خلفاؤه من بعده^(٤).

ونوقش: بأن تركه لصلاة العيد في الحج؛ لانشغاله بمناسك الحج، وتعليم الناس أحكامها، لا لكونه مسافراً^(٥).

-
- (١) ذكره البخاري معلقاً بصيغة الجزم في صحيحه (٢٣ / ٢)، باب: إذا فاته العيد يصلي ركعتين، ووصله ابن أبي شيبة في مصنفه بسند صحيح فقال: حدثنا غندر عن شعبة عن قتادة عن عكرمة.
- (٢) ذكره البخاري معلقاً بصيغة الجزم، صحيحه (٢٣ / ٢)، باب: إذا فاته العيد يصلي ركعتين، ووصله ابن أبي شيبة في مصنفه في فصل: من فاتته صلاة العيد لم يصل، حدثنا يحيى بن سعيد عن ابن جريح، عن عطاء.
- (٣) ينظر: المغني (٢٨٧/٥).
- (٤) ينظر: المغني (٢٨٧/٥)، مجموع الفتاوى (١٧٨ / ٢٤)، الفروع لابن مفلح (١٩٩/٣).
- (٥) ينظر: المجموع للنووي (٢٤ / ٢).

٣- قول علي بن أبي طالب عليه السلام: "لا جمعة، ولا تشريق، ولا فطر، ولا أضحي إلا في مصر جامع"^(١). ونوقش: بأنه ضعيف لا ينهض للاحتجاج به^(٢).

٤- القياس على الجمعة، بجامع أن الجمعة عيد الأسبوع، وهذا عيد الحول، ولأنها ذات خطبة راتبة فأشبهتها^(٣).

ونوقش: بأنه قياس مع الفارق؛ إذ الجمعة لها أحكام تخصها تختلف عن العيدين فلا يصح القياس عليها، ولأن الجمعة لا تقضى وإنما الواجب عليه أن يصلي فرض الوقت وهو الظهر^(٤).

الترجيح: الأقرب -والله أعلم-: القول الأول، عدم اشتراط الاستيطان والعدد وإذن الإمام لصحة صلاة العيد، وأنها تشرع لجميع المسلمين مستوطنين أو غير مستوطنين كالمسافرين وأهل البادية والأرياف البعيدة عن المدن؛ لقوة الأدلة، وجريان المناقشة على أدلة الأقوال الخرى.

-
- (١) أخرجه عبدالرزاق في المصنف ح (٥١٧٥)، وابن أبي شيبة في المصنف ح (٥١٠٦) وإسناده ضعيف كما قال ابن حجر في الدراية في تخريج أحاديث الهداية (٢١٤/١).
- (٢) قاله ابن حجر كما في الدراية في تخريج أحاديث الهداية (٢١٤/١).
- (٣) ينظر: المغني لابن قدامة (٢٨٧/٥)، شرح المنتهى للبهوتي (٣٢٢/٢).
- (٤) ينظر: فتح الباري (٢/ ٤٧٤)، بداية المجتهد لابن رشد (٤١٩/١).

المطلب الثاني: تخريج شروط صلاة العيدين على حكمها في البيوت بسبب وباء كورونا:

يظهر أثر هذا التخريج في البلاد التي لا تقام فيها صلاة العيد، فلم يجد الباحث -حسب اطلاعه- تنزيلاً معاصراً لهذه المسألة، والذي يظهر أن الخلاف في أصل الشروط -الذي سبق ذكره في المطلب السابق-: يخرج على هذه النازلة، وبناء على ذلك فيظهر أن الفقهاء اختلفت مسالكهم إلى أربعة اتجاهات:

- ١- يسقط عنهم الوجوب ولا تصلى في البيوت. وهو تخريج مذهب الحنفية. بناء على أنه يشترط عندهم الاستيطان والعدد وإذن الإمام لصحة صلاة العيد، وهذا غير متحقق في صلاة العيدين في البيوت^(١).
 - ٢- تشرع لأهل البيت إن كان مستوطنين بلغوا أربعين رجلاً من أهل وجوبها، ولو لم يأذن الإمام. وهو تخريج مذهب الحنابلة^(٢). بناء على أن الاستيطان والعدد عندهم شرط وجوب لا شرط صحة، واعتبروها من باب القضاء لا الأداء.
- قال ابن قدامة: "ويشترط الاستيطان لوجوبها، وكذلك العدد المشترط للجمعة... ولا يشترط شيء من ذلك لصحتها؛ لأنها تصح من الواحد في القضاء"^(٣).

(١) وذهبوا إلى أن العدد ثلاثة، وهو رواية عند الحنابلة، اختارها ابن تيمية. ينظر: بدائع الصنائع (١/ ٢٣٦)، الإنباف (٥/ ٣٣٣).

(٢) قال ابن مفلح في الفروع (٣/ ٢٠٠): "وإذا لم نعتبر العدد كفى استيطان أهل البادية".

(٣) المغني (٥/ ٢٨٧).

٣- يؤخرون الصلاة حتى يزول العذر - إذا لم يمكنهم إقامتها يوم العيد بأربعين. وهو تخريج قول متأخري الحنابلة.

أخذاً مما ذكره الشيخ منصور البهوتي - رحمته الله - في مسألة أهل البلد إذا لم يعلموا بالعيد إلا بعد الزوال أنه يقضونها بعد ذلك، قال: "(وكذا لو مضى أيام) ولم يعلموا بالعيد، أو لم يصلوا لفتنة ونحوها أو أخروها بلا عذر"^(١). وقول الخلوئي: "فإن عمهم العذر المقتضي للتأخير أخروا، وقضوا"^(٢).

٤- يصلونها في البيوت أداء ولو منفرداً أو اثنين أو ثلاثة ونحو ذلك. وهو منصوص مذهب المالكية^(٣)، والشافعية^(٤)، ورواية عند الحنابلة^(٥).

والمرجح: أنه لا يشترط لصحة صلاة العيد شروط معينة، فعلى هذا فيشرع لهم - في حال حظر التجول بسبب وباء كورونا- أنهم يصلونها في البيوت منفردين، أو جماعة سواء كانوا مستوطنين، أو مسافرين، أذن الإمام أو لم يأذن؛ لأن هذا القول هو الذي تعضده الأدلة العامة، والمقاصد الشرعية، وهو الجاري على غالب أصول الأئمة ومذاهبهم المختلفة، والأقوال الأخرى تفضي إلى تعطيل هذه الشعيرة في يوم العيد مع إمكانها في البيوت.

(١) شرح منتهى الإرادات للبهوتي (٨٢/٢).

(٢) حاشية الخلوئي على منتهى الإرادات (١/ ٥٠٢)

(٣) ينظر: مواهب الجليل (٥٦٨/٢).

(٤) ينظر: الأم للإمام الشافعي (٥١٨/٢)، الحاوي للماوردي (٢/ ٤٨٣)، نهاية المحتاج للرملي (٤٠١/٢).

(٥) ينظر: المغني (٢٨٧/٥)، الإنصاف (٣٣٤/٥).

المبحث الثالث: حكم صلاة العيدين في البيوت حال حظر التجول بسبب الوباء:

من تعذر عليه صلاة العيد مع الناس؛ لأجل حظر التجول بسبب جائحة كورونا، فهل يشرع له صلاة العيد لوحده أو مع أهل بيته؟ ولو قيل بمشروعية قضائها: فهل تقضى على صفتها؟ أو على صفة أخرى. يتبين حكم هذه المسألة في مطلبين:

المطلب الأول: التخريج الفقهي لصلاة العيدين في البيوت زمن جائحة كورونا:

تنقسم البلاد التي يطبق فيها الحظر الكلي ومنع التجول إلى قسمين:

القسم الأول: بلاد يقيم فيها الإمام صلاة العيد:

القسم الثاني: بلاد لا يقيم فيها الإمام صلاة العيد:

فأما القسم الأول: بلاد يقيم فيها الإمام صلاة العيد:

- كما حصل في مكة المكرمة والمدينة النبوية- ففي هذه البلاد لا تعتبر المسألة من النوازل؛ لأن الفقهاء نصوا على حكمها في مسألة قضاء صلاة العيد، وبسط هذه المسألة أن يقال:

● مذاهب العلماء في حكم قضاء صلاة العيد لمن فاتته:

اتفق أهل العلم على أنه لا تجب صلاة العيد على المعذورين كالمرضى والنساء والمسافرين^(١).

(١) نقل الاتفاق ابن رجب رحمته الله كما في فتح الباري لابن رجب (٩/ ٧٩).

وإنما اختلفوا في مشروعية قضاء صلاة العيد - لمن لم يصلها مع الإمام -
على ثلاثة أقوال:

القول الأول: مشروعية قضاء صلاة العيد على صفتها^(١).

وبه قال: المالكية^(٢)، والشافعية^(٣).

وهذا القول هو المعتمد عند الحنابلة^(٤).

القول الثاني: عدم مشروعية قضاء صلاة العيد على صفتها.

وبه قال: الحنفية^(٥)، ورواية عند الحنابلة^(٦).

(١) وهنا مسألة تحتاج إلى تحرير، وملخصها: أنه معلوم أن القضاء فعل العبادة بعد وقتها، فهل يصح إطلاق القضاء على صلاة العيد في البيوت جماعة أو فرادى؟ أو لا يصح هذا الإطلاق؟ فإن قلنا يصح فعلى وجه أن وقتها الشرعي: هو فعلها مع الإمام جماعة في المصلى أو المسجد، فإذا صلاها في بيته ولو كان في قبل الزوال فإنه قضاء، أو تسمى قضاء تجوراً وأن المراد بالقضاء هنا هو "استدراك مصلحة فاتئة" كما ذكر الطوفي في شرحه على مختصر الروضة (١/ ٤٥٤-٤٥٥)، ونص في كشف الأسرار شرح أصول البزدوي (١/ ١٥٧) على أن من القضاء ما يكون بمعنى الأداء، وهناك قول آخر في القضاء، يتضمن تفصيلاً بين فوات المأمور به في وقته لعذر أو لغير عذر، وعند بعض الشافعية: التفريق في التعبير الفقهي فقالوا: إن فاتته مع الإمام فصلها قبل الزوال تكون أداء، أما بعد الزوال فتكون قضاء. ينظر: روضة الناظر وجنة المناظر (١/ ١٨٦).

(٢) ينظر: المدونة (١/ ٢٤٦)، الكافي لابن عبد البر (١/ ٢٦٥)، مواهب الجليل (٢/ ٥٨٠).

(٣) ينظر: كتاب الأم (١/ ٢٧٤)، المجموع للنووي (٥/ ٢٦)، مغني المحتاج (١/ ٤٧٠)، نهاية المحتاج للرملي (٢/ ٤٠١).

(٤) ينظر: الإنصاف (٥/ ٣٦٤)، كشف القناع عن متن الإقناع (٣/ ٤١٢).

(٥) ينظر: المبسوط للسرخسي (٢/ ٣٩)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (١/ ٢٧٩)، تبين الحقائق للزيلعي (١/ ٥٣٨)، حاشية ابن عابدين (٣/ ٥٥).

(٦) ينظر: الإنصاف (٥/ ٣٦٤)،

ولكنهم نصوا على جواز الإتيان بصلاة بدلها كصلاة الضحى إن شاء أربع ركعات، وإن شاء ركعتين.

القول الثالث: التفريق بين القادر على الصلاة مع الناس أو العاجز، فالقادر لا يشرع له القضاء، والعاجز يشرع له القضاء. وهذا اختيار ابن تيمية^(١).

أدلة الأقوال:

أدلة القول الأول:

١ - حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا نسي أحدكم صلاةً أو نام عنها فليصلها إذا ذكرها)^(٢).

وجه الاستدلال: أن "صلاة" نكرة في سياق الشرط فتفيد العموم، فيشمل ذلك: قضاء صلاة العيد لمن لم يصلها مع الناس^(٣).

(١) لم أجد من قال بهذا التفريق قبل ابن تيمية، قال رحمته الله كما في مجموع الفتاوى (٢٤ / ١٨٢): "وأما من كان يوم العيد مريضاً أو محبوساً وعادته يصلي العيد فهذا لا يمكنه الخروج فهؤلاء بمنزلة الذين استخلف علي من يصلي بهم فيصلون جماعة وفرادى، ويصلون أربعاً كما يصلون يوم الجمعة بلا تكبير ولا جهر بالقراءة" ثم قال: "والجمعة كل من فاتته صلى الظهر؛ لأن الظهر واجبة فلا تسقط إلا عمن صلى الجمعة، وأما يوم العيد فليس فيه صلاة مشروعة غير صلاة العيد وإنما تشرع مع الإمام فمن كان قادراً على صلاتها مع الإمام من النساء والمسافرين فعلوها معه وهم مشروع لهم ذلك بخلاف الجمعة فإنهم إن شاءوا صلوا مع الإمام وإن شاءوا صلوا ظهراً؛ بخلاف العيد فإنهم إذا فوتوه: فوتوه إلى غير بدل".

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه باب من نام عن الصلاة أو نسيها من كتاب الصلاة ح (٦٩٦)، وقال عنه الألباني في إرواء الغليل: (١/٢٩٣): "إسناده صحيح، وأصله في صحيح مسلم ح (٦٨١) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه".

(٣) ينظر: حاشية البجيرمي على شرح المنهج (١/٢٨٣).

٢- ما ثبت عن أنس، أنه كان إذا لم يشهد العيد مع الإمام بالبصرة جمع أهله ومواليه، ثم قام عبد الله بن أبي عتبة مولاه فيصلى بهم ركعتين، يكبر فيهما^(١).

ونوقش هذا الاستدلال: بأن فعل أنس ليس قضاء بل أداء؛ لأن أنس لم يفته في المصر، بل كان ساكناً خارجاً من المصر بعيداً منه، فلقد كان يسكن خارجاً من البصرة على أميال منها، فهو في حكم أهل القرى، وقد أشار إلى ذلك الإمام أحمد في رواية عنه^(٢).

٣- ولأنه قضاء صلاة، فكان على صفتها، كسائر الصلوات^(٣).

ونوقش: بالفرق بين العيد وسائر الصلوات؛ فإن العيد صلاة شرع لها الاجتماع العام، ولها شرائط خاصة إن أدرك الاجتماع فيها بشروطها وإلا سقطت عنه^(٤).

أدلة القول الثاني:

١- قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "من فاته العيد فليصل أربعاً، ومن فاتته الجمعة فليصل أربعاً"^(٥). ونوقش من وجهين: أولهما: ضعف الأثر^(٦).

(١) سبق تخريجه ص (١٥).

(٢) ينظر: فتح الباري لابن رجب (١٦٩/٦).

(٣) ينظر: كشف القناع عن متن الإقناع (٤١٢/٣).

(٤) ينظر: شرح فتح القدير (٧٨/٢)، والمبسوط (٣٩/٢) والمجموع (٣٥/٥).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣٠٠/٣) في: باب من صلاها غير متوضى ومن فاته العیدان، من كتاب العیدین. واختلف المحدثون فيه، فضعفه ابن المنذر في الأوسط (٢٩٢/٤) لأن إسناده منقطع مطرف عن الشعبي عن ابن مسعود، ومطرف لم يسمع من الشعبي، ورواه ابن أبي شيبة من طريق حجاج عن مسروق، وإسناده ضعيف؛ لضعف الحجاج -وهو ابن أرتاة-، وقال ابن رجب في فتح الباري (١٧١/٦): "روي ذلك عن ابن مسعود من غير وجه، ولا عبرة بتضعيف ابن المنذر له، فإنه روي بأسانيد صحيحة". وذكر الحافظ في الفتح (٤٧٥/٢): رواه سعيد بإسناد صحيح.

(٦) الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف (٢٩٣/٤).

والثاني: أنه معارض بالعمومات في قضاء الصلاة، وبأثر أنس السابق^(١).
٢- أثر علي بن أبي طالب عليه السلام: أنه أمر رجلاً أن يصلي بضعة الناس في المسجد يوم فطر، أو يوم أضحى، وأمره أن يصلي أربعاً^(٢). ونوقش من وجهين: أولهما: ضعف الأثر^(٣).

الثاني: أن الصحيح عن علي أنه استخلف أبا مسعود الأنصاري ليصلي بضعة الناس في المسجد، وليس فيه ذكر الأربع^(٤).
٣- الصلاة بهذه الصفة ما عرفت قرينة إلا بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كالجمعة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعلها إلا بالجماعة كالجمعة، فلا يجوز أداؤها إلا بتلك الصفة، وإذا فاتت فليس لها حَلْفٌ؛ لأن وقتها بعد طلوع الشمس، وهذا ليس بوقت صلاة واجبة في سائر الأيام، بخلاف من فاتته الجمعة فإنه يصلي الظهر^(٥).

ونوقش: بأنه قياس مع الفارق؛ إذ الجمعة لها أحكام تخصها تختلف عن العيدين فلا يصح القياس عليها، ولأن الجمعة لا تقضى وإنما الواجب عليه أن يصلي فرض الوقت وهو الظهر^(٦).

(١) ينظر: حاشية البجيرمي على شرح المنهج (١/٢٨٣)، كشف القناع عن متن الإقناع (٣/٤١٢).
(٢) أخرج ابن أبي شيبة، في الصلاة، القوم يصلون في المسجد كم يصلون؟ (٢/١٨٤، ١٨٥)،
والبيهقي في صلاة العيدين، باب الإمام يأمر من يصلي بضعة الناس العيد في المسجد (٣/٣١٠، ٣١١)، واللفظ للبيهقي.

(٣) الفروع لابن مفلح (٣/٢٠٩).

(٤) قال النووي في المجموع (٥/٧) عن هذه الرواية: "رواه الشافعي بإسناد صحيح".

(٥) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (١/٢٧٩)، تبين الحقائق للزيلعي (١/٥٤٣).

(٦) ينظر: فتح الباري (٢/٤٧٤)، بداية المجتهد لابن رشد (١/٤١٩).

٤- أن صلاة العيد فرض كفاية، مشروعة على هيئة شرعية خاصة، وقد قام بها من حصلت الكفاية به، فلا يشرع قضاؤها لمن لم يشهدها مع الناس^(١).
٥- إن صلاة العيد قائمة مقام صلاة الضحى، فإذا عجز عن إقامة صلاة العيد لفوات الشروط، عاد الأمر إلى الأصل وهي صلاة الضحى، وصلاة الضحى غير واجبة في الأصل بل هي على التخيير^(٢).

أدلة القول الثالث:

حمل فعل علي في استخلافه لمن يصلي بالعجزة جماعة على أنهم معذورون فيشرع لهم القضاء كما تقضى الجمعة، وأما القادر على الخروج والصلاة مع الناس فإن فاتته فلا يشرع له القضاء؛ لأنها عبادة مشروعة على صفة خاصة -مثل الخطبة والجماعة والتكبيرات الزوائد- فلا يشرع قضاؤها لغير العاجز^(٣).
الترجيح: القول الأول بمشروعية القضاء؛ لقوة الأدلة.

(١) ينظر: بدائع الصنائع (١/ ٢٣٦).

(٢) ينظر: المحيط البرهاني لابن مازة (٢/ ١١٢)، العناية للبايرتي (٢/ ٧٩).

(٣) في مجموع الفتاوى (٢٤/ ١٨١): "فلو كانت صلاة العيد مشروعة هُنَّ في البيوت لأغنى ذلك عن توكيد خروجهن، وأيضاً لو كان ذلك جائزاً لفعله النساء على عهده كما كن يصلين التطوعات، فلما لم ينقل أحدٌ أن أحداً من النساء صلى العيد على عهده في البيت ولا من الرجال بل كن يخرجن بأمره إلى المصلى علم أن ذلك ليس من شرعه".

• تخرج حكم قضاء صلاة العيد في حال حظر التجول - في البلاد التي

تصلى فيها-:

إذا أردنا تنزيل الخلاف الفقهي السابق على حكم قضاء صلاة العيد على عموم الناس في البلاد التي تصلى فيها من قبل إمام المسلمين: يظهر أن الخلاف - كما سبق- على قولين^(١):

القول الأول: مشروعية قضاء صلاة العيد على صفتها. وهذا مذهب المالكية، والشافعية، والمعتمد عند الحنابلة.

ويظهر أن هذا اختيار ابن تيمية؛ لأنه قال بمشروعية القضاء للعدر؛ وحظر التجول عذر عام ظاهر.

القول الثاني: عدم مشروعية قضاء صلاة العيد على صفتها. وهذا مذهب الحنفية، وقول عند الحنابلة.

والراجع كما سبق: القول الأول؛ لقوة أدلتهم.

فعلى هذا يستحب لعموم أهل البلاد - التي يصلى فيها العيد-: قضاء صلاة العيد في بيوتهم؛ لعموم أدلة مشروعية القضاء، ولحصول العذر المانع من صلاتهم مع جماعة المسلمين.

(١) ينظر: حكم صلاة العيد في حالة الحظر الكلي د. مطلق الجاسر (١١).

وأما القسم الثاني فهي: بلاد لا يقيم فيها الإمام صلاة العيد:

- كما حصل في كثير من بلاد المسلمين في هذه الجائحة -

فهذه المسألة تعتبر من النوازل؛ لأن الفقهاء لم ينصوا على حكمها نصاً صريحاً^(١) - حسب ما تيسر لي تتبعه والوقوف عليه -، ولعلها لأول مرة تحصل في تاريخ المسلمين، فנסأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.

واختلف الفقهاء المعاصرون في تخريج حكم هذه النازلة الفقهية على أقرب

صورة لها، وخلافهم لا يخرج عن إحدى الصور التالية:

١ - صورة قضاء صلاة العيد الفائتة.

٢ - صورة صلاة أهل القرى الصغيرة.

٣ - حالة العذر العام لأهل البلد فيجب تأخير قضاء صلاة العيد إلى أن

يزول العذر.

٤ - صورة صلاة غير المخاطبين بالخروج أصالة، أو من لا تجب عليهم -

عند القائلين بوجوبها - كالنساء والمسافرين ونحوهم^(٢).

وهنا عرض لكل تخريج ووجهه وبناء كلام الفقهاء عليه ثم مناقشة هذا

الوجه.

(١) لعل من أقرب الصور لهذه النازلة: ما ذكره الشيخ منصور البهوتي في شرح منتهى الإرادات (١)

٣٢٤): " (فإن لم يعلم بالعيد إلا بعده) أي خروج الوقت (صلوا) العيد (من الغد قضاء) مطلقاً

لما روى أبو عمير بن أنس... (وكذا لو مضى أيام) ولم يعلموا بالعيد، أو لم يصلوا لفتنة ونحوها أو

أخروها بلا عذر" وكذا في كشف القناع (٣ / ٣٩٥).

(٢) ينظر: حكم صلاة العيد في حالة الحظر الكلي د. مطلق الجاسر (١١).

• التخريج الأول: إحقاق هذه النازلة بصورة قضاء صلاة العيد الفائتة:

ذهب إلى هذا التخريج جمهور العلماء المعاصرين^(١): وأنها تخرج على قضاء صلاة العيد - حتى وإن لم تصل في البلد - لما يلي:

١- أن أداء صلاة العيد لا يكون إلا على وفق هيئة شرعية خاصة كما صلاها النبي عليه الصلاة والسلام والمسلمون من بعده بشروطها المعلومة، فإن تعذر الأداء انتقلنا إلى القضاء^(٢).

٢- أن عامة أهل العلم - ممن يقول بمشروعية صلاة العيد في البيوت - أطلقوا على صلاة الرجل في بيته قضاء ولو كان فعله لها في وقتها قبل الزوال؛ لفوات وقت الأداء الشرعي مع الإمام^(٣).

ومن ألحق صلاة العيد في البيوت حال الحظر الكلي بالقضاء فإن تخريج المسألة كما مر في المسألة السابقة على ثلاثة أقوال، وأرجحها: مشروعية قضاء

(١) ومن ذهب إلى هذا التخريج: هيئة كبار علماء الأزهر، ودار الإفتاء في الأردن، ووزارة الأوقاف في الكويت، ولجنة الفتوى في الجزائر. وهو الذي يظهر من فتاوى كثير من العلماء ومنهم: مفتي عام المملكة العربية السعودية سماحة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ، والشيخ صالح الفوزان، والشيخ عبدالرحمن البراك، والشيخ عبدالكريم الخضير. [وفي ثبت المراجع روابط لهذه الفتاوى].

(٢) ينظر: بحث بعنوان: "قضاء صلاة العيد وحكم الصلاة في البيوت لو اقتضت المصلحة عدم إقامة صلاة العيد". أ.د أحمد الخليل.

(٣) ينظر: المرجع السابق.

صلاة العيد على صفتها جماعة، وسبق الاستدلال له. وبه قال: المالكية^(١)،
والشافعية^(٢)، ورواية عند الحنابلة^(٣).

وإلحاقها بصورة قضاء صلاة العيد الفائتة فيه نظر؛ لما يلي:

- ١- أن القضاء فرع عن الأداء، فإن لم يوجد الأداء فلا قضاء^(٤).
- ٢- أن القضاء فعل العبادة بعد وقتها الشرعي، وهنا قد صلاها في وقتها الشرعي، وقد تعذر صلاحها مع الإمام فاعتبرت أداء لا قضاء^(٥).
- ٣- أنه لا يصح قياس الأداء على القضاء؛ لأن من الفقهاء من فرّق في الأحكام بين أداء صلاة العيد وبين قضائها، كالحنابلة الذين اشترطوا لأداء صلاة العيد الاستيطان والعدد، بينما لم يشترطوا ذلك في القضاء فافترقا^(٦).

-
- (١) ينظر: المدونة (١/ ٢٤٦)، الكافي لابن عبد البر (١/ ٢٦٥)، مواهب الجليل (٢/ ٥٨٠).
 - (٢) ينظر: كتاب الأم (١/ ٢٧٤)، المجموع للنووي (٥/ ٢٦)، مغني المحتاج (١/ ٤٧٠)، نهاية المحتاج للرملي (٢/ ٤٠١).
 - (٣) ينظر: الإنصاف (٥/ ٣٦٤).
 - (٤) ينظر: تبين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي (١/ ١٦٩)، الشرح الكبير للشيخ الدردير وحاشية الدسوقي (١/ ١٦٢).
 - (٥) ينظر: روضة الناظر وجنة المناظر (١/ ١٨٦).
 - (٦) كما سبق في المبحث الثاني ص (٢١).

• التخريج الثاني: إلحاق هذه النازلة بأهل القرى الصغيرة:

ذهب بعض الباحثين المعاصرين إلى هذا التخريج^(١)، ووجهه: أن حال الناس في حظر التجول بسبب جائحة كورونا أقرب ما يكون إلى القرى الصغيرة والتي تتكون من البيت الواحد والبيتين والثلاثة ونحو ذلك، والناس في حظر التجول كذلك فهم بعيدون عن اجتماع الناس في المصر حكماً وإن كانت بيوتهم داخل لمصر حقيقة، فحظر التجول جعل كل بيت يأخذ حكم القرية الصغيرة^(٢).
وتخريج هذه النازلة على أهل القرى الصغيرة مع أنه محتمل على اعتبار أن البيوت الآن في ظل الحظر الكلي أصبحت في حكم المنفصلة عن بعضها؛ لكنه احتمال بعيد لا يخلو من تكلف.

وعلى من رأى تخريجها على أهل القرى الصغيرة، فقد اختلف الفقهاء في حكم صلاة العيد على أهل القرى الصغيرة حسب المذاهب الأربعة كما يلي:
مذهب الحنفية:

لا يجيزون صلاة العيد في القرى؛ لأنهم يشترطون شروط الجمعة في صلاة العيد، وذلك بأن تكون الجمعة في مصر جامع، وضابطه: أن يكون الموضع له أمير وقاض ينفذ الأحكام، ولا يجوز إقامتها إلا من السلطان أو من أمره السلطان^(٣).

(١) ذهب إليه الباحث عبدالرحمن بن محمد السهلي كما في بحثه صلاة العيد في البيوت حال حظر التجول (٥).

(٢) ينظر: صلاة العيد في البيوت حال حظر التجول للسهلي (٥) [رابطه في ثبوت المراجع].

(٣) ينظر: بدائع الصنائع (١/ ٢٣٦).

وبناء عليه: فإن تخريج هذه النازلة على مذهب الحنفية: ألا تصلى صلاة العيد مطلقاً في البيوت حال حظر التجول؛ لأن البيوت لا تعتبر مصراً جامعاً. مذهب المالكية:

محل خلاف عندهم بين أن تصلى جماعة أو فرادى، بلا خطبة على الوجهين، والمعتمد عندهم: أنها لا تصلى جماعة، وإنما فرادى^(١). وعليه فالتخريج على مذهب المالكية -على المعتمد عندهم-: أن تصلى في البيوت فرادى ركعتين بتكبيراتها بلا خطبة.

مذهب الشافعية:

يستحبون صلاة العيد لكل أحد جماعة أو فرادى^(٢). وبناء عليه فمذهب الشافعية: أن صلاة العيد تصلى في البيوت جماعة ويخطب واحد منهم.

(١) ينظر: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (١/٦٣٦)، وقال في مواهب الجليل (٢/٥٨١): "فالحاصل أن المراد بقول المصنف [خليل]: إقامة من لم يؤمر بها أو فاتته أنه يستحب له أن يصلّيها وهل في جماعة أو أفذاذا؟ قولان، والأصح أنه لا يجوز لهم جمعها، قال في الشامل: وإقامتها لمن فاتته ولمن لا تلزمه فذاً".

(٢) ينظر: الأم للإمام الشافعي (٢/٥١٨)، الحاوي للماوردي (٢/٤٨٣)، مغني المحتاج (١/٤٦٢)، قال ابن حجر الهيتمي -رحمته الله- كما في تحفة المحتاج في شرح المنهاج (٣/٤٠): "(و) تسن للمنفرد) ولا خطبة له (والعبد والمرأة)، (والمسافر) كسائر النوافل، ويسن لإمام المسافرين أن يخطبهم".

مذهب الحنابلة:

محل خلاف عندهم، بناء على اختلافهم في اشتراط الاستيطان والعدد، والمعتمد في المذهب الحنبلي: أن صلاة العيد لا تقام إلا حيث تقام الجمعة، فإن كانوا جماعة مستوطنين وبلغ عددهم أربعين ممن تحب عليهم الجمعة والعيد وهم ذكور مكلفون أقاموا صلاة العيد وإلا فلا^(١).

وتخرج هذه النازلة على رأي فقهاء الحنابلة مشكل متردد بين أكثر من وجه، ولكن الذي يظهر أن تخرجها على المعتمد من قولهم: إنه يسقط فرضها على البلد، وتكون سنة مؤكدة على الناس في بيوتهم؛ إذ إن الاستيطان والعدد عندهم شرط وجوب لا صحة - واعتبروها من باب القضاء لا الأداء -.

قال ابن قدامة: "ويشترط الاستيطان لوجوبها، وكذلك العدد المشترط للجمعة، ... ولا يشترط شيء من ذلك لصحتها؛ لأنها تصح من الواحد في القضاء"^(٢).

لكن يشكل عليه قول البهوتي - رحمته الله -: " (و) يشترط (لصحتها) أي صلاة العيد (استيطان) أربعين (وعدد الجمعة) لما تقدم قال ابن عقيل: إذا قلنا من شرطها العدد وكانت قرية إلى جانب قرية، أو مصر تصلى فيه العيد لزمهم السعي إلى العيد سواء كانوا يسمعون النداء أم لا لأن الجمعة إنما لم يلزم إتيانها مع عدم السماع لتكررها بخلاف العيد فإنه لا يتكرر فلا يشق إتيانه...، و(لا) يشترط لها (إذن إمام) كالجمعة (فلا تقام) العيد (إلا حيث تقام) الجمعة، لما تقدم (ويفعلها المسافر والعبد والمرأة والمنفرد تبعاً) لأهل وجوبها (لكن يستحب أن يقضيها من فاتته) مع الإمام (كما يأتي) موضعاً"^(٣).

(١) ينظر: الإنصاف (٥/ ٣٣٣)، كشف القناع عن متن الإقناع (٣/ ٤٠١).

(٢) المغني (٥/ ٢٨٧).

(٣) كشف القناع عن متن الإقناع (٣/ ٤٠١).

فمفهومه: أنها لا تصح من المسافرين ونحوه استقلالاً، ومن ذلك أهل البيوت والقرى الصغيرة.

ويقوي هذا ما ذكره في الجمعة: قال البهوتي -رحمته الله-: " (ولو تفرق) بناء البلد بما جرت به العادة (وشمله) أي البناء (اسم واحد) لأنه بلد واحد وإن تفرق بما لم تجر به العادة لم تصح فيها"^(١).

فحال حظر التجول إذا لم يصل أحد صلاة العيد في البلد، ربما يصدق عليهم أنهم تفرقوا تفرقاً حكماً حتى صاروا كالمنازل التي تفرقت حسيماً في القرية فلا يصلون الجمعة ولا العيد.

وعلى هذا فالذي يظهر أن تخريجها على مذهب الحنابلة: أنها لا تصلى في البيوت -على هذا الوجه-؛ لأنهم غير مأمورين بالأداء؛ لعدم وجود جماعة يؤمرون بالأداء معها فلا تشرع لهم صلاة العيد في بيوتهم، إلا على صورة القضاء^(٢).

وأما على الرواية الأخرى عندهم: وهي عدم اشتراط الاستيطان والعدد، فتصلى في البيوت، ويصليها المنفرد والمسافر^(٣).

(١) شرح منتهى الإرادات للبهوتي (١/ ٣١٠).

(٢) وهذا القول اختاره الشيخ عبدالله بن خنين عضو هيئة كبار العلماء كما في إجابته لسؤال عبر إذاعة القرآن الكريم، منشور عبر الشبكة العالمية <https://www.youtube.com/watch?v=OssXUy2BvJg> وينظر: صلاة العيد

في البيوت حال حظر التجول للسهلي ص (٥).

(٣) قال ابن مفلح في الفروع (٣/ ٢٠٠): "وإذا لم نعتبر العدد كفى استيطان أهل البادية". وينظر: الإنصاف (٥/ ٣٣٤).

• التخريج الثالث: إلحاقها بحالة العذر العام لأهل البلد فيجب تأخير قضاء صلاة العيد إلى أن يزول العذر.

وذهب إلى هذا التخريج بعض الباحثين المعاصرين^(١).

ولا يظهر هذا التخريج إلا على قول فقهاء الحنابلة، حيث إنهم يقولون بأن صلاة العيد في كل بلد فرض كفاية، فإذا لم تصل - الصلاة التي يسقط بها الفرض - حتى زالت الشمس من يوم العيد، أنها تقضى في اليوم التالي على صفتها وبشروطها، سواء كان ترك الصلاة بعذر، أو بغير عذر، بل لو مضى على يوم العيد أيام فإنها تقضى على صفتها وبشروطها.

قال البهوتي رحمته الله: "ولأن العيد شرع له الاجتماع العام وله وظائف دينية ودينية، وآخر النهار: مظنة الضيق عن ذلك غالبا وأما من فاتته مع الإمام فيصلها متى شاء؛ لأنها نافلة لا اجتماع فيها (وكذا لو مضى أيام) ولم يعلموا بالعيد، أو لم يصلوا لفتنة ونحوها أو أخروها بلا عذر"^(٢). وقال الخلوئي: "فإن عمهم العذر المقتضي للتأخير أخروا، وقضوا"^(٣).

فخرج بعض الفقهاء المعاصرين هذه النازلة على قول الحنابلة في وجوب تأخير القضاء للعذر العام، إلى أن يزول العذر، فعلى هذا القول: لا يسقط الفرض بصلاتها في البيوت، وتصلى في أول يوم بعد فك الحظر بهيئتها وشروطها المعتبرة^(٤).

(١) ومن ذهب إلى ذلك: عبدالله بن أحمد آل سحيم الغامدي في بحث له بعنوان تحرير (مذهب الحنابلة في حكم صلاة العيد في ظل جائحة كورونا). [له رابط في ثبوت المراجع]

(٢) شرح منتهى الإرادات للبهوتي (١/ ٣٢٤).

(٣) حاشية الخلوئي على منتهى الإرادات (١/ ٥٠٢).

(٤) بحث: تحرير مذهب الحنابلة في حكم صلاة العيد في ظل جائحة كورونا، عبدالله آل سحيم الغامدي.

وقد سبق في حكم صلاة العيدين ذكر أدلة هذا القول، ومناقشتها، مما يعني عن إعادتها هنا^(١).

● التخريج الرابع: إلحاق هذه النازلة بصلاة غير المخاطبين بالخروج لها أصالة أو من لا تجب عليهم -عند القائلين بوجوبها-، كالنساء والمسافرين ونحوهم.

ذهب إلى هذا التخريج بعض الفقهاء المعاصرين^(٢).

ووجهه: تشابه الصورتين في أن كليهما أداء لا قضاء، وأن المسلم في كلا الصورتين غير مخاطب بالخروج لصلاة العيد لعذره^(٣). وهذا لعله أقرب تخريج لهذه النازلة.

وبناء على ذلك فيكون حكم صلاة العيد في البيوت على صفتها المعروفة على قولين:

القول الأول: تشرع صلاة العيد في البيوت على صفتها المعروفة.

(١) سبق في المبحث الأول ص (١٧).

(٢) ممن ذهب إلى هذا التخريج د. مطلق الجاسر في بحثه: حكم صلاة العيد في الحظر الكلي (١٧) وكذلك أ.د/عبدالله بن عمر السحيباني في بحثه: العيد في البيوت أحكام وآداب. [لكل منهما رابط في ثبت المراجع]

(٣) ينظر: حكم صلاة العيد في الحظر الكلي د. مطلق الجاسر (١٧) العيد في البيوت أحكام وآداب أ.د عبدالله بن عمر السحيباني.

وإليه ذهب المالكية^(١)، والشافعية^(٢)، ورواية عند الحنابلة^(٣).
القول الثاني: لا تشرع صلاتها في البيوت على صفتها المعروفة.
وإليه ذهب الحنفية^(٤)، والحنابلة في المعتمد عندهم^(٥).

أدلة الأقوال:

أدلة القول الأول:

أولاً: أن صلاة العيد تضافرت أدلة الشريعة بالأمر بها، ومن أظهرها:
حديث أم عطية رضي الله عنها: (أَمَرَ النَّسَاءُ أَنْ يُخْرَجْنَ لِصَلَاةِ الْعِيدِ حَتَّى أَمَرَ الْحَيَّضُ
وَذَوَاتِ الْخُدُورِ أَنْ يُخْرَجْنَ يَشْهَدْنَ الْخَيْرَ وَدَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ)^(٦)، فهذا أمر مؤكد،
وقد جاءت الشريعة بأن الأوامر معلقة بقدره العبد واستطاعته فقال تعالى:
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(٧) وثبت في حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إذا

(١) ينظر: مواهب الجليل (٢/٥٨٠)، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (١/٦٣٦)، وأشار الزرقاني
المالكية في شرحه على مختصر خليل (٢/١٣٦): إلى استحباب إقامة صلاة العيدين لأهل
السجون؛ لعذرهم.

(٢) ينظر: الأم للإمام الشافعي (٢/٥١٨)، الحاوي للماوردي (٢/٤٨٣)، مغني المحتاج (١/٤٦٢).

(٣) ينظر: الفروع (٣/٢٠٠)، الإنصاف (٥/٣٣٤).

(٤) ينظر: بدائع الصنائع (١/٢٣٦).

(٥) ينظر: الفروع (٣/٢٠٠)، الإنصاف (٥/٣٣٤)، كشاف القناع (٣/٤٠١).

(٦) سبق تخريجه ص (١٠).

(٧) [سورة التغابن: ١٦].

أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم^(١)، وقد تقرر في أصول الشريعة أن الواجب أو الشرط في العبادة يسقط بالعجز عنه، والجماعة لصلاة العيد شرط عند كثير من العلماء فمنهم من شرط لها أربعين، ومنهم من شرط لها ثلاثة، واجتماع الأربعين -على القول باشتراطه- متعذر في حال حظر التجول، بل قد يكون الثلاثة متعذراً، فيسقط هذا الشرط؛ لعدم القدرة عليه، ويبقى أصل مشروعية صلاة العيدين ولا يسقط؛ لأن من القواعد الشرعية أن: "الميسور لا يسقط بالمعسور" وأن "المقدور عليه لا يسقط بسقوط المعجوز عنه"^(٢)، فالمأمور به إذا لم يتيسر فعله على الوجه الأكمل الذي أمر به الشارع لعدم القدرة عليه فيجب على المكلف فعل المتيسر مما يقدر عليه، ولا يترك الكل بسبب ترك الذي يعجز عنه أو يشق فعله، وهذا أمر متفق عليه بين علماء الشريعة -في الجملة-، فالعبادات لا تسقط بالعجز عن بعض شروطها، ولا عن بعض أركانها^(٣)، ومن تأمل كيف أن الله سبحانه أسقط عن المكلفين في حال الخوف -أي خوف- بعض أركان الصلاة وشروطها وأوجب عليهم الإتيان بما يقدرون عليه منها في وقتها، فقال: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ ^(٢٣) فَإِنْ خِفْتُمْ فِرْجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم

(١) أخرجه البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ح(٦٨٥٨).

(٢) ينظر: المنشور في القواعد الفقهية للزركشي (١/ ٢٢٧)، الأشباه والنظائر للسيوطي (١٣٩).

(٣) أشار إلى هذا ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٤/ ١٨٥) في كلامه عن العاجز عن صلاة العيد كالمحبوس والمريض.

مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾^(١)، وهذا يدل على أن الصلاة في الوقت مع الإخلال بكثير من الأركان والشروط أحسن وأفضل من صلاحها مطمئناً خارج الوقت، والمسلمون في حال خوف من انتشار هذا الوباء فمنعوا من الاختلاط والاجتماع بالناس.

ثانياً: أنه قد جاء عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم أن صلاة العيد تصح من غير الإمام في حال العذر، وأشهرها وأصحها وأظهرها في حالنا: فعل أنس رضي الله عنه، أنه كان إذا لم يشهد العيد مع الإمام بالبصرة جمع أهله ومواليه، ثم قام عبد الله بن أبي عتبة مولاه فيصلى بهم ركعتين، يكبر فيهما^(٢)، والظاهر من حاله أنه بعيد عنه، ويشق عليه الحضور، فمكان إقامته في (الزاوية) وهي تبعد بنحو (١١) كلم تقريباً عن مدينة البصرة، ففعل أنس يدل بوضوح على مشروعية صلاة العيد للجماعة القليلة إذا كانوا في محل لا تقام فيه صلاة العيد، وحال المسلمين في لزوم بيوتهم بسبب حظر التجول تشبه حال أنس رضي الله عنه^(٣).

ثالثاً: إن صلاة العيد أمرنا بها دون شرط عدد أو موضع؛ شكراً لله في يوم العيد، وتعظيماً لشعائره، فتصلى كما أمرنا بها على صفتها التي صلاحها رسول الله صلوات الله عليه^(٤).

(١) [سورة البقرة: ٢٣٨-٢٣٩].

(٢) سبق تخريجه ص (١٥).

(٣) ينظر: حكم صلاة العيد في الحظر الكلي د. مطلق الجاسر (١٧) العيد في البيوت أحكام وآداب.

للباحث أ. د. عبد الله بن عمر السحيباني (٧).

(٤) ينظر: إحكام الأحكام لابن دقيق العيد (١/٣٤٢).

أدلة القول الثاني:

١- إن النبي ﷺ ثم الأئمة - عليهم السلام - بعده حضروا منى فلم يروا أن أحدا منهم صلى العيد، فدل على أن حكمها حكم الجمعة في سقوطها عن المسافر والعبد والمرأة والمنفرد^(١).

ونوقش: بأن هذا دليل على عدم تأكيدها عليهم، لا على عدم مشروعيتها منهم، وأما تركه ﷺ ذلك بمنى فلاشتغاله بأعمال الحج لا لكونه مسافرا^(٢).

٢- الصلاة بهذه الصفة ما عرفت قرينة إلا بفعل رسول الله ﷺ كالجمعة، ورسول الله ﷺ ما فعلها إلا بالجماعة كالجمعة، فلا يجوز أداؤها إلا بتلك الصفة^(٣).

ونوقش: بأنه قياس مع الفارق؛ إذ الجمعة لها أحكام تخصها تختلف عن العيدين فلا تقاس عليها، ولأن الجمعة لا تقضى وإنما الواجب عليه أن يصلي فرض الوقت وهو الظهر^(٤).

٣- أن صلاة العيد مشروعة على هيئة شرعية خاصة، ويشترط لها ما يشترط للجمعة: الجماعة، والاستيطان، ويزيد الحنفية في صلاة العيد: إذن الإمام^(٥).

(١) ينظر: الحاوي للماوردي (٤٨٣/٢).

(٢) ينظر: الحاوي الكبير (٤٨٣/٢).

(٣) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (١/٢٧٩)، تبين الحقائق للزيلعي (١/٥٤٣).

(٤) ينظر: فتح الباري (٢/٤٧٤)، بداية المجتهد لابن رشد (١/٤١٩).

(٥) ينظر: بدائع الصنائع (١/٢٣٦).

وأما عند الحنابلة في المعتمد: فلا يشترطون إذن الإمام، وإنما يشترطون لصحة أدائها العدد وهو أربعون رجلاً من أهل وجوب الجمعة، فإن وجدوا صحت صلاة العيد^(١).

وتناقش أدلة القول الثاني من أوجه:

(١) أن صلاة العيد أصل في نفسها، وليست كصلاة الجمعة تسقط لعدم الاجتماع -على القول الراجح من قولي أهل العلم-، وذلك: لأن الجمعة تسقط لبدل وهو صلاة الظهر، أما العيد فليس لها بدل، ثم إن صلاة الجمعة لها خطبة واجبة، ليس كذلك في صلاة العيد، فخطبتها ليست واجبة بالإجماع، ولذا فلا يصح قياس العيد على الجمعة، بل صلاة العيد أصل في نفسها تصلى في وقتها وعلى صفتها المشروعة -بحسب الاستطاعة-^(٢).

(٢) أن الاجتماع العام صلاة العيد لم يأت باشتراطه دليل صريح، وأقوى ما استدل به قياسه على الجمعة، وهو قياس شبهه، وقياس الشبه يقوى ويضعف بحسب المشبه به، وهنا الشبه بين الجمعة والعيد لا يخلو من ضعف؛ للفروق الكثيرة بين الجمعة والعيد، وأهم فرق بينهما: هو السبب، فسبب صلاة الجمعة ذات اليوم الذي من أخص خصائصه الاجتماع، بخلاف العيد الذي هو شكر لله على نعمه، فالعيد كله وما فيه من عبادات تبع للصيام أو عبوديات العشر -في عيد الأضحى-، وهذه العبوديات متعلقة بذات المكلف، بخلاف الجمعة فكل ما فيها من عبادات ناشئة عن أصل اليوم ومضافة إليه، وإذا تباينت

(١) ينظر: المغني (٢٨٧/٥)، الإنصاف (٣٣٣/٥).

(٢) ينظر: فتح الباري (٢/٤٧٤)، بداية المجتهد لابن رشد (٤١٩/١).

الأسباب، ضعف الشبه، وتقاصر الإلحاق، وبقي العام على عمومته، ولم يخص بالقياس^(١).

٣) الأقرب في النظر - إن احتيج للقياس - : قياس صلاة العيد على سائر الصلوات، خاصة عند من يرى وجوب الجماعة للفريضة، ووجوب صلاة العيد، فمن عجز عن صلاة الفريضة مع الجماعة في المسجد صلاها في بيته منفرداً أو في جماعة إن تيسر له، وتكون صلاتهم في بيوتهم أداء لا قضاء^(٢).

والراجح: القول الأول وهو مشروعية صلاتها في البيوت، وهذا القول هو الذي تعضده الأدلة العامة، والمقاصد الشرعية، وهو الجاري على غالب أصول الأئمة ومذاهبهم المختلفة، وهذا الذي ذهب إليه عامة أهل العلم في هذا العصر من هيئات الفتوى في كثير من بلاد العالم الإسلامي^(٣)، وعليه فتوى كبار العلماء في البلاد الإسلامية^(٤).

-
- (١) ينظر: بحث: صلاة العيد في البيت د. سليمان النجران. [له رابط في ثبث المراجع]
- (٢) ينظر: حكم صلاة العيد في الحظر الكلي د. مطلق الجاسر (١٧) العيد في البيوت أحكام وآداب. للباحث أ.د. عبدالله بن عمر السحيباني (٧)، بحث: صلاة العيد في البيت د. سليمان النجران.
- (٣) ممن ذهب إلى هذا القول: هيئة كبار علماء الأزهر، ودار الإفتاء في الأردن، ووزارة الأوقاف في الكويت، ولجنة الفتوى في الجزائر [في ثبث المراجع روابط لهذه الفتاوى].
- (٤) ممن اختاره من العلماء والفقهاء المعاصرين: مفتي عام المملكة العربية السعودية سماحة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ، والشيخ صالح الفوزان، والشيخ عبدالرحمن البراك، والشيخ عبدالكريم الحضير، والشيخ عبدالعزيز الراجحي، والشيخ عبدالمحسن الزامل، والشيخ سليمان الماجد، وأ.د. سعد الخثلان وغيرهم، [في ثبث المراجع روابط لبعض هذه الفتاوى].

وبناء على هذا: فإن الأكمل أن تصلى صلاة العيد في ظل حظر التجول في البيوت في وقتها، جماعة لا فرادى متى ما أمكن؛ لأنه إذا تعسر الاجتماع العام أو العدد الكثير، فالجماعة القليلة متيسرة، فلا يترك الميسور بالمعسور على الأصل في مشروعية الجماعة^(١).

ويتقوى هذا القول من أوجه متعددة منها:

أولاً: أن الصلاة في البيوت - حال حظر التجول - هو بمثابة تعدد الجماعات للحاجة والعذر^(٢).

ثانياً: أن أكثر المذاهب الفقهية تنص على مشروعية قضاء صلاة العيد لمن فاتته بسبب عذر كالمرض، أو بلا عذر كالمرأة في بيتها، وإذا كان القضاء مشروعاً لمن لم يصل صلاة العيد مع الإمام عند الأكثر، فمن باب أولى أن تكون صلاة العيد مشروعة لمن لم تقم الصلاة في بلده أصلاً، فإذا كانت الفاتئة تصلى في البيت، فإن صلاتها أداء في البيت للحاجة - كما هو الحال في واقعة كورونا - فإنها أولى بالمشروعية وأظهر من القول بمشروعية قضاء صلاة العيد لمن لم يصلها مع الإمام.

(١) ينظر: حكم صلاة العيد في الحظر الكلي د. مطلق الجاسر (١٧) العيد في البيوت أحكام وآداب. للباحث أ.د. عبدالله بن عمر السحيباني (٥).

(٢) قال الجويني الشافعي كما في نهاية المطلب (٦٢٢/٢): "ولو فرضت جماعات متفرقة: صحت الصلوات، ولكن الإمام يمنع من هذا من غير حاجة حتى تجتمع الجماعات على صعيد واحد". فمفهومه جوازه عن الحاجة والعذر.

ثالثاً: أن الأخذ بالقول الثاني بعدم مشروعية صلاة العيد في البيوت مآله إلى تعطيل صلاة العيد في كثير من بلاد المسلمين، والتي هي من أعظم شعائر الإسلام التي تظهر في يوم العيد^(١).

رابعاً: الذي يتتبع نصوص الشريعة وكلام أهل العلم يظهر له بجلاء أن أعظم مقصدين لصلاة العيدين هما:

١. إظهار شعائر الإسلام.

٢. شكر الله على نعمة العبادة وتمامها.

(١) وقد لحظ الفقهاء عدم تعطيل الشعائر، لذلك نص فقهاء الحنابلة على إقامة الجمعة في قرية مسكونة بأقل من أربعين إذا كان يخشى من تركها مفسدة ظن عدم وجوبها بالعدد الكثير؛ حفاظاً على هيئة شعيرة صلاة الجمعة في النفوس. قال البهوتي في شرح منتهى الإرادات (٥٨/٢): "(ولو لم يرها) أي: الجمعة: أي وجوبها (قوم بوطن مسكون)؛ لنقصهم عن الأربعين مثلاً: (فللمحتسب أمرهم برأيه) أي: اعتقاده (بها)؛ لئلا يظن الصغير: أنها تسقط مع زيادة العدد". فإن قيل: في وباء كورونا قد عطلت صلاة الجمعة، وهي فرض بالإجماع، فما المانع أن تعطل صلاة العيد مثلها؟ فالجواب من أوجه:

١- أن صلاة الجمعة لا تصح في البيت لأقل من أربعين رجلاً في قول جمهور العلماء، بخلاف صلاة العيد التي ذهب إلى صحتها في البيوت جمهور العلماء.

٢- أن صلاة الجمعة يصلح بدلها صلاة الظهر وهي فرض الوقت باتفاق، وأما صلاة العيد فلا بدل لها.

٣- وأشار ابن تيمية مجموع الفتاوى (١٨٢ / ٢٤) إلى وجه لطيف: "وكل من العيدين إنما يكون في العام مرة والجمعة تتكرر في العام خمسين جمعة وأكثر فلم يكن تفويت بعض الجمع كتفويت العيد".

وينظر: حكم صلاة العيد في الحظر الكلي د. مطلق الجاسر (١٧).

ففي عيد الفطر إتمام نعمة التعبد بالصيام والقيام في شهر رمضان، وفي عيد الأضحى على نعمة الله في المناسك وأعمال العشر وما فيها من شعائر، فإذا سقط أحد المقصدين لعذر، بقي المقصد الآخر، فسقوط الشعار والاجتماع العام، لا يقضي على المقصد الآخر وهو الشكر لله سبحانه، فتبقى صلاة العيد متجهة إلى كل فرد بالتأكيد، لا الوجوب، ولا تلازم بين المقصدين، ولا اشتراط أحدهما للآخر، فالمقصد الثاني يتداخل مع المقصد الأول إذا أقيم، ولكن متى تعذر المقصد الأول ثبت وبقي المقصد الآخر، ومقصد الشكر هو المقصد الأصلي لصلاة العيد - كما ذهب إليه جمهور أهل العلم-، وإظهار الشعار مقصد تبعي، ولا يسقط الأصلي بسقوط التبعي؛ لذلك ذهب جمهور العلماء إلى أن صلاة العيد متجهة للفرد بذاته، ويرون أن الاجتماع مكمل ليس بأصل فيها^(١).

وبيينه: أن صلاة عيد الفطر جعلت خاتمة للصيام، وهي شعار العيد وعمله الأظهر، فلا ينبغي أن تسقط ويمر العيد بلا صلاة، وهي صلاة يكبر الله فيها كثيراً ويشكر كثيراً على ما من به من نعمة الصيام والقيام، وقد رغبتنا ربنا بذكره وتكبيره والثناء عليه عقب أداء الفرائض، وهذا ظاهر في الصلاة والحج والصيام، فقد قال سبحانه في آخر آية الصيام: ﴿لَمَّا مَلَأَتْهُمُ الْحَقِيرَةُ﴾^(٢)، فصلاة العيد

(١) تم تقرير هذا في تمهيد من هذا البحث ص(٩-١٠)، وينظر: إحكام الأحكام لابن دقيق العيد (٣٤٢/١)، المغني (٢٥٤/٥)، كشاف القناع (٣/٣٩٤)، وفي المراجع المعاصرة: بحث: صلاة العيد في البيت د. سليمان النجران.

(٢) [سورة البقرة: ١٨٥].

صلاة تكبير وتعظيم وشكر لله على ما أنعم به من تمام صوم رمضان وقيامه،
فينبغي إيقاعها في وقتها ما أمكن، واستحضار ما فيها من الخير والبركة، وما
فيها من تكبير الله وشكره وتعظيمه^(١).

وأما سائر السنن المتعلقة بالعيد من التكبير والتجمل والاعتسال، وأكل
رطبات قبل صلاة عيد الفطر، ولبس أجمل ثيابه، وإظهار الفرح والسرور
والتهاني، فهي مشروعة على الأصل دون تغيير؛ لأن زينة العيد مناة باليوم،
لا بالاجتماع العام، فالزينة من علامات الشكر لله سبحانه والفرح في هذا اليوم
العظيم^(٢).

-
- (١) ينظر: حكم صلاة العيد في الحظر الكلي د. مطلق الجاسر (١٧)، العيد في البيوت أحكام
وآداب. للباحث أ.د/عبدالله السحيباني.
- (٢) ينظر: حكم صلاة العيد في الحظر الكلي د. مطلق الجاسر (١٧) العيد في البيوت أحكام وآداب.
للباحث أ.د عبدالله بن عمر السحيباني (٧)، بحث: صلاة العيد في البيت د. سليمان النجران.

المطلب الثاني: صفة صلاة العيدين في البيوت زمن وباء كورونا:

إن المتتبع لمذاهب الفقهاء القائلين بمشروعية صلاة العيد في البيوت -سواء أكان سيصليها أداءً أو قضاءً-^(١)، يظهر له أنه مع اتفاقهم على مشروعيتها في البيوت إلا إنهم اختلفوا في صفة صلاتها في البيوت، وكان اختلافهم في ثلاث مسائل:

أولها: عدد الركعات، والتكبيرات الزوائد. المسألة الثانية: مشروعية الجماعة، والجهر بالقراءة.

المسألة الثالثة: مشروعية خطبة العيد في البيوت.

● المسألة الأولى: عدد الركعات، ومشروعية التكبيرات الزوائد:

فقد اختلفوا على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن تصلى صلاة العيد في البيوت ركعتين بتكبيرات زوائد^(٢).

(١) يكون القضاء إذا صليت من قبل إمام البلد كما في مكة والمدينة، وأما الأداء فإذا لم تصل في البلد مطلقاً لنحو الحظر الكلي زمن كورونا.

(٢) حكم التكبيرات الزوائد في صلاة العيد: قال ابن قدامة في المغني (٢٧٥/٥): "سنة وليس بواجب، ولا تبطل الصلاة بتركه عمداً ولا سهواً، ولا أعلم فيه خلافاً"، وأما عددها فقد كثر الخلاف بين أهل العلم في عدد التكبيرات: وأرجحها قول المالكية والشافعية والحنابلة: أنه يُكَبَّرُ في الأولى سبعاً دون تكبيرة الركوع، وفي الثانية خمساً دون تكبيرة النهوض. وجاء فيه حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي -ﷺ- كبر ثنتي عشرة تكبيرة: سبعاً في الأولى، وخمساً في الأخرى. رواه أبو داود وحسنه النووي. ينظر: المجموع للنووي (١٧/٥)، كشف القناع (٤٠٤/٣).

وهو مذهب المالكية^(١)، والشافعية^(٢)، وهو المعتمد عند الحنابلة^(٣).
القول الثاني: أن تصلى صلاة العيد في البيوت أربع ركعات بلا تكبيرات
زوائد.

وإليه ذهب: الحنابلة في رواية^(٤).

وقالوا: هو مخير إن شاء صلاها أربعاً، إما سرداً بسلام واحد وإما مثني مثني
يفصل بينها بتسليم.

القول الثالث: أن من صلى صلاة العيد في البيت مخيراً: إن شاء ركعتين،
وإن شاء أربعاً^(٥).

(١) ينظر: مواهب الجليل (٢/٥٨٠)، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (١/٦٣٦)، قال الإمام
مالك في "الموطأ" عن تفوته صلاة العيد مع الإمام: "إن صلى في المصلى أو في بيته لم أر بذلك
أساساً ويكبر سبعا في الأولى قبل القراءة وخمسا في الثانية قبل القراءة" المنتقى شرح الموطأ (١/
٣١٩).

(٢) ينظر: الأم للإمام الشافعي (٢/٥١٩)، تحفة المحتاج في شرح المنهاج وحواشي الشرواني والعبادي
(٣/٤٠).

(٣) يظهر قولهم هذا في القضاء دون الأداء، ينظر: الإنصاف (٥/٣٦٤)، كشاف القناع للبهوتي
(٣/٤١٢).

(٤) وذكروا وجهين في صلاة الأربع: إما أن تكون سرداً بسلام، أو بسلامين. ينظر: الإنصاف
(٥/٣٦٤)، واختارها ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٢٤/١٨٢) "وأما من كان يوم
العيد مريضاً أو محبوساً وعادته يصلي العيد فهذا لا يمكنه الخروج فهؤلاء بمنزلة الذين استخلف
علي من يصلي بهم فيصلون جماعة وفرادى ويصلون أربعاً كما يصلون يوم الجمعة بلا تكبير ولا
جهر بالقراءة ولا أذان وإقامة لأن العيد ليس له أذان وإقامة فلا يكون في المبدل عنه".

(٥) وفي قول عند الشافعية: إن صلاها في جماعة أخرى فركتين وإلا فأربعاً. المجموع للنووي (٥/٢٦).

وهو رواية عند الحنابلة^(١). وهذا التخيير مطلقٌ، وعن أحمد رواية أخرى: أن التخيير بناء على صفة قضائه: فإن صلى من فاته العيد جماعة صلى كصلاة الإمام ركعتين، وإن صلى وحده صلى أربعاً.

أدلة الأقوال:

أدلة القول الأول:

- ١- أثر عمر رضي الله عنه أنه قال: "صلاة الأضحى ركعتان، والفطر ركعتان، والجمعة ركعتان، والمسافر ركعتان تمام غير قصر على لسان النبي صلى الله عليه وسلم"^(٢).
- ٢- ما ثبت عن أنس، أنه كان إذا لم يشهد العيد مع الإمام بالبصرة جمع أهله ومواليه، ثم قام عبد الله بن أبي عتبة مولاه فيصلى بهم ركعتين، يكبر فيهما^(٣). وقد اختلف في توجيه فعل أنس رضي الله عنه هل هو أداء أو قضاء؟ على وجهين: الأول: أن فعل أنس كان أداء وليس قضاء؛ لأن أنس لم يفته في المصر، بل كان ساكناً خارجاً من المصر بعيداً منه، فلقد كان يسكن خارجاً من البصرة على أميال منها، فهو في حكم أهل القرى، وقد أشار إلى ذلك الإمام أحمد في رواية عنه^(٤).

(١) ينظر: العدة شرح العمدة (ص: ١٢٣)، الإنصاف (٣٦٤/٥).

(٢) أخرجه النسائي (١٤٤٠)، وابن ماجه (١٠٦٤)، وأحمد (٢٥٧) وحسنه النووي في المجموع (١٦/٥)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١٠٥/٣).

(٣) سبق تخريجه ص (١٥).

(٤) جاء عن أبي يعلى رضي الله عنه كما في التعليق الكبير (٩٨/٤): "يحتمل أن يكون أنس صلى صلاة العيد أداء في وقتها". وينظر: فتح الباري لابن رجب (١٦٩/٦).

الثاني: أن فعل أنس كان قضاء وليس أداء؛ لما جاء في بعض روايات هذا الأثر: فقد جاء عند البيهقي عن هشيم قال: "كان أنس إذا فاتته صلاة العيد"، ويقوي هذا: أن أنساً كان يحضر الجمعة والعيد مع المسلمين في البصرة لكن إذا فاتته صلاة العيد صلاحها في بيته، فقد جاء عن ثابت البناني قال: "كان أنس يكون في أرضه، وبينه وبين البصرة ثلاثة أميال، فيشهد الجمعة بالبصرة"^(١)، وجاء عن أبي البخترى قال: "رأيت أنساً يشهد الجمعة من الزاوية" وهي فرسخان من البصرة"^(٢).

٣- إن صلاة العيد في البيوت قضاء صلاة -على من خرجها كذلك-، فكان على صفتها، كسائر الصلوات؛ فالقضاء يحكي الأداء كما في القاعدة الفقهية المشهورة^(٣).

أدلة القول الثاني:

١- قول عبد الله بن مسعود: "من فاته العيد فليصل أربعاً، ومن فاتته الجمعة فليصل أربعاً"^(٤).

٢- أثر علي: أنه أمر رجلاً يصلي بضعفة الناس أربعاً، ولا يخطب^(٥).

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (١٦٣/٣).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤٤٠/١).

(٣) ينظر: تحفة المحتاج في شرح المنهاج (٢/٢٣٠)، كشاف القناع عن متن الإقناع (٢/١١٣).

(٤) سبق تخريجه ص (٢٦)، قال ابن رجب كما في فتح الباري لابن رجب (١٧١/٦): "ولا عبرة بتضعيف ابن المنذر له؛ فإنه روي بأسانيد صحيحة".

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/٢) برقم (٥٨١٤) عن حنش، قال: قيل لعلي بن أبي طالب: إن بضعفة من بضعفة الناس لا يستطيعون الخروج إلى الجبابة «فأمر رجلاً يصلي بالناس أربع ركعات، ركعتين للعيد، وركعتين لمكان خروجهم إلى الجبابة». وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٣١٠/٣).

ونوقش من أوجه:

الأول: أنه قد اختلفت الرواية عن علي عليه السلام، فقد ورد أنه أمرهم أن يصلوا ركعتين لا أربعاً، فعن أبي إسحاق أن علياً أمر رجلاً يصلي بضعفة الناس في المسجد ركعتين^(١).

لذلك قال ابن مفلح: "وفي صفة صلاة الخليفة الخلاف لاختلاف الرواية في صفة صلاة خليفة علي"^(٢).

الثاني: أنه يحتمل أن يكون أراد ركعتي تحية المسجد ثم ركعتي العيد مفصولتين عنهما، كما جاء في الرواية السابقة، وهذا الاحتمال نص عليه البيهقي - رحمته الله - بعد روايته لهذا الأثر^(٣).

الثالث: أن قولهما صدر عن نظر، ولم يصدر عن نص، فلم يجب المصير إليه، وقد خالفها جمع من الصحابة ثم استقر رأي أكثر التابعين على هجر قولهما^(٤).
٣- القياس على صلاة الجمعة، فكما أن صلاة الجمعة إذا فاتت فإنها تقضى أربعاً باتفاق، فكذلك صلاة العيد، تقضى أربعاً^(٥).

ونوقش: بأنه قياس مع الفارق؛ إذ الجمعة لها أحكام تخصها تختلف عن العيدين فلا يصح القياس عليها، ولأن الجمعة لا تقضى وإنما الواجب عليه أن يصلي فرض الوقت وهو الظهر^(٦).

(١) أخرجه ابن أبي شيبه في المصنف (٤/ ٢٣٨)، وكذلك رواه عنه عبد الرحمن ابن أبي ليلى.

(٢) الفروع لابن مفلح (٣/ ٢٠٩).

(٣) السنن الكبرى للبيهقي (٣/ ٣١٠)، وجاء ما يقوي هذا التوجيه فيما رواه الشافعي في الأم (٧/ ١٧٦): عن حنش بن المعتمر أن علياً - عليه السلام - قال: "صلوا يوم العيد في المسجد أربع ركعات ركعتان للسنة وركعتان للخروج".

(٤) ورد جمع من الآثار التي تدل على هجر هذا القول كما في مصنف ابن أبي شيبه (٤/ ٢).

(٥) ينظر: المغني لابن قدامة (٥/ ٢٨٧)، شرح المنتهى للبهوتي (٢/ ٣٢٢).

(٦) ينظر: فتح الباري (٢/ ٤٧٤)، بداية المجتهد لابن رشد (١/ ٤١٩).

أدلة القول الثالث:

- ١- الجمع بين الأدلة الواردة عن الصحابة، فقد ثبتت الأربع في أثر ابن مسعود وعلي، وجاء فعل الركعتين في أثر أنس^(١).
 - ٢- أنه تطوع نهار فكانت الخيرة إليه فيه كصلاة الضحى^(٢).
- وأما دليل الرواية الأخرى: أن مبنى التخيير هو على صفة قضائه: فهو ما ورد عن الصحابة: فإن صلى من فاته العيد جماعة صلى كصلاة الإمام ركعتين، كما فعل أنس، وإن صلى وحده صلى أربعاً، كما قال ابن مسعود^(٣).
- الترجيح: الأقرب - والله أعلم -:** القول الأول بأن تصلى على صفتها؛ لقوة أدلتهم، ويقويه ما يلي:
١. إن الأصل أن تقام صلاة العيد على صفتها المعروفة، فلا ينتقل عن هذا الأصل إلا بحجة خالية عن الاحتمالات.
 ٢. إن فعل أنس هو المتفق مع قواعد الشريعة في أن الأصل قضاء العبادة على صفتها إلا ما دل الدليل على الاستثناء، ولا يوجد دليل قوي في استثناء العيد^(٤).

(١) ينظر: العدة شرح العمدة (ص: ١٢٣)

(٢) ينظر: العدة شرح العمدة (ص: ١٢٣)

(٣) ينظر: العدة شرح العمدة (ص: ١٢٣)، الإنصاف (٣٦٤/٥).

(٤) واختار هذا القول جمهور العلماء المعاصرين، وبه أفتت اللجنة الدائمة للإفتاء السعودية برئاسة

العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز - يرحمه الله - فتاوى اللجنة الدائمة ٣٠٦/٨.

واختار هذا القول الإمام البخاري - رحمته الله - فقد بوب في صحيحه: "باب: إذا فاته العيد يصلي ركعتين، وكذلك النساء، ومن كان في البيوت والقرى؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «هذا عيدنا أهل الإسلام»، وأمر أنس بن مالك مولاهم ابن أبي عتبة بالزاوية فجمع أهله وبنيه، وصلى كصلاة أهل المصر وتكبيرهم، وقال عكرمة: «أهل السواد يجتمعون في العيد، يصلون ركعتين كما يصنع الإمام»، وقال عطاء: «إذا فاته العيد صلى ركعتين»^(١).

وأما تنزيل هذه المسألة على نازلة كورونا فيقال: ما تخريج صفة صلاة العيد في البيوت في زمن كورونا من حيث عدد الركعات والتكبيرات الزوائد على أقوال الفقهاء؟

اختلف فيها الفقهاء المعاصرون - كما اختلف العلماء السابقون-، ويظهر فيها الترجيح السابق: أن تصلى على صفتها ركعتين؛ كما أمرنا بها على صفتها التي صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وذهب إلى هذا أكثر علمائنا المعاصرين من هيئات الفتوى في كثير من بلاد العالم الإسلامي، وعليه فتوى كبار العلماء في البلاد الإسلامية. واختلف المعاصرون هل صلاة الناس في البيوت أداء أو قضاء، فالأكثر على أنها قضاء حتى وإن لم تصل في البلد^(٢).

(١) صحيح البخاري (٢/ ٢٣).

(٢) سبق الاستدلال لهذا الاتجاه في المطلب السابق ص(٣٠)، وممن ذهب إلى هذا القول: هيئة كبار علماء الأزهر، ودار الإفتاء في الأردن، ووزارة الأوقاف في الكويت، ولجنة الفتوى في الجزائر. وممن اختاره من العلماء والفقهاء المعاصرين: مفتي عام المملكة العربية السعودية سماحة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ، والشيخ صالح الفوزان، والشيخ عبدالرحمن البراك، والشيخ عبدالكريم الخضير، [وفي ثبت المراجع روابط لهذه الفتاوى].

وذهب بعض الفقهاء المعاصرين إلى أنها أداء؛ لأنها لم تصل أداء في البلد^(١)، وهذا أقوى الأقوال.

وأما من قال من فقهاءنا المعاصرين^(٢): إنها تصلى أربعاً، وخرجها على ما ورد من آثار عن بعض الصحابة رضي الله عنهم فيجاء عنه من وجوه:

(١) أن ما ورد من آثار عن الصحابة في فوات صلاة العيد لا يصح بالضرورة تطبيقها على نازلة حظر التجول؛ لاختلاف الحالين: فما ورد عن ابن مسعود هو لمن فاتته صلاة العيد مع الإمام، وعند حظر التجول لا يوجد - غالباً - صلاة مع الإمام فكيف يستدل بأثره على من لم تفته صلاة العيد، وحاله أنه يصلّيها في البيت أداء لا قضاء، وما ورد عن علي رضي الله عنه فإن من استدل به يلزمه أن يجعل صلاة كثير من المسلمين للعيد بالمساجد: بأربع ركعات! وهذا لعله لا يقول به أحد.

(٢) أن النظر في آثار التابعين مما يعين كثيراً على فهم ما جاء عن الصحابة، ومن اطلع على سير التابعين علم أنهم أحرص الناس على اتباع الأثر، ولذا إن اجتمع الصحابة على شيء لم يخالفوه، وإن اختلفوا فإنهم يختلفون بحسب اختلاف الصحابة.

(١) ومن اختار هذا القول: أ.د. عبدالسلام الشويعر -محاضرة له صوتية ومفرغة نوازل في كورونا، أ.د. عبدالله بن عمر السحيباني في بحثه "العيد في البيوت أحكام وآداب"، د.مطلق الجاسر، حكم صلاة العيد في الحظر الكلي، والباحث عبدالرحمن السهلي في بحثه صلاة العيد في البيوت حال حظر التجول ص(٥). [وفي ثبت المراجع روابط لهذه الفتاوى].

(٢) ومن ذهب إلى هذا الرأي من المعاصرين: أ.د أحمد الخليل كما في بحثه المنشور في موقعه بعنوان: "قضاء صلاة العيد وحكم الصلاة في البيوت لو اقتضت المصلحة عدم إقامة صلاة العيد".

وإذا نظرنا إلى ما ورد عن التابعين نجد أنه ورد عن أربعة عشر تابعياً: أن قضاء العيد ركعتين، -على التسليم بأن حظر التجول تنطبق عليه أحكام فائتة العيد مطلقاً، وقد اتفق فيه فقهاء التابعين في (مكة) و(المدينة) و(البصرة) على أن صلاة العيد تقضى كصلاة الإمام^(١).

وأما فقهاء التابعين في الكوفة (منشأ القول بأربع ركعات) فإن جمهورهم موافق لجمهور التابعين، وقد هجروا قول علي وابن مسعود رضي الله عنهما، وذهب قلة كالشعبي وغيره إلى قولهما.

ومما يدل على هجران قولهما عملاً في الكوفة -التي ظهر فيها هذا القول: ما جاء عن عبدالرحمن ابن أبي ليلى، أنه "صلى بالناس في مسجد الكوفة ركعتين في إمارة مصعب بن عمير"^(٢).

وجاء عن مسلم بن يزيد أنه قال: "صلى بنا القاسم بن عبدالرحمن يوم عيد في المسجد الجامع ركعتين وخطب"^(٣). وأما هجرانه قولاً: فيدل عليه قول النخعي فقيه الكوفة أنه يصلي مثل صلاة الإمام، وقال: "إذا استقبل الناس

-
- (١) ورد عن جمهرة من التابعين: ١- محمد بن سيرين. ٢- الحسن البصري. ٣- قتادة. ٤- معمر. ٥- إبراهيم النخعي. ٦- حماد بن أبي سليمان. ٧- أبو إسحاق السبيعي. ٨- عبدالرحمن بن أبي ليلى. ٩- أبو عياض. ١٠- مجاهد. ١١- عطاء. ١٢- عكرمة. ١٣- محمد بن علي ابن الحنفية. ١٤- القاسم بن عبدالرحمن. وكل هؤلاء ورد عنهم مسنداً أنها تقضى ركعتين. وهي مروية عنهم في الكتب المسندة، وغالبها في مصنف عبدالرزاق وابن أبي شيبة.
- (٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/٢) وابن أبي ليلى من كبار التابعين، وقد أدرك علماً وسمع منه، وروايته عنه في الصحيحين.
- (٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/٢)، والقاسم هو قاضي الكوفة، وجده عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

راجعين، فلتدخل أدنى مسجد، ثم فلتصل صلاة الإمام، ومن لا يخرج إلى العيد، فليصل مثل صلاة الإمام" (١).

ومخالفة هؤلاء التابعين لقول ظهر في بلدهم ولم يعرف في غيره، دليل على أمور:

١. أن ما روي عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما يحتمل أنه ليس على ظاهره، وإنما يوجه أن الأربع ركعات: منفصلات، ركعتين ركعتين، إحداها تحية المسجد، وهذا ذهب إليه البيهقي؛ لما جاء عن أن علياً رضي الله عنه قال: "صلوا يوم العيد في المسجد أربع ركعات، ركعتان للسنة، وركعتان للخروج" (٢).

٢. أن ما روي عنهما لم يثبت، كما ذهب إليه ابن المنذر في أثر ابن مسعود؛ وفيه نظر؛ لأن الإسناد صحيح (٣).

٣. أن ما روي عنهما رأي واجتهاد لا يستند إلى نص، وقد خالفهم فيه جمع من الصحابة، فرأى أولئك التابعون قوة دليل من خالفهم، وأنه هو الأصل فاتبعوه، وهجروا قولهما. وهذا أظهر.

فظهر بما سبق قوة قول جمهور العلماء أنها تصلى في البيوت ركعتين على صفتها.

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤/٢)، والنخعي معروف بأخذه عن تلاميذ ابن مسعود، وتخرج الفقهاء عنه.

(٢) سبق تخريجه ص (٤٣).

(٣) كما قال ابن رجب في فتح الباري (١٧١/٦).

المسألة الثانية: مشروعية الجماعة لصلاة العيد في البيوت، والجهر بالقراءة:

اختلف أهل العلم في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه يصلّيها جماعة ويجهر بالقراءة. وهو قول عند المالكية^(١)، والمعتمد الشافعية^(٢)، ورواية عند الحنابلة^(٣).

القول الثاني: أنه يصلّيها لوحده. وهو المعتمد عند المالكية^(٤)، ورواية عند الحنابلة^(٥).

القول الثالث: أنه مخير بين أن يصلّيها جماعة أو يصلّيها منفرداً. وهو قول عند المالكية^(٦).

وسبق الاستدلال لها في المسألة السابقة، والراجع: القول الأول: استحباب الجماعة في صلاة البيوت.

وبناء على هذا التقرير: فإن الأكمل أن تصلى صلاة العيد في ظل حظر التجول في البيوت في وقتها، جماعة ويجهر بالقراءة لا فرادى متى ما أمكن؛ لأنه إذا تعسر الاجتماع العام أو العدد الكثير، فالجماعة القليلة متيسرة، فلا يترك الميسور بالمعسور على الأصل في مشروعية الجماعة.

(١) ينظر: مواهب الجليل للحطاب (٥٨٠/٢)، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (٦٣٦/١).

(٢) ينظر: الأم للإمام الشافعي (٥١٨/٢)، مغني المحتاج (٤٦٢/١).

(٣) ينظر: الإنصاف للمرداوي (٣٦٦/٥)، كشاف القناع (٤١٢/٣).

(٤) ينظر: مواهب الجليل للحطاب (٥٨٠/٢)، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (٦٣٦/١).

(٥) يظهر الارتباط في المعتمد عند الحنابلة بين مشروعية الجماعة لصلاة العيد والتكبيرات الزوائد، قال

أحمد: "لا يكبر إلا في الجماعة". التعليق الكبير في المسائل الخلافية بين الأئمة لأبي يعلى (٤/

٦٦).

(٦) ينظر: مواهب الجليل للحطاب (٥٨٠/٢).

المسألة الثالثة: مشروعية الخطبة في صلاة العيد لأهل البيوت.

اتفق العلماء على أنها لا تشرع الخطبة للمنفرد^(١).
وذهب جمهور العلماء على أن خطبة العيد في المصلّى: سنة ليست
بواجبة^(٢).

ومستند هذا: مداومة النبي ﷺ على الخطبة بعد صلاة العيد^(٣).
ولكن اختلف العلماء -القائلون بمشروعية صلاة العيد في البيوت^(٤)- في
استحباب الخطبة لصلاة العيد إذا كانوا جماعة على قولين:
القول الأول: استحباب الخطبة في صلاة العيد في البيوت.
وهو المعتمد عند الشافعية^(٥).

-
- (١) ينظر: مواهب الجليل للحطاب (٥٨٠/٢)، روضة الطالبين للنووي (٧٣/٢)، تحفة المحتاج في شرح المنهاج وحواشي الشرواني والعبادي (٤٠/٣)، المغني للموفق ابن قدامة (٢٨٧/٣).
(٢) ينظر: ينظر: بدائع الصنائع (٢٤٠/١)، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (٦٣٥/١)، روضة الطالبين للنووي (٧٣/٢)، مغني المحتاج (٤٦٤/١). وخالف الحنابلة في رواية: فقالوا: إن الخطبة شرط. ينظر: الإنصاف للمرداوي (٣٥٧/٥).
(٣) ينظر: مواهب الجليل للحطاب (٥٨٠/٢)، الحاوي للماوردي (٤٩٣/٢)، المغني للموفق ابن قدامة (٢٨٧/٣).
(٤) لم يذكر قول الحنفية في هذه المسألة؛ لأنهم لا يقولون بمشروعية صلاة العيدين في البيوت مطلقاً كما سبق، وينظر: بدائع الصنائع (١/٢٣٦).
(٥) ينظر: الأم للإمام الشافعي (٥١٨/٢)، مغني المحتاج (٤٦٤/١)، قال ابن حجر الهيتمي كما في تحفة المحتاج في شرح المنهاج (٤٠/٣): " (و) تسن للمنفرد ولا خطبة له (والعبد والمرأة)

القول الثاني: عدم استحباب الخطبة في صلاة العيد في البيوت.
وهو المعتمد عند المالكية^(١)، والحنابلة^(٢).

أدلة القولين:

أدلة القول الأول:

١- عن عبيد الله بن أبي بكر بن أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ قال:
"كان أنس إذا فاتته صلاة العيد مع الإمام جمع أهله فصلى بهم مثل صلاة
الإمام في العيد"^(٣).

وجه الاستدلال:

أن ظاهر قوله: "مثل صلاة الإمام" وفي رواية "كصلاة أهل المصر" أنه يأتي
بالخطبة؛ إذ الراوي استخدم كاف التشبيه، والتمثيل، والخطبة من توابع الصلاة؛
إذ إن صلاة العيد في المصر تكون بركعتين وخطبة باتفاق، وإخراج الخطبة بدون
دليل فيه نظر^(٤).

... (والمسافر) كسائر النوافل، ويسن لإمام المسافرين أن يخطبهم"، وهناك رواية عن الإمام
الشافعي: التفريق في مشروعية الخطبة إذا كان في داخل المصر أو غيره، خشية الفتنة أن يفتن
على الإمام، وبعضهم فرق بحسب أمر الإمام، فإن لم يأمره الإمام بالخطبة لم يخطب؛ لكونه افتياتاً
على الإمام، فإن خطب كره له. ينظر: الأم للإمام الشافعي (٥١٨/٢)، مغني المحتاج (٤٦٦/١).

(١) ينظر: مواهب الجليل للخطاب (٥٨٠/٢)، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (٦٣٦/١).

(٢) ينظر: المغني للموفق ابن قدامة (٢٨٧/٣).

(٣) سبق تخريجه ص (١٥).

(٤) ينظر: حكم صلاة العيد في الحظر الكلي د. مطلق الجاسر (١٧).

وقد نص الإمام أحمد على أن أنساً خطب، كما رواه الخلال عنه قال: "ذكر أبو عبد الله أن أنساً جمع أهله ثم أمر مولى له يخطب"^(١)، وهذا إما أنه فهم لما مضى من الآثار، أو أنه عند الإمام أحمد بطريق آخر جاء فيه النص على الخطبة.

ويمكن أن يناقش هذا الاستدلال:

أن قوله: "فصلى بهم" صريح بأن المراد: الصلاة بدون الخطبة؛ ويؤكد: أن أكثر الروايات لم تذكر الخطبة.

٢- أن الخطبة مشروعة للتذكير والموعظة، ومقصودة للشارع في صلاة العيد كما جاء في حديث أم عطية رضي الله عنها أنها قالت: "أمرنا أن نخرج العواتق والحيض في العيدين، يشهدن الخير ودعوة المسلمين، ويعتزل الحيض المصلى"^(٢). فيدخل في قولها: "يشهدن الخير ودعوة المسلمين" الصلاة والتكبير وخطبة العيد وما يحصل فيها من دعاء^(٣)، فاستحبت الخطبة في جماعة البيوت كما في المصلى^(٤).

(١) طبقات الحنابلة (١/٢٣٩).

(٢) رواه البخاري (٩٧٤) ومسلم (٦٠٥ / ٢) برقم (٨٩٠) وفي رواية لمسلم عن أم عطية قالت: "الحيض يخرج يوم العيد حتى تخرج البكر من خدرها، حتى تخرج الحيض فيكن خلف الناس فيكبرن بتكبيرهم ويدعون بدعائهم، يرجون بركة ذلك اليوم وطهرته".

(٣) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١/٤٢٤).

(٤) ينظر: أسنى المطالب في شرح روض الطالب للأنصاري (١/٢٧٩).

أدلة القول الثاني:

١- عن عبيد الله بن أبي بكر بن أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ قال: "كان أنس رضي الله عنه إذا فاتته صلاة العيد مع الإمام جمع أهله فصلى بهم مثل صلاة الإمام في العيد"^(١).

وجه الاستدلال: أن أنس صلاها في البيت من غير خطبة، فدل على عدم مشروعيتها إلا للإمام دون من يصليها في البيوت^(٢).
ونوقش من وجهين:

الأول: كما جاء في أدلة القول الأول: أن ظاهر قوله: "مثل صلاة الإمام" أنه يأتي بالخطبة^(٣).

الثاني: أن هذا الأثر يصلح الاستدلال به في قضاء الصلاة، لا في أدائها عند كثير من العلماء^(٤)، فقد جاء عند البيهقي عن هشيم بلفظ: "كان أنس إذا فاتته صلاة العيد" وبوب عليه الإمام ابن أبي شيبة: "الرجل تفوته الصلاة في العيدين كم يصلي؟"^(٥).

(١) سبق تخريجه ص (١٥).

(٢) ينظر: المغني للموفق ابن قدامة (٢٨٧/٣).

(٣) ينظر: حكم صلاة العيد في الحظر الكلي د. مطلق الجاسر (١٧).

(٤) ويشهد لهذا استدلال فقهاءنا بأثر أنس في قضاء صلاة العيد. ينظر: المغني لابن قدامة (٢٨٥/٣)،

فتح الباري لابن رجب (٨٣/٩)، كشف القناع عن متن الإقناع (٤١٢/٣).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/٢) برقم (٥٨١٤) عن حنش، قال: قيل لعلي بن أبي طالب:

إن ضعفة من ضعفة الناس لا يستطيعون الخروج إلى الجبانة «فأمر رجلا يصلي بالناس أربع

ركعات، ركعتين للعيد، وركعتين لمكان خروجهم إلى الجبانة». وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى

(٣١٠/٣).

٢- أن الخطبة خاصة بالإمام دون غيره؛ لئلا يؤدي ذلك إلى تفريق الكلمة^(١).
الترجيح: يظهر للباحث أن هذه المسألة تتجاوزها مجموعة أصول فيصعب
فيها الترجيح - إذ يتنازعها: أن الأصل في الخطب أنها من خصائص الاجتماع
العام فلا تشرع في البيوت، مع أصل آخر: وهو أن الخطبة فيها تذكير ووعظ
فتشرع-.

ولعل الأقرب - والله أعلم-: التفريق في حكم الخطبة بحسب حال صلاة
العيد في البيوت أداء أو قضاء، فلا تستحب في حال القضاء كما إذا صليت
في البلد، وأما في حال الأداء فلا تستحب للمنفرد والعدد القليل، وأما إن كانوا
جماعة في بيت أو استراحة أو مزرعة ونحو ذلك - ولم تصل في البلد لعذر عام
مثل نازلة كورونا-، فلا تستحب في حقهم، لكن لو خطب واحد منهم فلا
حرج^(٢).

(١) ينظر: المغني لابن قدامة (٢٨٧/٣).

(٢) اختار بعض المعاصرين: عدم مشروعية خطبة العيد في البيوت لما ذكر من أدلة، واستحسن أن
يجتهد الرجل في وعظ أهله موعظة قصيرة يذكروهم بفضل الله عليهم في هذا اليوم، ولو فعل ذلك
قائماً أو جالساً فلا حرج، أو يستمع هو وأهله خطبة أحد الحرمين عبر البث المباشر فهو أحسن،
وفيه استشعار لبعض معاني العيد. ينظر: حكم تعليق الجمع والجماعات حال وباء كورونا. بحث
منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عدد ١٩٣ عام ١٤٤١، د. محمد هندو، وبحث
بعنوان: العيد في البيوت. كتبه: أ.د. عبدالله السحيباني منشور في موقعه، بحث صلاة العيد في
البيوت للفريح (٦). ويقويه ما جاء عن بعض الفقهاء من أن الخطبة ليست كخطبة الجمعة، وإنما
للتعليم والتذكير فلا ينصت لها. ينظر: مواهب الجليل للحطاب (٥٧٩/٢).

ويقوي هذا:

١. إن المنع من الخطبة عند الفقهاء المانعين منوط بوجود خطبة للإمام حتى لا يؤدي ذلك إلى تفريق الكلمة، والخطبة ينفرد بها السلاطين ونوابهم، ولذلك راعى الفقهاء هذا المعنى.

قال الشافعي: "ولا بأس إن صلى قوم مسافرون صلاة عيد أو كسوف أن يخطبهم واحد منهم في السفر، وفي القرية التي لا جمعة فيها، وأن يصلوها في مساجد الجماعة في المصر، ولا أحب أن يخطبهم أحد في المصر إذا كان فيه إمام خوف الفرقة"^(١)، ونقله بعض الشافعية عنه بقوله: "خوف الفتنة"، وقال ابن قدامة رحمته الله: "إلا أن الإمام إذا خطب مرة، ثم أرادوا أن يصلوا، لم يخطبوا وصلوا بغير خطبة؛ كي لا يؤدي إلى تفريق الكلمة"^(٢).

وهذه المعاني منتفية في حق الناس في ظل حظر التجول وصلاتهم في بيوتهم، فليس هناك خطبة للإمام أصلاً حتى تفرق كلمة المسلمين، ولما في الخطبة من التذكير والدعاء الذي حث عليه الشارع^(٣).

ولذلك جاء عن أبي يعلى قال: "سئل أبو عبد الله -الإمام أحمد- رحمته الله: عن أهل القرى يجمعون صلاة العيد قال: "نعم يخطبون ويصلون، ولكن إذا كان بإذن الأمير فهو أجود"^(٤)، فظاهر هذا أنهم يصلون كأهل الأمصار، وليس مراده

(١) الأم للإمام الشافعي (٥١٨/٢).

(٢) المغني (٢٨٧/٥).

(٣) ينظر: حكم صلاة العيد في الحظر الكلي د. مطلق الجاسر (١٧).

(٤) المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين (١ / ١٩٠).

بالقرى التي يجب عليها الجمعة؛ لأن هؤلاء يأخذون حكم المصر، ولا يجب عليهم إذن الإمام كما هو المذهب، ولكن ظاهر السؤال عن القرى الصغيرة الذين لا تجب عليهم الجمعة، ولذا قال: الأجود استئذان الأمير، وهذا كله مؤكد لمعنى واضح ينتفي في حق الناس في حال حظر التجول.

٢. إن الذين قرروا أنها تصلى بدون خطبة، فإن قالوا بأن صلاتها في البيوت زمن كورونا: أنها أداء كان هذا مشكلاً؛ لأنه أداء على صفة لم يفعلها النبي ﷺ، والأصل في العبادات التوقيف والاتباع، إلا إن قال القائل: إن الخطبة سنة تكون في المجامع العامة ولا تلزم الناس فهذا شأن آخر، ويقويه: أن الفقهاء لما ذكروا: أن علياً لما استخلف من يصلي بضعفة الناس في المسجد قالوا: "ويخطب بهم؛ ليكمل حصول مقصودهم"^(١)، ثم إن من أسقطها قد يشكل عليه وضع ضابط لإسقاط الخطبة إذا اجتمع أكثر من أربعين وهم مستوطنون في مزرعة أو استراحة.

٣. قد ورد عن بعض التابعين الصلاة بالخطبة وهم في حال اختباء من الحجاج، وهذا أشبه باختباء الناس عن كورونا، فقد جاء عن الحكم بن عتيبة قال: "كان أبو عياض ومجاهد متواريين زمن الحجاج، وكان يوم فطر، فتكلم أبو عياض ودعا لهم، وأمهم بركعتين" وجاء عن عكرمة مولى ابن عباس أنه كان يقول مثل ذلك^(٢). فقله: "تكلم أبو عياض ودعا لهم" دال على الخطبة،

(١) حاشية الخلوتي على منتهى الإيرادات (٥٠٥/١) وينظر: الفروع لابن مفلح (٢٠٩/٣).

(٢) مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٥٧١٨) (٣/٣٠١).

وإلا فلا شك أنه سيتكلم ويدعو ويسلم ولو لم يكن يوم عيد، فليس لذكرها فائدة لو لم ترتبط بالصلاة، ومعلوم أن صلاة العيد مرتبطة بالصلاة، ولا يرتبط كلام ودعاء بصلاة العيد إلا ويراد به خطبتها، ولعله إنما قال: "تكلم" لأنها خطبة خفيفة على عدد قليل^(١).

(١) فإن قيل: لكن تكلم قبل الصلاة فدل على أنها ليست خطبة. فالجواب من وجهين:
- أن الواو لا تفيد الترتيب، ولو أفادت فقد جاء في رواية أخرى: "أنه صلى بهم ودعا".
- ولا مانع أن يكون خطب قبل الصلاة فهو مذهب شامي، ولذا قال ابن عبد البر في الاستذكار (٢/٣٨٢): "قد اختلف في أول من خطب قبل الصلاة فقبل: عثمان بن عفان، وهو الصحيح إن شاء الله عن عثمان". وجاء عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: هل تدري أول من خطب يوم الفطر ثم صلى؟ قال: "لا أدري، أدركت الناس على ذلك". وعطاء ولد في خلافة عثمان. فالملقود: أن الخطبة حصلت من أبي عياض ومجاهد، وحملها على غير الخطبة بعيد.

وفي ختام هذا البحث أشكر ربي على تيسيره إعداد هذا البحث فله الحمد في الأولى والآخرة، وهذا دِكْرٌ لأهم النتائج التي توصلت لها، وأهم التوصيات التي أوصي بها:

• أهم النتائج التي توصل إليها الباحث:

- أعظم مقصدين لصلاة العيدين هما: إظهار شعائر الإسلام، إذ العيد شعار الحول لأهل الإسلام، وشكر الله على نعمة العبادة وتمامها بأداء صلاة العيد.
- أرجح الأقوال في حكم صلاة العيد: أنها فرض كفاية في كل بلد، وفي هذا القول توسط وجمع بين أدلة الموجبين على الأعيان، وغير الموجبين على أهل البلد.
- الترخيع الفقهي لحكم صلاة العيدين في ظل حظر التجول بسبب وباء كورونا: أن البلاد التي يطبق فيها الحظر الكلي ومنع التجول تنقسم إلى قسمين: فأولهما: البلاد التي يقيم فيها الإمام صلاة العيد - كما حصل في مكة المكرمة والمدينة النبوية في هذه النازلة-، وعلى المرجح أنها فرض كفاية: فإن الفرض يسقط بصلاتها في البلد، ويبقى قضاؤها على عموم أهل ذلك البلد: سنة مؤكدة. والثاني: البلاد التي لا يقيم فيها الإمام صلاة العيد - كما حصل في كثير من بلاد المسلمين في هذه الجائحة-: فقد اختلف نظر المعاصرين في تخريج هذه المسألة على كلام الفقهاء، والراجح أنه: إذا تعذر صلاة العيد مع جماعة المسلمين في البلد أنها تكون مشروعة في البيوت لعموم المسلمين، وأنها سنة مؤكدة على كل مسلم،

فعلى هذا: فلا تسقط عنهم بالكلية، بل تقام في البيوت، ويسقط عنهم واجب الاجتماع؛ لما عجزوا عنه.

- اختلاف العلماء في صلاة العيد في البيوت - كما هو الحال في زمن وباء كورونا-، يتضح أنه ينبني على أصل، وهو: أن صلاة العيد: هل يشترط لها العدد والاستيطان وإذن الإمام؟ وهل تلحق بصلاة الجمعة في شروطها وأحكامها؟ والأقرب - والله أعلم-: عدم اشتراط الاستيطان والعدد وإذن الإمام لصحة صلاة العيد، وأنها تشرع لجميع المسلمين مستوطنين أو غير مستوطنين كالمسافرين وأهل البادية والأرياف البعيدة عن المدن، وبناء على هذا؛ فيشرع لعموم الناس -في حال حظر التجول- أنهم يصلونها في البيوت منفردين، أو جماعة سواء كانوا مستوطنين، أو مسافرين، أذن الإمام أو لم يأذن.

- التخريج الفقهي لصلاة العيدين في البيوت زمن وباء كورونا: أن البلاد التي يطبق فيها الحظر الكلي ومنع التجول تنقسم إلى قسمين: القسم الأول: بلاد يقيم فيها الإمام صلاة العيد: ففي هذه البلاد لا تعتبر المسألة من النوازل؛ لأن الفقهاء نصوا على حكمها؛ إذ إنها مبنية على حكم قضاء صلاة العيد، والأقرب: أنه يستحب لعموم أهل البلد: قضاء صلاة العيد في بيوتهم؛ لعموم أدلة مشروعية القضاء، ولحصول العذر. القسم الثاني فهي: بلاد لا يقيم فيها الإمام صلاة العيد: فهذه المسألة تعتبر من النوازل؛ لأن الفقهاء لم ينصوا على حكمها نصاً صريحاً، واختلف الفقهاء المعاصرون في تخريج حكم هذه النازلة الفقهية على أقرب صورة لها، وخلافهم لا يخرج عن إحدى الصور التالية:

١- صورة قضاء صلاة العيد الفائتة. ٢- صورة صلاة أهل القرى الصغيرة.
٣- حالة العذر العام لأهل البلد فيجب تأخير قضاء صلاة العيد إلى أن يزول العذر.

٤- صورة صلاة غير المخاطبين بالخروج أصالة، أو من لا تجب عليهم - عند القائلين بوجودها- كالنساء والمسافرين ونحوهم. وهذا أقرب التخريجات؛ وذلك لتشابه الصورتين في أن كليهما أداء لا قضاء، وأن المسلم في كلا الصورتين غير مخاطب بالخروج لصلاة العيد لعذره.

- أرحح الأقوال في حكم صلاة العيد في البيوت في حال حظر التجول بسبب وباء كورونا: هو القول بمشروعية صلاحاتها في البيوت لعموم المسلمين، وهي عند أكثر العلماء سنة مؤكدة، يصلحها كل أحد من الرجال والنساء والأطفال، ركعتين جماعة بتكبيرات زوائد، وهذا القول هو الذي تعضده الأدلة العامة، والمقاصد الشرعية، وهو الجاري على غالب أصول الأئمة ومذاهبهم المختلفة، وهذا الذي ذهب إليه عامة أهل العلم في هذا العصر من هيئات الفتوى في كثير من بلاد العالم الإسلامي، وعليه فتوى كبار العلماء في البلاد الإسلامية.

وهو مذهب الشافعية وقول ابن حزم، ويتخرج على رواية عن الإمامين مالك وأحمد في أمر أهل القرى الصغيرة بصلاة العيد -عند من خرجها على ذلك-.

وجه ذلك: أن صلاة العيد أمرنا بها دون شرط عدد أو موضع؛ شكراً لله في يوم العيد، وتعظيماً لشعائره، فتصلى كما أمرنا بها على صفتها التي صلاها رسول الله ﷺ.

- الأكمل أن تصلى صلاة العيد في ظل حظر التجول في البيوت في وقتها، جماعة ويجهر بالقراءة لا فرادى متى ما أمكن؛ لأنه إذا تعسر الاجتماع العام أو العدد الكثير، فالجماعة القليلة متيسرة، فلا يترك الميسور بالمعسور على الأصل في مشروعية الجماعة.

- الخلاف قوي في حكم خطبة العيد في البيوت؛ إذ يتنازعها: أن الأصل في الخطب أنها من خصائص الاجتماع العام فلا تشرع في البيوت، مع أصل آخر: وهو أن الخطبة فيها تذكير ووعظ فتشرع-، والأقرب -والله أعلم-: التفريق في حكم الخطبة بحسب حال صلاة العيد في البيوت أداء أو قضاء، فلا تستحب في حال القضاء كما إذا صليت في البلد، وأما في حال الأداء فلا تستحب للمنفرد والعدد القليل، وأما إن كانوا جماعة في بيت أو استراحة أو مزرعة ونحو ذلك -ولم تصل في البلد لعذر عام مثل نازلة كورونا-، فلا تستحب في حقهم، لكن لو خطب واحد منهم فلا حرج.

- وقت صلاة العيد في البيوت تكون أداء إذا صليت في وقتها الشرعي (من ارتفاع الشمس قيد رمح إلى الزوال)، فإن زالت الشمس فيستحب قضاؤها في أي وقت.

- سائر السنن المتعلقة بالعيد من التكبير والتجمل والاغتسال، وأكل رطبات قبل صلاة عيد الفطر، ولبس أجمل ثيابه، وإظهار الفرح والسرور والتهاني، فهي مشروعة على الأصل دون تغيير؛ لأن زينة العيد مناة باليوم، لا بالاجتماع العام.

• أهم التوصيات التي يوصي بها الباحث:

- (١) أن تدرس الوزارة المعنية بالشئون الإسلامية في البلاد الإسلامية: إمكانية إقامة صلاة العيد في كل بلد بمسجد أو مصلى واحد أو أكثر من ذلك إذا اتسع البلد، بحيث تقام في جهات متعددة، وأماكن مختلفة؛ لتحقيق بهم الكفاية، مع أخذ الاحتياطات الصحية التي تبعد العدوى، فإذا أمكن فهذا هو المطلوب شرعاً؛ لأن فيه إظهاراً لهذه الشعيرة، وإسقاطاً للفرض عن أهل البلد، ومن لم يشهدها من عموم الناس فيسن له القضاء في بيته.
 - (٢) أن تدرس الجهات المسؤولة عن إدارة الأزمات - في مثل هذا الوباء -: التفريق في الحجر الكلي بين المدن التي يكثر فيها الحالات، والتي يندر فيها الحالات، فيؤدّن لمن هذه حالها بالصلاة في المساجد والجمع والأعياد؛ لأن مبنى هذا الأمر على سد الذرائع، وقد قرر أهل العلم أن الذرائع إنما تسد إذا كانت تؤدي غالباً للمفاسد، وأما في المدن التي لم يحصل فيها وباء فلا يحتاج لذلك، وفي هذا تشجيع وتحفيز لهم للمحافظة على الالتزام بالإجراءات الصحية لدفع الوباء قبل وجوده.
 - (٣) أن يجتهد أهل العلم في بيان مثل هذه المسائل وتوضيحها للناس، وعدم الاستعجال بطرح رأيهم للعامة حتى يتثبت ويراجع فيه أهل العلم المحققين.
 - (٤) من أشكلت عليه مثل هذه المسائل من طلبة العلم أو من عامة الناس فينبغي أن يأخذ بمن يثق بعلمه ودينه، فما أفتاه فإنه يأخذ به، أو يأخذ برأي فتاوى كبار العلماء في بلده.
- والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

ملحق: جدول تحليلي لأقوال الفقهاء في أحكام صلاة العيد ثم تخريج صلاة العيد في البيوت بسبب وباء كورونا؛ بناء على مذاهبهم:

م	المسألة	الحنفية	المالكية	الشافعية	الحنابلة
١	الأصل في حكم صلاة العيد في البلد	فرض عين ويأثم من تركها بلا عذر	سنة مؤكدة	سنة مؤكدة، ويكره تركها ممن تجب عليه صلاة الجمعة	المعتمد: فرض كفاية.
٢	مقصد صلاة العيد	نعمة تمام العبادة	إظهار شعائر الإسلام	شكر الله على نعمة تمام العبادة	إظهار شعائر الإسلام شكر الله على نعمة تمام العبادة
٣	شرط الاستيطان والعدد	لا يشترط للصحة	لا يشترط	لا يشترط	يشترط للفرضية لا للصحة
٤	اشتراط السلطان (إذن الإمام)	يشترط للصحة	لا يشترط	لا يشترط	روايتان، أصحهما: لا يشترط
٥	حكمها على النساء والمسافرين والمنفرد ونحوهم	لا تشرع استقلالاً ولا قضاء	مستحبة وليست سنة مؤكدة	سنة	روايتان: كالحنفية، ولكن تصح قضاء، والأخرى كالشافعية تصح منهم
٦	أشبهه الصلوات بما	الجمعة	عموم صلوات التطوع	عموم صلوات التطوع	الجمعة وتخالفها في بعض الشروط وكذا القضاء

م	المسألة	الحنفية	المالكية	الشافعية	الحنابلة
٧	صفة قضاء العيد	لا يشرع قضاؤها على صفتها وإنما تصلى ضحي أربع ركعات	يشرع قضاؤها على صفتها فرادى	يشرع قضاؤها على صفتها جماعة أو فرادى	المعتمد: تقضى على صفتها. ورواية أخرى: لا تقضى على صفتها، وإنما تصلى أربعاً
٧	الخطبة في صلاة العيد للجماعة في غير مساجد الأمصار	لا تقضى أصلاً فلا تشرع الخطبة	لا تشرع الخطبة	تستحب الخطبة	لا تشرع الخطبة
٨	تخريج صلاة العيدين عند الحظر الكلي بسبب وباء كورونا - عند صلاحها في البلد - مثل مكة	لا تصلى في البيوت، ولا تقضى. ولهم أن يصلوا بدلها ضحي ركعتين أو أربعاً.	تصلى ركعتين فرادى	تصلى ركعتين جماعة بخطبة والقد بدون خطبة	المعتمد عندهم: تصلى ركعتين جماعة أو فرادى بلا خطبة. وفي رواية كالحنفية عدم مشروعية القضاء.
٩	تخريج صلاة العيدين عند الحظر الكلي بسبب وباء كورونا - عند عدم صلاحها في البلد -	لا تصلى في البيوت، ولا تقضى.	تصلى ركعتين فرادى	تصلى ركعتين جماعة بخطبة والقد بدون خطبة	المعتمد: لا تصلى في البيوت أداء. وهناك رواية قوية: تصلى على صفتها. ومنهم من قال: تقضى إذا زال العذر.

م	المسألة	الحنفية	المالكية	الشافعية	الحنابلة
١٠	الراجح في صلاة العيدين عند الحظر الكلي بسبب وباء كورونا	أنها سنة مؤكدة، وتصلى في البيوت -صليت في البلد أو لم تصل- وتكون على صفتها ركعتين بتكبيرات زوائد بجماعة جهراً. وهو مذهب الشافعية، ويتخرج على رواية عن الإمامين مالك وأحمد. وأما التخريج الفقهي لهذه المسألة فلها حالتان: ١) إن صليت في البلد - كما في مكة والمدينة-: فتخرج على قضاء العيد لمن فاتته مع الإمام، والراجح أنها تقضى في البيوت؛ لفعل أنس وغيره، ولعموم أدلة قضاء الفوائت. ٢) إن لم تصل في البلد - كما في حال أكثر البلاد الإسلامية-: فهذه نازلة معاصرة، واختلف الفقهاء المعاصرون في تخريجها على ثلاثة تخريجات: والأقرب: تخريجها على صلاة غير المخاطبين بالخروج لصلاة العيد أصالة، أو من لا تجب عليهم - عند القائلين بوجوبها-، كالنساء والمسافرين ونحوهم.			

ثبت بأهم المراجع:

- ١- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف لعللي بن سليمان المرادوي المتوفى ٨٨٥ هـ دار هجر.
- ٢- البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم الحنفي المتوفى سنة ٩٧٠ هـ ط- دار المعرفة بيروت.
- ٣- السنن الكبرى للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى ٤٥٨ هـ ط ، دار الفكر القاهرة.
- ٤- الشرح الكبير للدردير ط- عيسى الحلبي بالقاهرة و حاشية الدسوقي المتوفى ١٢٣٠ هـ على مختصر سيدي خليل ط دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة بدون تاريخ .
- ٥- الفروع لشمس الدين ابن مفلح المقدسي المتوفى سنة ٧٦٣ هـ ومعه تصحيح الفروع للمرادوي وحاشية ابن قنلس، تحقيق عبدالله التركي . مؤسسة الرسالة. ط ١٤٢٤ هـ
- ٦- القاموس المحيط للفيروز أبادي ط- دار إحياء التراث العربي .
- ٧- القوانين الفقهية لابن جزي المالكي المتوفى سنة ٧٤١ ط دار الفكر بيروت.
- ٨- المبسوط لشمس الأئمة السرخسي المتوفى ٤٨٣ هـ ط دار المعرفة بيروت سنة ١٤٠٩ هـ
- ٩- الحاوي الكبير للماوردي تحقيق علي معوض وعادل عبدالموجود، دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ.
- ١٠- المجموع شرح المهذب للإمام أبي زكريا النووي ، تحقيق محمد نجيب المطيعي، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢ هـ.
- ١١- المحرر لمجد الدين ابن تيمية المتوفى سنة ٦٥٢ هـ، ومعه النكت والفوائد السنية لابن مفلح المتوفى سنة ٧٦٣، تحقيق د.عبدالله التركي . مؤسسة الرسالة.
- ١٢- المحلى لابن حزم الظاهري المتوفى سنة ٤٥٦ هـ تحقيق أحمد محمد شاكر ط- دار التراث القاهرة .
- ١٣- المغني لعبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي المتوفى سنة ٦٢٠ هـ توزيع رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء.
- ١٤- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للإمام الكاساني المتوفى ٥٨٧ هـ ط دار الكتب العلمية - الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ.

- ١٥- بداية المجتهد ونهاية المقتصد للإمام ابن رشد الحفيد القرطبي - ط دار ابن حزم الطبعة الأولى
١٤١٦ هـ .
- ١٦- تبين الحقائق شرح كنز الدقائق, لفخر الدين الزيلعي الحنفي، دار الكتب الإسلامي . -
القاهرة. - ١٣١٣ هـ.
- ١٧- حاشيتا الإمامين شهاب الدين أحمد بن سلامة القليوبي المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ والشيخ أحمد
البرلسي الملقب بعميرة المتوفى سنة ٩٥٧ هـ على شرح جلال الدين المحلي على المنهاج للنووي
ط- مصطفى الحلبي.
- ١٨- حاشية الخرشى على مختصر سيدي خليل الطبعة الأولى سنة ١٤١٦ هـ، وبهامشه حاشية
العلامة العدوي رحمته الله.
- ١٩- حاشية الخلوئي على منتهى الإرادات لمحمد البهوتي الخلوئي المتوفى سنة ١٠٨٨ هـ ، تحقيق
د. سامي الصقير، دار النوادر ١٤٣٢ هـ.
- ٢٠- حاشية رد المختار على الدر المختار لابن عابدين طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة
الثانية سنة ١٤٠٧ هـ مصطفى الحلبي القاهرة .
- ٢١- روضة الطالبين للإمام للإمام أبي زكريا النووي (المتوفى ٦٧٦ هـ)، دار عالم الكتب، ١٤٢٣
هـ.
- ٢٢- زاد المعاد لابن القيم الجوزية ط الثانية سنة ١٣٩٢ هـ .
- ٢٣- سبل السلام شرح بلوغ المرام لمحمد بن إسماعيل الصنعاني المتوفى ١١٨٢ هـ تحقيق إبراهيم
عصر ط دار الحديث.
- ٢٤- سنن ابن ماجه المتوفى ٢٧٥ هـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط فيصل الحلبي القاهرة.
- ٢٥- سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي المتوفى سنة ٢٧٥ هـ .
- ٢٦- سنن الترمذي كتاب: الجامع الصحيح سنن الترمذي لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي
السلمي المتوفى ٢٧٩ نشر دار إحياء التراث العربي ط بيروت .
- ٢٧- شرح فتح القدير المسمى نتائج الأفكار في كشف الرموز والأسرار لشمس الدين أحمد بن
قودر المعروف بقاضي زاده أفندي وهي تكملة شرح فتح القدير للمحقق الكمال بن الهمام
الحنفي على الهداية شرح بداية المبتدي لشيخ الإسلام برهان المرغيناني المتوفى ٥٩٣ هـ ومعه

- شرح العناية على الهداية للبارقي المتوفى ٧٨٦ هـ وبحاشيته حاشية المحقق عيسى المفتي الشهيد بعدى حلي ومسعدي أفندي المتوفى ٩٤٥ هـ ط دار الفكر.
- ٢٨- شرح مسلم للنووي ط- دار المعرفة الطبعة السابعة ١٤٢١ .
- ٢٩- شرح منتهى الإرادات للبهوتي ط- تحقيق أحمد الجماز دار أطلس الخضراء الطبعة الأولى ١٤٤٠ هـ.
- ٣٠- عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة لابن شاس المالكي المتوفى سنة ٦١٦ هـ، تحقيق د.لحم. دار الغرب.
- ٣١- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١٠ .
- ٣٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥ هـ) الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م
- ٣٣- كشاف القناع عن الإقناع للعلامة منصور بن يونس البهوتي المتوفى سنة ١٠٥١ هـ، طبعة وزارة العدل ١٤٢٣ هـ.
- ٣٤- لسان العرب المحيط للعلامة ابن منظور دار صادر.
- ٣٥- مجموع فتاوى ابن تيمية الطبعة الثانية سنة ١٤٠٠ هـ الناشر مكتبة ابن تيمية بالقاهرة.
- ٣٦- مغنى المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج للخطيب الشربيني المتوفى ٩٧٧ هـ ط الحلبي سنة ١٣٧٨ هـ .
- ٣٧- مواهب الجليل لشرح مختصر خليل للخطاب المالكي المتوفى ٩٥٤ هـ، دار الكتب العلمية ١٤١٦ هـ.
- ٣٨- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج لشمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة الشهير بالشافعي الصفي المتوفى ١٠٠٤ هـ ط مصطفى الحلبي بالقاهرة.

المراجع المعاصرة:

- ^{١-} حكم تعليق الجمع والجماعات بسبب وباء كورونا. بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عدد ١٩٣ عام ١٤٤١، د.محمد هندو.
- ^{٢-} فتاوى العلماء حول فيروس كورونا، جمع أ.د/ مسعود صبري دار البشير، رابطته:
<https://drive.google.com/file/d/QrGlomepMpFmdSYxOvEhi/view?usp=sharing>
- ^{٣-} قضاء صلاة العيد وحكم الصلاة في البيوت لو اقتضت المصلحة عدم إقامة صلاة العيد"، الشيخ أ.د أحمد بن محمد الخليل بحث غير منشور رابطته:
<https://drive.google.com/file/d/1wIBjiZDpptSOym35Cbn7UBXWlZ/view?usp=sharing>
- ^{٤-} بحث صلاة العيد في البيوت، د.محمد بن فهد بن عبدالعزيز الفريح، رابط البحث
<https://drive.google.com/file/d/I0xeQsXmiaLoiGaUF4Xq-Wq/view?usp=sharing>
- ^{٥-} صلاة العيد في البيت د.سليمان النجران الأستاذ المشارك في جامعة القصيم. منشور في موقع الدكتور على الشبكة العالمية
[.https://twitter.com/smn1621?lang=ar](https://twitter.com/smn1621?lang=ar)
- ^{٦-} تحرير مذهب الحنابلة في حكم صلاة العيد في ظل جائحة كورونا. للباحث/ عبدالله بن أحمد آل سحيم الغامدي. بحث غير منشور رابطته:
<https://drive.google.com/file/d/154uE8ymylBKlsv50mZ/view?usp=sharing>
- ^{٧-} حكم صلاة العيد في حالة الحظر الكلي د. مطلق بن جاسر الجاسر. بحث غير منشور رابطته:
<https://drive.google.com/file/d/MikSRHweDPyW7YOKFLUWGkAmF/view?usp=sharing>
- ^{٨-} العيد في البيوت أحكام وآداب. أ.د/عبدالله بن عمر السحيباني. بحث غير منشور رابطته:
<https://drive.google.com/file/d/Wk-nSZIzZtBMzqJbYAEKKzyhC/view?usp=sharing>

٩- صلاة العيد في البيوت حال حظر التجول للباحث/ عبدالرحمن بن محمد السهلي. بحث غير منشور رابطته:

<https://drive.google.com/file/d/17XUnn5-wSJqvLcicMKMMnk/view?usp=sharing>

١٠- صلاة العيد لهذا العام د.أحمد بن صالح الطويان، بحث غير منشور رابطته:

<https://drive.google.com/file/d/vwhpHwHoEYDRuELHFvGZXM BKw/view?usp=sharing>

١١- محاضرة صوتية المسائل المستجدة في زمن الأوبئة ألقاها أ.د عبد السلام بن محمد الشويعر رابطتها

<https://www.youtube.com/watch?v=HRUknCxZiXQ>

روابط لبعض فتاوى أهل العلم التي صدرت في هذه النازلة:

١- سماحة المفتي العام للمملكة الشيخ عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ

<https://www.spa.gov.sa/2075735>

٢- هيئة كبار علماء الأزهر

<http://www.azhar.eg/scholars/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A6%D9%B3%D9%D8%A9>

٣- دار الإفتاء الأردنية

<https://www.aliftaa.jo/Article.aspx?ArticleId=3481#.XxkQaCjXLD4>

٤- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت

<https://www.kuna.net.kw/ArticleDetails.aspx?id=2895486>

٥- الشيخ عبدالله بن خنين عضو هيئة كبار العلماء


<https://www.youtube.com/watch?v=oSSvJuY>

٦- الشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك <https://sh-albarrak.com/article/18234>



الرقابة على الأولاد في ضوء الكتاب والسنة

د. أماني بنت محمد بن سيف العتيبي
قسم الحسبة والرقابة – المعهد العالي للدعوة والاحتساب
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية





الرقابة على الأولاد في ضوء الكتاب والسنة

د. أماني بنت محمد بن سيف العتيبي
قسم الحسبة والرقابة – المعهد العالي للدعوة والاحتساب
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ١٤٤٢ / ١ / ١٨ هـ تاريخ قبول البحث: ١٤٤٢ / ٦ / ١٨ هـ

ملخص الدراسة:

يتناول البحث الحديث عن الرقابة على الأولاد، فيعرف الرقابة بنوعيتها الوقائي والعلاجي، ثم يبين أهمية الرقابة على الأولاد في الوقت الحاضر، ويوضح إجراءات الرقابة على الأبناء في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، ثم يبرز معوقات الرقابة على الأبناء، وسبل علاجها.

الكلمات المفتاحية: الرقابة، الأولاد

Control over children by the Quran and Sunnah

Dr Amany Mohamad saif Aloteeby

Department of AL-Hisba and AL-Raqaba Schools of Thought
College of Religious Foundations
Imam Muhammad Bin Saud Islamic University

Abstract :

The research talks about the censorship of children and defines censorship. It is a preventive and curative type. It shows the importance of supervising children now and explains the procedures for monitoring children in the Quran and the Sunnah of the Prophet Mohammed, then highlights the obstacles to supervision over children and the means of solving.

key words: Control – children

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده، ورسوله،

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١).

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا

وَبِسَاءَةٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالرَّحْمَٰنُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢)

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^{(٣)(٤)}.

أما بعد:

الأسرة إحدى ركائز المجتمع الأساسية، ومسؤولية الوالدين في تنشئة أبناء صالحين يخدمون دينهم، ووطنهم مسؤولية عظيمة، وقد بين لنا النبي ﷺ ذلك في الحديث الذي رواه ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «أَلَا كُتُّمُ رَاعٍ، وَكُتُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ

(١) آل عمران: [١٠٢].

(٢) النساء: [١].

(٣) الأحزاب: [٧٠-٧١].

(٤) أخرجه الإمام مسلم، كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، رقم الحديث: (٢٠٠٨)،

قال الشيخ الألباني: "هذه خطبة الحاجة التي كان يعلمها النبي ﷺ أصحابه". كتاب خطبة الحاجة،

محمد ناصر الدين الألباني [بيروت - المكتب الإسلامي - ط ٤ - ١٤٠٥ هـ] (ص: ٥).

رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ مَسْئُولٌ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(١).

بل إن قيامهم بالرقابة في الوقت الحاضر ضرورة ملحة في ظل انتشار وسائل التواصل الاجتماعي التي أصبحت تسهم في تكوين سلوك الأولاد؛ لذا لا بد أن يكون لدى الولد علم بخطورة، وتأثير وسائل التواصل عليه كفرد، وعلى دينه ووطنه، ويتعلم كيف يستفيد من هذه الوسائل دون أن يضر نفسه، ومجتمعه من خلال توعية الوالدين له.

إن الرقابة على الأولاد باختلاف مراحلهم العمرية - طفولة، مراهقة، شباب - لها أثر كبير في تكوين الأسرة أولاً، والمجتمع ثانياً، كما أن الرقابة والمتابعة للأولاد تقي انحرافهم عن الطريق السليم، وبالتالي تأثرهم بالأفكار المنحرفة الضارة.

(١) متفق عليه، أخرجه الإمام البخاري، كتاب: الأحكام، باب: قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ رقم الحديث (٧١٣٨)، والإمام مسلم، كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، رقم الحديث (٤٧٢٤).

أولاً: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره:

تكمن أهمية الموضوع في ضرورة التمسك والاعتصام بالكتاب والسنة، فهذان المصدران شاملان لكل ما فيه صلاح الفرد والمجتمع، ولا بد في الرقابة على الأولاد من السير وفق المنهجية التي ورد ذكرها في التعامل مع هذا الصنف في كتاب الله الكريم، وسنة نبيه المصطفى ﷺ.

ولقد دفعني ما سبق ذكره أن أتصدى لهذا الموضوع، إضافة إلى الأسباب التالية:

١- ما نشاهده في هذا العصر من غياب الأخلاق الإسلامية، وسرعة التأثر بالأفكار الإلحادية، والتكفيرية من صغار السن؛ نتيجة غياب الرقابة الأسرية.

٢- ضرورة تفعيل الرقابة على الأولاد، ونشرها بين أفراد المجتمع، والقيام بالرقابة لا يعني فقدان الثقة، وإنما يعني اهتماماً، وتعزيزاً للعلاقات الأسرية.

ثانياً: أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- ١- التعرف على مفهوم الرقابة على الأولاد، وأهميته في الوقت الحاضر.
- ٢- التعرف على إجراءات الرقابة على الأولاد.
- ٣- التعرف على معوقات الرقابة على الأولاد في ضوء الكتاب والسنة، وسبل علاجها.

ثالثًا: تساؤلات الدراسة:

- ١- ما مفهوم الرقابة على الأولاد، وأهميتها في الوقت الحاضر؟
 - ٢- ما إجراءات الرقابة على الأولاد؟
 - ٣- ما معوقات الرقابة على الأولاد في ضوء الكتاب والسنة، وما سبل علاجها؟
- رابعًا: الدراسات السابقة:

لم أعتز فيما اطلعت عليه على دراسة علمية تطرقت للرقابة على الأولاد في ضوء الكتاب والسنة، وفيما يلي عرض للدراسات التي لها علاقة بجوانب الموضوع، وتوضح أهميته:

١- أساليب الرقابة الأسرية في الحد من مخاطر شبكات التواصل الاجتماعي.. دراسة من وجهة نظر المراهقين وأسرهم^(١):

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على أساليب الرقابة الداخلية الأكثر فاعلية في الحد من مخاطر شبكات التواصل الاجتماعي من وجهة نظر المراهقين وأسرهم، والتعرف على أساليب الرقابة الخارجية الأكثر فاعلية في الحد من مخاطر شبكات التواصل الاجتماعي من وجهة نظر المراهقين وأسرهم، والتعرف على أيهما أكثر فاعلية: الرقابة الداخلية أو الخارجية في الحد من مخاطر شبكات التواصل الاجتماعي من وجهة نظر المراهقين وأسرهم، والتعرف على أبرز مخاطر شبكات التواصل الاجتماعي من وجهة نظر المراهقين وأسرهم، والتعرف على

(١) رسالة ماجستير غير منشورة، أشواق محمد الحارثي، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، كلية العلوم

الاجتماعية، قسم التأهيل والرعاية الاجتماعية، عام ١٤٣٨ هـ.

الصعوبات التي تواجه الأسرة في ممارسة أساليبها الرقابية للحد من مخاطر شبكات التواصل الاجتماعي.

وتتفق هذه الدراسة مع الموضوع الحالي في أنها تطرقت لجانب الرقابة، إلا أنها تختلف عن هذا الموضوع؛ حيث حددت الرقابة على فئة المراهقين، إضافة إلى تخصيص وسائل التواصل الاجتماعي فقط، بخلاف الموضوع الحالي الذي تطرق إلى الرقابة على الأولاد بشكل عام من خلال نصوص الكتاب والسنة.

٢- طبيعة العلاقة بين الآباء والأبناء، ودورها في الوقاية من الانحراف الفكري^(١):

هدفت الدراسة إلى التعرف على طبيعة العلاقة بين الآباء والأبناء، ودورها في الوقاية من الانحراف الفكري، وتم من خلال الدراسة بيان أن من أهم اجراءات الأب الوقائية تكثيف الرقابة.

وتتفق هذه الدراسة مع الموضوع الحالي في أنها تطرقت لجانب الرقابة، وأن غيابها سبب للوقوع في السلوكيات الخاطئة، والانحرافات الفكرية، إلا أنها تختلف عن هذا الموضوع؛ لأنه مرتبط بما ورد في نصوص الكتاب والسنة، وما جاء فيها من نصوص تتعلق بالرقابة على الأولاد.

(١) رسالة دكتوراه منشورة، فيصل عايض البقمي، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، كلية الدراسات

العليا، قسم العلوم الشرطية، عام ١٤٣١ هـ.

خامساً: منهج الدراسة:

قمت باستخدام المنهج الاستقرائي، والاستقراء هو: "ما يقوم على التتبع لأمر جزئية مستعناً على ذلك بالملاحظة والتجربة وافتراض الفروض؛ لاستنتاج أحكام عامة منها"^(١)، وذلك من خلال استقراء كل ما يتعلق بالرقابة على الأولاد في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة بتتبع أهمية الرقابة على الأولاد، وإجراءاتها الوقائية والعلاجية، ومعوقاتها.

أما الإجراءات المتبعة في هذه الدراسة، فهي على النحو التالي:

- ١- عزو الآيات القرآنية إلى سورها، وأرقامها.
- ٢- عزو الأحاديث النبوية الشريفة إلى مصادرها، فإن روى الحديث الشيخان رحمهما الله اكتفيت بذلك، وإلا نقلت كلام أهل العلم في الحكم على الحديث.
- ٣- شرح المصطلحات الواردة في الدراسة.

(١) البحث العلمي حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه وكتابته وطابعته ومناقشته، د. عبدالعزيز الربيعة [الرياض - مكتبة الملك فهد الوطنية - ط ٣ - ١٤٢٤ هـ] (١/١٧٨).

سادسًا: تقسيمات الدراسة:

المقدمة، وتشتمل على ما يلي:

- التعريف بموضوع الدراسة، وأسباب اختياره.
- أهداف الدراسة.
- تساؤلات الدراسة.
- الدراسات السابقة.
- منهج الدراسة.
- تقسيمات الدراسة.

المبحث الأول: مفهوم الرقابة على الأولاد، وأهميتها في الوقت الحاضر، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الرقابة على الأولاد.

المطلب الثاني: أهمية الرقابة على الأولاد في الوقت الحاضر.

المبحث الثاني: إجراءات الرقابة على الأولاد في ضوء الكتاب، والسنة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإجراءات الوقائية في ضوء الكتاب، والسنة.

المطلب الثاني: الإجراءات العلاجية في ضوء الكتاب، والسنة.

المبحث الثالث: معوقات الرقابة على الأولاد في ضوء الكتاب والسنة، وسبل علاجها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معوقات متعلقة بالأولاد، وسبل علاجها.

المطلب الثاني: معوقات متعلقة بالوالدين، وسبل علاجها.

الخاتمة: وتشمل أبرز النتائج، والتوصيات

المبحث الأول: مفهوم الرقابة على الأولاد، وأهميتها في الوقت الحاضر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الرقابة على الأولاد:

أولاً: مفهوم الرقابة لغة:

"الراء والقاف والباء أصل واحد مطرد يدل على انتصابٍ لمراعاة شيء" (١).

والرقيب: الحفيظ، ورقبه يرُقُّه رِقْبَةً ورقباً - بالكسر فيهما - ورقباً، وترقبه، وارتقبه: انتظره، ورصده، والترقب: الانتظار، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ ومعناه: لم تنتظر قولي، ورقب الشيء يرُقُّه، وراقبه مراقبةً ورقاباً: حرسه (٢).

فالرقابة لغة تطلق، ويراد بها: حفظ الشيء، وحراسته، فالإنسان يحفظ نفسه باتباع أوامر الله ﷻ، واجتناب نواهيه، كما يحفظ من تحت يده ممن وكل برعايتهم.

(١) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون [بيروت - دار الفكر - ط.د - ١٣٩٩هـ] [٢/٤٢٧].

(٢) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور [بيروت - دار صادر - ط ٣ - ١٤١٤هـ] [١/٤٢٤-٤٢٥].

ثانيًا: مفهوم الرقابة اصطلاحًا:

تعددت تعريفات الرقابة اصطلاحًا، فهناك رقابة إدارية، ورقابة شرعية، ونظرًا لطبيعة الموضوع والتخصص، فسأكتفي بالتعريف بالرقابة الوقائية، والعلاجية.

أولًا: الرقابة الوقائية:

الوقاية لغة:

"الواو والقاف والياء: كلمة واحدة تدل على دفع شيء عن شيء
بغيره"^(١).

والوقاية، والواقية: كل ما وقيت به شيئًا، ويقال: وقاك الله شر فلان وقايةً،
ووقاه الله وقايةً -بالكسر-، أي: حفظه، والتوقية: الكلاءة، والحفظ.
وتوقى واتقى بمعنى، وقد توقيت واتقيت الشيء: حذرته^(٢).

والرقابة الوقائية هي:

حماية التصرفات، والسلوكيات التي يقوم بها الفرد، والحفاظ عليه، والكشف
عن الأخطاء، والمخالفات قبل حدوثها، والاستعداد لمواجهةها.

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس (١٣١/٦).

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٤٠٢/١٥).

ومن أمثلة الرقابة الوقائية ما يلي:

قوله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْاْ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^(١). قال

ابن كثير رحمه الله: "أن يقوم عليهم بأمر الله، ويأمرهم به، ويساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية فدعتهم عنها، وزجرتهم عنها"^(٢).

وقال القرطبي رحمه الله: "فيه مسألة واحدة، وهي الأمر بوقاية الإنسان نفسه، وأهله النار، فعلى الرجل أن يصلح نفسه بالطاعة، ويصلح أهله إصلاح الراعي للرعية"^(٣)، ففي الحديث الذي رواه ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ مَسْئُولٌ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(٤).

■ عَنِ التُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهْمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا،

(١) التحريم: [٦].

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي محمد السلامة [الرياض - دار طيبة - ط ٢ - ١٤٢٠ هـ] [١٦٧/٨].

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: د. عبد الله التركي [بيروت - مؤسسة الرسالة - ط ١ - ١٤٢٧ هـ] [٩٢/٢١].

(٤) سبق تخريجه (ص: ٣).

وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلُهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى
مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا حَرَقْنَا فِي نَصِينِنَا حَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِن
يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِن أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَّوْا وَنَجَّوْا
جَمِيعًا»^(١).

ثانيًا: الرقابة العلاجية:

العلاج لغة:

العين واللام والجيم أصل صحيح يدل على تمرس ومزاولة، ويقولون إنه من
المعالجة وهي مزاولة الشيء، والعلاج: مزاولة الشيء، ومعالجته^(٢).

والعلاج: المراس، والدفاع،، وعالج الشيء معالجه، وعلاجًا: زاوله، والمعالج:
المداوي سواء عالج جريحًا، أو عليلاً^(٣).

والرقابة العلاجية هي:

متابعة التصرفات، والسلوكيات التي يقوم بها الفرد من خلال تقييم
الأخطاء بعد وقوعها، ومعالجتها؛ منعا لتكرارها.

(١) أخرجه الإمام البخاري، كتاب: الشركة، باب: تقويم الأشياء بين الشركاء بقيمة عدل، رقم
الحديث (٢٤٩٣).

(٢) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (١٢٢/٤).

(٣) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٣٢٦-٣٢٧).

ومن أمثلة الرقابة العلاجية ما يلي:

■ عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قَالَ: اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا مِنَ الْأَزْدِ يُقَالُ لَهُ: ابْنُ اللَّتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، فَقَالَ: «فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ، أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ، فَيَنْظُرَ أَيُّهُدَى لَهُ أَمْ لَا؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقْرَةً لَهَا خُورٌ، أَوْ شَاةٌ تَيَعَّرُ» ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَةَ (عُفْرَ) إِبْطَيْهِ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ اللَّهُمَّ، هَلْ بَلَغْتُ ثَلَاثًا»^(١).

■ عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صَبْرَةَ طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعَهُ بِلَلًا. فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ: أَصَابَتَهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ؟ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»^(٢).

(١) متفق عليه، أخرجه الإمام البخاري، كتاب: الهبة وفضلها، باب: من لم يقبل الهدية لعله، رقم الحديث (٢٥٩٧)، والإمام مسلم، كتاب: الإمارة، باب: تحريم هدايا العمال، رقم الحديث (١٨٣٢).

(٢) أخرجه الإمام مسلم، كتاب: الإيمان، باب: قول النبي ﷺ «من غشنا فليس منا»، رقم الحديث (١٠٢).

المطلب الثاني: أهمية الرقابة على الأولاد في الوقت الحاضر:

الرقابة لا تعني فقدان الثقة، ولا التجسس من الوالدين على أولادهم، ولا يقصد بها تحجيم حريتهم، وإنما هي احتواء، ورعاية، واهتمام، واستشعار للمسؤولية التي أمرنا بها الشرع.

ومن الأدلة التي تؤكد أهمية الرقابة على الأولاد قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُورًا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^(١)، قال الحسن البصري رحمته الله: "يأمرهم بطاعة الله، ويعلمهم الخير"^(٢).

ففي هذه الآية الكريمة توجيه من الخالق عز وجل لكل رب أسرة مسؤول بأن يقوم بما أوجبه الله عليه من وقايتهم من كل ما يمكن أن يضر بهم في الدنيا والآخرة، وهذا من الرقابة الوقائية.

قال ابن كثير رحمته الله: "وأن تقوم عليهم بأمر الله، وتأمرهم به، وتساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية قدعتهم عنها، وزجرتهم عنها"^(٣). وذكر ابن باز رحمته الله أن هذا هو حال المؤمن مع أهله، وإخوانه المؤمنين، وغيرهم، يسعى في وقاية نفسه، ووقاية غيره من عذاب الله، وهذا الأمر يحتاج إلى صبر، وإخلاص لله، وصدق، ومداومة، فأهلك وأولادك وقرباتك أحق

(١) التحريم: [٦].

(٢) الجامع لشعب الإيمان، للبيهقي، تحقيق: مختار الندوي [الرياض - مكتبة الرشد - ط ١ - ١٤٢٣ هـ] (١٢٧/١١).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١٦٧/٨).

الناس ببرك وإحسانك، وبالسعي لخلاصهم من النار، فهذا من أعظم الإحسان إليهم عملاً بالآية السابقة، وأن تلزمهم بما أوجب الله عليهم حسب طاقتك، وتمنعهم مما حرم الله عليهم، وتستقيم في ذلك، وتكون أسوة حسنة، وقدوة طيبة في كل خير، فتبدأ بنفسك؛ حتى يتأسوا بك في كل خير^(١).

وقال النبي ﷺ في أهمية الرقابة على الأولاد: «أَلَا كُتُّكُمْ رَاعٍ، وَكُتُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ مَسْئُولٌ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(٢)، وقول رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرَعَاهُ، أَحْفَظَ أَمْ ضَيَّعَ، حَتَّى يَسْأَلَ الرَّجُلَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ»^(٣).

قال العلماء: "الراعي هو الحافظ المؤمن الملتزم صلاح ما قام عليه، وما هو تحت نظره، ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء، فهو مطالب بالعدل فيه،

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن باز، جمع وترتيب: د. محمد الشويعر [الرياض - دار القاسم - ط ١ - ١٤٢٠ هـ] [١٣٦/٩ - ١٣٨].

(٢) سبق تخريجه (ص: ٤).

(٣) أخرجه الإمام ابن حبان، كتاب: السير، ذكر الإخبار بسؤال الله ﷻ كل من استرعى رعية من رعيته، رقم الحديث (٤٤٧٥)، قال الألباني: حسن صحيح. انظر: صحيح الترغيب والترهيب [الرياض - مكتب المعارف - ط ١ - ١٤٢١ هـ] رقم الحديث (١٩٦٦).

والقيام بمصالحه في دينه، ودنياه، ومتعلقاته"^(١).

ومما يبين أهمية الرقابة على الأولاد في السنة ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم حَطَبَ أُمَّ هَانِيَّ بِنْتَ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ كَبُرْتُ، وَلِي عِيَالٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ نِسَاءُ قُرَيْشٍ، أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ»^(٢).

فقد اعتذرت أم هاني عن الزواج بالنبي صلى الله عليه وسلم؛ خوفاً من أن يشغلها الزواج عن تربية أبنائها، والقيام عليهم، وقد ذكر الإمام النووي رحمته الله في شرحه للحديث السابق: أن "فيه فضيلة نساء قريش، وفضل هذه الخصال، وهي الحنوة على الأولاد، والشفقة عليهم، وحسن تربيتهم، والقيام عليهم"^(٣).

وقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم في عديد من المواقف على توجيه المسلمين إلى ضرورة توجيه الأولاد، ومراقبتهم في شتى المجالات، ففي الصلاة، ووجوب متابعتها، وعدم التساهل في التقصير في أدائها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ

(١) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي [الأردن - بيت الأفكار الدولية - د. ط - د. ت.]، (١١٨٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده [بيروت - مؤسسة الرسالة - ط ١ - ١٤١٧ هـ] رقم الحديث (٧٦٥٠)، وأخرجه الإمام البخاري ومسلم لكن دون قصة أم هاني، الإمام البخاري، كتاب: النكاح، باب: إلى من ينكح؟ وأي النساء خير؟ وما يستحب أن يتخير لنطفه، رقم الحديث: (٥٠٨٢)، وأخرجه الإمام مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل نساء قريش، رقم الحديث: (٢٥٢٧).

(٣) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي (١٥٢١).

بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ، وَفَرَّقُوا
بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»^(١).

قال الشيخ السندي: "فيه أمر للأولياء بتأديب الصغار بالشرائع،
وغيرها"^(٢)، وهذا هو منهج الأنبياء ﷺ فإسماعيل عليه السلام كان يحرص على
إداء أبنائه الصلاة، قال تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾^(٣).
ولا يمكن للرقابة الأسرية أن تؤتي ثمارها دون أن تكون هناك قدوة حسنة،
وعلاقة آمنة بين الآباء والأولاد قائمة على الاحترام والرحمة، وذلك لأن القدوة
من أكثر وسائل التربية تأثيراً، فالطفل الذي يجد من والديه قدوة صالحة ينشأ
على الخير والصلاح.

إن ممارسة الأسرة دورها الرقابي بنوعيه الوقائي والعلاجي يكفل الاستقرار،
والأمان، والترابط الأسري في حين أن إهمال الرقابة على الأولاد له آثار
اجتماعية، نفسية، وفكرية مدمرة، لا سيما في الوقت الحاضر الذي شهد
تطوراً تقنياً في وسائل التواصل الاجتماعي، وهذه الآثار تتمثل فيما يلي:

(١) أخرجه الإمام أبي داود، كتاب: الصلاة، باب: متى يأمر الغلام بالصلاة، رقم الحديث (٤٩٥)،
قال الألباني: سنده حسن. انظر: هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصايح والمشكاة، تحقيق علي
الحلي [القاهرة - دار ابن عفان - ط ١ - ١٤٢٢ هـ] رقم الحديث (٥٤٥).

(٢) فتح الودود في شرح سنن أبي داود، لأبي الحسن السندي، تحقيق: محمد الخولي [مصر - مكتبة
لينة - ط ١ - ١٤٣١ هـ] [٣٢٣/١].

(٣) مريم: [٥٥].

١- تكوين السلوكيات السلبية لدى الأولاد:

سلوك الولد السلبي إذا لم يراقب، ويقوم من الآباء سيكون ضرره كبيراً ومتعدياً، ومن السلوكيات السلبية: العدوانية، كره الآخر، والكذب، وهذه السلوكيات خطرها ليس على الابن فحسب، بل قد يصل الضرر للمجتمع، وقد حذر الشرع من الاعتداء على الآخر بشتى أنواعه، قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَحَاسِدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغِضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ»^(٢).

٢- التعرف على أصدقاء السوء، والتأثر بهم:

ينتج عن غياب رقابة الآباء على أولادهم مصاحبة رفقاء السوء، ومخالطتهم، والتأثر بهم، وبأفكارهم، لا سيما إذا كان الولد في فترة المراهقة، وهي المرحلة العمرية المهمة في تكون الشخصية، وما تتميز به من الحماسة، والجرأة في هذه السن، إضافة إلى الفضول، وحب الاستطلاع.

(١) البقرة: [١٩٠].

(٢) متفق عليه، أخرجه الإمام مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، رقم الحديث (٢٥٦٤)، والإمام البخاري، كتاب: الأدب، باب: ما ينهى عن التحاسد والتدابير، رقم الحديث (٦٠٦٤).

فالمراهقة لغة: من الفعل الثلاثي (رهق)، ويقصد به: العجلة، والظلم، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْسَ وَلَا رَهَقًا﴾^(١)، والرهق: عجلة في كذب، وعيب^(٢).

والنصوص الشرعية وجهت الآباء إلى خطورة رفقاء السوء، وضرورة مراقبة الأولاد، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾^(٣)، وَيَوْلِيَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا^(٤) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا^(٥).

وفي الحديث عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السُّوءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ، وَكَبِيرِ الْحَدَّادِ^(٦)، لَا يَعْدُمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِنَّمَا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكَبِيرُ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ، أَوْ ثَوْبَكَ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً»^(٧)، ففي هذا الحديث "نهى عن مجالسة من يتأذى بمجالسته، كالمغتاب، والخائض في الباطل، والندب إلى من ينال بمجالسته الخير من ذكر الله صلى الله عليه وسلم، وتعلم العلم"^(٨)، ومن هنا يجب على الآباء الأخذ بهذه النصوص،

(١) الجن: [١٣].

(٢) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (٤٥١/٢).

(٣) الفرقان: [٢٧-٢٩].

(٤) الكبير - بالكسر - هو كبير الحدّاد، وهو المبنى من الطين، وقيل: الزق الذي ينفخ به النار. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق: محمود الطناحي [د.م - المكتبة الإسلامية - ط ١ - ١٣٨٣هـ] [٢١٧/٤].

(٥) متفق عليه، أخرجه الإمام البخاري، كتاب: البيوع، باب: العطار وبيع المسك، رقم الحديث (٢١٠١)، والإمام مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، رقم الحديث (٦٦٩٢).

(٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، الإمام بدر الدين أبو محمد العيني، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر [بيروت - دار الكتب العلمية - ط ١ - ١٤٢١هـ] [٣١٤/١١].

والانطلاق منها في الرقابة الأسرية.

٣- الانطوائية:

"يقصد بها: الانطواء على الذات، وترك التفاعل النفسي مع أفراد الأسرة، كإغلاق باب غرفته، والعيش في عالمه الفردي بعيدًا عن مشاركة الأسرة"^(١)، فالانطوائية والبقاء على الأجهزة الإلكترونية، ومتابعة وسائل التواصل الاجتماعي بالساعات قد يسبب التفكك الأسري إذا لم تكن هناك رقابة على وقت ونوعية استخدام هذه الوسائل، وقد حذر النبي ﷺ من الانطواء والوحدة لخطرهما، ففي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الْوَحْدَةِ مَا أَعْلَمُ، مَا سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ»^(٢).

٤- ظهور المؤشرات الفكرية المنحرفة:

من الانحرافات الفكرية التي قد يتأثر بها الأولاد عبر الوسائل المختلفة: التكفير، الغلو، الإلحاد، وهذا من أخطر الآثار التي قد يسببها غياب الرقابة، وقد جاءت النصوص الشرعية تحذر من هذه الأفكار المنحرفة، ففي التكفير قال رسول الله ﷺ: «مَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكَفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوُّ اللَّهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ»^(٣).

(١) مؤشرات التطرف لدى الشباب .. دراسة ميدانية، د. عبد العزيز الهليل [الرياض - مركز دلائل -

ط ١ - ١٤٣٧ هـ] [ص: ٣٧].

(٢) أخرجه الإمام البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: السير وحده، رقم الحديث (٢٩٩٨).

(٣) أخرجه الإمام مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم، رقم

الحديث (١١٢).

وفي الغلو، قال تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ (١).

وفي الإلحاد، والتشكيك في الخالق ﷻ، قال رسول الله ﷺ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ: هَذَا، خَلَقَ اللَّهُ الْخُلُقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيُقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ» (٢).

(١) النساء: [١٧١].

(٢) أخرجه الامام مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، رقم الحديث (٣٤٣).

المبحث الثاني: إجراءات الرقابة على الأولاد في ضوء الكتاب، والسنة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإجراءات الوقائية في ضوء الكتاب، والسنة:

جاء الإسلام لحفظ الضرورات الخمس -الدين، والنفس، والعقل، والمال، والعرض-، وهذه الضرورات الخمس من الوقاية التي قررها الإسلام لصالح الإنسان في الدنيا والآخرة، ومن هذه الضرورات تنطلق مسؤولية الوالدين في وقاية أولادهم للمحافظة على هذه الضرورات وفق إجراءات معينة منبثقة من نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وتتمثل هذه الإجراءات وفق ما يلي:

١- غرس القيم والسلوك والآداب، والمتمثلة في تعاليم ديننا الحنيف الواردة في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، فقد ورد في القرآن الكريم وصايا لقمان لابنه فقد بين له الآداب العامة التي ينبغي له الالتزام بها في تعامله مع الناس، فنهاه عن احتقار الناس، والتكبر، وأمره بغض البصر، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَصْعَرَ حَذَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْسِ فِي الْأَرْضِ مَرَجًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشِيكَ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١)

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "أدب ابنك، فإنك مسؤول عن ولدك ماذا

(١) لقمان: [١٨-١٩].

أدبته؟ وماذا علمته؟" (١).

وفي مراعاة آداب الإسلام.

عن عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ وَكُلْ يَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ». فما زالت تلك طعمتي بعد (٢).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رضي الله عنه تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «كَخِ كَخِ، إِرْمِ بِهَا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؟» (٣).

قال الإمام النووي رحمته الله: "في الحديث أن الصبيان يوقون ما يوقاه الكبار، وتمنع من تعاطيه، وهذا واجب على الولي" (٤).

(١) السنن الكبرى، للبيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر [بيروت - دار الكتب العلمية - ط ٣ - ١٤٢٤ هـ] (١٢٠/٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه الإمام البخاري، كتاب: الأطعمة، باب: التسمية على الطعام والأكل باليمين، رقم الحديث (٥٣٧٦)، والإمام مسلم، كتاب: الأشربة، باب: آداب الطعام والشراب وأحكامهما، رقم الحديث (٢٠٢٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه الإمام البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: من تكلم بالفارسية والرطانة، رقم الحديث (٣٠٧٢)، والإمام مسلم، كتاب: الزكاة، باب: تحريم الزكاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله، رقم الحديث (١٠٦٩).

(٤) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي (٦٧٥).

٢- **تحسين عقيدة الأولاد**، فقد عرض لنا القرآن الكريم موقف لقمان مع ابنه حينما كان مشرّكاً، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١﴾ (١) قال ابن عاشور رحمته الله: "إن ابن لقمان كان مشرّكاً، فلم يزل لقمان يعظه حتى آمن بالله وحده، فإن الوعظ زجر مقترن بتخويف" (٢).

وذكر رحمته الله: "التصغير في قوله تعالى: (يا بني) فيه تنزيل المخاطب الكبير منزلة الصغير كناية عن الشفقة به، والتحبب له، وابتداء لقمان موعظة ابنه بطلب إقلاعه عن الشرك بالله؛ لأن النفس المعرضة للتزكية، والكمال يجب أن يقدم لها قبل ذلك تخليتها عن مبادئ الفساد والضلال، فإن إصلاح الاعتقاد أصل لإصلاح العمل" (٣).

وذكر ابن قيم الجوزية رحمته الله في كتابه "تحفة المودود بأحكام المولود" أن يلقن الأطفال وقت نطقهم بلا إله إلا الله محمد رسول الله، وأن يكون أول ما يقرع مسامعهم معرفة الله تعالى، وأنه تعالى ينظر إليهم، ويسمع كلامهم، ومعهم أينما كانوا (٤)، والحفاظ على سلامة فطرتهم من الانحرافات الفكرية، كالإلحاد

(١) لقمان: [١٣].

(٢) تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور [تونس - الدار التونسية للنشر - د. ط - ١٩٨٤م] (١٥٤/٢١).

(٣) انظر: المرجع السابق (١٥٥/٢١).

(٤) انظر: تحفة المودود بأحكام المولود، لابن قيم الجوزية، تحقيق عثمان ضميرية [جدة - مجمع الفقه الإسلامي - ط ١ - ١٤٣١ هـ] (٣٣٩).

الذي انتشر بين أوساط الشباب، قال تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١﴾﴾

وقد علّق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على هذه الآية، فقال: "هذا إخبار عما فطروا عليه من الإقرار بأن الله ربهم، وهذه الآية بينة في إقرارهم، وشهادتهم على أنفسهم بالمعرفة التي فطروا عليها أن الله ربهم" ^(١).

وقال ابن عثيمين رحمه الله: "الآية تدل على أن الإنسان يعرف ربه بفطرته" ^(٢).

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، كَمَا مَثَلُ الْبَيْهِيْمَةِ تُنْتَجُ الْبَيْهِيْمَةُ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ؟» ^(٤)(٥).

وقد كان الأنبياء عليهم السلام حريصين على متابعة أبنائهم، وغرس العقيدة

(١) الأعراف: [١٧٢].

(٢) انظر: جامع الرسائل، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم [الرياض - دار العطاء - ١٣ - ١٤٢٢ هـ] (١/١١).

(٣) شرح العقيدة الواسطية، الشيخ محمد بن صالح العثيمين [طبع على نفقة سليمان بن عبد العزيز الراجحي - ط ٢ - ١٤٢٠ هـ] (ص: ٤٤).

(٤) جدعاء. أي: مقطوعة الأطراف أو واحدتها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٥٩٢/٢).

(٥) متفق عليه، أخرجه الإمام البخاري، كتاب: الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين، رقم الحديث (١٣٨٥)، والإمام مسلم، كتاب: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، رقم الحديث (٦٧٥٥).

الإسلامية في نفوسهم، وحثهم على القيام بأركان الإسلام، فيعقوب عليه السلام كان يتعهد أبناءه وهو على فراش الموت، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾^(١)، فحين حضرت مقدمات الموت وأسبابه ليعقوب عليه السلام قال لبنيه على وجه الاختبار ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ لتقر عينه في حياته بامثالهم ما وصاهم به فكانت اجابتهم جامعه بين التوحيد والعمل^(٢)، فهذا المشهد بين يعقوب عليه السلام وبنيه هو مشهد قوي التأثير، فقد كانت العقيدة هي الأساس في تفكيره، وحرصه على أبناءه، فلم يلتفت لأمر الدنيا، بل أراد الاطمئنان عليهم بلزومهم طريق الحق، وهذه الآية دليل على ضرورة تحصين عقيدة الأولاد؛ لأن التوحيد هو أعظم المطالب.

وقد حرص النبي ﷺ في أحاديث على بيان ذلك، وتأكيد، ففي الحديث عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: أَحْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»^(٣).

(١) البقرة: [١٣٣].

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن السعدي [الرياض - دار السلام - ٢ - ١٤٢٢هـ] (٦١/١).

(٣) أخرجه الإمام الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، رقم الحديث (٢٥١٦)، وقال حديث حسن صحيح.

وعن جُنْدُب بن عبد الله رضي الله عنه قال: "كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ فِتْيَانٌ خَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازِدْنَا بِهِ إِيمَانًا"^(١).

٣- توجيه الأولاد إلى إعمال العقل في كل ما هو مفيد، وإشعارهم أن العقل نعمة من نعم الله صلى الله عليه وسلم، وهو شرط أساس من شروط أي عبادة شرعية، وبدونه يسقط التكليف الشرعي لمن لا عقل له، ولا بد من شكر هذه النعمة باستعمالها فيما هو مفيد من خلال دعوتهم إلى التفكير في مخلوقات الله صلى الله عليه وسلم، وتوسيع مداركهم، وتنمية التفكير الناقد لديهم في القضايا المعاصرة من خلال مناقشة القضية، وطلب رأيهم وتحليلهم، والإجابة على استفساراتهم، ومناقشتها مناقشة علمية مبنية على نصوص الكتاب والسنة، فلو لم يحصل الابن على إجابة لاستفساراته من أهله لبحث عنها في وسائل التواصل عند من لا يحسن توجيهه، ولا يمتلك العلم، فمسؤولية الوالدين عظيمة في الحفاظ على عقول أولادهم، وتزويدهم بالعلم النافع، إضافة إلى تنمية التفكير الناقد لديهم في القضايا المعاصرة، وقد حث ديننا الإسلامي على العلم، وبين فضل العلم والمتعلمين، وأعلى شأنهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٢)، وهذه الحصانة العلمية التي يزودون أولادهم بها سيحصدون نتاجها في الدنيا والآخرة لهم ولأولادهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ

(١) أخرجه الإمام ابن ماجه [الرياض - مكتبة المعارف - ط ١ - ١٤١٧ هـ] المقدمة، باب: في

الإيمان، رقم الحديث (٥٢) وقال حديث صحيح.

(٢) الزمر: [٩].

ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(١). كما ينبغي تنمية المهارات التي تنمي عقولهم، ويستثمرون فيها أوقاتهم بعيداً عن وسائل التواصل وغيرها.

٤ - متابعة سلوك الأولاد، وعدم الغفلة عن أي تغير في تصرفاتهم، مثل: الجلوس ساعات لتصفح مواقع التواصل، والانطواء، ومتابعة التزامهم بالصلاة، فالتوجيه لا يكفي، ولا يغني عن المتابعة، ومن أبرز الأمثلة على متابعة النبي ﷺ، وتقويمه لأخطاء ما يلي:

- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كُنَّا نُصَلِّي حَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَقُولُ: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، وَلَكِنْ قُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»^(٢).

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ الحسن بن علي رضي الله عنه تمرّة من تمر الصدقة، فجعلها في فيه، فقال النبي ﷺ: «كخ كخ» ليطرحها، ثم قال: «أما شعرت أننا لا نأكل الصدقة»^(٣).

(١) أخرجه الإمام الترمذي، أبواب الأحكام عن رسول الله ﷺ، رقم الحديث (١٣٧٦) وقال حديث صحيح.

(٢) أخرجه الإمام البخاري، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿السلام المؤمن﴾، رقم الحديث (٧٣٨١).

(٣) سبق تخريجه (ص١٧).

المطلب الثاني: الإجراءات العلاجية في ضوء الكتاب، والسنة

ينبغي الأخذ بعين الاعتبار أن هذه إجراءات علاجية لعلاج السلوك الخاطيء، وليست للتنفير، أو الإهانة التي قد تكون سببًا للقيام بسلوكيات أشد سوءًا، فالإجراءات العلاجية المتخذة في علاج سلوكيات الابن الخاطئة كالتالي:

١- النصح، ومناقشة الخطأ، وعدم إهماله:

من أهم الإجراءات العلاجية عند ملاحظة سلوك خاطيء القيام بالنصح، ومناقشة خطأ هذا السلوك، وعدم التهاون، أو التجاهل، وعلى سبيل المثال: الغلو في الدين قد يجهل الابن خطر الغلو، ويتأثر بأقرانه، ويعتقد أن الإسلام يطلب منه ذلك، وهنا يأتي دور الأسرة في العلاج من خلال:

بيان سماحة الدين الإسلامي، ويسره، وخطورة هذا المسلك، وأنه قد يقوده لانحرافات أخرى تكون سببًا في هلاكه، ومناقشته مناقشة علمية مبنية على الأدلة الشرعية، وضرب الأمثلة على ما ورد في الشرع من تحذير من الغلو، ومنها:

عن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أُخبروا كأنهم تَفَالَّوها وقالوا: أين نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَا أَنَا، فَأَصْلِي اللَّيْلَ أَبَدًا. وَقَالَ الْآخَرُ: وَأَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ أَبَدًا وَلَا أَفْطِرُ. وَقَالَ الْآخَرُ: وَأَنَا اعْتَرَلِ النِّسَاءَ، فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا. فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا

وَكَذَآءِ؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَخْشَاكُمُ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمُ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» ^(١).

٢- حسن الخطاب أثناء علاج الخطأ:

يسعى الوالدان عند علاجهم سلوكيات أولادهم إلى امتثالهم، واستجابتهم، لكن لن يتحقق ذلك إلا إذا كان علاج هذا الخطأ مبنياً على المحبة واللفظ والرحمة، واستعمال الألفاظ التي تشعر الولد بذلك، فنوح عليه السلام عند دعوته ابنه بدأ بلفظ: يا بني، وهو تصغير لابن، وقد استعمل هذا اللفظ؛ ليستميل قلب ابنه، ويحرك مشاعره، ويشعره بالشفقة عليه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ أَبْنَاهُ وَقَانَ فِي مَعَزِلٍ يَلْبَسِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَاوِيَ إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمَغْرِقِينَ﴾ ^(٢).

٣- علاج الخطأ على انفراد:

من الإجراءات العلاجية التي يتخذها الآباء في علاج سلوكيات أولادهم: علاج الخطأ على انفراد؛ لأن هذه الطريقة هي الأقرب للإصلاح، ولأن علاج الخطأ أمام أفراد العائلة تفريع لا فائدة منه.

(١) متفق عليه، أخرجه الإمام البخاري، كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح، رقم الحديث (٥٠٦٣)، والإمام مسلم، كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، رقم الحديث (١٤٠١).

(٢) هود: [٤٢-٤٣].

وهذا هو المنهج الشرعي في تغيير المنكر، فقد كان النبي ﷺ يستخدم أسلوب التعريض لا التصريح إذا أراد إنكار فعل معين، وذلك بقوله ﷺ: «ما بال أقوام» دون ذكر الاسم؛ لأن الهدف هو العلاج، والتغيير ليس الفضح والتشهير، ومثال لذلك ما فعله مع ابن اللُّثَيَّة حينما استعمله على الصدقات. عن أبي حميد الساعدي ﷺ قَالَ: اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا مِنَ الْأَزْدِ يُقَالُ لَهُ: ابْنُ اللَّثَيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، قَالَ: «فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ فَيَنْظُرَ أَيُّهُدَى لَهُ أَمْ لَا؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رِقَبَتِهِ إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقْرَةً لَهَا حُورٌ، أَوْ شَاةٌ تَبْعُرُ». ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَةَ (عُفْرَ) إِنْطِيهِ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغَتْ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغَتْ ثَلَاثًا»^(١).

(١) سبق تخريجه (ص: ١١).

المبحث الثالث: معوقات الرقابة على الأولاد في ضوء الكتاب والسنة،

وسبل علاجها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معوقات متعلقة بالأولاد، وسبل علاجها:

أولاً: الجهل بالمحرمات، والكبائر:

في الآونة الأخيرة مع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي، واعتبارها مصدر التلقي عند معظم المراهقين، والشباب أصبح التأثير، والتأثر بها بشكل كبير، ولاشك أن مع غياب دور الأسرة، وتوجيههم انتشرت عدید من الأفكار المنحرفة، كالغلو، والتكفير، والإلحاد، إضافة إلى القيام بالأمر المحرمة التي يجهلون عظم ذنب فاعلمها، وترك العبادات التي يجهلون عظم ذنب تاركها.

"عندما يتساهل المرابي في تعليم الأطفال أمور الحلال والحرام، ويقصر في توضيح وبيان الحق والباطل وفقاً لما جاء في كتاب الله الكريم، وسنة نبيه ﷺ، ويتهاون في ذلك، فهذا يجعل الطفل يضيع في عالم لا يعرف حراماً ولا حلالاً، وربما أصبح همه فقط سد جوعه، وإشباع غريزته، وانطلاقه وراء ملذات الدنيا، ومتاعها"^(١).

ولعل من أبرز الأمثلة على الجهل بالمحرمات والكبائر الشاب الذي جاء يستأذن النبي ﷺ بالزنا، وكيف تعامل معه النبي ﷺ من خلال استخدامه المنهج العقلي والعاطفي والحسي، وهذا المنهج النبوي هو درس لكل مرب.

(١) تعزيز الرقابة الذاتية للأطفال في عصر الأجهزة الذكية، نورة القرني [الرياض - مركز دلائل - ٣

- ١٤٤٠ هـ] (ص: ٤٢).

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إِنَّ فَتَى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْتِدُنْ لِي بِالزَّيْنَاءِ. فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَرَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: «أَذْنُهُ». فَدَنَا مِنْهُ قَرِيْبًا، قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟» قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ». قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟» قَالَ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ». قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟» قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخْوَاتِهِمْ». قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟» قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ». قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَاتِكَ؟» قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ». قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ». قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ ^(١).

وأحياناً يبذل الوالدان أقصى جهدهم في النصيح، والتوجيه، والتربية، لكن يتخذ الابن طريقاً آخر، وقد ضرب الله عز وجل مثلاً لذلك في القرآن الكريم، ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْرِلٍ بِنْتِي أَزْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قَالَ سَكَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرَفِينَ ﴿٤٤﴾﴾ ^(٢).

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (٢٢٢١١)، قال الألباني: هذا سند صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال الصحيح. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة [الرياض - مكتبة المعارف - د. ط - ١٤١٥ هـ] رقم الحديث (٣٧٠).

(٢) هود: [٤٢-٤٣].

ومن هذا المنطلق كان لا بد على الوالدين أن يبذلوا قصارى جهدهم في الرقابة على أولادهم، ويسألوا الله لهم الهداية، فالهداية من الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَئِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (١).

علاج الجهل بالمحرمات، والكبائر:

١- تفعيل الحوار الأسري، وتدريب الأولاد عليه، ما يساعد على الثقة بالنفس، والسؤال عما يشكل عليهم من أمور دينهم، ولعل موقف ابن عمر رضي الله عنهما يجسد لنا أهمية ذلك، ففي الحديث عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: إِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجْرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَهِيَ مِثْلُ الْمُسْلِمِ حَدِيثُونِي مَا هِيَ؟» فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَادِيَةِ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَهْمًا النَّخْلَةَ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنَا بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هِيَ النَّخْلَةُ». فَحَدَّثْتُ أَبِي بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِي، فَقَالَ: لِأَنَّ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا (٢).

٢- بيان الوالدين أحكام الحلال والحرام لأولادهم في القضايا الدينية كافة، وما يستجد من قضايا معاصرة، وإيضاح أن مصدر هذه الأحكام هو كتاب الله ﷻ، وسمعة نبيه محمد ﷺ، وأن هذه الأحكام جاءت لمصلحة الإنسان في الدنيا والآخرة.

(١) القصص: [٥٦].

(٢) متفق عليه، أخرجه الإمام البخاري، كتاب: العلم، باب: ذكر العلم والفتيا بالمسجد، رقم الحديث (١٣١)، والإمام مسلم، كتاب: صفات المنافقين، باب: مثل المؤمن مثل النخلة، رقم الحديث (٧٠٩٨).

٣- تعزيز الرقابة الذاتية للأولاد في ظل التقدم التكنولوجي، وحثهم على مراقبة الله ﷻ في أقوالهم وأفعالهم، وذلك أعلى مراتب الدين وهو الإحسان، قال رسول الله ﷺ في ذلك: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(١).

ثانيًا: الصحبة السيئة:

الجلس ليس له الأثر الكبير في جذب صاحبه إليه، سواء كان صالحًا، أو سيئًا، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾^(٢٧) يَوَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾^(٢).

وفي الحديث عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السُّوءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ وَكَبِيرِ الْحَدَّادِ، لَا يِعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِذَا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكَبِيرِ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ تَوْبَكَ أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً»^(٣).

ففي هذا الحديث "نهي عن مجالسة من يتأذى بمجالسته، كالمغتتاب،

(١) متفق عليه، أخرجه الإمام البخاري، كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان، رقم الحديث (٥٠)، والإمام مسلم، كتاب: الإيمان، باب: معرفة الإيمان والإسلام والإحسان، رقم الحديث (١).

(٢) الفرقان: [٢٧-٢٩].

(٣) سبق تخريجه (ص: ١٥).

والخائض في الباطل، والندب إلى من ينال بمجالسته الخير من ذكر الله ﷻ،
وتعلم العلم"^(١).

ومن هنا كانت الصحبة السيئة من معوقات الرقابة، "فالصديق السيء هو من يبعد صديقه عن طاعة ربه، فهو شؤم عليه في الدنيا والآخرة يُزين له المعاصي، كترك الصلاة، وعقوق الوالدين، ويشجعه إن عزم على فعل الشر، وبتبطه إن همَّ بفعل الخير، وإن استحيا من منكر هونه عليه"^(٢).

علاج الصحبة السيئة:

١- تقوية علاقة الوالدين بأولادهم؛ حيث يكونون كالأصدقاء، وتُزال الحواجز بينهم، فيستطيع الأولاد مصارحة آبائهم، ومشاورتهم، ما يساعد على بناء الثقة المتبادلة بعيدًا عن الخوف، ولعل أبرز الأمثلة على ذلك ما فعله يوسف عليه السلام عندما أخبر والده برؤياه، ولم يخبر أحدًا قبله، ولا بعده، وهذا يدل على قربهِ عليه السلام من والده؛ حيث التزم بنصيحتته، ولم يخبر أحدًا برؤياه، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَبْنَى لَا تَقْضُصْ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتَكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾﴾^(٣).

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، الإمام بدر الدين أبو محمد العيني، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر [بيروت - دار الكتب العلمية - ط ١ - ١٤٢١ هـ] [٣١٤/١١].
(٢) تعزيز الرقابة الذاتية للأطفال في عصر الأجهزة الذكية، نورة القرني (ص: ٤٢).
(٣) يوسف: [٤].

٢- انطلاقاً من قول النبي ﷺ: «هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»^(١)،
فمن أهم طرق علاج تأثير الصحبة السيئة على الأولاد هو معرفة الآباء من
يجالس أولادهم، ومخالطتهم، والترحيب بهم.

(١) متفق عليه، أخرجه الإمام البخاري، كتاب: الدعوات، باب: فضل ذكر الله ﷻ، رقم الحديث (٦٤٠٨)، والإمام مسلم، كتاب: الذكر والدعاء، باب: فضل مجالس الذكر، رقم الحديث (٢٦٨٩).

المطلب الثاني: معوقات متعلقة بالوالدين، وسبل علاجها:

أولاً: استخدام أسلوب القسوة:

من المعوقات المتعلقة بالوالدين: استخدامهم للقسوة في تعاملهم مع أولادهم قولاً وفعلاً، ظناً منهم أن هذا الأسلوب هو الأمثل في استجابة أولادهم، في حين أن الابن قد يستجيب فعلاً، لكن خوفاً من عقاب والديه، ما ينعكس سلباً على الولد، وينتج عنه آثار نفسية واجتماعية تؤثر عليه، وقد ذم الله ﷺ استخدام هذا الأسلوب في القرآن الكريم، وبين أنه سبب في نفور الناس، وعدم استجابتهم، قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوَ كُنْتَ فَظًّا غَٰلِظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(١)، كما أنكر النبي ﷺ على أعرابي عدم تقبيله للصبيان، ووصفه بأن نزع الله من قلبه الرحمة.

فَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: تُقْبَلُونَ الصَّبِيَّانَ؟ فَمَا نُقْبِلُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوْ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ»^(٢).

علاج استخدام أسلوب القسوة:

القراءة في كتب السنة، والاستفادة من منهج النبي ﷺ في تعامله مع الأطفال والشباب، فقد ضرب لنا ﷺ أروع الأمثلة في رحمته بالصغار، وحسن

(١) آل عمران: [١٥٩].

(٢) متفق عليه، أخرجه الإمام البخاري، كتاب: الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم الحديث (٥٩٩٨)، والإمام مسلم، كتاب: الفضائل، باب: رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، رقم الحديث (٢٣١٧).

تعامله مع الشباب، وإحسانه لهم، ومن الأمثلة على ذلك:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَبِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشْرَةً مِنَ الْوَالِدِ مَا قَبَلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا. فَنظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»^(١).

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُ عَلَيْنَا وَلي أَخٌ صَغِيرٌ يُكْنَى أَبُو عَمِيرٍ، وَكَانَ لَهُ نُعْرٌ يَلْعَبُ بِهِ، فَمَاتَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَرَأَهُ حَزِينًا، فَقَالَ: «مَا شَأْنُهُ؟»، قَالُوا: مَاتَ نُعْرُهُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا عَمِيرٍ مَا فَعَلَ النُّعَيْرُ؟»^(٢).

- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَدْحٍ فَشَرِبَ، وَعَنْ يَمِينِهِ عَلَامٌ هُوَ أَحَدُثُ الْقَوْمِ، وَالْأَشْيَاحُ عَنْ يَسَارِهِ، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ، أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ الْأَشْيَاحَ؟»، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأَوْثَرِ بِنَصِيبي مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ^(٣).

- عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا - أَهَّأَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ

(١) متفق عليه، أخرجه الإمام البخاري، كتاب: الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم الحديث (٥٩٩٧)، والإمام مسلم، كتاب: الفضائل، باب: رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، رقم الحديث (٢٣١٨).

(٢) أخرجه الإمام أبي داود، كتاب: الأدب، باب: الرجل يتكئ وليس له ولد، رقم الحديث (٤٩٦٩)، وقال: حديث صحيح.

(٣) متفق عليه، أخرجه الإمام البخاري، كتاب: الهبة وفضلها، باب: الإشهاد في الهبة، رقم الحديث (٢٥٨٧) والإمام مسلم، كتاب: الهبات، باب: كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة، رقم الحديث (١٦٢٣).

اللَّهُ ﷻ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ ﷻ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرَّفْقَ»^(١).

ثانيًا: الانشغال، وعدم استشعار مسؤولية الأولاد:

يعد انشغال الوالدين من معوقات الرقابة التي تؤثر سلبيًا على حياة أولادهم ومستقبلهم، فالأطفال يدمنون الجلوس على الألعاب الإلكترونية دون حسيب ومتابعة لنوعية الألعاب التي قد تحمل محاذير عقديّة، وأخلاقيّة، إضافة إلى تأثيرها النفسي على الطفل إذا كانت تتضمن عنفًا، أما المراهق، فقد يجلس ساعات طويلة على وسائل التواصل، ويتأثر بما يطرح خلالها من أفكار، ويتعرف على أشخاص قد يؤثرون عليه فكريًا، ويستغلون ضعف الحصانة العلميّة، والدينيّة لديه بسبب انشغال الأهل عنه، فيصبح عنصر هدم، لا بناء.

علاج الانشغال، وعدم استشعار مسؤولية الأولاد:

استشعار نعمة الأولاد، وأنهم رزق من الله، وزينة الحياة الدنيا، قَالَ تَعَالَى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٢)، والقيام بما أوجبه الله من مسؤوليات تجاههم، ومتابعتهم، والحرص عليهم مما يحيط بهم من مؤثرات، وهذا هو منهج الأنبياء مع أولادهم، ومن الأمثلة على ذلك حرص يعقوب عليه السلام على أبنائه، وخوفه عليهم من العين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ يَبْنَى لَآ تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾

(١) أخرجه الإمام أحمد، رقم الحديث (٢٤٤٢٧)، وقال الألباني: حديث صحيح. انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته [بيروت - المكتب الإسلامي - ط ٣ - ١٤٠٨ هـ] رقم الحديث (٣٠٣).

(٢) الكهف: [٤٦].

وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١﴾ ، وفي موضع آخر نصحه وتوجيهه لابنه ليوسف
عليه السلام في موضوع رؤياه .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ يَبْنَئِي لَا تَقْضُصْ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۗ إِنَّ
الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٢) ، إضافة إلى نصائح لقمان لابنه التي تتضمن
حرصه عليه في جوانب الحياة كافة: الدينية، والأخلاقية، والآداب العامة .

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ ۖ يَبْنَئِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ
عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَلَّهُ ۖ فِي عَمَرَيْنِ أَنِ
أَشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ
عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ
مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَبْنَئِي إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ حَرْدَلٍ
فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنَئِي
أَفِيم الصَّلَاةِ وَأَمْرٍ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۚ إِنَّ ذَلِكَ مِّنْ عَزْمِ
الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْسِسْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ
﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَسْيِكَ وَاعْضُصْ مِّنْ صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ . (٣)

(١) يوسف: [٦٧] .

(٢) يوسف: [٥] .

(٣) لقمان: [١٣-١٩] .

ثالثًا: التفرقة بين الأبناء:

من المعوقات التي تؤثر نفسيًا على الأبناء فضلًا عن أنها تعيق الرقابة: التفرقة بين الأولاد، وعدم العدل، والمساواة في الاهتمام والعطف والحرص، والهدية، فقد يفضل الآباء بعض الأولاد على غيرهم، ما يسبب الكراهية والعداوة بين الأولاد، وبالتالي يتغير سلوكهم، وقد عد النبي ﷺ هذا جورًا.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أَنَّ أُمَّهُ بِنْتُ رَوَاحَةَ، سَأَلَتْ أَبَاهُ بَعْضَ الْمُوهَبَةِ مِنْ مَالِهِ لِابْنِهَا، فَالْتَوَى بِهَا سَنَةً ثُمَّ بَدَأَ لَهُ، فَقَالَتْ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَا وَهَبْتَ لِابْنِي، فَأَخَذَ أَبِي بِيَدِي وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ، فَاتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُمَّ هَذَا بِنْتَ رَوَاحَةَ أَعْجَبَهَا أَنْ أُشْهَدَكَ عَلَى الَّذِي وَهَبْتُ لِابْنِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا بَشِيرُ أَلَيْسَ لَكَ وَلَدٌ سِوَى هَذَا؟» قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ: «أَكُلْهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هَذَا؟» قَالَ: لَا. قَالَ: «فَلَا تُشْهَدْنِي إِذَا، فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ».

وفي رواية الإمام البخاري: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ»^(١).

علاج التفرقة بين الأبناء:

(١) أخرجه الإمام البخاري، كتاب: المساقاة، باب: من رأى صدقة الماء وهبته ووصيته جائزة مقسومًا كان أو غير مقسوم، رقم الحديث (٢٣٥١).

التوبة إلى الله ﷻ من ظلم الأولاد، والتفرقة بينهم، والفوز بالأجر العظيم من الله ﷻ يوم القيامة، فعدل الوالدين لا يقتصر نفعه على أولادهم وحسب، بل يجازي عليه الخالق ﷻ الوالدين يوم القيامة عظيم الجزاء.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ وَكَلْنَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُوا»^(١).

(١) أخرجه الإمام مسلم، كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل، رقم الحديث (١٨٢٧).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي أعانني على إنجاز هذا البحث الذي يهدف إلى معرفة الرقابة على الأولاد في ضوء الكتاب والسنة، وقد تطرقت فيه لبيان أهمية الرقابة على الأولاد في الوقت الحاضر، وبينت الإجراءات الوقائية والعلاجية للرقابة على الأولاد في الكتاب والسنة، وتناولت المعوقات التي تحول دون تحقيق الرقابة على الأولاد، وبيان سبل علاجها من خلال نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية، وتوصلت من خلال هذا البحث إلى النتائج التالية:

- ١- ممارسة الأسرة لدورها الرقابي بنوعيه الوقائي والعلاجي يكفل الاستقرار، والأمان، والترابط الأسري.
- ٢- التحصين، والتوجيه، والمتابعة من أهم الإجراءات الوقائية التي يتخذها الآباء في الرقابة على أولادهم.
- ٣- لا يخلو أي عمل من معوقات تعترض طريقه، لكن لكل معوق علاج، والرقابة على الأولاد تعترضها بعض المعوقات التي لن تقف عقبة في طريق الآباء باستشعارهم للمسؤولية.

وفي نهاية البحث لا يفوتني أن أشير إلى عدد من التوصيات:

- ١- ضرورة عناية الوالدين بتعزيز الرقابة الذاتية في نفوس أولادهم.

٢- أوصي الوالدين بضرورة مواكبة المستجدات الحديثة من وسائل التواصل وغيرها، والإمام بما يثار من قضايا معاصرة، وشبهات منتشرة من خلال حضور دورات تدريبية، أو القراءة والاطلاع؛ تحصيلًا لأولادهم.

٣- ضرورة تضافر جهود الوالدين في سبيل حماية أبنائهم من السلوكيات الخاطئة، والأفكار المنحرفة، فالتربية والرقابة ليست مسؤولية شخص واحد؛ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾^(١).

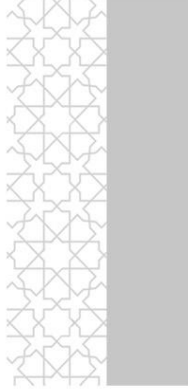
وصلى الله، وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم

(١) المائة: [٢].

المصادر والمراجع

- ١- تحفة المودود بأحكام المولود، لابن قيم الجوزية، تحقيق عثمان ضميرية، [جدة - مجمع الفقه الإسلامي - ط١ - ١٤٣١ هـ].
- ٢- تعزيز الرقابة الذاتية للأطفال في عصر الأجهزة الذكية، نورة القرني، [الرياض - مركز دلائل - ط٣ - ١٤٤٠ هـ].
- ٣- تفسير التحرير والتوير، لابن عاشور، [تونس - الدار التونسية للنشر - د.ط - ١٩٨٤ م].
- ٤- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي السلامة، [الرياض - دار طيبة - ط٢ - ١٤٢٠ هـ].
- ٥- جامع الرسائل، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، [الرياض - دار العطاء - ط١ - ١٤٢٢ هـ].
- ٦- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: د. عبد الله التركي، [بيروت - مؤسسة الرسالة - ط١ - ١٤٢٧ هـ].
- ٧- الجامع لشعب الإيمان، للبيهقي، تحقيق: مختار الندوي، [الرياض - مكتبة الرشد - ط١ - ١٤٢٣ هـ].
- ٨- سلسلة الأحاديث الصحيحة [الرياض - مكتبة المعارف - د.ط - ١٤١٥ هـ].
- ٩- سنن ابن ماجه، [الرياض - مكتبة المعارف - ط١ - ١٤١٧ هـ].
- ١٠- سنن أبي داود، [الرياض - دار السلام - ط١ - ١٤٢١ هـ].
- ١١- سنن الترمذي، [بيروت - دار الغرب الإسلامي - ط١ - ١١٩٦ م].
- ١٢- السنن الكبرى، للبيهقي، تحقيق: محمد عبدالقادر، [بيروت - دار الكتب العلمية - ط٣ - ١٤٢٤ هـ].
- ١٣- شرح العقيدة الواسطية، الشيخ محمد بن صالح العثيمين [طبع على نفقة سليمان بن عبد العزيز الراجحي - ط٢ - ١٤٢٠ هـ].
- ١٤- صحيح ابن حبان، [بيروت - بيت الأفكار الدولية - د. ط - ٢٠٠٤ م].
- ١٥- صحيح البخاري، [بيروت - دار ابن كثير - ط١ - ١٤٢٣ هـ].

- ١٦- صحيح الترغيب والترهيب، للألباني، [الرياض - مكتب المعارف - ط ١ - ١٤٢١هـ].
- ١٧- صحيح الجامع الصغير وزيادته، للألباني، [بيروت - المكتب الإسلامي - ط ٣ - ١٤٠٨هـ].
- ١٨- صحيح مسلم، [د.م - دار طيبة - ط ١ - ١٤٢٧هـ].
- ١٩- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، الإمام بدر الدين أبو محمد العيني، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، [بيروت - دار الكتب العلمية - ط ١ - ١٤٢١هـ].
- ٢٠- فتح الودود في شرح سنن أبي داود، لأبي الحسن السندي، تحقيق: محمد الخولي، [مصر - مكتبة لينة - ط ١ - ١٤٣١هـ].
- ٢٢- لسان العرب، محمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور، [بيروت - دار صادر - ط ٣ - ١٤١٤هـ].
- ٢٣- مجموع فتاوى ابن باز، جمع وترتيب: د. محمد الشويعر، [الرياض - دار القاسم - ط ١ - ١٤٢٠هـ].
- ٢٤- مسند الإمام أحمد، [بيروت - مؤسسة الرسالة - ط ١ - ١٤١٧هـ].
- ٢٥- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، [بيروت - دار الفكر - د. ط - ١٣٩٩هـ].
- ٢٦- المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، [الأردن - بيت الأفكار الدولية - د. ط - د. ت].
- ٢٧- مؤشرات التطرف لدى الشباب.. دراسة ميدانية، د. عبد العزيز الهليل، [الرياض - مركز دلائل - ط ١ - ١٤٣٧هـ].
- ٢٨- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق: محمود الطناحي، [د.م - المكتبة الإسلامية - ط ١ - ١٣٨٣هـ].
- ٢٩- هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصاييح والمشكاة، تحقيق: علي الحلبي، [القاهرة - دار ابن عфан - ط ١ - ١٤٢٢هـ].



Chief Administrator

H.E. Prof. Ahmed Ibn Salem AL-Ameri

President of the University

Deputy Chief Administrator

Prof. Abdullah Ibn Abdulaziz Al-Tamim

Vice Rector for Graduate Studies and Scientific Research

Editor -in- Chief

Prof. Hamad Ibn Abdul Mohsen Al-Tuwaijri

College of Fundamentals of Religion –Imam Mohammad Ibn
Saud Islamic University

Managing editor


Dr. Ali Ibn Abdullah Al-Qarni

Vice Deanship of Scientific Research for Research Chairs





Editor -in- Chief

- **Prof. Muslim Ibn Muhammad Al-Dosari**
College of Fundamentals of Religion - Almajmaah University
 - **Prof. Abdullah Ibn Muhammad Al-Omrani**
Majmaah University - Fundamentals of Jurisprudence
 - **Prof. Ali Ibn Abdul Aziz Al Matroudi**
Fundamentals of Jurisprudence department- College of Shari'ah
 - **Prof. Mansour Ibn Abdul Rahman Al-Haidari**
The Higher Judicial Institute - department of Shari'ah Policy
 - **Prof. Asmaa Bint Abdul-Aziz Al-Dawood**
Higher Institute for Dawah and Ihtisab- Dawah department
 - **Prof. Adel Mubarak Al-Mutirat**
Kuwait University- College of Sharia and Islamic Studies
 - **Dr. Ibrahim Mustafa Adi**
Othman Ibn Foudi University Nigeria - Islamic Studies
- 

Criteria of Publishing

The Journal of Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University for Shari'ah Studies is a peer reviewed journal published by the Deanship of Scientific Research in the campus that publishes scientific research according to the following regulations:

I. Acceptance Criteria:

١. Originality, innovation, academic rigor, research methodology and logical orientation.
٢. Complying to the established research approaches, tools and methodologies in the respective discipline.
٣. Accurate documentation.
٤. Language accuracy.
٥. Previously published submissions are not allowed.
٦. Submissions must not be extracted from a paper, a thesis/dissertation, or a book by the author or anyone else.

II. Submission Guidelines:

١. The author should write a letter showing his interest to publish the work, coupled with a short CV and a confirmation that the author owns the intellectual property of the work entirely and he won't publish the work before a written agreement from the editorial board.
٢. Submissions must not exceed ٦٠ pages (A٤).
٣. Submissions are typed in Traditional Arabic, in ١٧-font size for the main text, and ١٣-font size for notes, with single line spacing.
٤. Three copies must be submitted to the journal with an abstract in Arabic and English that does not exceed ٢٠٠ words in size.

III. Documentation:

١. Footnotes should be placed on the footer area of each page respectively.
٢. Sources and references must be listed at the end.
- ٣ - Sample images of the verified/edited manuscript are inserted in their respective areas.
- ٤ - Clear pictures and graphs that are related to the research are included in appendices.

IV. In case the author is dead, the date of his death, in Hijri calendar, is used after his name in the main body of research.

V. Foreign names of authors are transliterated in Arabic alphabet followed by the Latin characters between brackets). Full names are used for the first time the name is cited in the paper.

VI. Submitted articles for publication in the journal are refereed by two reviewers, at least.

VII. The modified article should be returned on a CD-ROM or via an e-mail to the journal.

VIII. Rejected article will not be returned to authors.

IX. Authors are given two copies of the journal and fifteen reprints of his article.

Address of the journal:

All correspondence should be sent to the editor of the Journal of Shari'ah Studies:

Riyadh, ١١٤٣٢ PO Box ٥٧٠١

Tel: ٢٥٨٢٠٥١ - Fax ٢٥٩٠٢٦١

www.imamu.edu.sa

Email : islamicjournal@imamu.edu.sa